

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أحمد دراية - أدرار -

كلية الآداب واللغات

الأدب الشعبي الجزائري وتأثيرات العولمة

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم

تخصص: الآداب واللغات

إعداد الطالب: عبد الله فعور

إشراف: الأستاذ الدكتور: عبد الرحمن قاسي محمد

أعضاء لجنة المناقشة

- أ.د / سليمان قوراري..... جامعة ادرار رئيسا
- أ.د / عبد الرحمان قاسي محمد... جامعة ادرار..... مشرفا ومقررا
- د / حورية بكوش... جامعة ادرار..... عضوا مناقشا
- أ.د / محمد بن حمو... جامعة بشار..... عضوا مناقشا
- أ.د / عبد الرحمان مزيان... جامعة بشار..... عضوا مناقشا
- د / أمين مصري... المدرسة العليا للأستاذة وهران..... عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 1439هـ - 1440هـ الموافق لـ 2017 م - 2018 م



إهداء

إلى الذين قال فيهم المولى تبارك وتعالى في كتابه المجيد:

{ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (23) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَانِي صَغِيرًا } من سورة الإسراء

وإلى الذين قال فيهم ربُّ العِزَّة :

{ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا (23) } من سورة الأحزاب.

إلى كل الذين ينافحون من أجل إنسانية الإنسان وكرامته ويصدق فيهم قوله سبحانه وتعالى:

{ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (70) } من سورة الإسراء.

إلى كل المستضعفين في الأرض :

{ وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا } (75) من سورة النساء.

عبد الله فعورور

--{ { شكر و عرفان } }--

- من لم يشكر الناس لم يشكر الله -

الحمد والشكر لله العلي القدير، الذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنه

ثم الشكر والامتنان للأستاذ الدكتور:

- عبد الرحمن قاسي محمد -

الذي أشرف على سير هذا العمل من بداية مراحلہ الأولى إلى أن وصل إلى

هذا الشكل الذي هو عليه اليوم كحقيقة ملموسة.

وبالرغم من ضيق وقته، وكثرة مشاغله، إلا أنه لم ينخل بتوجيهاته ونصائحه

وإرشاداته وتوصياته، فله منا مرة أخرى فائق الشكر والتقدير.

ومن باب الاعتراف بالجميل أيضا، من واجبي أن اشكر كل من قدم لي يد

المساعدة والعون من قريب أو من بعيد.

ويبقى الشكر لله أولا وأخيرا، فله الحمد وله الشكر سبحانه.

مقدمة

إذا أقررنا بأن الأدب يعكس صورة بيئته، فهو لسان حال صانعه، ووسيلته ومادته في ذلك هي الكلمة، لأنها أداة تواصله وتفاعله مع هذه البيئة، وهي بالمقابل رسالة من ورائها هدف؛ فالكلمة إذا هي روح الأدب، وهذا ما نلمسه في نصوص عناصر الأدب الشعبي الجزائري. التي لها من الأبعاد ما يحمل مقومات ثقافية، أبرز مرجعياتها الدين الإسلامي. ولقد تجلّى البعد الديني من خلال هذه العناصر؛ على غرار موشح البوقالات، والألغاز الشعبية والأمثال الشعبية والنكت الشعبية، والحكايات الشعبية وغيرها حول الأنبياء والرسل، والقرآن الكريم...، والفرائض الدينية؛ كالصلاة والصوم، والزكاة والحج...، والمناسبات الدينية كعيد الفطر والأضحى وليلة القدر...، ونحو ذلك من المحاور، ذات الدلالات الدينية؛ كالصدق والأمانة، والوفاء بالعهد والأخوة، والتعاون ومحبة الأهل، والعمل وأخرى وبالتالي فهذه العناصر التعبيرية الأدبية الشعبية، تحمل ضمن نصوصها أيضا، أنساقا ثقافية متعددة ومتباينة، من الرموز، والإشارات للعادات والتقاليد، والأعراف والقيم والأخلاق، فثسهم بذلك في تشكيل الهوية أولا، ثم في سيورورة تلك الهوية، واستمرارها عبر الزمن ثانيا؛ من خلال توارث الأجيال المتعاقبة لكل ذلك المزيج المركب.

لقد فرضت العولمة ضغوطات هائلة على الكيانات المحلية؛ باعتبارها ظاهرة كونية مسّت جميع نواحي الحياة؛ فكان لهذه الحالة كبير الأثر، في التحفيز على الخوض في مجالات تأثيراتها على القضايا ذات الطابع المحلي الذي يزخر بدلالات مميزاته، وإيحاءات خصوصياته، ضمن هذا الكم الهائل من المتشابهات، في التصنيف الإنساني العام، فكان التراث الشعبي عموما، والأدب الشعبي منه على الخصوص أحد هذه المجالات؛ التي شكّلت محاور مغرية للدراسة والبحث والتنقيب؛ نظرا للتمايز والتداخل، وكذا لكيفية التفاعل والحراك، الذي يحدثه داخل هذه الكيانات والمجتمعات.

وعليه فقد شكّل هذا التحفيز وهذا الإغراء، مجموعة من الأسباب الذاتية والموضوعية الدافعة والمحفزة لاختيار

هذا الموضوع الموسوم بـ **الأدب الشعبي الجزائري وتأثيرات العولمة** - للدراسة والبحث، ومن هذه الأسباب نذكر: تلك النظرة الاحتقارية، والتعاليق المستهجنة، من أبناء هذا الجيل، لكل ما يمت بصلة إلى التراث أو الثقافة الشعبية الأصيلة، منبهرين في ذلك بتكنولوجيا الحضارة الغربية، أعثها من دون سمينها؛ مما ولد لدي رغبة المساهمة في خدمة التراث الشعبي عموماً، والأدب الشعبي الجزائري على وجه الخصوص؛ لإبراز جمالياته وحكمه وكنوزه، التي يراد لها أن نطمس أو نُغيب، لتغيب معها وتطمس أصالة وهوية هذا الشعب الأصيل المعطاء. فضلاً عن أن موضوع (الدكتوراه) هذا، يعتبر استمراراً للجهد المبذول في الحقل ذاته، بالموضوع الذي تطرقت إليه في رسالة الماجستير تحت عنوان **الدلالات الاجتماعية والاقتصادية في المثل الشعبي الجزائري** - مما قد يعني أن جزءاً من أرضية الدراسة قد غدت شبه مهيأة للخوض في مثل هذا الموضوع الذي نحن بصددده.

كما أن مثل هذه الدراسات - فيما نعلم - قليلة، وربما لا تفي بالغرض المطلوب، أو هي على الأرجح حبيسة الأدراج دون تفعيل، ومن ثم أصبحت الحاجة ماسة - بل ومُلِحّة - للقيام بمثل هذه البحوث والدراسات ونفض الغبار ولو عن البعض منها؛ خاصة في هذه المرحلة التي يجتاز فيها المجتمع الجزائري مجموعة من التحولات الجذرية على درجة عالية من الخطورة. لذلك كان من بين أسباب الاختيار؛ الذود عن حياض أصالتنا وعقيدتنا بمحاولة كشف النقاب عن الأهداف الحقيقية والأدوات والأساليب، المستعملة للترويج لمبادئ العولمة الراهنة، خاصة في مجابهة الثابت الأصيل في التراث الشعبي عموماً، والأدب الشعبي الجزائري على الوجه الأخص.

انطلاقاً مما سبق، وفي ظل الخطر الداهم، التي باتت العولمة تمثله على معظم شعوب وأمم العالم اليوم أصبحنا في حاجة ماسة - أكثر من أي وقت مضى - إلى حماية منظومة قيمنا الاجتماعية من الطمس، وثقافتنا من الدرس، وأخلاقنا من الاندثار، وهويتنا من التذويب؛ عن طريق حماية أدبنا الشعبي؛ مخزون القيم والأخلاق ومستودع الثقافة والهوية. وعلى هذا المعطى تمحورت إشكالية هذه الدراسة حول الإجابة عن السؤال الرئيسي التالي: **ما هي التأثيرات التي أحدثتها العولمة على الأدب الشعبي الجزائري؟ وعن الأسئلة الفرعية التالية:**

- ما الأدب الشعبي؟ وما هي عناصر الأدب الشعبي الجزائري؟
 - ما المحتوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي والتربوي للعملة؟
 - ما هي الأدوات والوسائل التي تستخدمها العملة لترسيخ مبادئها؟
 - ما هي مقومات (ركائز) عناصر الأدب الشعبي الصامدة في وجه العملة؟
 - ما هي القيم الأخلاقية الثابتة في الأدب الشعبي الجزائري؟
 - ما هي مجالات تأثير العملة على الأدب الشعبي الجزائري؟
 - كيف سيكون مستقبل الصراع بين عناصر الأدب الشعبي والعملة؟
- وعلى ضوء ما سبق يمكن تحديد بعضا مما تأمل الدراسة تحقيقه من أهداف في ما يلي:
- معرفة الأدب الشعبي، بشكل عام، وخاصة معرفة عناصر الأدب الشعبي الجزائري.
 - معرفة المحتوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي والسياسي والتربوي... للعملة.
 - معرفة الأدوات والوسائل التي تستخدمها العملة لترسيخ مبادئها.
 - معرفة ركائز (مقومات) عناصر الأدب الشعبي الصامدة في وجه العملة.
 - معرفة القيم الأخلاقية الثابتة في الأدب الشعبي الجزائري.
 - معرفة مجالات تأثير العملة على الأدب الشعبي الجزائري.

وتكمن أهمية هذه الدراسة - في تقديرنا- من خلال أهمية وحساسية الموضوع الذي نعالجه؛ فهي تطرق باب الأصالة عن طريق الأدب الشعبي الجزائري، في عالم يهرول بخطى سريعة نحو التعمُّل؛ بكل ما لهذا التعمُّل من تبعات

وانعكاسات على مميزات المجتمع وهويته، خصوصا في ظل الأوضاع الراهنة؛ التي تعددت فيها أدوات ووسائل العولمة بشكل مُلفت، مما أدى إلى تسارع وتيرة انتشارها؛ وبالتالي إلى التعظيم من تأثيراتها . هذه التأثيرات التي مسرت كيان الأمة في خصوصياتها و انتماءاتها وثوابتها؛ وذلك من خلال تتبع لتأثيراتها على عناصر الأدب الشعبي الجزائري، بمعرفة حدود الصراع بين هذا الأدب الشعبي، وأبعاد ومبادئ العولمة الحالية؛ وبالتالي التصدي أو على الأقل التخفيف من الآثار السلبية التي قد تنجم عن هذه الظاهرة؛ في المجالات الثقافية والتربوية والاجتماعية والسياسية، والاقتصادية. بالإضافة إلى تناوله للعلاقة بين العولمة كمفهوم عصري حديث، بتقنياته المتطورة، ونظراته غير المسبوقة للحياة، والأدب الشعبي كأحد المفاهيم التي تتصل بالماضي ومنابعه الأصيلة؛ بقيمه ومبادئه ذات الثبات النسبي.

وبالنظر إلى طبيعة موضوع الدراسة فإننا نرى المنهج الوصفي التحليلي هو المنهج المناسب لوصف مختلف المظاهر التراثية في الأدب الشعبي، وما يوازئها أو يقابلها من المظاهر المستحدثة بفعل العولمة، وأبعادها، ثم تحليل المادة موضوع البحث والدراسة بالشرح والمناقشة والتعليق عليها، ثم تحليل العلاقة بينهما ومختلف التأثيرات، كما وظفت الدراسة المنهج الاستقرائي أيضا، بهدف تتبع الأبعاد المختلفة للظاهرة؛ قصد التنبؤ بمساراتها، وتناجها على المستويات المختلفة. من دون الاستغناء في مثل هذه المواضيع عن المنهج النفسي؛ وذلك بهدف الكشف أيضا عن الظواهر النفسية الكامنة في مثل هذه النصوص؛ من رغبات ودوافع وحاجات وميولات، ومن خلاله كذلك يمكن استنباط القيم الأخلاقية والدينية؛ التي تؤكد على الجانب التربوي والتوجيهي للسلوك العام، ضمن نصوص هذه الأشكال من التعبير في الأدب الشعبي الجزائري. إذا هي مناهج ثلاثة وأخرى وقرت لنا مساحة أوسع للتعاطي مع مادة الدراسة، بنوع من الأريحية؛ خلافا للقيود التي قد تنجم عن التقيد الصارم بمنهج فريد.

وقد عاجلت هذه الدراسة الإشكالية المطروحة وفروعها؛ ضمن فصل تمهيدي وأربعة فصول، مسبوقه بمقدمة، ومنتهية بخاتمة لخلاصة ما توصلت إليه الدراسة، متبوعة بقائمة، لأهم المصادر والمراجع؛ التي ساهمت في إثراء وتوجيه، وإخراج هذه الدراسة إلى حيز الوجود، على النحو التالي:

في الفصل التمهيدي: تم التطرق إلى أهمية التراث الشعبي عموماً، والأدب الشعبي منه على وجه الخصوص كمستودع من التجارب والأفكار والمعتقدات والعادات. مع عرض موجز للعولة بصفقتها من أهم الظواهر التي أنجبها القرن العشرين (20م)، ثم لحالة التراث والثقافة في ظل هذا الوضع المتعولم، مع التعرّيج على ماهية الأدب ووظائفه، ومصيره في ظل هذا الزخم اللامتناهي من الاختراعات والمعدات التكنولوجية.

وفي الفصل الأول الموسوم بـ "مدخل للأدب الشعبي الجزائري" ضمّنته الدراسة، لمحة تاريخية عن بلاد المغرب قبل الفتح الإسلامي وبعده، مع ومضة خفيفة حول إشكالية التسمية، وعروبة الأمازيغ، إضافة إلى مفهوم التراث الشعبي، وعناصره، والتي من ضمنها الأدب الشعبي، وعناصره، سلّطنا فيها الضوء على كل من الحكاية الشعبية الخرافية؛ مفهوماً، العوامل المؤثرة فيها، وظائفها، مناهج دراستها، ركائز بنائها الفني، وموضوعاتها. وتلاها اللغز بلطفوم، والنشأة والبنية النصية، والوظيفة، وعلاقته بالأشكال التعبيرية الشعبية الأخرى. ثم تناولنا النكتة الشعبية بمفهومها، وميزاتها ومكانتها في التراث العربي وعند الشعوب الأخرى. لنأتي إلى المثل الشعبي بمفهومه ووظائفه ونشأته، وأخيراً تناولنا تعريف الأغنية الشعبية مع الخصائص والأغراض.

أما في الفصل الثاني الذي جاء تحت عنوان: "العولة المفهوم والأبعاد" فقد تناولت فيه الدراسة؛ العولة نشأتها وتطورها، مفهوماً، أهدافها وأبعادها؛ منها البعد الاقتصادي ببعض جوانبه التجارية والمالية وجانب التسيير، والبعد السياسي، بجانبه الدبلوماسي والتشريعي، من جوانبه الروحية واللغوية والعلمية وعولة العلوم والتقنيات، والبعد الثقافي، بجانبه؛ الديموغرافي والسلوكي والمهني، وأخيراً البعد الاتصالي؛ بجانبه الإعلامي

والمعلوماتي. ثم استعرضنا بعضا من أدوات العولمة؛ على غرار، منظمة الأمم المتحدة، وصندوق النقد الدولي، البنك العالمي، والمنظمة العالمية للتجارة، والشركات متعددة الجنسيات، ومجموعة الثمانية الكبار، وغيرها .

وفي **الفصل الثالث** الموسوم بـ"الأدب الشعبي وقيم المجتمعات" تناولت فيه الدراسة: مفهوم القيم ومعاييرها، وأهميتها بالنسبة للفرد والمجتمع، مع التطرق لمفهوم الهوية، ومكوناتها. وكذا التنشئة الاجتماعية بمفهومها وشروطها، وعناصرها، ومضمونها، وأهدافها، ثم للهوية في كنف العولمة، وبعدها إلى أهمية القيم الروحية والأخلاقية في منظومة التراث الشعبي.

وأخيرا **الفصل الرابع** تحت عنوان: "تأثيرات العولمة على عناصر الأدب الشعبي". ومما جاء فيه: تأثير العولمة على العناصر المادية للتراث الشعبي، بعدها تأثير العولمة على العناصر القولية للأدب الشعبي، حيث تطرقت في هذا العنصر إلى إبراز أنواع القيم الماثورة في عناصر الأدب الشعبي الجزائري ، الواردة في الفصل الأول مع إضافة لمكون آخر هو - البوقالة- تم فيه تعريفها ، وكيفية أداء جلستها، ثم عرض لمضمون عينة من نصوص موشح البوقالات مع استعراض موجز لحالها والعولمة.

وفي المثل الشعبي تم التركيز في العينة منه ، على إبراز قيمة الهوية فيه، ثم عرضا لحاله اليوم في ظل العولمة، أما في اللغز الشعبي فقد تم في العينة المختارة منه ، إبراز الدور التعليمي فيه لأركان الإسلام ، وقيمة العلم بالخصوص. وفي الحكاية الشعبية تم إبراز الانضباط والتوجيه في السلوك من خلال - قيم ة الحياء والعفة خاصة - التي تضمنه مضمون نصوصها المختارة، ثم لحالها في الزمن الراهن. وفي النكتة الشعبية تم فيها إبراز الدور التربوي والاجتماعي خاصة؛ من خلال ما تتوجه به من تهكم ونقد للأفراد والهيئات والجماعات. وفي الأغنية الشعبية ، تم إبراز دورها الريادي في توجيه الرأي العام، وإذكاء الحماس الوطني، وضبط السلوك الاجتماعي، وترسيخ القيم الأصيلة للمجتمع. ثم إظهار التأثير بمقارنة نماذج من عصر العولمة على كل من هذه القيم وغيرها، ومهاجمة العولمة لها

بوسائلها الحديثة لإحلال قيم أخرى غير القيم الأصيلة . وهو بمثابة ، التعدي السافر على الخصوصيات وهوية الشعوب.

وقد اعتمدت الدراسة في انجاز وتفصيل عناصر الخطة على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر منها على سبيل المثال ما يلي:

عبد الرحمان الجيلالي - تاريخ الجزائر العام- ، مبارك بن محمد الميللي - تاريخ الجزائر في القدم والحديث-
 محمد عابد الجابري- التراث والحداثة-، التلي بن الشيخ - دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة - محمد الجوهري
 - علم الفولكلور-، عبد الحميد بورايو - القصص الشعبي في منطقة بسكرة -، نبيلة إبراهيم - أشكال التعبير في
 الأدب الشعبي-، احمد بن نعمان - سمات الشخصية الجزائرية من منظور الانثروبولوجيا النفسية- ، اولريش بك -
 ما هي العولمة -، رضا عبد السلام - اختيار العولمة-، خليل نوري مسيهر العاني- العولمة الإسلامية في ومن العولمة
 الثقافية -، نبيل راغب- أقنعة العولمة السبع-، فرغلي هارون - الإرهاب العولمي واختيار الإمبراطورية الأمريكية-
 فوزية دياب- القيم والعادات الاجتماعية-، ماجد زاكي الجلاد -تعلم القيم وتعليمها-، المهدي المنجرة - قيمة
 القيم-، محمد العربي ولد خليفة - المسألة الثقافية و قضايا اللسان والهوية- محمد الأخضر السائحي - ألوان بلا
 تلوين -، محمد بن شنب - أمثال الجزائر والمغرب بالعربية مجموعة مترجمة ومشروحة -، إضافة إلى بعض المعاجم
 والقواميس التي لا غنى عنها ؛ على غرار- لسان العرب - لابن منظور...

أما الدراسات السابقة فلم نعثر- حسب جهودنا في هذا البحث - على مواضيع يمثل الصيغة التي وردت في موضوع دراستنا. كل ما عثرنا عليه؛ هو المعالجة التقليدية لأشكال التعبير في الأدب الشعبي الجزائري.

وإذا كان ولا بد من ذكر المصاعب التي تعترض البحوث والدراسات العلمية عامة؛ فهذه الدراسة كغيرها

من الدراسات واجهت بعضا من الصعوبات والعراقيل؛ منها على سبيل الحصر: موضوع العولمة ذاته، بتشعيبات ه التي أفرزت كمًا هائلًا من الدراسات والبحوث والرؤى، اختلط فيها الغث بالسمين، الذاتي بالموضوعي، المزيف بالحقيقي؛ فكانت الوفرة في هذه الحال نقمة على الباحث وليست نعمة. كما أن موضوع الأدب الشعبي أيضا يجيلك قهرا على العديد من العلوم الأخرى ذات العلاقة؛ مما تسبب في كثير من الأحيان بالابتعاد والخروج عن سكة البحث، تطلب ذلك الكثير من الانتباه والحذر من مثل هذه الانزلاقات المُتعبة حقا. وأما البقية، فلا مفر ولا مهرب لباحث أو دارس من تجرّعها؛ فهي ملح البحوث ولذتها.

وفي الأخير، فإنّ المروءة تقتضي منا الإقرار لكل الأساتذة عموما، بالاعتراف بأفضال الرجال، بل والاعتراف من حياض علمهم، وجودهم وكرمهم، وصبرهم وتواضعهم؛ وهنا أخصُّ بالذكر الأستاذ المشرف - الدكتور عبد الرحمن قاسي محمد - على تكريمه قبول تحمّل مسؤولية، ومشقة متابعة البحث عبر مراحلهِ المختلفة؛ وعلى ما أسداه من إرشادات و توجيهات، وملاحظات وتنبهات، وتصويبات وغيرها كثير، في حرص منه، على أن تخرج هذه الدراسة إلى حيز الوجود، وأن ترى النور، وهي في أحسن وأبهى حلّة لها، فله منا كل الشكر والعرفان والتقدير. كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان، للجنة الموقرة التي تحملت، عناء قراءة وتمحيص هذه الرسالة.

الفصل التمهيدي

توطئة:

إن التراث الشعبي يعكس بصورة جلية واضحة، حياه الناس وأحاسيسهم وأمانيتهم وحاجياتهم، التي تبرز في مجموع عناصر هذا التراث، المعنوي منه والمادي.

والتراث الشعبي الجزائري كغيره من التراث الشعبي للأمم والشعوب الأخرى؛ يزخر بالتعدد، من حيث أشكاله التعبيرية المتنوعة (الألعاب، الرقص، آداب الضيافة، تقاليد الزواج، شعائر المآتم، الأسماء والكُنَى، العادات المتعلقة بالحمل والولادة، العادات والخرافات المتعلقة بالحظ والسحر، الاعتقاد بالقوة الغيبية، الحلي، الزخرفة، والمصنوعات اليدوية، الغناء والموسيقى، الأزياء الشعبية، العمارة، الحكايات الخرافات، الأمثال، النكت، الأحاجي... الخ).

إنها ترتبط ارتباطا عضويا بمحوم و آمال الفرد، في مسي.رته وحركيته الثقافية والنفسية والاجتماعية داخل وطنه، مشكلا بذلك بطاقة هويته الشخصية وانتمائه، متميزا بها عن غيره، صانعا بها كيانا مستقلا متفردا، به يُعرف، ويتميز عن باقي شعوب وأمم الأرض.

فالتراث الشعبي عموما، والأدب الشعبي من ه.على وجه الخصوص، هو مستودع ضخ م.ن التجارب والأفكار والقيم والمعتقدات والعادات والسلوكيات، التي رسخت في الذاكرة الجمعية لهذا الشعب، يتوارثها الأبناء عن الآباء والخلف عن السلف. ولكن في ظل الأوضاع الراهنة التي نحن بصدددها في منتصف هذا العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين الميلادي (21م). هل فعلا ما يزال هذا التورث للأدب الشعبي بشحنته وحمولته من السلف إلى الخلف، ومن الآباء إلى الأبناء، قائما مؤديا لوظيفته، وحافظا لأمانته كسابق عهده؟ أم أن هناك من الطوارئ ما يحول بين هذا وذاك؟

لقد شهد العالم في تسعينيات القرن الماضي (20م)، أي بعد انتهاء الحرب الباردة، هزة عنيفة أدت إلى إعادة رسم خريطة العالم، السياسية والاقتصادية، بما فرضته من مقتضيات أوجبت صياغة نسق جديد للعلاقات

الدولية، وفق نظام دولي جديد، مما أدى إلى بروز ظواهر جديدة على الساحة الدولية، بعضها فرضت طغيانها بالخصوص على أفكار العلماء والباحثين والكتّاب؛ بسبب تربيعها على كل الاهتمامات واقحامها لكل الميادين وتأثيرها في كل المجالات. تلکم هي - العولمة - الوافد العجيب والضيف الغريب.

حظيت العولمة باهتمام الشرق والغرب، بمستوييه الرسمي والشعبي؛ بوصفها من بين أهم الظواهر التي أنجبتها القرن العشرين (20م) فاستقطبت بذلك كل الشرائح الفكرية، بمختلف انتماءاتها ومشاربها وخصوصياتها؛ من علماء التربية والاقتصاد والسياسة والاجتماع والمتقنين... الخ. لقد كان القاسم المشترك الوحيد بين هؤلاء جميعا في تصورهم لهذا المفهوم؛ هو الطابع الكوني أو العالمي للعلاقات التي تربط الدول بعضها ببعض بمعنى: (نقل الشيء من المجال المحدود، الذي تمثله حدود الدول المختلفة، إلى المجال اللامحدود الذي يمثله الكون أو العالم). وأما فيما عاده من المجالات الأخرى، فقد كان هؤلاء العلماء والباحثون فريقين على طرفي نقيض تماما.

فالفريق الأول: يدعوا إلى الالتحاق بركب العولمة، لما يبدو له فيها من آثار إيجابية على المجتمع، وأنها تنطلق إلى فضاء رحب وأفاق واسعة، ومجالات جديدة من فرص الابتكار والإبداع، وتطوير التنمية؛ مما يؤدي إلى التقدم والازدهار والرفي؛ لأن أساسهما الع. لم والتقدم التكنولوجي؛ مثلما هو الشأن للقفزة الهائلة في مجال الاتصالات والمواصلات، ومثل هذه القفزات هي الغاية التي تنشدها كل مجتمعات البشر على وجه الأرض.

لكن هل العلم والتكنولوجيا ووسائل التقدم والازدهار عموما، تفرض أو تطلب من الشخص أن يتجرد أو يتخلى عن قيّمه، لحساب قيّم أخرى مهما كانت خصوصيتها؟ حتى ولو كانت متعارضة بشكل صريح، مع م. ا. تشكّل بفعل هذا الارتباط الوثيق بين ثلاثية المكان والزمان والإنسان، من عادات وتقاليد وعقائد وأعراف اجتماعية، وقيم توجيهية، تتخلّق مما تفرضه قهرا عناصر البيئة الجغرافية؛ من تضاريس وم.ناخ، فضلا عن العقائد والأديان، إضافة إلى اللغة والتاريخ .

هذا -ربما- هو مصدر الخلاف والاختلاف، كما أنه مَكْمَن العجز والقصور ، في توحيد أنماط العيش وقولبتها ضمن قالب فريد على وجه هذه البسيطة، وما بقي فهو التكيّف مع كل حالة دون إلغاء لخصوصيتها المميزة.

أما الفريق الثاني: المناهض للعمولة فيتوهم فيها كل الشرور والمساويء؛ من أهمها القضاء على آم -ال شعوب وتطلعاتها، بالإضافة إلى إدخالها في الأزمات الفكرية والثقافية ، واللغوية والاجتماعية؛ بهدف إلهائها وجرحها إلى خدمة غيرها، وهو نوع جديد من الاستعمار ، أشد بشاعة وأكبر خطرا وأوسع ضررا من الاستعمار القديم؛ لأنه يعمل على إضعاف التماسك الاجتماعي ، على مستوى الأسرة ومنه إلى المجتمع؛ وذلك بإدراج عادات وتقاليد وأعراف اجتماعية جديدة، وقيم وأنماط سلوكية مناقضة للمألوف، وبعبارة أوجز- أمركة العالم- بكل ما للجملة من معاني و دلالات.

من هنا وجب التساؤل عن مدى قدرة هذا التراث الثقافي، الحامل لقيم وثقافة وهوية المجتمع، على الصمود والاستمرار؟ في ظل السرعة المفرطة لهذا التغيّر الجذري للأوضاع الراهنة، في شتى مجالاتها، الثقافية والاجتماعية، والسياسية والاقتصادية والتربوية، وكذا للترسانة الرهيبة من المعدات العسكرية والوسائل التكنولوجية والأفكار الخيالية التي لا حدود لها.

هذه الأوضاع المستجدة إلى درجة الغرابة أحيانا، لم تعد كما هو عهدنا بها؛ مشبعة بالقيم الإنسانية والاجتماعية، التي كانت تُضفي على أعمالنا معاني ، ذات دلالات عميقة؛ فكانت بمثابة البوصلة التي توجه حياتنا وفق مسارات هذه القيم والعادات والتقاليد المركوزة ضمن ثقافتنا وفي تراثنا تحديدا؛ المميّز لنا بقيمتنا عن غيرنا من الأمم والشعوب. وبذلك يكون التراث هو: " النتاج الحضاري الذي ينحدر من خصائص أمة من الأمم، المتفاعلة مع البيئة التي نشأت فيها، بكل ما تحتويه من تجارب وأحداث، صبغتها بصبغة خاصة وأسبغت عليها ملامحها

الثقافية ومميزاتها الحضارية التي تميزها عن الأمم الأخرى، التي لها بدورها أعرافها وتقاليدها. " (1) ولكن ما موقع الهوية من هذا التراث يا ترى؟

التراث والثقافة والعولمة:

إن احتواء هذا التراث على الأحداث والتجارب الإنسانية، يجعلنا بالضرورة إلى البعد التاريخي لهذا التراث، في أي مجتمع أو أمة من الأمم ويعني بذلك: " مكوناتها التاريخية، وأنه كلما امتد هذا التراث في عمق التاريخ ترسخ وجود الأمة طبيعياً في كينونتها وهويتها. " (2) إن هذه المكونات التاريخية في التراث الثقافي تشير إلى: " الأشياء ذات الأهمية التاريخية الثقافية بالنسبة إلى مجموعة معينة، وقد يضم أشياء مادية مثل البنايات والأماكن المقدسة أو المناطق بل النباتات والحيوانات، ولكنها تشمل أيضاً الأشياء المعنوية مثل العادات والمم. ارسات والطقوس واللغة ووجهات النظر العالمية. " (3) هذه التوليفة من العناصر المعنوية والأشياء المادية في مجموعها تُكوّن الهوية الخاصة بالجموع أو الأمة، وهذا معناه وجود أماكن، ومناطق تحت سلطة أو رعاية فئة دون غيرها، لأن هذه الأماكن والمناطق، تدخل مع عناصر أخرى معنوية، ضمن توليفة الأشياء المحددة للهوية، وهذا ما نلاحظه فعلاً في تشبُّث بعض الشعوب بأماكن ورقع جغرافية يجري وصفها بالمقدسة لزيادة جرعة الاعتقاد بها من جهة، وضمان استمرارها وديمومتها على ما هي عليه من جهة أخرى؛ وذلك بما تمارسه من طقوس وفق ما تعارفت عليه الأجيال المتعاقبة جيلاً بعد جيل، من العرق أو الجنس أو الفئة المعنية بتلك العادات والتقاليد، فينتاب هذه الفئة شعوراً ببعض الفخر وحتى الاستعلاء على الآخرين.

وهذا -ربما- ما ولّد لدى الفئات الأخرى المختلفة معها، في العرق أو اللسان أو العقيدة، بعضاً من الغبن

(1) - محسن عبد الحميد: تجديد الفكر الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، دط، 1995 م، ص 26.

(2) - علي فهم خشيم: المستقبل يتعلق بالماضي، مجلة الوحدة، المغرب، السنة 10، العدد 105، مارس، 1994 م.

(3) - أنابيل موني، تيسي إيفانز: العولمة، المفاهيم الأساسية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2009، ص 94.

أو التهميش، وحتى الدونية في بعض الحالات الشديدة التمايز، كما ولد لدى فئة ثالثة شعورا بالاستخفاف بكل الطقوس القديمة وكل ما هو دائر في فلكها، داعين إلى التخلص من هذه -الحزعلات- والأباطيل التي لم تعد لها أية قيمة، في هذا العصر الذي يهينه التكنولوجيا والعاليق والنظرة إلى العالم كام -لا غني مـجـزئـ ومن هذا المنظور:

" فقد أصبح التراث الثقافي قضية من قضايا العولمة وهذا يرجع إلى الطريقة التي تقع بها هذه النتاجات البشرية تحت التهديد إما من خلال إزالتها جبريا أو من خلال فقدان رأس المال الثقافي." ⁽¹⁾ ففي الحالتين -الإزالة الجبرية أو فقدان هذا التراث- هو التعدي ومسح للخصوصيات المفضي حتما إلى طمس الهويات، وبالنتيجة القضاء على الثراء الفكري والسير في اتجاه واحد وفق هوى المهيمن القوي. فهل تسير الدنيا مستقيمة برجل واحدة؟

إن إدراج التراث الثقافي ضمن قضايا العولمة يشي ببعض الريبة والخوف على مستقبل هذا التراث، وما سيؤول إليه لاحقا من وجهة نظر هذا الجيل الذي اعرض عن الالتفات إلى ماضيه، إلى أصله، إلى جذوره؛ منبها ومشدودا. لم استواءى له من زخ -ارف الحياة وبها راجها المتواصل-؛ لأن السرعة المذهلة لوتيرة الابتكارات والاختراعات، خاصة في حقل الاتصالات والمواصلات يجعل كل يوم لتاليه من الماضي البعيد بفعل قدم عتاده ووسائل اتصالاته؛ وبالتالي ببطء تسيير شؤون حياته أمام السرعة الهائلة لهذه التوتيرة؛ إذ أصبح لا يخلو أي يوم من اسم (مخلوق) اختراع جديد يضاف إلى القائمة المشحنة أصلا بأسماء الابتكارات والاختراعات العابرة للخيال تقريبا. وعليه - والحالة هذه-؛ فلا أمل على الإطلاق في كبح جماحها ، أو حتى محاولة التخفيف من سرعتها .

وهذا ما يستوجب، على من لا نصيب لهم في هذه الابتكارات والاختراعات؛ بذل المزيد من الجهد في كل المجالات تخطيطا، وفي جميع الميادين تطبيقا؛ بهدف إدراك م -لا يمكن إدراكه، والإسراع ببثوث مكثفة ضمن الركب القائل للقفلة، قبل فوات الأوان وحدث ما لا يُرجى حدوثه.

(1)- انابيل موني، بيتسي إفانز: العولمة، المفاهيم الأساسية، مرجع سابق، ص 94.

وعلى هذا المعطى التقني الصّرف ؛ فإن العولمة سوف تسعى إلى خلق بيئة اجتماعية عالمية مغايرة لما اعتاده وألفه الناس في حياتهم. " يؤكد أنصار العولمة المفرطة أنها تخلق بيئة اجتماعية عالمية " (1) وهذا معناه تواجد التراث الثقافي للأمم برمته في حلبة المواجهة، أمام الاجتياح الداهم لثقافة العولمة، بترسانتها المذهلة؛ من وسائل، ومعدات وقدرات مادية، وفكرية، وبشرية، فضلا عن التحكم في التكنولوجيا الحديثة للاتصالات، والإعلام، وهي بمثابة التحدي رهيب للشعوب، التي لم تأخذ بعدُ بتلايب هذه التقنيات المبتكرة، خاصة في مجال العلوم التجريبية (الفيزيائية) أو التطبيقية على وجه العموم .

التراث والفولكلور:

وفي مجال العلوم الإنسانية ؛ التي قطعت أشواطاً معتبرة في مجال التأصيل والتخصص - فقد بقيت من المجالات المستعصية على العلماء ، في تحديد تعاريف جامعة مانعة لمعظم مصطلحاتها - ومن ضمن هذه المصطلحات - التراث الشعبي - أو ما يصطلح عليه في الغرب - بالفولكلور - على افتراض أنه المقابل للمصطلح العربي - كي لا ندخل في متاهات وفوضى المصطلحات العربية ومتاعبه.؛ في ظل هذا التمزق رهيب للوطن العربي، وتعطل المؤسسات المعنية - الضابطة - من قبيل الجامعات العربية على وجه الخصوص؛ بالإهدار المفرط للمصطلحات بغير وجه فائدة: " فالفولكلور أو التراث الشعبي يكون من باب أخرى وأولى ألا يحظى بحصول اتفاق حول تعريف له كعلم محدد القواعد، وكموضوع محصور المجالات والعناصر؛ وذلك بالنظر إلى حداثة عهده كموضوع ينشد الطريق إلى احتلال مكانته ضمن العلوم الإنسانية الأخرى التي سبقته وكموضوع ومادة للدراسة والبحث في الوقت ذاته. " (2) وعلى الرغم من اعتراف أهل الاختصاص بصعوبة تحديد التعريف الدقيق ، له فإننا لا نفتأ نسمع على ألسنة العامة من الناس ، تتداول هذا المصطلح بمعناه التراثي وليس يُعده العلمي، والعامة تستخدم

(1) - انابيل موني، بيتسي إلفانز: العولمة، المفاهيم الأساسية ، مرجع سابق ، ص 94.

(2) - احمد أبو زيد و آخرون: دراسات في الفولكلور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د ط ، 1972 م، ص (المقدمة).

هذا المصطلح للإدلالة على التراث المنقوض، أو المتقادم، أو الذي فقدَ مسيرته استعماله، لأسباب مختلفة، ومن أمه هذه الأسباب وأبرزها ؛ التكنولوجيا الحديثة، والرقمية منها على وجه التدقيق، كـبعض الأدوات والآلات مثل (وسائل الإضاءة والتدفئة القديمة، ووسائل النقل - المحراث الخشبي -المطحنة اليدوية- وسائل الحصاد التقليدية - الجرار الطينية المستعملة لـجلب المياه عادة أو لتخزين بعض المواد الغذائية... الخ) بعد غزو موجات الموضة لمعظم الميادين كاللباس ونمط الأكل وأنماط العيش عموماً، بالإضافة إلى الانتشار الواسع لوسائل الاتصال الحديثة من أقراص مدججة وانترنت وغيرها.

فلا غرابة إذاً أن نجد بعض الكتب تُؤلف باسم التراث الشعبي أو الفولكلور، غير أن صفحاتها لا تُسوّد إلا ببعض الصور لأدوات وآلات قديمة ، وملابس مزخرفة ، وبعض الأطلال العمرانية المندرسة ليس إلا، بالإضافة إلى خروجه عن هدفه العلمي وتحوّله إلى أداة فولكلورية بحته تُستعمل في تجديد وشحن الغيرة الوطنية وحماسها المتأكلة؛ لتكون بعد ذلك فرساً مُروّضاً يسهل ركوبه ، ولتحقق عن طريقه أغراض تمّ تسطيحها سلفاً، وهي بكل تأكيد مفرغة من محتواها العلمي الصّرف في حالتها هاته.

في حين نجد أن الفولكلور أو التراث الشعبي هو علم قائم ومستقل بذاته، وعلى المتأهلين علماً تناولوه كمادة علمية من أبعادها المتنوعة؛ لفهمه وبالتالي سبر أغواره، واكتشاف أسرارهِ؛ بهدف تكييفه أولاً، ثم الاستفادة منه ثانياً، في فهم الماضي؛ باستقراء اللويح وتجدد الاتجاه، وضبط الهوية، لتحقيق الاستقرار في الحاضر والتخطيط على ضوءه للمستقبل، في ظل استمرار تسارع التغيرات الثقافية والاجتماعية؛ بسبب هذه الثورة التكنولوجية الهائلة، بكل تبعاتها ومآلاتها الغامضة .

أمام التحدي الذي تفرضه ظاهرة الرقمنة المرافقة للعولمة ، وفي ظل هذا الزخم الكبير؛ من الابتكارات العلمية، والمعدات الالكترونية المستوعبة لكل المجالات ، وجب علينا في ظل هذا الزخم المتلاطم، التساؤل مرة أخرى عن موقع ومصير الأدب عموماً، والأدب الشعبي منه على وجه الخصوص؟ وما هو مقدار المساحة التي

يشغلها كل منهما على المستوى الاجتماعي، وهل يجد الوافد الجديد موطئ قدم له على هذه المساحة؟ وأخيرا ما هو المسوّغ أو المبرر، الداعي لقدمه أصلا؟

إنها تساؤلات -مشروعة- بلا شك؛ في ظل الأوضاع العربية الراهنة، وما آلت إليه من تقهقر واضح وتردي خطير، على كل الأصعدة والمستويات؛ إلى الدرجة التي تهددها بالاضمحلال والتلاشي، وفقدان الهويّة؛ وهي التي كانت زعيمة العالم، وأهلها أسيادا فيه، فكيف بالأمر قد انقلبت أو كادت؟ وما الذي تغيّر أو غادر، حتى تبوأنا اليوم هذه المكانة المخزية بين الأمم؟ تساؤلات تستدعي أخرى، وأخرى تستدعي أخرى، وهكذا نحن نتأكل ونقترب -ربما- من الفناء، ولا أحد من أصحاب الأمور، تهزّه أو تحركه جثث الأبرياء المتفحمة، وصيحات الأمهات الشكالي، وبراءة الأطفال، ونظرات الشيوخ المشدوهة، لهذا الزمن الغريب وأهله (...).

إذا فنحن في حاجة ماسة - أكثر من أي وقت مضى - إلى حماية منظومة قيمنا الاجتماعية، من الطمس، وهويتنا من التذويب، وأدبنا الشعبي - مخزون و مستودع خصوصيتنا - من الدرس والاندثار. في ظل الخطر الداهم، الذي باتت تمثله العولمة على خصوصيات دول وأمم العالم اليوم. بالتساؤل أولا عن ماهية الأدب عموما، كإطار عام يدخل الأدب الشعبي أيضا ضمن هذه الأطر. فما الأدب إذا؟

ما الأدب؟

سؤال أعيد طرحه بشيء من الحِدّة، في أربعينيات القرن العشرين، بل وقبله بغير قليل من السنين، من قبل فطاحل هذا الفن من " أفلاطون " إلى يومنا هذا؛ والعجيب في الأمر، أن الإجابة عنه لم تُحسم بعد، ولم يمتثل هذا المفهوم إلى تعريف جامع مانع له، في ظل الدراسات النقدية الأدبية المعاصرة، بمدارسها المتعددة المتباينة، في نظرتها للأدب من زوايا جديدة، لم تهتد إليها المفاهيم القديمة من قبل.

رغم هذا، - بعد الاستئذان لغض البصر ولو مؤقتاً؛ عن مسيرة هذه اللفظة عبر سالف العصور ، وكيف كان تطورها الدلالي والوظيفي، عبر تاريخها الطويل - لنبدأ من اللحظة التي خرج فيها الأدب من قمقمه، ونزل من بُرجه العاجي، وتحرر من أغلاله، واتجه إلى الحياة الواقعية، واصفاً في موضوعاته على اختلاف أشكالها وأجناسها (قصة روائية، مسرحية... الخ) الواقع الاجتماعي للبيئة التي هو فيها، مقترباً بذلك من واقع الطبقات الشعبية، ومبتعداً شيئاً فشيئاً، في الوقت نفسه، عن احتكار وتوجيه الطبقات الأرستقراطية والبورجوازية، لهذا الفن الإنساني النبيل.

عندها استحال (تحوّل) الأدب إلى مرآة عاكسة لمظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية التواقفة إلى التحرر والانعتاق؛ لأنه عبارة عن أداة إنسانية يمكن بها البحث في طبيعة سلوك البشر؛ وهذا ما يؤكد الوظيفة الاجتماعية للأديب بصفته شخصاً غير عادي يتميز عن باقي أفراد المجتمع؛ بما يملكه من تفكير ثاقب، وحس مرهف، وخيال مبدع، و موهبة فذة، و ثقافة واسعة، وأسلوب مميز بلغة سليمة، يُعبّر بها عن أفكاره، وعواطفه، وخواتمه، وحتى هواجسه، أو عن تجربة إنسانية، أو موقف إنساني؛ بهدف الفائدة والإقناع، والتأثير والإمتاع المفترض والمطلوب من الأديب .

وهكذا انصرف الأدب إلى تبني قضايا المجتمع مقتفياً في ذلك أثر المنهج العلمي في الشرح والبحث عن أصول الأفكار، فنغذ بذلك إلى أعوار مشكلاته في علاقة تفاعلية متأثراً أولاً، ومؤثراً في أحداث هذا المجتمع ثانياً لأن الأدب الصادق لا يكون بمعزل عن المجتمع ؛ لأنه تعبير فني عن أدق مشاعر الإنسان ، وقضاياه الفردية والجماعية وهذا يكون الأدب ألصق الفنون بالحياة الإنسانية، واقدرها على الإبداع والإمتاع، وأكثرها شيوعاً بين الناس، وهنا تكون اللغة هي التي تتجلى فيها الوظيفة الجمالية دون غيرها، وعن طريقها أيضاً يتم بلوغ الغاية النفعية الاجتماعية، وعليها يُعتمد في محاولة الوصول بالإنسان إلى مراتب الكمال؛ عن طريق توسيع رؤيته وإدراكه لما يحيط به، والسير به نحو الأفضل باستمرار؛ فيكون الأدب من هذا المنظور: هو التعبير الفني الجميل والهادف في الوقت ذاته، عن الإنسان وما يحمله من آمال وآلام وعواطف وغيرها، وعن الحياة بتوافقاتها وتناقضاتها، حُلُوها

ومُرَّها، وعن الكون عموما ، بشساعته وهيبته وتحدياته ، وحتى غطرسته أحيانا، فضلا عن احتضانه لنا وحنانه ومجانية خدماته.

بالرغم من كل ما دُكر من اختلاف وجدال حول ماهية الأدب؛ إلا أن هناك نقطتان متفق عليهما تماما في هذا المجال ألا وهما - المادة الأدبية - أي النتاج الأدبي وكذا القلب التي صُبَّت فيه هذه المادة؛ وبعبارة أدق الفكرة الأدبية، وقالها الفني، وهذان العنصران هما عماد هذا النتاج الإنساني؛ إذ لا يصحُّ أن يُطلق مصطلح (أدب) على أي عمل يخلو منهما؛ بصفتها الدعامتين الأساسيتين لوجوده، هذا بالإضافة إلى أركانه المتمثلة في العاطفة الصادقة، والأفكار الجليلة، والعبارة الجميلة، والخيال الواسع المصور، وإذا أردنا أن نمثل لتقريب الفهم للقارئ الكريم نقول: الفكرة والقلب الفني للأدب، كالروح والجسد بالنسبة للإنسان؛ فالجسد بلا روح عبث والروح بلا جسد هراء؛ والروح هي مَكْمَن سِرِّ الإنسان ، وسِرِّ وجوده أيضا. كما أن الفكرة هي روح الأدب وسِرِّ خلوده أيضا.

إذا كان توصيف الأدب؛ بأنه إنشاء تحيُّلي تسود فيه الوظيفة الجمالية أي: " انه ذلك الكلام الفني الجمالي رفيع المستوى من شعر أو نثر صادر عن أديب أو كاتب أو شاعر وخاضع لمنطق لغوي فني معين." ⁽¹⁾ فهذا يعني أن الأدب إذا ليس هو كلام العامة من الناس ؛ لأن من شروطه -الكلام الفني الجمالي- ؛ أي أنه يختلف بصيغة أو بأخرى عن الكلام العادي أو كلام الغوغاء، كما يُفضَّل أن يسميه البعض؛ على اعتبار أن هذا الكلام لا يخضع لأي- منطق لغوي أو فني معين، إذا فالفنيّة سِمة يجب أن تُلازم كل كلام يراد له أن يُدرج أو يُصنّف في خزانة الأدب، حتى يتميز بذلك عن كلام-الع-امة-أو-الدهماء-أو-الغوغاء- التي تقابل مصطلح- الشعب- في عصرنا الحديث؛ رغم ما يحمل هذا المصطلح أيضا من اختلافات وتباينات في مفاهيمه وتعاريفه .

ولكن هل - الفنيّة - وحدها تجعل من الكلام العادي أدبا ؟ ثم ما هي مجالات هذا الأدب ؟ وما وظيفته ؟

(1)- سعدي محمد: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1998م، ص 9.

الأدب والعلوم التجريبية:

إن ظهور الاختراعات الحديثة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي (19م)، والتعمق في الدراسات النظرية والتطبيقية؛ بفضل البناء المنهجي لهذه الدراسات، أدى إلى ازدياد الثقة في العلوم التجريبية لدى جمهور العلماء، والفلاسفة، والباحثين، على اختلاف تخصصاتهم، بما في ذلك العلوم الإنسانية التي أراد مُختصُّوها أن تكون نتائجه مبهرة كمثيلتها في العلوم التجريبية. مما كان يدعو إلى الاعتقاد بأن العلم يملك وحده الحلول لكل أنواع المشاكل التي تعاني منها الإنسانية، وأن مناهجها هي المناهج الجديدة بالإتباع؛ نظراً لما حققه على أرض الواقع من نتائج مذهلة؛ لذلك ساد اعتقاد بأنه لم تعد هناك جدوى من الإغراق في الخيالات والأوهام، وإنما الثقة في الجسد الملموس لا غير.

على ضوء ما سبق من تبني الأدب لقضايا المجتمع، وبنفاذه إلى أغوار مشكلاته مُعبِّراً عن أدق مشاعر الإنسان وقضاياه الفردية والجماعية، متأثراً ومؤثراً في أحداث هذا المجتمع، بدائياً كان أو متحضراً؛ فإن المجتمعات ومنذ فجر التاريخ كانت - بصفة أو بأخرى- تخضع لنوع من النظام أياً كانت حالته أو تسميته؛ أي أنه يقوم على مبادئ وقيم تضبط تصرفاته وسلوكياته ليحدد بذلك خصوصيته وهويته الدالة عليه، ليُعرف بها ويتميز عن غيره.

فلا غرو أن تكون القيم هي إحدى مجالات الأدب، بل هي إحدى ثمرات تفاعل الأديب مع واقعه النفسي والاجتماعي والثقافي؛ لأن القيم الإنسانية خالدة، تنبع من الفطرة السليمة؛ التي فطر الله الناس عليها كما جاء في

قوله جلّ جلاله: " (فَأَقِمَّ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ

الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ)"⁽¹⁾ إذا فما مردّ الثقافة الإسلامية وأصالتها؟: " مما لا شك فيه أن

(1)- سورة الروم، الآية 30.

الثقافة العربية الإسلامية و أصالتها إنما تعود إلى الدين الإسلامي الذي شكّل عناصر ونسيج الثقافة في الأخلاق والقيم والتنشئة والقوانين والعادات؛ كعادات الطعام والشراب والملبس والزواج والأفراح وغيرها، من ألوان وفنون وأنشطة الحياة المختلفة.⁽¹⁾ فهل استمد الأدب الشعبي الجزائري قيمه ، ومبادئه من عظمة هذا الدين الخالد؟ حتى يُكتب له الخلود معه أيضا ؟

بعد أن حقق الغرب تفوقه التكنولوجي والعسكري، وتكبير بقية شعوب العالم سياسيا؛ باحتكاره للمنظمات والهيئات الدولية، ومحاصرتها اقتصاديا؛ باستنزاف ثروتها ومقدرات أوطانها ومجهودات أهلها، وتطويرها ومحاصرتها اجتماعيا؛ باحتلاله وسيطرته على فضاءاتها. عمد إلى تكريس هيمنته بمحاولة فرض قيمه وعاداته ونمط معيشتة على هذه الشعوب؛ من خلال استهداف الهويات؛ بطمس وتذويب خصوصياتها، وما يميزها عن غيرها من الأمم و الشعوب؛ وبالذّوس على مقومات ومكونات ثقافتها؛ بما تحمله من تراث مادي ومعنوي (شفهي) (قولي). إن هذا التراث الشفهي الذي يدخل ضمنه بالضرورة، الأدب الشعبي بأشكاله التعبيرية المختلفة، على غرار المثل الشعبي، واللغز الشعبي، والنكتة الشعبية، والحكاية الشعبية، والأغنية الشعبية... فهي مستودع الشعوب ومخزونها، من العادات والتقاليد، والقيم والمعتقدات، والتجارب والأفكار...

على ضوء ما سبق يمكن القول بأن هذه الأشكال وغيرها من التعبير الأدبي الشعبي، قد صارت هدفا ومطلبا من المطالب الملحة للعولمة ؛ لما تحمله من قيم وأخلاق وعادات وتقاليد وأعراف؛ هي بمثابة عائق قوي وعقبة كأداء؛ في سبيل الوصول إلى تحقيق ما سطرته وخططت له العولمة الراهنة؛ مما يجعلها في مركز الصراع والمواجهة الشرسة، أمام ما تملكه هذه العولمة، من وسائل وأدوات؛ هي بمثابة أسلحة عالية التقنية، والفعالية أيضا وهذا ما لا يملكه ويفتقر إليه الطرف الآخر تماما.

(1)- فاروق أحمد مصطفى، محمد عباس إبراهيم : الانثروبولوجيا الثقافية ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 2010م، ص 180.

فما هي طبيعة هذه الأسلحة؟ وما حقيقة هذا الصراع وخلفيته؟ وهل ما يحوزه مستودعنا من مخزون، كاف

لإدارة هذا الصراع، وهذه الحرب لكسبها والفوز بها؟ أو على الأقل الحد من خسائرها المحتملة؟

إن خسارة هذا النوع من الحروب لا يعني إلا شيئاً واحداً؛ هو المسخ والتبعية المطلقة، أو هي العبودية في

أبشع مراتبها، وأحقر صورها. وهذا ما وعاه الآباء والأجداد في صراعاتهم وحربهم خاصة مع المستدمر الفرنسي

الظالم الحقود؛ فغادر خاسئاً مقهوراً، وبقيت الهوية التي كابد للنيل منها، ناصعة كجبل الثلج الأشم، بفضل هؤلاء

الآباء و الأجداد الذي يصدق فيهم قوله تعالى: " (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ

قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)"⁽¹⁾. فهل نحن من طينتهم مُقْتَفُونَ لآثارهم، ومحافظون على

أمانتهم؟

(1)- سورة الأحزاب، الآية 23.

الفصل الأول:

مدخل إلى الأدب الشعبي

1- لمحة تاريخية:

1-1- أصل تسمية سكان المغرب العربي:

عند استقراءنا للتاريخ نجد أن السكان الأصليين للجزائر وعموم المغرب العربي يُعرفون باسم -البربر- والحديث في أصل البربر من أكثر الأحاديث اضطرابا وأوسعها خلافا، بَحَث فيه المؤرخون قديما وحديثا وأطالوا البحث ولكن لم يحصلوا إلا على روايات متضاربة وآراء متناقضة. ⁽¹⁾ "إن هذا لا يمنع - من وجهة نظر الدراسة - من مواصلة البحث، وبذل المزيد من الجهد، فقد يتوفر لدى جيل من الإمكانيات، والوسائل، والمعلومات، ما لم يتوفر لغيره من سالف الأجيال. ولكن بداية، ما مصدر هذه التسمية؟ ومن أطلقها على هؤلاء الناس وماذا تعني؟

"أطلقها الكنعانيون والرومان على سكان شمال إفريقيا، وكلمة (بربر) عندهم تعني العَجْمَة والكلام غير المفهوم بالنسبة إليهم. ⁽²⁾ وعلى أية رقعة جغرافية من الأرض يقيمون؟" هم مجموع سكان الشمال الإفريقي من حدود واحة -سوة- المتاخمة للبلاد المصرية شرقا إلى ساحل المحيط الأطلسي غربا وإلى ضفة واد النيجر جنوبا، في حين أنه لم يكن ليُعرف في تاريخ السلالات أو السلالات البشرية عامة أن هناك جيلا من الناس يُعرف هكذا باسم البربر؛ وإنما هو لفظ وضعي يراد به عند اليونان - صوت الأثلغ - أو هو كل إنسان أجنبي عنهم لا يتكلم بلغتهم ومن ثم أطلقه اليونان أنفسهم على سكان هذا الوطن وعلى غيرهم ممن هو ليس يونانيا. ⁽³⁾ سواء كانت هذه التسمية - بربر - عبارة عن لفظ وضعي يُراد به صوت الأثلغ، أو ممن هو ليس يونانيا، أو لا يتكلم اليونانية فالظاهر أنهم لم يقبلوا بهذه التسمية ويدعون بأن تسميتهم هي - الأمازيغ - فما مصدر هذه التسمية التي يدعونها؟ وإلى من هم يُنسبون أو ينتسبون؟ يقول الأستاذ عبد الرحمان الجيلالي ما نصه: "هم ساميون من أبناء مازيغ بن

(1)- مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القدم والحديث، تقدم و تصحيح محمد الميلي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط ، د ت ، ج 1، ص 81.

(2)- علال الفاسي: الحركة الاستقلالية في المغرب، مطبعة الرسالة، القاهرة، مصر، د ط ، ص زاي .

(3)- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، ج 1، ط 2، 1965 م، ص 48.

كنعان فهم - الأمازيغ - كما جاء في تصريحهم أمام الخليفة " عمر بن الخطاب " حينما ذهب إليه الوفد بعد فتح مصر، فانتسبوا أمامه إلى - أمازيغ - وأنهم أصحاب البلاد الواقعة بين خليج العرب- البحر الأحمر - والبحر المحيط ولم يقولوا له أنهم- بربر-".⁽¹⁾ إن صحَّ هذا الكلام ففيه من المعلومات ما يغني عن طرح الكثير من التساؤلات حول هذا الموضوع المعضل أصلا.

الأمازيغ من ذوي الشكيمة الصلبة؛ تشهد على ذلك ثورتهم المستمرة، مع كل دخيل عليهم من الأمم الأخرى، بدءا من الفينيقيين، والرومان، والوندال، والبيزنطيين، ثم الأسبان، والفرنسيين؛ فقد قاوموا هذه الأقوام على مر العصور، وبكل ما يملكون من جهد، وقوة دون هوادة، ناشدين بذلك الحرية، والكرامة، التي فُطروا عليها واخذوا تسميتهم - الأمازيغ- من معناها الذي يعني: " (الرجل النبيل) وهو المعنى الدقيق لكلمة (امازيغي) أو كما ينطقها ويكتبها المغاربة - أمازيغي- [...] و يعد هذا التوق للحرية، ورفض الخضوع، والجنوح نحو الثورة، والتمرد أهم وأبرز خصائص الشخصية البربرية، وهو ما جعلهم بمثابة حائط صدّ منيع أمام كل محاولات إخضاع المنطقة لحكم خارجي، فينيقي، أو إغريقي، أو فارسي، أو روماني، أو بيزنطي".⁽²⁾ وهم بذلك لا يقبلون بغير هذه الصفة وكل ما يقرّبهم منها من أفعال أو تصرفات: " ولم تزل هذه الأمة النشطة الحريية- قبل الإسلام وبعده- تقف في وجوه الهاجمين وتثور على الظلمة المستبدين وتنهض للتخلص من وطأة الأجنبي على حريتها وإزاحة كابوس المستعمرين عن مقلتي حياتها".⁽³⁾

غير أن الغريب حقا في هؤلاء القوم - كما يشهد التاريخ أيضا - تقبلهم للفتح الإسلامي؛ بل هم من أكملَ مسيرة الفتح هذه جنبا إلى جنب مع الفاتحين العرب ، وعلى أيديهم فُتحت الأندلس وغيرها فكانوا هم قادة الفتح وليس مجرد جنود تحت إمرة الفاتحين العرب الوافدين من الشرق؛ وإن كان قد: " احتاج الأمر إلى أكثر

(1)- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ، مرجع سابق ، ص 49.

(2)- نهي الزيني: أيام الأمازيغ، أضواء على التاريخ السياسي الإسلامي، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط 1 ، 2011 م، ص 15.

(3)- مبارك بن محمد الميلي: تاريخ الجزائر في القدم والحديث ، مرجع سابق ، ص 81.

من سبعين عاما لكي يدخل البربر في دين الله ولكي تستقر للإسلام دولة في المغرب الكبير، وذلك بسبب الطبيعة العصبية على الاحتواء والانضواء التي يتميز بها الشعب البربري.⁽¹⁾ وهي فترة قصيرة مقارنة بالفترة التي قضاها مع الوافدين السابقين للعرب مثل- الرومان- وغيرهم، من دون أن يندمجوا، أو يعتنقوا عقيدتهم- المسيحية- عكس ما حدث لهم مع الإسلام والمسلمين، حينما احتضنوا رسالة الإسلام بأمانة وإخلاص، وأدوا دورهم في نشر تعاليم الدين الجديد في الأقطار الأخرى بكل حماس واقتناع، وقد كانوا من قبل لا يقبلون ولا يُرحّبون بأي دخيل، أو أية لغة، فضلا عن احتلالهم وغزو أراضيهم .

فما الذي حوّل هؤلاء القوم، عن طبيعتهم الأولى؛ الراضية لكل دخيل، مهما كانت عقيدته أو حضارته، أو حتى سطوته وجبروته ؟

1-2- الأمازيغ والفتح الإسلامي:

من خلال تجربة الأمازيغ الطويلة، والمريّة مع الوافدين، والغزاة المحتلين من الفينيقيين والبيزنطيين، مرورا بالوندال والرومان، قد استشعروا بجدسهم، وطول تجربتهم وذكائهم، النية الحسنة لهؤلاء الفاتحين العرب، وأنهم يختلفون تماما عن من سبقهم من الغزاة، لأن هؤلاء الوافدين من العرب، اقتصر على نشر العقيدة الجديدة مجردة من الرغبة في الاحتلال أو الاستغلال؛ زيادة على المعاملة الحسنة والأخلاق الرفيعة، مما زاد في اقتناعهم بصدق الرسالة السماوية الوافدة عليهم، مع هؤلاء العرب، وانسجامها مع العزة والكرامة، المتأصلة في نفوسهم؛ بل هي جزء لا يتجزأ من ذواتهم، ومطبوعة عليها أنفسهم وأرواحهم.

من هنا كان إقبال الأمازيغ على اعتناق الدين الجديد. فكان دخولهم في دين الله أفواجا أفواجا. فتم بذلك فتح الجزائر وسائر بلاد الشمال الإفريقي، بعد الثقة والانسجام والتعاون بين القيادات الأم-ازيغية، وعموم السكان

(1)- نهي الزيني: أيام الأمازيغ، أضواء على التاريخ السياسي الإسلامي، مرجع سابق، ص 16.

الأصليين، والقادة العرب وعموم العرب الفاتحين، بالإضافة إلى إدراك هؤلاء الأمازيغ لروح الإسلام وإيمانهم القوي بتعاليمه؛ المتمثلة خاصة في العدل والمساواة، والحرية والأخوة، وجملة ما يدعو إليه من المبادئ السامية ، والأخلاق النبيلة، والقيم الراقية، وهذا ما لمسوه فعلا عند هؤلاء العرب الفاتحين، من دون أن يشعروا بالاحتقار أو الدونية أمامهم؛ كما عهدوه من المحتلين السابقين؛ ومما اكتشفوه أيضا من المخالطة والتعامل المباشر أن مزاج هؤلاء العرب الفاتحين وتقاليدهم لا تختلف عما لدى الأمازيغ من مزاج و تقاليد . وعلى هذا الأساس ذهب بعضهم إلى تأكيد عروبة البربر بالقول: "وكيف يصعب ذلك وفي عروق البربر يجري من الدم العربي ما ييث فيهم روح التانس والتعايش مع العرب ويؤهلهم للتآخي والعمل المشترك لبناء الجزائر الجديدة العربية " (1) كما ذهب آخرون بعد استقراءهم لتاريخ المنطقة إلى أن أصل هؤلاء القوم المعروفون بالبربر أو الأمازيغ هم من الأصل العربي وتحديدًا من اليمن مُصرِّحًا بأن: " التكييف السليم لسكان بلاد المغرب هو أنهم ثلاث طبقات، وهم الطبقة الأولى من البربر (مازيغ بن كنعان) ، والطبقة الثانية من البربر وهم (القبائل الحميرية القحطانية)، والطبقة الثالثة، وهم العرب الذين استقروا في الفتح العربي الإسلامي، ببلاد المغرب وتميزوا باسم (العرب) وغالبيتهم من اليمن فجميع سكان المغرب- العرب والبربر- موجات من الجزيرة العربية أصلها واحد وجذورها واحدة " (2) ، وربما هذا ما أدى إلى سهولة انصهارهم في المجتمع البربري مكونين بذلك مجتمعًا عربيًا إسلاميًا مميزًا، هو بمثابة قلعة حصينة من قلاع العروبة والإسلام بامتياز. يقول العلامة عبد الحميد بن باديس: " إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ (البربر) قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنا ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء وتؤلف بينهم في العسر واليسر و توحدهم في السراء والضراء حتى كوَّنت منهم خلال أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمه الجزائر وأبوه الإسلام." (3) فلا غرابة بعد هذا أن تكون قيم هذا المجتمع مستوحاة، ومستخلصة من الدين الإسلامي

(1)- محمد الطمار : تاريخ الأدب الجزائري ، وزارة الثقافة ، الجزائر ، بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية ، 2007 م- ص 15.

(2)- عروبة البربر : الناشر الجمهورية اليمنية ، وزارة الثقافة ، في إطار، تريم، عاصمة الثقافة الإسلامية ، د ط ، 2010م ، ص 22 .

(3)- تركي رابح: التعليم القومي، الشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1975م- ص 52.

الحنيف، الذي وجد القبول والرضا من أفراد الشعب الجزائري ، عن طيب خاطر ورحابة صدر، بل وبكل إجلال وتقدير.

1-3- الأمازيغ واللغة العربية:

هذا ما كان من أمر الوطن والدين فماذا عن اللغة واللسان؟ أو بعبارة أخرى كيف أصبحت اللغة العربية لغة للبربر من دون غيرها من لغات الوافدين أو المحتلين السابقين؟

لقد كان الأمازيغي وبعد اعتناقه للإسلام يحرص وبشدة على تعلم اللغة العربية، ومن ثم نشرها بين أهله وعشيرته؛ وهذا بهدف فهم الدين الإسلامي، ثم تبليغه ونشره بلغته في المجتمعات الأخرى التي فتحها البربر أنفسهم، كما لم يكن للبربر أي تعصب للغتهم على غرار ما كان يحدث في المشرق وفي بلاد فارس تحديداً؛ حيث كانوا يفصلون بين الدين الإسلامي واللغة العربية، وهذه النزاعات الشعبية لم تعرفها بلاد المغرب الكبير عموماً والجزائر على وجه الخصوص أي المغرب الأوسط .

كان البربر يحرصون على تعلم اللغة العربية، بالقدر نفسه الذي يحرصون فيه على فهم واستيعاب الإسلام والتمسك بتعاليمه، والجهاد، في سبيل نشره خارج حدود بلادهم: "وكانت غاية البربر من وراء تعلم اللغة العربية أن يتعربوا و يفوقوا العرب أنفسهم في اللغة والفقهاء والشعر والخطابة والعلوم الإسلامية عموماً." (1). ومن الأدلة الواقعية الملموسة التي تساق في هذا المضمار للتدليل على ذلك ما نراه من الانتشار الكثيف للزوايا ومراكز العلم في معظم ربوع التراب الجزائري.

إلى جانب هذه الرغبة الجارحة للبربر في تعلم اللغة العربية، كانت هناك أسباب أخرى زادت من سرعة وثيرة تعلم البربر لهذه اللغة، لعل من أهمها : مساعدة وحرص العرب على تعليم إخوانهم الأمازيغ اللغة العربية وذلك

(1)- عثمان الكعاك : مراكز الثقافة في المغرب ، معهد الدراسات العربية ، د ط ، 1958م، ص 136.

بإقامة ملحقات بالمساجد كانوا يدعونها- المسيد- يتعلم فيها التلاميذ القرآن، والحديث النبوي الشريف، ومبادئ اللغة العربية، بالإضافة إلى فروع أخرى، في العلوم المختلفة، كالفقه، والشعر، والخطابة، وغيرها. ولا تزال هذه التسمية سارية إلى يومنا هذا في جلّ الجزائر؛ مشيرة إلى ما يُعرف الآن- بالمؤسسات التربوية بأطوارها الثلاثة (ابتدائي، متوسط، ثانوي)- وكذلك: "مما أعان أيضا على ذلك أن اللغة البربرية حامية سامية، الكثير من ألفاظها عربية محضة، فأمكن ذلك الأهالي على سرعة التفاهم والتمازج.⁽¹⁾، ولكن إن كانت معظم ألفاظها عربية محضة فلماذا اختلفت لغة البربر إذا عن اللغة العربية، أي لغة القرآن؟ ويُجاب عن هذا التساؤل المنطقي بالقول: "فاختلاف لغة البربر عن لغة هؤلاء العرب إنما يعني أن البربرية لغة عربية قديمة انقرضت في موطنها الأول بجنوب الجزيرة العربية نتيجة تطور اللغة، وبقيت في قبائل المغرب لانقطاعهم في بلاد المغرب الشاسعة خلال مئات القرون قبل الإسلام."⁽²⁾ وإن كان هذا الكلام يحتاج- ربما- إلى أدلة أقوى لأن: "تعريب سكان المنطقة يظل الحديث عنه شحيحا إلى حد بعيد ولعل مرد ذلك إلى الاقتناع الذي تم عند بعض الباحثين بخصوص أخوة البربر والعرب، هذا الاقتناع الذي لا يجعل الحديث عن خطوات تعريب السكان مجديا."⁽³⁾ وكيفما كان الأمر فقد اتسعت رقعة العربية على الأرض الجزائرية، شاملة بذلك محيطا اجتماعيا أوسع؛ وتم بذلك تعريب الأمازيغ أو البربر: "ونتج عن عملية الاعتناق الجماعي للإسلام وتبني اللغة العربية كلغة دين وثقافة نوع من الامتزاج العضوي (العربي والثقافي) بين العرب والبربر، فذاب العرب عرقيا في العنصر البربري، وانصهر البربر ثقافيا في العرب، بحكم العقيدة واللغة، وأصبح الجميع يُكوّنون مجتمعا، ذا دين واحد، ولغة واحدة، للتعبير عن هذه الثقافة على امتداد أربعة عشر قرنا من تاريخ البلاد."⁽⁴⁾ ويكون جماع هذا كله في ما أختصره الشيخ عبد الح. ميد بن بلديس بقوله:

(1)- محمد الطمار: تاريخ الأدب الجزائري، مرجع سابق، ص 17.

(2)- عروبة البربر: الناشر الجمهورية اليمنية، وزارة الثقافة، مرجع سابق، ص 22.

(3)- العربي دحو: الأدب العربي في المغرب العربي، مرجع سابق، ص 70.

(4)- احمد بن نعمان: سمات الشخصية الجزائرية، من منظور الأنثروبولوجيا النفسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1988م

بقوله: "الإسلام ديننا، والعربية لغتنا، والجزائر وطننا"، وهذا ما نعتقد أن الأمر قد استقر عليه. ففي هذا الشأن يقول العربي دحو ما نصه: "ومن هنا، يمكن لنا نحن اليوم أن نقول بكل بساطة، إن تعريب السكان هو هذا التلاقي الموهل في القدم، وهذه الآثار التي تمثلها الكلمة والحرف، والعادات والتقاليد، وهذا الحنين الفياض الذي يحسه كل مواطن إلى المشرق، وهذه الإثارة و هذا الكرم والإباء الذي يسري في دم كل مغربي." ⁽¹⁾ هذا معناه أن واقع الحال قديما كان هو نفسه في كل من المشرق والمغرب متمثلا في ذلك التشابه النفسي و الوجداني الذي يدل- ربما- على وحدة الأصل. وعلى هذا الأساس يواصل الدكتور العربي دحو قوله: "فلا داعي إذن للجزم بصدق ما قيل في تعريب هذه الديار، أو عدم صدقه ما دامت النفس لا تطمئن إلا إلى هذا الجو الذي تصنعه العربية التي هي لسان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، والعقل لا يرتاح إلى أي وافد؛ عدا هذا الذي يفد من الشرق [...] وما دام الفكر مملوءا بذلك الموروث الضخم الذي لا يستطيع الانفصال عنه، حفظه الحرف العربي الذي هو القرآن الكريم. هذا هو التعريب- إذن والعربية فلا داعي، ولا حاجة- بعد ذلك خارج البحث للاستقصاء عنهما." ⁽²⁾ إنه إيجاء بالدعوة إلى غلق الملف وتحليصه من المزايدات المغرضة، والتطلع إلى ما يعود على هذه الأمة المعطاة بالخير والتقدم والازدهار، وامتطاء ركب الحضارة من جديد، على ضوء ما نملك من أجماد تاريخية مشرقة، ومقدرات طبيعة مغدقة، وسواعد منتجة وعقول مبدعة وطاقات ضخمة متنوعة، وموروث ثقافي ثري متنوع. إن أمة تملك في جعبتها هذا الرصيد الحيوي لا - أعتقد أنه- يحق لها أن تكون منقادة؛ بل قائدة فضلا عن أن تعيش حالة على غيرها.

1-4- نحن والتراث:

فهل لا يزال التراث الثقافي عندنا، من العقبات الكأداء؟ أمام اعتناق أسباب التقدم، وامتطاء ركب

(1)- العربي دحو: الأدب العربي في المغرب العربي، من النشأة إلى قيام الدولة الفاطمية، دار الكتاب العربي، القبة، الجزائر، د ط، 2007م، ص 74.

(2)- العربي دحو: المرجع نفسه، ص 75.

الحضارة، والاستمتاع بالرفاهية، التي وقرتها التقنية الحديثة، في هذه المجالات الواسعة، التي لا يتسع الوقت لاستيعابها جملة؛ إلا بالتخطيط المحكم، والإرادة الفولاذية، والفكر المستنير، والبصيرة الثاقبة، وبذلك ما من شأنه أن يكون مُثبطاً أو معوقاً للإفلاخ الحضاري، والتقدم العلمي؛ الذي لا مناص من اتخاذه كمطية لبلوغ أيّ من الأهداف النبيلة؛ التي من شأنها أن تُعلي من قدر ومكانة كل من اتخاها وسيلة، وهدفاً، وغاية في الوقت ذاته.

إن يومنا هذا الذي يُنسب بلا شك إلى عصر العولمة وما توحى به من تقدم علمي وتطور تكنولوجي، لا يكون التمسك فيه بالتراث أو حتى التفريط فيه عاصماً من التفهقر والانحطاط والتخلف عن ركب الحضارة و إنما - وفي كلتا الحالتين - لا بد من الأخذ فيه بعين الاعتبار للنظريات وللاكتشافات العلمية، التي استحوطت إلى تقنيات واقعية، ومعدات ملموسة، فرضت نفسها في هذا العالم شديد التمدن، وأصبحت المدنية جزءاً لا يتجزأ من سلوكياته اليومية، وكذا لمقدار الرفاهية المادية التي تحققت جزاءً هذه الثورة التكنولوجية العملاقة. فمن دون هذا الاعتبار، يجد الإنسان نفسه ليس على هامش الحياة فحسب؛ بل يُعتبَر كالكالِق. ادم من فج -ر التلريخ البشري لتصدّق عليه بذلك تلك المصطلحات الجاهزة من مثل: التحجّر، و التوقع، والركود، والجمود... وما إلى ذلك من الأشباه والمرادفات، التي تتوالد يومياً مع كل خطوة يخطوها العلم، وتُحسدها التكنولوجيا محفقة بها نصراً جديداً في سبيل تسهيل حياة الإنسان، والسير به نحو مراتب الكمال العليا، بعيداً عن مراتع الجهل والفقر والمرض.

إن الدعوة إلى هجر ونبد التراث من قِبَل دعاة المعاصرة باعتباره يمثل مرحلة تاريخية لم تعد لها مساحة للتموقع بيننا، في خضم هذا الحراك الحضاري المتسارع، زيادة على أن هذا التراث لم يقدم أي منجز مادي يمكن به مقارعة ومنافسة هذا الكم الهائل للمنجزات المادية للحضارة الغربية المعاصرة؛ الساعية إلى العولمة الشاملة.

وطبقاً لقاعدة - الفعل و ردّ الفعل - فقد رد دعاة الأصالة بالدعوة إلى التمسك بهذا التراث والتشبث به إلى درجة التقديس أحياناً. وبدأ التراشق بين أنصار التراث أو دعاة الأصالة، وبين أعداء التراث ودعاة المعاصرة

بالتشجيع، وتبادل التهم، والنقد اللاذع، من كل طرف للطرف النقيض.

لكن- وللأسف الشديد- فالحقيقة المرّة البادية للعيان ومن دون مرأء؛ أن كِلتا الفئتين أو الفكرتين ، لم تُصيبا الغاية المرجوة، أو الهدف المطلوب منهما؛ والمتمثل- حسب ما تراه الدراسة - في تقديم الحلول العلمية والعملية المناسبة، لحالة التخلف والتقهقر الذي تعرفه الأمة الإسلامية عموما والعربية على وجه الخصوص ؛ من جهل وفقير ومرض، بدلا من هذا الجدل العقيم، والتطرف المقيت .

فالوسطية والاعتدال هما الحل في مثل هذه الحالات؛ فلا الارتواء بعيون مغمضة في حجر الحضارة الغربية بالإطلاق؛ كما ولا بد للتراث أن يُقرأ قراءة جديدة تمكنه من مواكبة الحضارة الغربية الزاحفة بثقافتها عن طريق العولمة؛ لاحتواء معادل الإسلام والمسلمين واكتساحها بهدف تدميرها و محوها من الوجود تماما- إن استطاعت أو وجدت إلى ذلك سبلا - وعندها لا تجدي الأصالة و لا تنفع المعاصرة، فكلاهما ونحن إذن في خير كان.

هذه المواكبة لا تتأتى- في ما نرى- إلا بعقلية إسلامية - موسوعية - بمعنى تقديم تراثنا الإسلامي من دون تشويهه أو إفراغه من محتواه الثقافي، والحضاري، برؤية جديدة مرتبطة بعقلية علمية معاصرة؛ تحيط بكل جديد في كل المجالات التربوية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية... الخ، عسى أن تظهر صورته المرتبطة بالإسلام الخالد كما هي حقيقته كدين إنساني حضاري متمدن؛ وفوق هذا وذاك خطابا إلهيا خالدا لا يُشك في تلييته لجميع حاجات البشر المادية والمعنوية منذ أن خلق الله آدم إلى اليوم الذي يرث الله هذه الأرض ومن عليها .
فما حقيقة وعناصر هذا التراث يا ترى؟

2- تعريف التراث الشعبي:

تعدد المصطلحات والتسميات العربية التي يُقصد بها الفولكلور، أو التي توضع كمقابل لهذا المصطلح الغربي من مثل: التراث الشعبي، المأثور الشعبي، الموروث الشعبي، الثقافة الشعبية، الفنون الشعبية، الأدب الشعبي، الثقافة

الشعبية، وغيرها من المصطلحات ذات الصلة. فما التراث؟ وما الشعب إذا؟

إن: "لفظ - التراث - في اللغة العربية من مادة (و.ر.ث) وتجعله المعاجم القديمة مرادفا ل (الإرث)

و- الورث - و- الميراث - وهي مصادر عندما تطلق إسما على ما يرثه الإنسان من والديه من مالٍ وحسب. " (1)

فالوارث والميراث، يخصان مال التركة، وأن - الإرث - خاص بالحسب. ولفظة - تراث - من المفردات التي

تستعملها كل شرائح المجتمع وفتاته، وهي تعني فيما تعنيه: " ما يُخلفه المالك بعد موته لمن يحق لهم أن يرثوه؛ أي

حصولهم على شيء مادي أو معنوي، لم يكن لهم أي دخل في تكوينه أو وجوده " (2) واللافت أن هذه اللفظة -

تراث - وردت مرة واحدة في القرآن العظيم في الآية التاسع عشرة (19) من سورة الفجر في قوله تعالى: " (﴿١٩﴾

وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلًا لَمًّا ﴿١٩﴾ وقد فسّر " الزمخشري " هذه الآية بقوله: "الجمع بين الحلال والحرام وهذا هو

اللمم" وبالتالي فمعنى الآية الكريمة أنهم كانوا يجمعون بين نصيبهم من الميراث، ونصيب غيرهم؛ وتأسيسا على هذا

القول يكون معنى - التراث - هو المال الذي يتركه المالكون. فهل لا تزال هذه اللفظة بهذا المعنى، في عصرنا الذي

يبحث الخطى نحو العولمة؟

وأما كلمة - ميراث - فقد وردت في القرآن العظيم في موضعين هم سورة- آل عمران الآية 180، وسورة

الحديد الآية 10، بصيغة واحدة في الموضعين هي قوله تعالى في سورة آل عمران: " ﴿١٠﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ

بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ .وقوله في سورة الحديد: " ﴿١٠﴾ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ

(1)- محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، الدار المغربية للنشر والتوزيع، المملكة المغربية، د ط، 2001 م، ص 21 .

(2)- محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، المرجع السابق، ص 22.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا

وَكُلًّا وَعَدَّ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٤٤﴾. وكما يقول الزمخشري: "إنه يرث كل شيء فيها، لا يبقى منه

باق لأحد من مال أو غيره." (1) فهو خالق كل شيء سبحانه.

يبدو أن كلمة -تراث- قديما لم تستعمل باللفظ الذي نحمله اليوم؛ من م-وروث نقايي، فلفري

وذيبي، أدبي وفني، مادي ومعنوي، بل كانت تعني وبساطة إما المال أو الحسب.

إضافة إلى عدم تداول هذه اللفظة -تراث- في الحقول المعرفية العربية و الإسلامية، رغم تشعب هذه الحقول

وتعددها وتنوعها؛ من لغة، وأدب، وفقه، وفلسفة، وطب، وعلم الكلام... فهم يُعَوِّضون عنها بالقول: "ما أفادونا

من ثمار فكرهم" يعني فضل القدماء من العلماء والفضلاء وأمثالهم، أو بالقول: "فبيّن أنه يجب علينا أن نستعين

على ما نحن بسبيله بما قاله من تقدمنا في ذلك." (2) أي ضرورة الأخذ عن سبقونا في شتى العلوم، والأكيد أن

القدامى لم يستعملوا كلمة -تراث- للتعبير عن القديم أو السابق من العلوم وغيرها كما هو عندنا اليوم.

كانت هذه ومضة خفيفة عن لفظة -تراث- التي يتداولها الكثير من الناس في بحوثهم، وأدبياتهم

ومداخلاتهم، بغير قليل من المرات، باعتبارها العنوان الذي يخفي وراءه كمّا هائلاً من المعارف، المعنوية والمادية

المرئية وغير المرئية، فكلتا العبارتين تشير إلى الشيء نفسه.

وهي أيضاً -التراث- من المفردات المتداولة بكثرة في اللغة العربية المعاصرة؛ وزادت كثافة الاستعمال هذه بعد

ظاهرة الإستشراق التي حصل المستشرقون بموجبها - بغير وجه حق في غالب الأحيان - على كمّ هائل من الكتب

والمخطوطات العربية والإسلامية في جميع العلوم والمعارف، من المكتبات والوراقين والبيوت والتجار... وحتى عن

طريق السطو والسرقة أيضاً - إنه التاريخ والواقع -.

(1)- محمد عابد الجابري: المرجع السابق نفسه والصفحة.

(2)- محمد عابد الجابري: مرجع سبق ذكره ، ص 23

وللتاريخ أيضا؛ فقد تخطى الفناء والضياع جزء كبير من هذا التراث؛ بفضل أعمال هؤلاء- المستشرقون- وأصبح يُدرّس في الجامعات والمؤسسات الأكاديمية، بعد تحقيقه، وما تطلّب من ترتيب وتصنيف ودراسة، وفق مناهج خاصة مبتكرة؛ فحظي عندها بالعناية الكاملة والرعاية الخاصة؛ بعد ما تم الوقوف على أهميته؛ في فهم بنية المجتمعات وأنماط تفكيرها، وكل ما يمس حياة الناس؛ فأصبح بذلك المرآة العاكسة لأنماط حياة الشعوب، أو بمثابة النافذة التي يطل منها الخلف على السلف.

1-2- مفهوم الشعبي (الشعب):

يقول - ابن منظور- في " لسان العرب: " إن الشعب هو ما تشعب من قبائل العرب، والشعب: القبائل والقبائل تعني فيما تعنيه أيضا أكبر الوحدات البشرية تكوينا، وأنها ترمز إلى الكل أو المجموع" ⁽¹⁾ وهذا يصدّق من الناحية الكمية لا الكيفية؛ أي بدون النظر إلى الأصول والمشارب والاتجاهات والانتماءات... داخل هذا الكل أو المجموع، مما يجعلها ذات دلالات شديدة التباين والتعقيد في التداول والاستعمال، هذا ما أشار إليه محمد سعيدي بالقول: " أما لفظة شعبي فهي أكثر إشكالا وتعقيدا. واختلف مدلولها من ميدان إلى آخر، ومن باحث إلى آخر وقد يطول الحديث من اجل تحديد هذا المفهوم، ولكن نقتصر لنقول أن الشعبي غير الشعبوي وغير الشعبوي فالشعبي هو ما اتصل اتصالا وثيقا بالشعب إما في شكله أو مضمونه، وأي ممارسة اتصفت بالشعبية تعني أنها من إنتاج الشعب أو أنها ملّك للشعب" ⁽²⁾ وعلى اثر هذا الاختلاف نجد من يرى بأن الشعب يعني الجمهور، أو كثير من الناس ينتمون إلى بلد واحد تضبطهم القوانين نفسها، وبعبارة أخرى؛ مجموعة من الناس في رقعة جغرافية واحدة من أصل واحد ولهم دين واحد وتحت راية (دولة) واحدة؛ وقد يعني فيما يعني أيضا فريق من الأمة على النقيض من الطبقات الأخرى، يتوفر على زيادة في الثروة، أو زيادة في المعرفة، أوهما معًا.

(1) - ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ج 14، ط 3، 1994 م، ص 33 مادة (شعب).

(2) - سعيدي محمد: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1998 م، ص 9.

يتبين مما سبق أن هناك من حصر مفهوم - الشعب - في الرقعة الجغرافية التي ينتمي إليها، بحيث يشمل الشعب كله؛ أي أبناء الوطن الواحد، بغض النظر عن مستوياتهم، الاجتماعية أو الثقافية... ومنهم من حصر الجماعة الشعبية في الاهتمامات النفسية المشتركة، بغض النظر عن اشتراكهم في الرقعة الجغرافية أم لا؛ لأن الاهتمامات النفسية المشتركة، تؤدي إلى التقارب الفكري والاجتماعي، مما يوحي بنوع من التآزر والتماسك بين هؤلاء؛ مثال ذلك الأكراد: المتواجدون في كل من العراق، إيران، تركيا، سوريا، رغم تباين أنظمة الحكم فيها. إلا أن العرب قديما استعملوا لفظة - عامي - للدلالة على ما يُعرف اليوم - بالشعبي - فهم يقولون: "هذه من سقط العامة"، و"... من سفاف العامة" و "من أباطيل العوام و أوهامهم". كما يُشار إليه أيضا بلفظ "الدهماء" و "الغوغاء"، ومنهم من حصر العامة في فئة من الناس، على غرار النساء والصبية، ومن نُكس إلى أرذل العمر من الرجال.

أما حديثا فقد تكون لفظة - شعبي - في اللغة العربية ترجمة ومقابل للكلمة الإنكليزية - popular - التي تدل على الشيوع والانتشار أكثر مما تدل على أنها شعبية، فقد نجد مادة ما شائعة ومنتشرة بشكل كبير، لكنها ليست بالضرورة شعبية؛ كبعض الأغاني مثلا فقد تغطي مساحات واسعة جدا وبكثافة سكانية كبيرة ولكنها لا تُنعتُ بالشعبية. وعليه فالفرق واضح وجلي بين المصطلح العربي - شعبي - ومفهومه الإنكليزي.

إلا أن البعض ذهب أبعد من ذلك في تحديد الشعبية، وأوعزها إلى كل نص يُعبّر عن هموم وعواطف وآمال وآلام الطبقات الشعبية، بغض النظر عن معرفة قائله أو مجهوليته، فتكون الشعبية بذلك: " ظاهرة اجتماعية وثقافية تتغير بظروف المجتمع وتكتسب مقوماتها من واقع حياة الناس " (1) فتكون بذلك متجددة ومسيرة لحركة المجتمع؛ تبعا للأثر والتأثير الذي يُخلّفه النص في المتلقي، ودرجة التفاعل معه، لدى هذه الطبقات الشعبية.

(1)- التلي بن الشيخ: دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 1983 م، ص 370.

إن الطرف المقابل للعامة من الناس هي الخاصة منهم أو - النخبة- فأين موقع الحدود بين العامة والخاصة

أو النخبة، وما هي معايير الفصل أو التفريق بين الطبقتين؟

إن معايير الفصل بين العامة و النخبة من الناس، فيها الشيء الكثير من الاختلاف؛ فبينما يرى البعض أن

التخصص في العمل والمعرفة هي معيار الترتيب الاجتماعي، نظر آخر إلى المظاهر الشكلية للحياة، من أكل

وشرب ولبس وطريقة الاحتفالات، على أنها هي أساس التفريق بين مراتب الناس، وذهب البعض الآخر إلى أن

العقل - (العقلانية)- هي المعيار الفاصل بين العامة من الناس وخاصتهم. فمن التخصص في العمل، إلى المظاهر

الشكلية، ثم إلى العقلانية، نكون أمام معايير ثلاثة متباعدة الأطراف، شديدة التباين.

والحقيقة أن هذه المعايير ومعايير أخرى، لا بد أن تتوافق لترسم الحدود بين الخاص (النخبوي) والعامي

(الشعبي) حتى تتمكن من الوقوف بدقة على المصطلحات المرفقة بهذا المفهوم (الشعبي)؛ على غرار التراث

الشعبي، التقاليد الشعبية، المأثورات الشعبية، الأدب الشعبي، الفنون الشعبية، الموسيقى الشعبية، وحتى الأحياء

الشعبية والأسواق الشعبية... الخ.

إلا أن مفهوم - الشعبي- في واقعنا اليومي يشير إلى كل ما هو في ذيل المراتب و أدنى الدرجات؛ بمعنى أنه

الشيء - الحقير- فالأحياء القديمة في المدن، هي الأحياء الشعبية، وكل السلع الاستهلاكية الرخيصة الثمن، هي

السلع الشعبية... الخ وهكذا هي دلالات واستعمالات الكلمة في قاموس الحياة اليومية، إلا أن - د/عبد المالك

مرتاض- يرى أن إطلاق مصطلح (شعبي) على كل نتاج أدبي مروى أو مكتوب بلغة عامية أو مكتوب بلغة

فصحى، منطقيًا، غير مستقيم، مبررًا موقفه هذا بأن: "هذا الإطلاق الشائع ساذج، ولا ينبغي له أن يرقى إلى

مستوى المصطلح النقدي الدقيق المفهوم الصارم، حيث أن الشعبي لدى عامة الناس، يطلق تهجينًا على كل ما هو

مفتقر إلى الرقي والسمو، فإن هذه الإطلاقات تعني كل موروث، سواء كان راقيا أم رديئا " (1) ثم يواصل القول في السياق نفسه، مقتفيا تاريخ وجذور هذا المصطلح (الشعبي) إذ يقول: " لقد ورثه العرب عن علم الأنثروبولوجيا الذي تأسس في الغرب " (2) وبالتالي فهو رافض له لأمرين:

الأول أنه يهجن كل ما ينتمي إلى الشعب. وثانيهما أنه يطلق على كل نتاج خيالي، يعتمد على الشفوية أساسا، ففي الغرب نجد أن مصطلح " الشعبي " يأخذ دلالات متنوعة، حسب التاريخ الثقافي للبلدان التي يُستعمل فيها؛ مثل البلدان الج.رمانية والاسكندنافية فمصطلح -التقاليد الشعبية- في ال.دراسات الأم.ريكية، هي أداة التفكير، وليست موضوعا للبحث؛ لأن موضوع البحث هو الأدب أو التراث أو الفولكلور.

ويُعزى ارتباط التراث -بالشعبية- إلى كونه من نتاج العامة في أغلب الأحيان؛ على اعتبار أن العامة يمكن حصرها في كل من لا يكون عضوا سواء في الهيئة التشريعية أو الهيئة التنفيذية، أو ينتمي إلى الطبقة الحاكمة بكل فروعها ذات السيطرة المادية أو السياسية أو العسكرية؛ بعبارة أخرى - فالشعب - هي المفردة التي تستعمل للفصل بين الحاكم والمحكوم، أو بين الإنتاج السياسي الذي يخص الطبقة الحاكمة، وبين الإنتاج الفكري والثقافي، الذي يخص من لا يملكون السلطة، لكنهم يشكلون الأغلبية الساحقة في المجتمع، ويشتركون في حملهم لأشكال الثقافة التقليدية؛ مما يمكنهم من ممارسة الضغط الاجتماعي عند الإحساس بخطر تدهور الأوضاع العامة".

وبجمع المفهومين - تراث وشعب - يتشكل مفهوم - التراث الشعبي - الذي يشير فيما يشير إليه إلى العادات والتقاليد، والفنون والقيم والأعراف، وكل المهارات التي ابتدعها الشعب، وصاغها في قوالب مختلفة يتداولها أفرادها ويتعلمونها بعفوية، ملتزمين بها في سلوكهم وتعاملهم، من حيث أنها أنماط ثقافية مميزة، تشكلت من تراكم معرفي طويل، بداياته موعلة في القدم، تتناقل عبره الأجيال جملة من الأفكار والسلوكيات تصبح مع مرور الزمن - لأسباب

(1)-عبد الملك مرتاض: العامية الجزائرية و صلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د ط ، 1981م ، ص21.

(2)-عبد الملك مرتاض: مرجع سابق ، الصفحة نفسها.

منها ما هو معروف، ومنها ما هو مجهول لحد الآن- أشياء مقدسة لا يمكن تجاوزها، وهي بذلك الملائم الذي يربط الفرد بالجماعة ، كما أنه الرباط الذي يصل الحاضر بالماضي.

2-2- تعاريف الفولكلور:

وأما كلمة - فولكلور- فكانت من اقتراح الباحث الانكليزي " وليم تومز، w-j- Tomes " في أواسط القرن التاسع عشر، وقد نال هذا المصطلح شهرته بعد ما اعتمده جمعية الفولكلور الانكليزية، التي تأسست عام 1877م. و -فولكلور- كلمة سكونية مركبة من كلمتين - فولك- folk - والتي تعني في الانكليزية-ة القديمة -الشعب- وتعني- لور- lore - الحكمة في اليونانية؛ وعليه يكون معنى فولكلور- حكمة الشعب- وبذلك يشارك المصطلحات السابقة في صفة الشعبية، لينظّم إلى التشكيلة المعبرة عن الفنون القولية ، والفنون المادية للأمة أو المجتمع. وكغيره من المصطلحات الأخرى لم يُضبط هو الآخر في تعريف جامع مانع، إلا أنه يتراوح بين هذه التعريفات المختلفة والتي نوردتها في ما يلي⁽¹⁾:

- الفولكلور هو بقايا القديم وثقافة ما قبل التمدن أو الموروثات الثقافية في بنية المدينة الحديثة .

- الفولكلور هو الجانب المأثور من الثقافة الشعبية ، ويتضمن هذا التعريف إقراراً بأن الفولكلور يتضمن الإبداع

التقليدي للشعوب بدائيين ومتحضرين.

- الفولكلور هو الاصطلاح الجامع لطائفة من الظواهر المأثورة يؤلف بينها إنها تعبر عن دور التراث أكثر من

غيرها من الظواهر الثقافية أو الاجتماعية .

(1)- عزام أبو الحمام : الفولكلور، التراث الشعبي، الموضوعات، الأساليب، المناهج، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 ، 2007 م

- الفولكلور هو ديانة متدهورة و يقصد بذلك إنه عبارة عن بقايا من الطقوس والمعتقدات الدينية القديمة التي ما تزال لاصقة بحياة الأميين والريفيين.

- الفولكلور يعني الحكايات الشعبية.

- الفولكلور هو ما انتقل معظمه شفاهة والأدب الشعبي، وهذا التعريف يشير إلى الأساطير وقصص الخوارق والحكايات الشعبية والأمثال الشعبية والألغاز والنظم أو القوانين والأعراف.

- الفولكلور هو الثقافة التي انتقلت مشافهة بشكل عام. ومن المفيد الإشارة إلى أن "سبينوزا" (أحد أهم الرواد في هذا المجال) قد تبني هذا التعريف شارحا رأيه بقوله: "إن الفولكلور أو المعرفة الشعبية هو الرصيد المتراكم لما جربه النوع الإنساني وما تعلمه وما قام بممارسته عبر العصور في شكل معرفة شعبية وموروثة تميزها لها عما يمكن أن يسمى بالمعرفة العلمية" (1).

- الفولكلور هو الثقافة الشعبية؛ ومعنى ذلك أن الفولكلور يدرس المظاهر الثقافية للناس (العامة) في الثقافات المتحضرة. وقد وصف - فان جنب - عام 1924م الفولكلور: "بأنه علم تركيبى يهتم بصفة خاصة بالفلاحين وبالحياة الريفية وما ظل باقيا من هذه الحياة في البيئات الصناعية وبيئة المدينة" (2).

- وأحدث تعريف للفولكلور هو: المآثورات الروحية الشعبية وبصفة خاصة - التراث الشفوي- وهو أيضا العلم الذي يدرس هذه المآثورات.

وملخص هذه التعريفات يمكن إيجازها في ما يلي:

(1) - عزام أبو الحمام: مرجع سبق ذكره، ص 32.

(2) - عزام أبو الحمام : نفسه والصفحة.

- الفولكلور هو مجال الدراسة الذي يستخدم الأساليب والمناهج العلمية في تناول عناصر راسخة من الثقافة الشفوية والمادية للمجتمعات البائدة والقائمة .

والكلمة الأخيرة: هو أن تعريف الفولكلور أو التراث الشعبي يخضع لنظرة كل عالم ومفهومه للعناصر المكونة لهذا التراث. الشامل للعناصر التالية:

3- عناصر التراث الشعبي (الفولكلور):

لم تكن عناصر التراث الشعبي هي الأخرى محل اتفاق بين العلماء من أهل الاختصاص حول نوع وعدد هذه العناصر، فمن مقتصر على عدد محدد منها، إلى آخر يُضيف أو يُنقص من هذا العدد؛ كلٌ حسب رؤيته لهذه العناصر المطروحة أو المضافة؛ ومدى ملاءمتها مع ما يهدف إلى تحقيقه.

ولكننا نجد عند الدكتور " محمد الجوهري " خ. لاصه م. ا. اتفق عليه العلماء وأهل التخصص في حصر موضوعات التراث الشعبي، على أنها تنحصر في أربعة عناصر رئيسية يمكن إيجازها فيما يلي:

3-1- المعتقدات والمعارف الشعبية :

هي مجموع الأفكار التي يؤمن بها الشعب ؛ في الأمور ذات الطابع الميتافيزيقي؛ أي في ما وراء الطبيعة ... وتتميز المعتقدات الشعبية كما يقول الجوهري : " بأنها خبيثة في صدور الناس وهي تلقن من الآخرين ولكنها تختمر في صدور أصحابها وتشكل بصورة مبالغ فيها أو مخففة يلعب فيها الخيال الفردي دوره ليعطيها طابعا خاصا وهي مع تمكنها في أعماق النفس الإنسانية موجودة في كل مكان سواء عند الريفيين والحضر وعند المثقفين كما عند الذين بلغوا مرتبة عالية من العلم والثقافة. " (1) وفي موضع آخر يقول: " ومن ضمن ما يدخل في هذه المعتقدات

(1)- محمد الجوهري : علم الفولكلور، دار المعارف، القاهرة ، مصر، د ط، ج 1، 1981م ، ص 100.

نظرتهم وتفسيراتهم لبعض الظواهر الطبيعية، كالبرق والرعد، والزلازل والحسوف... الخ بالإضافة إلى الظواهر النفسية كالميلاد والموت، والنوم والأحلام، ورؤية المستقبل... الخ كما يدخل ضمن هذه المعتقدات الاعتقاد في الأحجار والنباتات، والحيوانات والأشكال، والصور والكلمات، والأعداد والتراويل، الذي يسود الاعتقاد بتأثيرها على تلك القوى فوق الطبيعية وإخضاعها لإرادة الإنسان⁽¹⁾ الذي هو بدوره جعل من مخترعاته وبنات فكره، معبودات فوق كل معبود.

3-2- العادات والتقاليد الشعبية:

العادات من أكثر عناصر التراث الشعبي انتشاراً؛ و لذلك فقد استأثرت بالقدر الأكبر من اهتمام الدارسين والباحثين: "فهي أنماط سلوكية فكرية وعملية علينا أن نفكر ونعمل تبعاً لها، حتى ينتظم التعامل و الأنصال بين الناس، وحتى يكون هناك عنصر من عناصر التنبؤ في الحياة، فيُعرف كل ما يتوقعه غيره من تصرفات، وبذلك يكون هناك ما يحقق مظهر متّحد في الأفكار والتصرفات، يدل على التماسك."⁽²⁾ ولذلك تميزت العادة الشعبية بمجموعة من الخصائص أهمها:

3-2-1- الصفة الاجتماعية : أي أن العادة لا تصدر من شخص واحد بذاته وإنما هي فعل ناتج عن تفاعل مجموعة من الأفراد .

3-2-2- الصفة الوراثية : وهي توارث العادة الشعبية أو استنادها إلى تراث يدعمها.

3-2-3- الصفة المعيارية: وهي أن: "العادة تتسم بطابع معياري يفرض الامتثال الجماعي لها؛ مثل القوانين

(1)- محمد الجوهري: مصدر سابق، ص 103.

(2)- فوزية دياب: القيم و العادات الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص 341.

والأعراف، وتوجه سلوك الأفراد، وتمارس الضغط الجمعي، على المخالفين لها، من أفراد الجماعة⁽¹⁾

3-2-4- صفة الارتباط بالزمان والمكان : والعادة ترتبط دوما بالظروف التي يعيشها المجتمع الذي توجد فيه سواء من ناحية الزمان، كفصول السنة والمواسم الزراعية، والأعياد الدينية والوطنية. أو من ناحية المكان كالأراضي المقدسة، وأضرحة الأولياء والقديسين، التي تتطلب من الزائرين لها أو العابرين من قربها سلوكيات معينة ؛ وهذه لا يزال الكثير منها ساري المفعول في البلاد العربية عموما، وفي غير منطقة من التراب الجزائري على وجه التحديد.

3-3- الثقافة المادية والفنون الشعبية: ويمكن التمييز بين:

3-3-1- الثقافة المادية :

"وتعني كل ما يتعلق بالسلوك الشعبي المنظور وليس المسموع، وهي تشمل في ذلك كل التقنيات والمهارات المتوارثة خلفا عن سلف، فيما يخص الحرف اليدوية والصناعات التقليدية، ونمط الملابس والمأكل والمسكن، وأدوات الصيد والقنص، وطريقة حفظ الغلال، ودفن الأموات وما إلى ذلك من الأشياء التي تتم صناعتها يدويا وبطريقة تقليدية (نمطية) متوارثة عبر الأجيال"⁽²⁾ وهذا ربما مما يفهم منه بأنه الاستبعاد الكلي للتكنولوجية المتطورة في وقتنا الحاضر.

3-3-2- الفنون الشعبية:

لا ضير من الإقرار باختلاف العلماء حول المقصود بالفنون الشعبية؛ يبرز ذلك من خلال عديد الآراء المتباينة

(1)- إيكه هولتكراش: قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور، ترجمة، محمد الجوهري وحسن الشامي، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط 1973م، ص 248.

(2)- محمد الجوهري : علم الفولكلور، مصدر سابق، ص 121.

في هذا الجانب؛ فنجد منهم من يُضيق هذه المواصفات قاصراً إياها على الأشكال، والألوان الفنية، التي تُصنع في البيوت للاستهلاك الذاتي المحلي؛ وبهذا فهي تحمل في طياتها التراث السائد في المجتمع، والذي يفهمه جميع الأفراد المشتركين في هذا التراث. على حين يوسّع علماء آخرون من دائرة هذه المواصفات، التي يحددون بها عناصر الفنون الشعبية يقول الجوهري: "ورغم كل تلك المشكلات الحيوية المرتبطة بدراسة الفنون الشعبية وآلات هذه الدراسة بالنسبة لعلم الفولكلور [...] فإن التحديد الدقيق بالنسبة للمقصود بالعمل الفني الشعبي ما يزال يمثل مشكلة موضع خلاف بين الدارسين." (1). وهذا حال الفضول العلمي.

وبالرغم من إقراره بوجود هذا الاختلاف بين العلماء فيما يخص تحديد العمل الفني الشعبي من غيره من الفنون التي لا تنسحب عليها صفة الشعبية فإن المؤلف (2) يُقدّم لنا تصنيفاً للموضوعات الرئيسية التي تدخل في إطار الفنون الشعبية وهي:

3-3-2-1- الموسيقى الشعبية : و تشمل

- الموسيقى.

- الآلات الموسيقية.

3-3-2-2- الرقص الشعبي و الألعاب الشعبية.

- الرقص: ويشمل.

- رقص المناسبات والأفراح (فردي وجماعي)

- الرقص المرتبط بمعتقدات معينة كالزار وحلقات الذكر الصوفية .

(1)- محمد الجوهري: نفسه، ص129.

(2)- نفسه ، ص 143 .

3-2-3-3- الألعاب الشعبية: وتشمل.

- الألعاب الغنائية.
- ألعاب الأطفال .
- ألعاب الفروسية .
- ألعاب التسلية والمنافسة.

3-2-3-4- فنون التشكيل الشعبي: وتشمل .

- الأشغال اليدوية على الخامات المختلفة.
- الأزياء.

3-2-3-5- أشغال التوشية: وتشمل.

- الحلبي .
- أدوات الزينة .
- الأثاث و الأواني.
- العمارة الشعبية.
- الوشم.
- الرسوم الجدارانية وما إلى ذلك.

3-4- الأدب الشعبي:

وهذا العنصر الرابع من التراث الشعبي، يحظى باهتمام العلماء ووضوح آرائهم فيه، وهو الجانب اللامادي

الشفهي، وهو الأوسع يقول محمد الجوهري: "لعل من أيسر الأمور على الباحث أن يدعي انتماء الأدب الشعبي إلى التراث الشعبي ليس كميدان عادي وإنما كواحد من يبرز موضوعاته وأكثرها عراقية. ووجه اليأس في هذا ؛ أن علم الفولكلور كان في مرحلة من مراحل تطوره يقوم أصلاً وأخيراً على دراسة الأدب الشعبي ؛ فالأدب الشعبي موضوع تقليدي بارز من موضوعات التراث الشعبي لسنا في حاجة إلى أن نسوق أدلة على ذلك. ومهم ما اختلف الباحثون على حدود علم الفولكلور، فهم لا يختلفون لحظة عن أن ميدان الأدب الشعبي يقع في مكان القلب من هذا العلم." ⁽¹⁾ إذا فما هو هذا الأدب الشعبي، الذي يقع في مكان القلب من هذا العلم ؟ يقول محمد سعيدي ما نصه: "قد يصعب منذ الوهلة الأولى الإجابة عن هذا التساؤل ببساطة لأن المفهوم كما تكشف عن ذلك بنيته اللغوية مركب من لفظتين اثنتين: (أدب، شعبي) بالإضافة إلى أن بنيته الدلالية تبقى معقدة وغامضة، في ظل هذا التهافت الفكري الثقافي الإيديولوجي الذي تعرفه الساحة الفكرية حالياً. بالرغم من هذا فإن للأدب الشعبي تعاريف مختلفة ومتباينة، ولا يمكن لنا بأية حال من الأحوال أن نلم بها إجمالاً في هذا الحديث." ⁽²⁾ هذا بالنسبة لتعاريف الأدب الشعبي، ولكن ماذا عن عناصره؟

وأما عناصر الأدب الشعبي فيقسمها العلماء ⁽³⁾ إلى:

3-4-1- عناصر الأدب الشعبي :

3-4-1-1- الحكايات الشعبية .

3-4-1-2- الأغاني الشعبية.

3-4-1-3- أهازيج الطقوس الدينية .

(1) - محمد الجوهري: علم الفولكلور ، مصدر سابق ، ص114.

(2) - محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، 1998م، ص 8.

(3) - محمد الجوهري: مصدر سابق، ص 798.

3-4-1-4- الأهازيج.

3-4-1-5- الألغاز.

3-4-1-6- الأسطورة.

3-4-1-7- النكتة .

3-4-1-8- المثل.

الحقيقة أن هذا التقسيم ليس هو المعتمد عند جميع العلماء ، وإنما هو الأكثر شمولاً لعناصر الأدب الشعبي فمنهم من يضيف عناصر أخرى لهذه القائمة، ومنهم من يحذف منها، كل حسب فهمه ورؤيته وإيديولوجيته أيضاً.

فهل الأدب الشعبي الجزائري من الغنى كفاية باحتوائه على هذه العناصر المتفق عليها من طرف علماء

الاختصاص ؟

3-4-2- العناصر المكونة للأدب الشعبي الجزائري:

إن الأدب الشعبي الجزائري هو كغيره من آداب الشعوب الأخرى، ففضلاً عن عناصره المتعددة، أشكاله المتباينة، ووظائفه المختلفة، فهو مشحون بكل الآمال، والآلام التي اختزنها في هذه العناصر والأشكال؛ بل لقد لعب في فترة زمنية ما دور الراعي الحارس، والحافظ الأمين، وإليه يعود الفضل الأكبر في حماية هوية هذا الشعب؛ بعد هجمة المسخ المسعورة الذي تعرّض لها كيانه إبان الاستعمار الفرنسي؛ الذي استهدف ثقافته وهويته وقيمه باستهداف تراثه الشعبي عموماً، وأدبه الشعبي منه على وجه الخصوص؛ بالطمس تارة والتشويه والقذح مرات ومرات لا لشيء؛ إلا ليُجرّد هذا الشعب من مقوماته وأصالته، النابعة من أصله ودينه، هذه الأصالة التي عبّر عنها بملء فيه متحدياً بذلك الآلة الاستدمارية الفرنسية الرهيبة، بفنية عالية، وإبداع خلاق، وأسلوب متميز؛ غدا فيما بعد شارته

التي يُعرف بها بين آداب الدنيا الأخرى؛ لأنها ببساطة تُعبّر عما يضطرب بين جنباته، وما تحمله جيناته فهو المجهول على الريبة والتوجّس من الوافد الأجنبي عموماً، وعلى بُغض وكره الوافد المحتمل على وجه التحديد - وهكذا كان أجداده- بلا ريب -

ولم يكن له من قارب نجاة في هذا البحر الهائج، المتلاطمة أمواجه، وهذا الظرف العصيب، غير التمسك بالحبل المتين المنزّل من رب العالمين، فهو المنقذ والمعين؛ فضمّن هذه المعاني في كل القوالب التي عبّر فيها عن هذه الآلام والآمال في الوقت نفسه، فكانت بحق مرآة عاكسة، لكل هذه الحالات النفسية، وكل ما ترتب عليها بدقة يُندر وجودها- ربما - في غير هذا النوع من الآداب المرتبطة بما يسمى بالطبقات الشعبية البسيطة: "ولقد اعتمد الباحثون في دراستهم للثقافة الشعبية على الاتجاه الذي يركز على التراث الشفهي اللامادي؛ وهو التراث الذي من خصائصه التلقائية والعفوية والبساطة وهو ما يلاحظ بشكل واضح وجلي في أدبنا الشعبي الجزائري بحيث صُبغ تراثنا الشعبي بصبغة شفوية بشكل كلي تقريباً." (1) فما هو هذا التراث الشفهي اللامادي الذي اعتمده الباحثون في دراستهم للثقافة الشعبية؟ لا شك أن المقصود بهذا هو الأدب الشعبي بكل عناصره.

3-4-3- عناصر الأدب الشعبي الجزائري :

كما سبقت الإشارة إليه فإن الأدب الشعبي الجزائري كغيره من آداب الشعوب الأخرى يزخر بالتعدد والتنوع بدءاً بالأسطورة وانتهاءً بندايات الباعة في الأسواق، مروراً بالقصص الشعبي والمثل واللعز والنكتة والشعر الشعبي والأغاني الشعبية والأهازيج بكل أنواعها وهذه نبذة موجزة عن بعض هذه العناصر .

(1)- موسوعة التراث الشعبي: لتيارت وتيسمسيلت، الجزء الأول، تيارت، دار الحكمة، الجزائر، صدرت هذه الطبعة في إطار، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م، ص 21 .

3-4-3-1- الحكاية الشعبية الخرافية:

تجنبنا للخوض في متاهة التسمية والاصطلاح نُفضِّل تركه لذوي الاختصاص أولاً. ولأننا اعتبرناه من خارج مجال الدراسة ثانياً؛ لما فيه من جدل ونقاش لا نراه يفضي إلى شيء ذي بال في ما يخص هذه الدراسة على الأقل، فالإتفاق والخلاف حوله سيان، كما أننا نشير إلى اعتبار القص الشعبي كله يدخل تحت تسمية الحكاية أو القصة الشعبية. وللتدليل نورد هذه المقاطع لمختصين في الميدان. يقول "عبد الحميد بورايو" في هذا الشأن: "أن مسألة تصنيف القصص الشعبي من المشاكل التي تعترض دارس هذا اللون من أشكال التعبير الشعبي، ويكاد يجمع الباحثون على أن التصنيف حسب المحتوى - وهو أول إمكانية يمكن أن تخطر على الذهن - قد يؤدي إلى مزالقة عديدة وكثيرة ما يكون مضللاً".⁽¹⁾ وقد نشب سجال حول هذه النقطة أي التصنيف. وأدلى كل باحث بدلوه ولكن كثرت الدلاء وقلَّ الماء الشروب، ومن هؤلاء نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر كل من (أ. فان جنب فلادمير بروب، ليفي ستراوس، تيودور بنفي، ولريك أكسل، ماكس لوتي، وفوننت، ومنهم "فريدريك فون ديرلاين" الذي يصرِّح بقوله: "أن الحكاية الشعبية والخرافة و أسطورة الآلهة وحكاية البطولة تتألف في عمومها من نفس الموضوعات، ومن ثم فإن الفرق بين الأنواع المختلفة للرواية الشعبية لا يتمثل في الموضوع ذاته، فلا يحق لنا أن نتحدث عن موضوعات الحكاية الشعبية وموضوعات الحكاية الخرافية وهكذا، وإنما يجب أن تقوم التفرقة على أسس أخرى".⁽²⁾ وأول سؤال حول هذا القول هو: ما هي هذه الأسس؟ ليشرِّع باباً آخر من الجدل، الذي قد لا يحدث أي تغيير، لا في شكل ولا في مضمون ومحتوى القصص الشعبي؛ فهذا القصص باقٍ كما قولتُه المخيَّلة الشعبية، وهي أدري بنفسها لماذا أتت به هكذا؛ والمجال مفتوح على مصراعيه للفضول العلمي الذي لا حدود له.

(1) - عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، دراسة ميدانية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1986م، ص 63.
(2) - فريدريك فون ديرلاين: الحكاية الخرافية، ترجمة د/ نبيلة إبراهيم، دار تحضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، مصر، د ط، 1965م، ص 125.

تُعتبر الحكاية الشعبية الخرافية من بين أهم الأشكال التعبيرية الشعبية، وأكثرها انتشاراً، ورسوخاً في الذاكرة الجمعية، لما كان لها من حضور بارز بين الغالبية العظمى من أفراد المجتمع. وهي أيضاً من بين أهم أشكال التعبير في الأدب الشعبي لارتباطها الوثيق بمعتقدات الإنسان وبنظراته للكون، فكانت بمثابة المرآة العاكسة لما كان يجول في فكره، ويختلج في نفسه، ويجري من حوله؛ فأودعها مخاوفه الآلهة، طموحاته وآماله، فأبانت عن الصورة الفكرية والنفسية، والاجتماعية والاقتصادية، وغيرها من الجوانب.

هذا الإنسان الذي يزداد غموضاً كلما انكشف سر من أسراره، أو ظهر جانب من كثير من الجوانب الخفية فيه، والتي لا تزال لغزاً محيراً، عصي الفهم إلى يوم الناس هذا. من هذا المنطلق كان مضمون الحكاية الشعبية الخرافية حابل بالعبير والتوجيه، والتعليم والإرشاد، كل ذلك في قالب أدبي رائع، لا تنقصه الفنية ولا التشويق. يشدك بهما ويعنف لطيف لتتابع المشهد، حتى نهايته وكُلُّك غبطة وامتعة وانسراح. أليس هذا هو أهم ما يؤكد عليه ويُراد تحقيقه من الأدب الرسمي؟ وقد تحقق في الحكاية الشعبية الخرافية. التي تصرخ بأعلى صوتها أنها شعبية وليست رسمية؛ من خلال تسميتها التي تنبئ عن هويتها النابعة من الشعب، والمستهلكة من طرفه أيضاً. فما حقيقة - القصة الشعبية الخرافية - كشكل من أشكال التعبير الأدبي الشعبي؟

3-4-1-1- التعريف اللغوي للحكاية

ورد في لسان العرب: "حكى: الحكاية: كَقَوْلِكَ حَكَيْتَ فُلَانًا وَحَاكَيْتَهُ فَعَلْتُ مِثْلَ فِعْلِهِ أَوْ قُلْتُ مِثْلَ قَوْلِهِ سَوَاءٌ لَمْ أَجَاوِزْهُ، وَحَكَيْتَ عَنْهُ الْحَدِيثَ حِكَايَةً. ابن سيده: وحوك حَكَوْتُ عَنْهُ حَدِيثًا فِي مَعْنَى حَكَيْتَهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: مَا سَرَّيْنِي أُنِي حَكَيْتَ إِنْسَانًا وَأَنَّ لِي كَذَا وَكَذَا، أَيْ فَعَلْتُ مِثْلَ فِعْلِهِ يُقَالُ: حَكَاهُ وَحَاكَاهُ، وَأَكْثَرُ مَا يُسْتَعْمَلُ فِي الْقَبِيحِ الْمِحَاكَاةُ، وَالْمِحَاكَاةُ الْمُشَابَهَةُ، نَقُولُ: "فُلَانٌ يَحْكِي الشَّمْسَ حُسْنًا وَيُحَاكِيهَا بِمَعْنَى."

وَحَكَيْتَ عَنْهُ الْكَلَامَ حِكَايَةً وَحَكَوْ حَكَوْتَ لُغَةً؛ حَكَاهَا أَبُو عُيَيْدَةَ : وَأَحَكَيْتَ الْعُقْدَةَ أَي شَدَدْتَهَا كَأَحَكَاتُهَا
وَرَوَى ثَعْلَبٌ بَيْتَ عَدِيٍّ

أَجَلٍ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَضَّلَكُمْ &&& فَوْقَ مَنْ أَحَكِي بِصُلْبٍ وَإِزَارٍ

أَي فَوْقَ مَنْ شَدَّ إِزَارَهُ عَلَيْهِ؛ قَالَ وَيُرْوَى: فَوْقَ مَا أَحَكِي بِصُلْبٍ وَإِزَارٍ؛ أَي فَوْقَ مَا أَقُولُ مِنَ الْحِكَايَةِ. ابْنُ الْقَطَاعِ
: أَحَكَيْتُهَا وَحَكَيْتُهَا لُغَةً فِي أَحكَائِهَا وَحَكَائِهَا. وَمَا أَحَتَكِي ذَلِكَ فِي صَدْرِي أَي مَا وَقَعَ فِيهِ وَالْحِكَاةُ مَقْصُورٌ:
الْعِظَايَةُ الضَّخْمَةُ، وَقِيلَ: هِيَ دَابَّةٌ تَشْبَهُ الْعِظَايَةَ وَليست بها. رَوَى ثَعْلَبٌ ذَلِكَ. وَالْجَمْعُ حُكْمَنٌ بَابِ طَلْحَةٍ وَطَلَحَ.
وَفِي حَدِيثِ عَطَاءٍ : أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الْحِكَاةِ فَقَالَ مَا أَحَبُّ قَتْلَهَا؛ الْحِكَاةُ: الْعِظَاةُ بَلُغَةُ أَهْلِ مَكَّةَ وَجَمْعُهَا حُكَيٌّ.
الفراء : الحاكية الشاذة، يقال: حَكَتْ أَي شَدَّتْ، قَالَ: الحاكية المتبخترَة " (1)

وفي المعاجم الأجنبية -الانكليزية والفرنسية - نجد أن الجملة الانكليزية (to tell a story)، (بمعنى يحكي

قصة) أي: "إبلاغ أحداث القصة وسردها بواسطة كلمات وصور وأصوات ويكون ذلك غالبا بطريقة ارتجالية" (2)
ربما تكون هي الأقرب لمعنى الفعل العربي "حكى" وأن مرادفاته "قص" و"روى" تقابل: to narrate و"Narration"
ووصف أحداث قصة أو رواية " (3).

أما في الفرنسية فنجد أن الكلمة (kOt:Conte) هي حكاية أو قصة مبتدعة والتي تحكي أحداث غريبة.

وأن (Le conteur - euse) هو ذلك العجوز الذي يروي قصة (حكاية) ويسمعه الكل. " (4) ...

3-4-3-2 مفهوم الحكاية الشعبية :

تعتبر الحكاية الشعبية عند جل الباحثين من بين أهم وأكثر أشكال التعبير الأدبي الشعبي دلالة وتعبيرا على
روح الشعب وخلجاته، وأصدق عاكس لمعتقداته، وأفضل مصور لأفكاره. إذا هذا يمكننا من القول: " هي تراث

(1)- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج 4، ط 1، 2000م، ص 188.

(2)- A. Shorn by Oxford Advanced Learns Dictionary .Six th Edition .International Student's Edition. 2004, p 881.

(3) - Margaret Drabbel.Oxford Companion to English Literature. Six th Edition. 2004. P 71

(4) - Dictionnaire de la Langue Francaise.Librairie LAROUSSE ; 1986 ; P 1833.

ثمين يحمل في طياته صورا غنية، ودلالات متنوعة عن تاريخه البعيد، وعن تصوراته الذهنية الساذجة، وتعليقه البدائي للظواهر والوقائع.⁽¹⁾ ولكن ما السر في تميمين وقبول هذا التراث بالرغم من التصورات الذهنية الساذجة والتعليقات البدائية؟ يقول "التلي بن الشيخ" ما نصه: "لذلك فإن القصة الشعبية تركز بالدرجة الأولى على الأساطير والخرافات، والمعتقدات الغيبية غير الواضحة، مثل الكرامات والخرارق وأعمال السحر والجن، ثم تمزجها بالحديث عن موضوع اجتماعي، مثل العدالة والحرية أو الظلم والاضطهاد والجيروت. ومن هنا يأتي تقبل الطبقات الشعبية للقصة، مزيجا من الخوف والأمل."⁽²⁾ لكن المعروف عن الحكاية الخرافية الشعبية - في ما نعلم - أن غالبية الأحداث فيها لا يمكن تجسيدها لأنها بعيدة كل البعد عن الواقع، بتعاملها مع هذه القوى الخارقة، والجن والسحرة والغيلان، وكذا استنطاقها للحيوانات وغير ذلك، مما يعسر على العقل التسليم به ببساطة، بالإضافة إلى تعدد أشكالها وأنوعها. في هذا الصدد يمكن القول بأن: "الحكاية الشعبية شكل قصصي، يتخذ مادته من الواقع النفسي والاجتماعي الذي يعيشه الشعب، وقد دفع تنوع موضوعاتها الباحثين إلى استخراج عدة أنواع منها: حكاية الواقع الاجتماعي والحياة اليومية والحياة المعاشة وحكايات الحيوان، الحكايات الهزلية، حكايات الألغاز وحكايات الواقع والأخلاق."⁽³⁾ وبعبارة أخرى يقول "د/محمد سعيدي": "هي محاولة استرجاع أحداث بطريقة خاصة ممزوجة بعناصر، كالخيال والخرارق والعجائب ذات طابع جمالي تأثيري نفسيا، واجتماعيا، وثقافيا"⁽⁴⁾ إذا فهذا الطابع الجمالي الذي تتمتع به الحكاية الشعبية، هو السبب في انجذاب الناس نحوها؛ وبالتالي رسوخها في الذاكرة الجمعية للشعب لذلك: "...فهي تعبير شفهي عن مكنون الإنسان وآماله، منذ فجر التاريخ. كما أن القصة الشعبية ليست من تأليف كاتب معين؛ لكنها ملك مشاع لجمهور عريض من الناس الذين يتحدثون بلغة

(1)- ميشال عاصي : الفن والأدب ، مؤسسة نوفل للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ، ط 3 ، 1980م ، ص 173.

(2)- التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط 1 ، 1990م ، ص 108.

(3)- عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة ، دراسة ميدانية ، مرجع سابق ، ص 118.

(4)- محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 55 .

واحدة. يروونها بحسب طرائقهم الخاصة، وثقافتهم المختلفة مما جعل للقصة الواحدة أكثر من صورة واحدة.⁽¹⁾ ربما هذا الشبوع للقصة الشعبية هو الذي جعلها تقترب أكثر من الفئات الشعبية الأكثر عمقا وانعزالا؛ معركة عن طموحاتها وتصورها لما يمكن أن تكون عليه الحياة انطلاقا مما تعانیه وتتكبد من مصاعب وويلات في سبيل ضمانها لحياة أفضل، فضمنت كل هذا في قصصها الشعبي وعلى هذا الأساس يمكن القول: "إن القصة هي إحدى المرايا الساطعة للإبداع الشعبي في مختلف الأقطار والعصور، تصور الطموح إلى الخير والأخوة، والحب والفضيلة والحق والعدل و المساواة."⁽²⁾ إنها بالفعل قيم إنسانية راقية لكن تضمينها في قالب خرافي اقل ما يقال عنه انه غير منطقي ربما يفقد هذه القيم قوتها ومصداقيتها أيضا فكيف السبيل إلى تجاوز هذا اللامنطق في الحكاية الشعبية الخرافية؟ يجب عن هذا التساؤل التلي بن الشيخ بالقول: "إن القصة الشعبية تحاول أن تعبر عن واقع نفسي في إطار وجود يحتل أن يقع، وبتعبير أدق، فإن هناك واقعا نفسيا ليس من الضروري أن يتحقق في عالم الواقع ولهذا تحاول القصة الشعبية إيجاد نوع من التوازن بين عالم مشحون بالأنانية والكراهية وحب الشر وبين تصور مثالي تجد فيه النفس الجريحة الأمان والاطمئنان، والتخلص من واقع مؤلم لا تملك معه الطبقات الشعبية القدرة على التغيير والمواجهة."⁽³⁾ وعن اللامنطق في القصة الشعبية يضيف قائلا: "القصة الشعبية لها فلسفتها ورؤيتها الخاصة والتي تتغير- في الغالب- مع المقاييس التي تبدو لنا غير منطقية بالقياس إلى ما تعودنا عليه من الأساليب العقلية في التحليل والتعليل، وإخضاع السلوك الإنساني إلى ما نعتقد انه المنطق والمعقول، بينما للقصة منطقها وعقلها الجمعي يغدو فيه التعليل اللامنطقي هو المنطق."⁽⁴⁾ انه اللامنطق الذي يصبح هو المنطق في القصة العجيبة التي: "تستوعب أنماطا متفاوئة وتستهدف وظائف متنوعة، وهي عبارة يغلب عليها الشمول، تعوزها الدقة والتحديد وهي كذلك فضفاضة تستوعب ذلك الحشد الهائل من السرد القصصي الذي تراكم عبر الأجيال والذي حقق

(1)- روزلين ليلي قریش: القصة الشعبية الجزائرية، ذات الأصل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2007م، ص 39.

(2) - عمر بن قينة: قصص شعبية من الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط 1، 1999م، ص 6.

(3)- التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، مرجع سابق، ص 109.

(4)- التلي بن الشيخ: مرجع سابق، ص 127.

بواسطته الإنسان كثيرا من مواقفه، ورَسب الجانب الكبير من معارفه، وليس وقفا على جماعة دون أخرى ولا يغلب

على عصر دون آخر. " (1) نعم تعوزها الدقة والتحديد وهي فضفاضة تستوعب ذلك الحشد الهائل من السرد

القصصي الذي تراكم عبر الأجيال... فلولا هذا الحشد الهائل، من السرد القصصي المتراكم عبر الأجيال، ولولا

أنها كانت فضفاضة لاستعاب هذا الحشد الهائل لما كانت: " هي ذلك التراث القصصي الضخم الذي امتزج فيه

تاريخ الأمة بأحلامها وواقعها بخيالها [...] ليتحول كل ذلك إلى واقع إنساني مليء بالوقائع العجيبة والمغامرات

الخطيرة. " (2) وفوق هذا وذاك: " فإن - قصة الخرافة الشعبية - هي قصة اخترعها الخيال الشعبي، أو أضاف

الخيال الشعبي جانبا خرافيا، للتعبير عن عقيدة خاصة، يؤمن الناس بها، أو فكرة معينة تتحمس الجماهير لها. " (3)

لكن هل لنا أن نتساءل عن هذه العقيدة الخاصة التي آمن بها الناس أو عن هذه الفكرة التي تتحمس لها الجماهير

في المجتمع الجزائري على وجه الدقة؟ تقول د/روزلين: " يجد الباحث في نشأة القصة العربية الشعبية في المغرب

(يقصد به دول المغرب العربي، الجزائر، تونس، المغرب) صعوبات كبيرة في تحديد زمان دخولها لهذه المنطقة وذلك

لقلّة الوثائق الدقيقة التي تجدد بالضبط م.تي دخلت إلى المغرب" (4) ولكن هذا لا يمنع من محاولة تحديد أقرب فترة

زمنية معروفة تكون بمثابة البداية الأولى كأساس يُعتمد عليها فيما سيأتي من أبحاث ذات الصلة. وعليه تضيف

د/روزلين بالقول: " يمكن أن يحدد الباحث زمانا عاما وهو زمان الفتوحات العربية التي غيرت وجه الحياة لأقطار

المغرب العربي تغييرا واضحا؛ حيث وفد إليها قوم جُدد بلغة جديدة، وعادات جديدة، ودين جديد" (5) ولا مناص

من حتمية تأثير هذه العوامل المتمثلة في (اللغة والدين والعادات) في أية بقعة حلّت بها ، مهما كانت درجة

التحصين الثقافي بها(خاصة الدين الإسلامي)، وهذا ما حدث بالضبط: " فقد شهد المغرب العربي في القرون

(1) - عبد الحميد يونس: الحكاية الشعبية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، ط 1، 2001م، ص 10.

(2)- عثمان حشلاف: التراث و التحديد في شعر السياب ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د ط ، 1986م ، ص 56.

(3)- روزلين ليلي قريش : القصة الشعبية الجزائرية ، مرجع سابق ، ص 162.

(4)- روزلين ليلي قريش: المرجع السابق ، ص 39.

(5)- روزلين ليلي قريش : المرجع نفسه والصفحة.

الأربعة الأولى أكبر تحول عرفه في تاريخه القديم. فقد أصبح عربي الدهن والثقافة وأنضم إلى الدولة العربية يستمد غذاءه الأساسي من حضارتها. " (1) وتأسيسا على ما سبق تقرّر الباحثة د/ روزلين : بأن القصة العربية دخلت إلى المغرب العربي نتيجة للفتوحات العربية الإسلامية . و هي الأصول الأولى، بل الأساس والقالب الذي شكّل المظهر العام للقصص الشعبي في هذه الربوع، وأخواتها من أشكال التعبير الشعبي الأخرى. وهذا يعني الكثير والكثير، من الحقائق التي أُريدَ و يُراد لها أن تُطمس؛ مما يضطرنا إلى التساؤل عن العوامل، أو بالأحرى الصبغة التي يصطبغ بها التراث الشعبي الجزائري عموما، والأدب الشعبي منه على وجه الخصوص ، والقصص الشعبي منه تحديدا ؟

3-4-3-1-3- العوامل المؤثرة في الحكايات الشعبية الجزائرية :

لقد كان لعاملي اللغة العربية والدين الإسلامي، ومعهما التقاليد و العادات العربية، بالغ الأثر في إعادة تشكيل المخيلة الشعبية، في المغرب العربي عموما، والمخيلة الشعبية الجزائرية منها على وجه الخصوص؛ نظرا للظروف الاستثنائية للإنسانية التي تعرّض لها الشعب الجزائري إبان الاستعمار الفاشي الفرنسي، من دون غيره من الشعوب التي ابتليت بهذا المستعمر، الذي استهدف، وبشراسة، كل ما يمتُّ بصلته لهوية وخصوصية هذه الشعوب؛ بالطمس تارة، والاستئصال تارة أخرى .

هذه العوامل وعوامل أخرى غيرها كان لها التأثير الواضح على نوع وحجم المادة الأدبية الشعبية الجزائرية المنتجة، من تعدد في الأشكال والأنواع، و غزارة في التأليف والإنتاج ؛ فكان بحق أدبا متميزا، ومتمائزا؛ متميزا في خِلقته ومتمائزا عن غيره من آداب الشعوب الأخرى. ومن بين أهم هذه العوامل نذكر على سبيل التمثيل لا الحصر ما يلي:

(1)- روزلين ليلي قريش: مرجع سابق، ص 39.

الأنبياء، وفسادهم وغيرها كثير، من الصفات الذميمة البشعة، التي رسخت في المخيلة الشعبية الجزائرية فكانت مصدرا ملهما ومهما للقصة الشعبية بخوارقها وعجائبها وخيالاتها.

3-4-3-1-3-4- المذهب الشيعي:

رغم استقرار وسيادة المذهب السني في بلاد المغرب العربي، في نهاية المطاف؛ إلا أن المذهب الشيعي قد ترك بصماته الواضحة والراسخة في المخيلة الشعبية الجزائرية: "ومع أن الشيعة لم تستطع أن تحتل مكانها كمذهب سياسي في المغرب فإنها تركت آثارا قوية في التفكير الشيعي، وظهر هذا التأثير واضحا في القصص الشيعي الجزائري"⁽¹⁾ يتجلى ذلك بوضوح في ما ورد من قصص عن الصحابة الكرام، والشخصيات الإسلامية عموما، إذ نلاحظ أن شخصية سيدنا علي (كرم الله وجهه)، وسيفه، وفرسه وصراعه مع الكفار، واليهود. قد حظيت، مع كل من فاطمة وزوجها وابنيهما، الحسن والحسين، وآل بيت النبوة عموما؛ بالقسط الأكبر من القصص الشيعي، خاصة الديني منه على وجه التحديد؛ ونسجت حولهم من الخيالات والخوارق ما قد يصل في بعضها حد الشرك بالله سبحانه. ومما تجدر الإشارة إليه؛ فإن الإمام علي رضي الله عنه يُعرف في القصص الشيعي (بالسيد علي)، وتُعرف فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بـ (لالافاطمة).

3-4-3-1-3-5- الاحتكاك بالقبائل العربية :

إن الفتوحات الإسلامية للشمال الإفريقي استتبعتها هجرات لقبائل عربية من المشرق العربي؛ أهمها على سبيل الذكر، قبائل بنو هلال، حيث يقول: "عبد الحميد يونس" في ها الشأن ما نصه: "وإذا كان لهذه الهجرات الهلالية الذي اتخذت مظهر الفتح، من أثر في شمال إفريقية، فهو العمل على تعريب هؤلاء البربر، ذلك لأن الفتح الإسلامي الأول طبعهم بالدين و اللغة، إلا أنه لم يطبعهم بالدم العربي فعَدَّلت الهجرة الهلالية تعديلا جنسيا أو

(1) - روزلين ليلي قريش: مرجع سابق، ص 73.

عنصرها في السكان جميعاً⁽¹⁾ بما حملته من مرويات وتراث عربي، لا يزال صداها يتردد إلى يوم الناس هذا، ولكن في حلة مناسبة للبيئة المحلية الجديدة، حدث هذا عن طريق المزج والإضافات، والتحويلات، والتعديلات التي خضعت لها هذه المرويات؛ لتتناسب مع التراث المحلي مكونة بذلك تراثاً شعبياً جزائرياً متميزاً.

وخلاصة هذه العوامل هي أن الطابع الشعبي للفتوحات الإسلامية؛ المتمثل في تداخل الطبقات الشعبية فيما بينها (حاكم ومحكوم طبقاً لتعاليم الدين الإسلامي)؛ أي تلاشي الفوارق الطبقيّة الارستقراطية المعروفة، من أعظم الأمور التي أدت إلى انتشار وتعميم مختلف العلوم، والآداب في الأوساط الشعبية العريضة؛ والذي لعب فيه المسجد أهم الأدوار في هذا الشأن؛ إذ كان هو الحاضن لهم جميعاً، فكان مركزاً للإشعاع العلمي والديني معاً.

3-4-3-1-3-6- الاستدمار الفرنسي:

إذا كان الفتح الإسلامي للشمال الإفريقي بعد استتبابه هو بمثابة الخير العميم، من كل الجوانب، المادية منها والمعنوية. فإن المرحلة الاستدمارية الفرنسية؛ وما قام به بعض الباحثين الفرنسيين من دراسات حول الثقافة الشعبية في الجزائر عموماً والقصص الشعبي منه خاصة؛ لأهداف استعمارية بحتة، على غرار ما قام به: " - رونيه باسيط- الذي كتب عن (قصة بنت الخنص) والمغازي، وكذلك-ألفريد بل- الذي نشر (قصة الجازية) وعلق عليها. كما كتب -جوزيف ديسبارمييه- هو الآخر عن المغازي. ويردُّ -رونيه باسيط-(قصة بنت الخنص) إلى أصولها في التراث العربي، وينتهي إلى أن هذه القصة البطولية تعود إلى هذه المجموعة من التقاليد التي حملها بنو هلال مع غيرها في أثناء هجرتهم إلى المغرب حيث أصبحت تحمل طابعاً محلياً و تعود أصولها إلى أقدم حقب الأدب العربي"⁽²⁾ فهي من أحلك وأقسى المراحل التي مر بها هذا الشعب الكريم؛ فقد فقدَ في هذه الفترة كل ما تم بناؤه طيلة القرون الماضية. وتقهقر هذا الشعب من مراتب الحضارة العليا إلى أدنى مراتب التصنيف البشري؛ لا لأنه ارتضاها لنفسه، ولكن شهوة الظلم والقهر والتسلط، المبطنة بالغل الصليبي، أباح لهذا المستدمر كل الممارسات

(1) - عبد الحميد بورايو بن الطاهر: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، مرجع سابق، ص13.

(2) - عبد الحميد بورايو بن الطاهر: المرجع نفسه، ص31.

اللاإنسانية، والأخلاقية التي عرفها التاريخ. لكن- رُبَّ ضارة نافعة- كما يقول المثل العربي القديم، فقد أضاف هذا العامل على- قذارته وعظيم فساده - ثراء للمخيلة الشعبية الجزائرية، التي كانت مشبعة، ومحصنة بما تشرّبه من قصص البطولات العربية، والمغازي الإسلامية؛ فصنعت بطولات، وأنجبت أبطالاً من الواقع المحلي، لا تقل إثارة أو بطولة عما رسخ في مخيلتهم من قصص بطولية لأسلافهم المسلمين؛ فكانت بمثابة الإضافة الفارقة والمميزة لهذا التراث الشعبي الجزائري المتفرد. فقد نسج من أخبار شهداء البطش الفرنسي، ويتمى الغدر الإستدماري، وإبادات الغلّ الصليبي... وكل أنواع جرائم هذا المستدمر؛ حكايات وقصص لعب فيها الخيال الشعبي الدور الأبرز، في الحفاظ على كيان هذه الأمة من الاندثار والتلاشي؛ في الوقت الذي أثرى فيه رصيده الثقافي بمزيد من الإنتاج والإبداع المميز.

3-4-1-3-4-4- وظيفة الحكاية الشعبية :

لقد اطلّعت القصة الشعبية الجزائرية، بوظائف متعددة، منذ الوهلة الأولى لظهورها مع مطلع الفتح الإسلامي للشمال الإفريقي. والجدير بالملاحظة هنا، هو أن جُلّ القصص- إن لم يكن كلها- يحمل الصبغة الدينية وتكون القصة دينية بحتة؛ عندما تتخصص في سرد حادثة وقعت ضمن التاريخ الإسلامي؛ كغزوة بدر أو أُحد مثلاً. إلا أن هذا لا يعني افتقارها للوظائف الأخرى غير الدينية؛ بل تقوم بتوصيل الرسائل المختلفة التي أوكلت لها والتي من أهمها ما يلي:

3-4-1-3-4-3- الوظيفة التعليمية:

من أهم الوظائف التعليمية للقصة الشعبية اكتساب اللغة. ويكون هذا جلياً عندما يتحلّق الصغار حول الجدة غالباً، أو كبير القوم أحياناً، في ليالي الشتاء الطويلة، منتبهين ومستمعين باهتمام بالغ، إلى ما يقوله المتحدث (الراوي) ويتلفظ به من كلمات، وجُمَل وعبارات، عادة ما تتكرر على مسامعهم في كل سهرة، ولكن في سياقات مختلفة ضمن مواضيع متباينة؛ حيث يتماهى المتلقي (الطفل) في جوّها تماماً لبدأ جهازه الإدراكي بعد

ذلك بالاشتغال؛ ويُدلل على ذلك عندما يبدأ الطفل بالسؤال عن معاني بعض الكلمات الواردة في القصة ، وعند الاقتناع ترسخ في الذاكرة الصور الذهنية للصورة الصوتية. لذلك يُفصّل علماء اللغة وعلماء الاجتماع مراحل اكتساب اللغة عند الأطفال بقولهم: " غالباً ما يتبع الأطفال نماذجهم اللغوية بالترتيب التالي: يتبع الأطفال أولاً نموذج الأبوين ثم الأقران وأخيراً البالغين." ⁽¹⁾ فالأسرة إذاً، وبكل مكوناتها هي المصدر الأول للغة الطفل بدون منازع. وهذا يعني الشيء الكثير والكثير في تنشئة الطفل، وتحديدًا في بناء هذه الشخصية، من جميع جوانبها اللغوية، والعقلية والنفسية، والاجتماعية، التي لا بد لها أن تنسجم مع أفراد المجتمع وتتفاعل معهم بإيجابية، على اعتبار أن اللغة على وجه التحديد هي وعاء للفكر، باتفاق جُلّ الباحثين في الميادين ذات الصلة.

مما سبق يتبين أن الوظيفة التعليمية للقصة الشعبية لا تقتصر على إكساب اللغة فقط ، وإنما تتعداها إلى عملية التنشئة وكل ما تتطلبه من غرس للقيم وللعادات والتقاليد، وكل ما يحتاج إليه الفرد لتسهيل عليه عملية الاندماج ضمن أفراد المجتمع، ومنه القيام بما يجب القيام به وفق الدور الذي تحدده متطلبات وخصوصية هذه التنشئة .

3-4-1-3-4-2- الوظيفة التربوية:

تمرر القصة الشعبية في شكلها الفني مجموعة من القيم، عندما تتجه إلى مخاطبة الجانب الوجداني للطفل؛ وربط عواطفه بالعقل؛ حتى يتيح له ذلك التفريق والفصل بين ما هو مسموح وما هو محظور ؛ من خلال ما يرد في متن القصة من أوامر ونواهي؛ تكون في العادة سهلة الإدراك، ليتم العمل بها فيما بعد ، وتُتخذ كمرجعية في اختيار السلوك ؛ من خلال الممارسات اليومية الفعلية للمتلقي .

3-4-1-3-4-3- الوظيفة الاجتماعية:

تعتبر الدعوة إلى التآزر والتضامن ونبد الفرقة والاختلاف، بين أفراد المجتمع، وكذا الدعوة إلى مقت الظلم

(1)- هدسون : علم اللغة الاجتماعي، ترجمة وتحقيق، محمد عياد، نصر حامد أبو زيد، محمد أكرم سعد الدين، عالم الكتب، ط 1، 2002م، ص31.

والجور ومحاربتة؛ من الموضوعات التي رُكِّز عليها القصص الشعبي بكل أنواعه؛ بل وفي كل جنسياته، وعلى امتداد عصوره؛ لا لشيء إلا لأن النفس البشرية مجبولة على قيم مشتركة، لا يمكن الاختلاف بشأنها إلا من تعرضت فطرته للفساد والتدنيس؛ وفق هوى بشري قاصر عن إدراك المعنى الحقيقي للحياة، وللكون على وجه العموم.

3-4-1-3-4-4- الوظيفية الفنية:

إن كل الذي ذُكر من الوظائف السابقة وأخرى غيرها، لا يُكتب لها النجاح في التجسيد على أرضية الواقع اليومي إلا بشرط مهم يتمثل في تحقيق العملية التواصلية وبشكل كلي وتام. ذلك أن انعدام هذا العنصر يخلق القطيعة بين المرسل والمستقبل؛ وبالنتيجة تنعدم مهمة الرسالة. هذه الرسالة هي كل ما يُراد من وراء كل عمل أدبي، مهما كان فحوى ومضمون هذه الرسالة.

والقصة الشعبية بصفقتها أحد أشكال التعبير الأدبي الشعبي، كغيرها من الأعمال الأدبية الرسمية، لا تخلو من تفرغ حملتها وتقرير رسالتها أو رسائلها إلى جمهورها، ضمن بيئتها ومجتمعها، وفقا لخصوصيتها ومميزاتها؛ من عادات وتقاليد وسلوكيات وأنماط العيش عموما. إن هذا التفرغ أو التمير للحمولة، أو الرسالة، تضمنه لغة السرد والحوار، إضافة إلى أسلوب الراوي نفسه. فعادة ما يكون واضحا وواقعا، وربما حتى ساذجا في أحيان كثيرة، فأول ما يلاحظ عليه استعماله للعبارة المعروفة في القصص الشعبي بعد البسملة والصلاة على النبي وهي: " قالك أسيدي في وحد الزمان... " أو " كان في زمان بكري... " أو " أمالا قالك... " أو " حاجيتك ما جيتك لو كان ما هوما ما جيتك " أو " في قديم الزمان وسالف العصر والأوان... " أو " في واحد النهار " أو " كان يا مكان في واحد الزمان " أو " يا سادة يا مادة ربي ايجيبنا على طريق السعادة... " أو " يا سادة يا مادة ربي ايموتنا على طريق الشهادة... " وأما نهاية القصة فتكون بعبارات نمطية من قبيل: " أحنا مشينا الطريق الطريق وهوما امشاؤ لحريق لحريق، أحنا كَلينا التمر وهوما كَلاؤ لجمر ". أو " هذا ما سمعنا وهذا ما قلنا. " أو " وهذي هي والنهار طلع. " أو " وهذي هي. "

أما اللغة في القصص الشعبي الجزائري فهي بسيطة ومفهومة وخالية من الزخارف اللفظية؛ وغالبا ما تكون باللهجة المحلية؛ لأن الراوي عادة من أهل المنطقة، خبير بخفاياها، مدرك لنواياها، فهو يتخيّر جلسته من القصص القصة أو الجزء منها الذي يراه مناسباً للغرض المطلوب؛ لأنه يهدف من وراء ذلك إلى التركيز على إيصال مغزى القصة أو العبرة المكونة في جزئها المختار. فنجد مثلاً يكرر بعض الكلمات من نص الحكاية مثل كلمة "مشى"، "مشى..." عدد من المرات للدلالة على طول المسافة، أو كلمة: "أجبد أجبد..." أو كلمة "أضرب أضرب..." وتأخذ هذه الكلمات وأخرى غيرها، معناها من سياق الكلام. وكلما كثر التكرار دل ذلك على الكثرة، أو الشدة في الفعل الممارس. ثم يستمر الوصف أو الحوار بسيطاً سهلاً، مكثفياً بتصوير الأهم من دون تعقيد أو غموض، وهذا حتى يلائم المستوى العقلي للأغلبية من جمهور المتلقين، التي تُفضّل الوضوح على الغموض، بسبب أميتها المفروضة وقلة حظها من العلم.

3-4-1-5- مناهج دراسة الحكاية الشعبية :

إن الانكباب على دراسة التراث الشعبي عموماً، والأدب الشعبي على وجه الخصوص، وبالتحديد القصة الشعبية منه، التي حازت على اهتمام لاف في الدراسات الأدبية الشعبية؛ تولد عنها عدة مناهج مختلفة. فمنهم من حاول تتبع تطورها التاريخي إجمالاً، أو استخلاص الحوادث التاريخية من نصوصها، فكان المنهج التاريخي، ومنهم من اتخذ الجانب النفسي، في دراسة نصوص القصة الشعبية، اعتماداً على ما توصل إليه علم النفس من نتائج ونظريات. وهؤلاء هم المتأثرون بالمنهج الفرويدي على غرار دراسات الباحث "برينو بتلهام"، فكان المنهج النفسي، بزعمه العالم الأمريكي "و. وندت". كما حاول البعض تطبيق ما تم التوصل إليه من نتائج في علم الاجتماع، فكان المنهج الاجتماعي، الذي يحاول استنباط الظواهر الاجتماعية من نصوص الحكاية الشعبية. ومنهم من ركز على الجانب اللغوي، مستنداً إلى نتائج الدراسات اللغوية واللسانية في تحديد البنيات الشكلية والدلالية المتحركة في نصوص القصة الشعبية، من قبيل أعمال "كلود بريمو و جوزيف كورتاس". والمنهج البنيوي

بزعامه "كلود ليفي شتراوس" القائم على دراسة الأسطورة ومقارنتها بما تبقى من الحضارات المندثرة. وكذا المنهج التقسيمي، أو منهج الموضوعات، بزعامه العالم الروسي "فولكوف". ومنهج أخرى حاولت كلها الولوج إلى عالم القصة الشعبية العجيب، لاستكناه حقيقتها التي لا تزال جوانب منها غامضة إلى اليوم؛ ورغم كثرة هذه المناهج وتعددتها، لم تصل إلى غرضها المطلوب؛ وذلك ربما لتشبعها بالخلفية الاثنومركزية الأوروبية، القائمة على النزعة العرقية العنصرية المقيتة؛ باحتقار إنتاج الأطراف (الدول الأخرى) من دون سند علمي أو موضوعي؛ خاصة منتجات الشعوب الإفريقية والآسيوية وشعوب أمريكا الجنوبية. ولا أدل على هذا التعسف وهذه المغالطات؛ من الدراسات التي قام بها المستدمر الفرنسي للتراث الشعبي الجزائري.

3-4-3-1-5-1- منهج بُروب (المنهج المورفولوجي):

مع ظهور-المنهج المورفولوجي- للعالم الروسي "فلاديمير بُروب"، اتخذت الدراسات الأدبية عموماً والشعبية منها، منحى مغايراً لما كانت عليه سابقاً، وخاصة في مجال الحكاية الشعبية؛ بدعوته إلى الاهتمام بالبنية الشكلية لنصوصها ورموزها اللغوية العديدة، ودلالاتها العميقة، من دون النظر إلى غيرها من الامتدادات ذات الأبعاد النفسية أو الاجتماعية أو التاريخية... الخارجة عن نص الحكاية، والبحث في المحور الأفقي السطحي، أي البنية الهيكلية الخارجية؛ القائم على المكونات الداخلية البنيوية، والعلاقات القائمة بينها من جهة، وعلاقتها بالوظيفة الكلية من جهة أخرى، وبعد دراسته لمجموعة متنوعة من الحكايات الشعبية واستناداً إلى ما لاحظته من المتغيرات في نص الحكاية الشعبية، من أسماء وصفات وشخصيات ومتاع...، ومن الثوابت من الأفعال والحركات، استطاع هذا العالم أن يستنبط إحدى وثلاثين (31) وظيفة؛ محمداً إياها بأنها: "هي فعل شخصية قد تُحدد من وجهة نظر دلالاته في مجرى الحكاية".⁽¹⁾، على اعتبار أن: "الوظيفة هي الوحدة الأساسية لقياس النصوص و للكشف عن بنيتها الداخلية و لإبراز قوانينها الخاصة. فنص الحكاية تتحكم في بنيته الشكلية هذه

(1) - نمر سرحان: الحكاية الشعبية الفلسطينية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، د ط، 1974م، ص 14.

الوظائف."⁽¹⁾ وبهذا المنهج (المورفولوجي) تحرر تحليل الحكاية الشعبية خصوصا من النزعة المركزية المتعالية التي

كانت مسلطة عليها في المناهج الغربية الأخرى. مما أبان عن عوالم أخرى للقصة الشعبية أكثر عجا وامتعة .

3-4-3-1-6-3-4-3-6-1-3-4-3 ركائز البناء الفني للحكاية الشعبية: يقوم الهيكل البنائي للقصة الشعبية على دعائم أساسية

منها:

3-4-3-1-6-1-3-4-3-1-6-1-3-4-3 العقدة أو (حبكة التأليف):

تتميز الحكاية الشعبية عموما بتأليفها المتنوع والمعقد في الوقت ذاته؛ الناتج عن خصب الخيال الشعبي

وثرائه. فهي تنطلق عادة من حالة عدم الاستقرار، لتسير بعدها بالأحداث وفق المسار الذي يحقق الهدف المرجو

من هذه الحكاية الشعبية؛ فقد يكون تحقيق الهدف بالإبقاء على حالة الاستقرار، كما يمكن أن تسير الأحداث

صعودا وهبوطا، حتى تصل إلى حالة الاستقرار التي يتحقق عندها الهدف، مستعينة في الحالتين ببعض الوسائل

الفنية المعروفة.

3-4-3-1-6-1-3-4-3-2-6-1-3-4-3 الرموز (رموز الحكاية الشعبية):

تتخذ الحكاية الشعبية رمزا لها، ثم تجعل كل عناصرها تعمل على إظهار محتواه؛ لأن الحكاية وما فيها

متوقف على مدى نجاح هذا الرمز في الوصول إلى هدف الحكاية، المتضمن لآمال وطموحات الطبقات الشعبية.

لذلك نجد الأبطال المنتصرون في القصص الشعبي في الغالب الأعم رموزا للخير والعدل والمساواة، وأن خصومهم

المنهزمون يمثلون الشر والظلم والجور،: " ففي الحكاية الخرافية يتجلى بوضوح المنزع الأخلاقي ويتحدد الصراع بين

الخير والشر الملاك والشيطان الجان (العفاريت) والإنسان، الساحرة الشريرة والفتاة الجميلة الفارس والوحوش تكون

الغلبة فيها دائما لصالح الخير، وعادة ما تكون النهاية سعيدة."⁽²⁾ وهو ما ينشده الراوي لقومه دوما.

(1) - محمد سعيدي : الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د ط ، 1998م ، ص 42.

(2) - فريديريك فون دير لاين: الحكاية، ترجمة، د/ نبيلة إبراهيم، دار القلم ، بيروت، لبنان، ط 1، 1973م، ص 23 .

3-4-1-6-3- التجسيد:

تُجسد المحيلة الشعبية تجسيد الظواهر المعنوية؛ هادفة من وراء ذلك إلى تقريب المعنى وجعله في متناول ذلك الشخص البسيط، الذي لا يقوى على إدراك المغزى من المعاني المجردة، فيلجأ إلى هذه الخاصية التي تساعده على استيعابها والاستفادة منها: "عن طريق تعبير يعتمد المفارقات في تجسيد الصورة القصصية، مثل تلك الحكايات التي تُنسب بطولتها لجحا"⁽¹⁾ إضافة إلى تجسيد الحيوانات في صور بشرية ناطقة تتصرف وكأنها إنسان واعي عاقل، مدرك لمآلات الأمور، كما يميز للتجسيد أن يطال أيضا الجمادات من أحجار وجبال ومتاع وغيرها.

3-4-1-3-4-6-4- المقطرة اللغوية:

وهي مقطرة المبدع الشعبي أو الرواة على استعمال الأساليب الفنية، التي تتطلبها القصة: "لأن القصة المروية في الأوساط الشعبية لا بد من أن تلائم أذواق الجماعة وميولهم وأحاسيسهم وعواطفهم فيأخذ الراوي الأقسام الملائمة ويهمل الأخرى"⁽²⁾ وهذا يؤشر على إلمام الراوي بمُجمل حالات قومه؛ النفسية والاجتماعية. ومن هنا أيضا تتبين قدرات الراوي أيضا على تحقيق الإمتاع والتوجيه والوعظ والنقد والتربية والتعليم وغيرها، مما يتطلبه المقام من خبرة ودراية بأسرار وفنون القصص الشعبي. فليس من اليسر أن تكون رواية قدير ومُلهم.

3-4-5-6-3- موضوعات الحكاية الشعبية:

تحفل الحكايات الشعبية، بكل المواضيع ذات الصلة بالجوانب المختلفة لحياة الناس. ففي الجانب الاجتماعي تكشف الحكايات الشعبية عن الصراع الطبقي، بين الطبقة الحاكمة والطبقة المحكومة، بين طبقة الأغنياء والفقراء وبين الجماعات الشعبية بعضها ببعض وكذا بين أفراد المجتمع، ناشدة بذلك إعطاء كل ذي حق حقه من العدل والمساواة والعيش الكريم في أمن ووثام. كما أنها تحفل في الجانب الأخلاقي بتبنيها لكل القيم النبيلة، وتبدي حرصها الشديد على تجسيدها في واقع الحياة؛ خشية اندثارها أو تلاشيها وضياعها؛ بفعل الطوارئ المستحثة

(1)- عبد الحميد بورايو: القصص الشعبي في منطقة بسكرة، مرجع سابق، ص 125

(2)- روزلين ليلي قريش: مرجع سابق، ص 122

باستمرار، بفعل هذه المدنية الزاحفة على العالم بأسره. ولا تهتم الحكاية الشعبية بالبيئة المحلية فقط، بل تتعداها إلى الجوار، وإلى البيئات البعيدة الأخرى أيضا، آخذة منها ما تراه نافعا لها، ومحذرة مما تراه عكس ذلك فهي إذا استشعرت خطرا سارعت لاتقائه، أو أحست أمنا خططت لاستثماره بما يعود على أفرادها بالفائدة المادية والمعنوية. كل ذلك في إطار الحرص الشديد على المعتقد السائد بين أفراد الجماعة أو المجتمع أو الأمة، ومع كل هذا الحزم والصرامة في الحفاظ على العادات والتقاليد، والارتباط بالأصل والتراث عموما؛ نجد حكايات شعبية هزلية خفيفة الظل ذات مغزى ترفيهي صرف، لا شيء من ورائها غير المتعة والضحك. وهكذا تكون الحكاية الشعبية قد ألمت بكل الجوانب الحياتية في المجتمع. لنخلص إلى القول بأن الحكاية الشعبية قد ساهمت بقسط وفير في توجيه و حماية المجتمع من الانهيار والمسوخ والضياع. وكما تقول الباحثة روزلين ليلي قريش: "إن هذه القصص ربطت بين الشعب الجزائري وبين التراث العربي الإسلامي واستمر جيلا فجيلا حيّا في ضمائر الناس وعلى ألسنة الرواة. وإذا كانت الفترات قد تغيرت وإذا كان المجتمع قد تعرض للمد والجزر، فإن المتلقي وهو الشعب، قد بقي وقيًا لهذا الماضي يلوذ به من نكبات الظروف وقسوة الحياة وظلم الاستعمار، بل وكان القصص الشعبي حافظا للناس على التشبث بالقيم السامية التي توارثها على مر الأيام، وبذلك كانت القصة الشعبية ذات هدفين، هدف أدبي وهدف أخلاقي واجتماعي، ويكفي أنها ملأت فراغا كبيرا في حياة الناس" (1) فهل من مصلحتنا حقا التفريط في هذا الكنز الذي لا يقدر بثمن؟ ونرهب أنفسنا باللهث وراء سراب المسوخ والتشويه تحت مسمى العولمة.

3-4-2- الألباز الشعبية :

3-4-2-1- التعريف باللغز :

مما جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة لغز : " حفرة يحفرها اليربوع في جحره تحت الأرض وقيل هو

جحر الضب والفأر واليربوع بين القاصعاء والناقعاء سمي بذلك لأن هذه الدواب تحفره مستقيما إلى الأسفل ثم

(1)- روزلين ليلي قريش : القصة الشعبية الجزائرية ، ذات الأصل العربي ، مرجع سابق ، ص 233.

تعدل عن يمينه وشماله عروضاً تعترضها تعمية ليخفي مكانه بذلك...⁽¹⁾ من الواضح أن هذا المعنى الحقيقي أو بالأحرى المادي قد انتقل ليدل على معنى مجازي مغاير تماماً للمعنى الأصلي له ، و أصبح يشير إلى التعمية في الكلام ، بدلا من التعمية على المكان؛ فكان بذلك مصطلحا يفيد مفهومه بميل المتكلم بكلامه عما يريد حقيقته بالتلبس أو التشبيه ، أو أي شيء من هذا القبيل ؛ فيقال عندها لقد : "ألغز في كلامه ، إذا عمي مراده"⁽²⁾ . وفي نفس هذا السياق أيضا يقول الزمخشري: "ألغز كلامه : عمّاه ولم يبيّنه"⁽³⁾ . وجاء في معجم العين ما نصه: "اللُّغز واللُّغز لغة : ما أَلغَزَتِ العرب من كلامٍ فشَبَّهَتْ مَعْنَاهُ ، وَاللُّغْزُ وَاللُّغَاظُ : حَفْرَةٌ يَلغُزُهَا الْبَرَبُوعُ فِي جَحْرِهِ يُمْنَةُ وَيُسْرَةٌ يَلُودُ بِهَا."⁽⁴⁾ فالتعمية إذا في الكلام وعدم إبانته هي السّمة الفارقة والطاغية على المعنى اللغوي للغز . وبشيء من الاختلاف البسيط عما دُكر آنفا ، تورد بقية المعاجم والكتب العربية التعريف اللغوي لمادة-لَعَزَ-. وفي المعاجم الأجنبية أيضا تأكيدا لهذا المعنى . ففي معاجم اللغة الفرنسية نجد انه جاء على النحو التالي: (énigme) والذي يعني: " الشيء الصعب الفهم والتأويل." ⁽⁵⁾ كما أننا نعثر على المعنى نفسه ، مشارا إليه أيضا بالألفاظ: "(Devinette) و (charade)" ⁽⁶⁾ وربما اشتهرت لفظة (Devinette) عن غيرها من المرادفات الأخرى في الإشارة إلى ما يقابل - الأحجية و اللغز - العربيتين .

أما المعاجم الانكليزية فتشير إلى المفهومين السابقين بـ (joker) أو ينكّت (to guess) أو (to assess) . إلا أن الموروث الشعبي الجزائري يُعبّر عن حالة التعمية هذه بلفظ آخر ، مختلف في البناء اللفظي هو- الأحجية - ولا

(1)- ابن منظور: لسان العرب، بيروت، لبنان، طبعة 1414هـ 1994م، المجلد الخامس، مادة لغز، ص 406.

(2)- إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة و صحاح العربية ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ،لبنان ، ط 2 1979م ، ج 3 ، مادة ألغز ، ص 405 .

(3)- الإمام جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري: أسرار البلاغة ، دار صادر للطباعة و النشر ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 1385هـ 1965م ص 576.

(4)- الخليل بن أحمد الفراهيدي، كتاب العين مرتبا على حروف المعجم، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط 1 2003م ، ج 4 ، ص 91.

(5) - Patricia maire et Nathalie Lancret et autres: dictionnaire 2000 mots, Larousse junior paris mai, 2003-p , 380 .

(6) - Patricia maire et Nathalie Lancret et autres: dictionnaire 2000 mots, Larousse junior paris mai, 2003 P:176

خلاف في معناه في المعاجم العربية كسابقه (اللغز) في: "حجا، الحجا: مقصور على: العقل والفتنة، والجمع أحجاء، وكلمة مُحجّية: مخالفة المعنى للفظ وهي الأحجية والأحجوة وقد حاجيته محاجاة وحجاء فحجوته... والأحجية والحجّيا: لعبة أو أغلوطة يتعاطاها الناس بينهم".⁽¹⁾ إذا فهل هناك فرق يمكن تمييزه بين مصطلح - اللغز- و- الأحجية- على أساس أن الأحجية من أصلها الأول توحى باستعمال العقل، وبالتالي الذكاء والفتنة لاستنباط الحجة والدليل والبرهان، وهي كلها أعمال عقلية مجردة، عكس اللغز الذي- ربما- لا يوحي أصله الأول المادي بهذا الجانب العقلي المجرد.

فهل ينفرد كل منهما بمعناه الخاص به؟ يجيب عن هذا التساؤل ابن الأثير قائلا: "وأما اللغز والأحجية فإنهما شيء واحد، وهو كل معنى يُستخرج بالحدس والحزر"⁽²⁾ وعن مفهومه للأحجائي والألغاز وتأكيدها لما سبق إقراره بشأنهما يقول في الصفحة نفسها: "الأحجائي هي الأغاليط من الكلام، وتسمى الألغاز جمع لغز، وهو الطريق الذي يلتوي ويَشكّل على سالكه... ويسمى هذا النوع أيضا المعمّى " والمعمّى إما أن يُشتبه بالكناية أو بالتعريض كما يمكن أن يشتهر أيضا بالمغالطات المعنوية. أما وقد تمت الوحدة بين الأحجية و اللغز فهل لنا أن نتساءل عن مغزى و منبع هذا الغموض و الالتباس الذي لا يفارقهما أبدا؟

الحقيقة: "أنّ اللغز لغة العارفين والحكماء، يختارون من الشيء صفاته الأبعد، أو التي تثير شيئا من الالتباس لتكويّن لغزهم، ثم يطرحونه على الآخرين بهدف امتحانهم."⁽³⁾ والغاية من الامتحان أو الاختبار في غالب الأحيان هي الكشف عن قوة العقل والفهم والإدراك؛ وهي أمور تكشف من جانبها أيضا؛ عن مستوى الذكاء والفتنة لدى أفراد شعب أو أمة من الأمم؛ لذلك اختص في وضعها وإخراجها العارفون بشؤون الأمة والموجهون

(1)- ابن منظور: لسان العرب المحيط، دار الجيل، بيروت، لبنان، د ط، 1408هـ، 1988م، ج 1، مادة الأحجية، ص 578.

(2)- ضياء الدين بن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تقديم وتعليق أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار تحفة مصر للطبع والنشر، د ط، ج 3، ص 85.

(3)- طلال حرب: أولية النص، نظرات في النقد والقصة والأسطورة والأدب الشعبي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1999م، ص 15.

لها من الحكماء. ورغم ما نبجده أحيانا في الأحاجي والألغاز من عوامل التسلية والترفيه؛ ففي التسلية والترفيه أيضا حكمة وخدمة للمجتمع- من دون شك-. وفي هذا الشأن يقول "د/عبد الملك مرتاض": "إن الذي لا يمكن نكرانه هو ما نلاحظ في المضمون العام للأحاجي أو الألغاز الجزائرية العميقة الهادفة التي تدل على ذكاء العقلية الشعبية والتزامها عبر القرون السحيقة، وقدرتها من وجهة أخرى ، على ربط الصلة بين اللفظ الظاهر المنطوق والمعنى الباطن المقصود." (1) وهذا ما يؤكد عبقرية الملمغز الشعبي الجزائري، فهو أيضا من العارفين والحكماء.

إن المتأمل في ألفاظ الأحجية أو اللغز، ليدرك من أول وهلة؛ أنها عبارة عن استعارات، وكنيات ومجازات في الغالب الأعم منها، وهي ميزتها الأساسية التي تشتهر بها، بين أخواتها من أشكال التعبير الأدبي الشعبي الأخرى. وهذا ما أشارت إليه "د/ نبيلة إبراهيم" بالقول: " اللغز في جوهره استعارة ، والاستعارة تنشأ نتيجة التقدم العقلي في إدراك الترابط والمقارنة ، وإدراك أوجه الشبه والاختلاف، على أن اللغز فضلا عن ذلك ، يحتوي على عنصر الفكاهة." (2) وهذا يشير إلى عامل الترفيه والتسلية في اللغز أيضا.

ويعرفه "مصطفى صادق الرافعي" بقوله: " ثم إستعملوه -أي اللغز- في الإتيان بالعبارة بدل ظاهره. ا على غير الموصوف ويدل باطنها عليه." (3) ولا يمكن سبر أغوار هذا الباطن والوصول بهذه العبارة إلى معناها الظاهري إلا: " من خلال عناصر لها وجه شبه بالمقصود، أو بأسرار المعنى المراد الذي أجمته التعمية في الكلام أو في الأسماء والأفعال." (4) وهو الهدف المطلوب، الذي لا يمكن الوصول إليه ، إلا عن طريق إعمال العقل والعقل فقط. فلا القوة ولا الجاه ولا غيرهما يقوم مقام العقل أبدا.

ونظرا لارتكاز الأحجية أو اللغز واعتمادهما على إعمال العقل بشكل كلي، وما يترتب عن هذا المجهود الفكري من حالات نفسية مختلفة، فقد توسعت تسمية اللغز إلى ألفاظ أخرى منها: " المعاناة، والعويص، والرمز

(1)- عبد الملك مرتاض: الألغاز الشعبية الجزائرية ، دراسة في ألغاز الغرب الجزائري ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1982م، ص20.

(2) - نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مرجع سابق، ص154 .

(3) - مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العر ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان ، ط 1 ، 2000 م، ص 313.

(4) - رابع العويبي: المثل واللغز العاميان ، دون دار النشر، دون بلد النشر، ط 1 ، 2005 م، ص 29.

والمحاجة، وأبيات المعاني، والملاحن، والمرموس، والتأويل، والكناية، والتعريض، والإشارة، والتوجيه، والمعنى والممثل ومعنى الجميع واحد واختلافهما بحسب اختلاف وجوه الاعتبارات. ⁽¹⁾ إن المتأمل في هذه الألفاظ ليلحظ من الوهلة الأولى كم هي مشبعة بمعاني الإبهام والغموض. مما يستوجب معها إعمال العقل حتما، وبهذا استحقت أن تكون مرادفة للغز عن جدارة واستحقاق.

وتأكيدا لخصيصة إعمال العقل يشير الشاعر الفحل "محمد العيد آل خليفة" مُعرِّفًا للغز شعرا فيقول: ⁽²⁾

شَيْءٌ بِهِ تُخْتَبَرُ الْعُقُولُ	صَعَبٌ إِلَيْهِ يَعْسِرُ الْوُصُولُ
يَلْهُو بِهِ السَّائِلُ وَالْمَسْئُورُ	فَحَبْلُهُ بَيْنَهُمَا مَوْصُولُ
كَأَنَّهُ حَمَامَةٌ بَجَوْلٍ	يَصْطَادُهَا الْحَذَّاقُ وَالْفُحُولُ
فبعضهم مُخَيَّبٌ مَخْذُولٌ	وَبَعْضُهُمْ مُوَفَّقٌ مَقْبُولٌ
وَفِكْرُكَ الْآنَ بِهِ مَشْغُولٌ	فَمَا تَرَى فِيهِ وَمَا تَقُولُ.

نقول إذا كان لا بد من أن يُعرِّف اللغز الشعبي نفسه بنفسه ففي هذه العبارة الشعبية:

"شيء مُبَاخٍ عِنْدَ الْعَرَبِ وَلُبَّادِي، مَنْ أُمْتِحَنَ بِهِ مَرْتَاخٍ وَ مَنْ سَمِعَهُ إِبَاتٍ شَاقِي".

ويبقى اللغز: "شكل أدبي قديم قدم الأسطورة و الحكاية الخرافية كما أنه كان يساويهما في الانتشار، ولم يكن اللغز في الأصل مجرد كلمات محيرة، تطرح للسؤال عن معناها بين تلك الأصحاب في الأمسيات الجميلة." ⁽³⁾ وإنما هو عمل أدبي أصيل، لا بد من البحث فيه ودراسته بنفس درجة العناية والاهتمام؛ بدراسة الأنواع الأدبية الأخرى

(1)- شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الإرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، العدد الثالث، ص 187.

(2) - محمد العيد آل خليفة: الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1979م، ص 558.

(3)- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مرجع سابق، ص 187.

من جميع جوانبه فهو - على ما تعتقد الدراسة - لم يُخلق عبثاً بكل تأكيد ولا بد أن وراءه سر حصين وجب علينا بالتالي مواصلة البحث ، وعدم الاكتفاء بما هو موجود لأنه ببساطة لا يلبي فضول الباحث ، وهناك أسئلة كثيرة لا تزال تُطرح وبالخاصة في هذا الميدان عموماً ، وعالم اللغز خصوصاً ، وهو الذي لم يُبث نهايتها بعد في نشأته ، وبدايته بحقيقة علمية دامغة، إلى الحد الذي يطمئن العقل عندها، و يكفّ بذلك عن التساؤل مرة أخرى. أما وأنا لم نظفر بهذه الحقيقة بعد ، فسيبقى السؤال مطروحاً إلى أجل غير مسمى. لكن الشيء المطمئن في هذا الأمر، أن هناك إجماعاً على صعوبة تحديد تاريخ ونشأة اللغز.

3-4-3-2- نشأة اللغز:

كما سبقت الإشارة إليه آنفاً، فإنه من الصعوبة بمكان إعطاء تاريخ دقيق لنشأة اللغز، فهو حقيقة مرتبطة بالإنسان - وربما يختص به فقط - والقول بظهوره مع ظهور الإنسان على سطح الأرض - فيه نظر - لأننا ربما نستطيع تحديد الوجود البيولوجي للإنسان، من خلال البقايا المادية التي نستطيع الحصول عليها بطرق علمية متعددة، وآمنة في الوقت ذاته . لكن تحديد مستواه العقلي؛ وكما يوصف عند علماء الأنتروبولوجيا وكذلك الأثنولوجيا - بالإنسان البدائي - ربما فيه إجحاف بحق هذا الإنسان؛ لدلالة الكلمة على السذاجة والغباء . ونحن نرى من آثاره المادية الملموسة؛ التي عجزنا عن تفسيرها والإطلاع على كنهها، (الأهرامات (مصر) ، والبتراء (الأردن)، و آثار حضارة المايا (أمريكا الجنوبية)... وغيرها كثير.) في عصر نزهوا بنعته، عصر العلم، والتكنولوجية فائقة التطور، وهذه (الأطلال) لا تزال لغزاً محيراً إلى يومنا هذا.

تقول: " نبيلة إبراهيم" على لسان " موريس بلوم فيلد" أن: " اللغز نشأ منذ قديم الزمان، حينما كان العقل البدائي يُمرن نفسه على التلاؤم مع الكون الذي يحيط به، ذلك أنه كلما كانت الرؤية أكثر نظارة ازدادت الرغبة في إدراك ظواهر الطبيعة وظواهر الحياة، وإدراك القوانين التي تحيط بالإنسان [...] و لهذا كذلك فإننا نجد الأنواع الأدبية الشعبية مثل الأسطورة والحكاية الشعبية والحكاية الخرافية تتضمن الألغاز فاللغز يشير إلى غموض الحياة

وهو في الوقت نفسه يمثل إدراك العقل البكر. " (1) وهذا معناه أن هذا الفن قدم قدم الإنسان نفسه. ولكن متى بدأت هذه التمرينات للعقل الإنساني، لكي يتلاءم مع الكون الذي يحيط به؟ مع الأسكندر الأكبر؟ أم مع سيدنا سليمان والملكة بلقيس؟ أم مع أديب...؟ إن هذه الأساطير السالفة الذكر وأمثالها كثير؛ تُنبئ عن مرحلة جُد متقدمة للعقل البشري، وقد تعدى مرحلة التمرينات بأشواط كبيرة؛ ولم يعد بدائي التفكير كما يُوصف، وإلا فكيف استطاع هذا الأسكندر أن يجوب مشارق الأرض ومغاربها؟ وكيف استطاعت بلقيس أن ترتفع على عرش مملكتها وإدارتها؟ والشيء نفسه، يُقال عن أديب، وفي غيرها من الأساطير ذات الصلة. فإذا سلّمنا -جدلا- بحدوث وصدق الوقائع الأسطورية، أو جزء منها على الأقل، كما يُرجح البعض، فهو قطعاً يتعارض بشدة مع بداوة التفكير، وسياسة الملك والحكم. وأما إن كانت هذه الأساطير من صنع الخيال فمن الإجحاف والظلم أيضاً، نعت العقل المبدع لها بالسفّه والبدائية (أو البداوة)، وبالقياس يكون العقل المتلقي أيضاً؛ بنفس مستوى المبدع الشعبي؛ لأن الشعب هو الذي يُؤشر على إبداعه بالرفض أو القبول؛ أي بالفناء، أو الخلود. من هنا تتبدى مرة أخرى صعوبة تحديد تاريخ نشأة اللغز بدقة؛ لأن تحديد هذا التاريخ، هو من يقرر نشأة اللغز. وفي انتظار ذلك، نعود مرة أخرى ونقول من جديد، متى نشأ اللغز؟ ومن كان السبب في وجوده؟ ولأي غرض وُجد؟

إن أمر نشأة اللغز قد حفّز الكثير من الباحثين على تكثيف البحث، سواء كان ذلك في الميدان أو في بطون الكتب، ليعلنوا بعد ذلك، ما يرونه مخرجاً لهذه المعضلة، فيقولون: "أنّ من اطّلع على التواريخ والكتب القديمة، علم بلا ريب أنّ هذا الفن أقدم الفنون، ولكن إلى الآن لم يُعرف واضعه، ولعلّه أحد الحكماء، فإن قدماء الفلاسفة كانوا يشغلون أوقات فراغهم بالألغاز، تسليّةً وتمريناً لكشف المعاني الغامضة." (2) إن هذا القول بالتأكيد لم يضع حداً للمشكلة التي نحن بصدددها؛ بقدر ما أثار من إشكالات أخرى لا يمكن التحقق من صديقتها تماماً.

(1)- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، نفسه، ص 154.

(2)- أحمد محمد الشيخ: كتب الألغاز والأحاجي اللغوية، دون دار النشر، دط، دت، ص 4.

كما أن التعبير بالقول- لعله أحد الحكماء - يُعيدنا إلى المربع الأول من جديد، وهذا ما يؤكد " عبد المالك مرتاض " بقوله: " وإذا كان مستحيلا معرفة قائلها هذه الألغاز، فإن هذه الاستحالة تزداد تأكدا حين يتصل الأمر بنشأتها ، والأسباب التي أدت إلى ظهورها كجنس أدبي ينتمي إلى الفنون الشعبية" ⁽¹⁾ ولذلك سيستمر الجدل قائما حول هذه المعضلة وإلى وقت -ربما- غير قريب، حتى تفصل فيها الحقيقة العلمية الدامغة المنشودة.

لكن بعد أن نعي جيّداً وبقينا قوله تعالى: " وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (31) قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ (32)" ⁽²⁾ ثم هل -آدم- هذا هو الذي يُنعت عند علماء الأنتروبولوجيا والأثنولوجيا وغيرها من العلوم الأخرى ذات الصلة، بالإنسان البدائي؟؟ لنترك أمر نشأة اللغز إلى حين، ونحوض في بنية نص اللغز وخصائصه ووظائفه.

3-4-3-2-3- بنية اللغز:

إن هذه الأشكال الأدبية التعبيرية الشعبية المختلفة؛ إنما تمايزت عن بعضها البعض، بفضل بنيتها اللغوية إضافة إلى بعض الخصائص، والسمات التي ينفرد بها كل شكل، على غيره من الأشكال الأخرى. ومن أهم ما يميز اللغز عن بقية الأشكال الأخرى؛ بنية نصه اللغوي الذي يستند على ركائز ثلاثة هي:

أ - الافتتاحية: وتسمى أيضا بالمقدمة ، وتكون في الغالب عبارة نمطية من الشكل " حاجيتك ما جيتك " وربما يمكن بها تمييز اللغز الجزائري عن غيره، وهي تتكرر في بداية كل لغز ثم تُتبع مباشرة بنص اللغز.

ب- السؤال: يمكن القول عنه بأنه روح اللغز، وقد يكون صريحا أو ضمنا يُفهم من سياق الكلام. وإذا انتفى هذا العنصر أو هذا المرتكز ، يفقد اللغز روحه ويموت؛ أو يستحيل إلى شكل آخر غير اللغز. ولا بد لهذا السؤال أن يشتمل على عنصرين هما:

(1) - عبد الملك مرتاض: الألغاز الشعبية الجزائرية ، مرجع سابق، ص 20.

(2)- سورة البقرة الآيات: 31 و 32.

- الموضوع: هي تلك الأوصاف المستعارة ، التي تتضمن أو تشير من قريب أو من بعيد ، للجواب عن السؤال المطروح .

- الخطاب الوصفي: هي العناصر اللغوية التي يُبنى بها السؤال، ومن خلال هذه الصيغة الوصفية تختلف الألغاز بعضها عن بعض، وإن كانت حول موضوع واحد ؛ بمعنى لها الجواب نفسه .

ج- الجواب: قد يكون نص اللغز قصيرا أو طويلا نسبيا. ولكن في الغالب الأعم، ينحصر الجواب في لفظة أو كلمة واحدة، ينطبق عليها الخطاب الوصفي أو ما أُخبر عنه موضوع اللغز. وتجدر الإشارة في هذه النقطة إلى أنه من الممكن أن تتعدى الإجابة عن اللغز الواحد إلى أكثر من حل واحد؛ وذلك عندما تتطابق الأوصاف المستعارة للموضوع في الخطاب الوصفي أو الإخباري، على شيء آخر غير الذي هو بحوزة صاحب اللغز نفسه. وهذا يُعتبر تحديا لسلطته، وضربا لمصداقيته، وخطا من كبريائه، فيستخدم النقاش ، وتتناطح البراهين والحجج والأفكار، وتتوسع الفائدة أكثر، ويحقق اللغز بذلك غايته التعليمية في إثراء معلومات المستمعين عموما، والمتبارين على وجه الخصوص.

3-4-2-4- خصائص اللغز:

من الخصائص والسّمات الفنية، التي تتوفر في نص اللغز نذكر ما يلي:

أ - التوقيع الصوتي:

يؤكد الخبراء (النفس، والموسيقى بالخصوص)، أن الإنسان يستعذب ويُفضّل الأصوات المنسجمة المتناسقة وهذا لا يتأتى إلا باختيار الألفاظ المناسبة، وإدراجها ضمن تراكيب متألّفة، متوازنة، ذات إيقاعات موسيقية خفيفة، تستسيغها الأذن وتألّفها النفس، فيحدث التأثير المطلوب. وهنا يحضرنا القول المشهور للجاحظ: " المعاني

مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخيّر اللفظ وسهولة المخرج، وفي صحة الطبع وجودة السبك.⁽¹⁾ ولا شك في أن تركيباً لغوياً بهذه المواصفات، سيضطرب الأذن ويهز النفس؛ بما يحققه من ضروب من الألوان البلاغية المتنوعة.

إضافة إلى المميزات الفنية الأخرى يغلب على اللغز طابع السجع؛ لأنه يحقق التوازن الموسيقي المرغوب بالاعتدال في مقاطع الكلام، الذي هو أصل السجع، وهو ما يؤدي إلى إثارة انتباه السامع، وانخراطه في التفكير بتحريك عامل الذكاء لديه، بالإضافة إلى تيسير الحفظ وثبات العبارة في الذاكرة.

لذلك نجد الفنان الشعبي يقحم أو يخرع بعض المفردات أو حتى جُملاً، لا لشيء سوى لتحقيق التوازن الصوتي في الكلام، وأيضاً لإضفاء هالة من التفخيم والتحسين، الذي يظهر عند اكتمال توازن أجزائه.

ب - تعدد أساليب التعبير عن الموضوع الواحد :

يُعبّر اللغز عن الموضوع الواحد، بأساليب متعددة وتعبير متباينة. ومن العوامل المتسببة في ذلك: "تعدد منشأ اللغز، واختلاف أمكنة ظهوره، ولعل هذا التعدد والتنوع في الصور والمواضيع، إن دل عن شيء إنما يدل على قيمة اللغز وفائدته الاجتماعية والحضارية والعقائدية."⁽²⁾ وذلك بتغطيته لمناطق جغرافية أوسع، عاكساً لمستواهم الفكري، والاجتماعي، والحضاري، ويعتمد هذا التعدد في أساليب التعبير على عناصر ثلاثة هي:

ب-أ- مَلَكَةُ الخيال لدى المَلغَز :

ما من شك في أن الخيال يلعب الدور الأساس، الذي يُؤسس لميلاد لغز جديد. وهذا من خلال المدركات المكتسبة من التجارب والخبرات الحياتية لدى صاحب اللغز، الذي يبلورها في قوالب تعبيرية ممكنة الإدراك بالحواس.

(1) - أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، دط، 1969م، ج 3، ص 131.

(2) - رابع العوي: أنواع النثر الشعبي، منشورات جامعة، باجي مختار، عنابة، الجزائر، د ط ، د ت ، ص 36.

ب- ب- المعنى:

يتراوح المعنى بين العمق والسطحية؛ تبعاً لدرجة الإدراك ، ونوعية التجارب الحياتية . وهذا ما ينعكس على مدى سطحية اللغز أو عمقه؛ بمعنى سهولة أو صعوبة الوصول إلى الحل المطلوب.

ب- ج- المبني:

وهو العنصر الذي به يتميز الناس عن بعضهم البعض ، في التعبير عن أفكارهم؛ أي هي صورة الكلام اللفظية الدالة على الفكرة. و المبني له علاقة مباشرة مع اللغة، وبالتالي مع انتقاء الألفاظ التي تعبر عن الفكرة المطروحة، أو كما وصفها "أبو عثمان عمرو بن بحر" بالقول: " صحة الطبع وجودة السبك". فنجد أن الألفاظ هي نفسها، ولكن قوالب التشكيل، وطرق السبك متعددة بتعدد أصحابها، ومن هنا كان تعدد التعبير عن الموضوع الواحد في اللغز. ومهما تعددت القوالب وطرق السبك ، فالملاحظ في نص اللغز؛ أنه قائم على أناقة الألفاظ وتجانسها وتراكيبها المتألفة، وما تحدثه من تجانس في النطق، مسجلة بذلك خاصيتها الفنية، وبالتالي قيمتها الأدبية. وهو ما يعبر أيضا عن عبقرية المبدع الشعبي في موضوع اللغز. وإن كانت هذه الخصائص السابقة الذكر مشتركة بين معظم أشكال التعبير الشعبي، وإنما لكل أسلوب خصائصه التي يتميز بها وصفاته التي ينفرد بها، سواء كان ذلك على مستوى اللفظة أو على مستوى التركيب.

ج- الرمزية:

إن لغة اللغز غير عادية، وليست في متناول العامة من الناس؛ لأنها لا تسمي الأشياء بمسمياتها، كما هو مألوف في اللغة المتداولة بين عامة الناس؛ إنما تتخذ من الرمزية أداة للتعمية والغموض ، الذي يتصف بهما نص اللغز. والرمزية هي: "أسلوبية تعتمد على ألوان بيانية كالاستعارة والكناية والتشبيه والمجاز والتورية ، حيث يوحي بهذه إلى معانٍ مستترة في الذات أو في الأشياء، بغية إثارة المشاعر للغوص في أجواء المعاني ومعرفة الحقيقة القابعة

خلف قرائن دالة عليها، كالعزيز المحتجب لا يريك وجهه، إلا إذا أحسنت السبيل إليه:"⁽¹⁾ وعلى هذا الأساس يمكننا القول بأن الرمز أو مجموعة من الرموز، الواجب حلها هي أساس قوام اللغز كله. كما لا يفوتنا التنويه بالمبدع الشعبي الذي استطاع بعبقريته، التنسيق بين ألفاظ عباراته فاستوعبت سعة الوصف، وشمولية عمق الفكرة، مع لمسة جمالية آسرة، لا تخلو من تأثير واضح آخاذ، كل ذلك ينبئ بحذق هذا المبدع بهذه الخصائص؛ من لغة وأسلوب وصور بيانية، ويدحض ما سواها من سقاه الأقال. ورغم هذا وذاك تبقى الألغاز لغزا محيرا في حد ذاتها وحقيقة ثابتة في واقع أمرها.

د - التكرار:

تكرار الحروف والكلمات وحتى الجمل، ظاهرة شائعة في نصوص الألغاز؛ وهو متفاوت العدد، فقد يكثر أو يقل، كما قد يندم في بعض الألغاز، ويرمي الفنان الشعبي من وراء هذا التكرار؛ إلى تحقيق أمور شتى أهمها: إثارة انتباه المستمع، وحرصه الشديد على توضيح ما يريد قوله، وإيصاله إلى الجمهور من دون تشويش لأنه يكون إما مبالغة في المدح أو في الذم، فضلا عن إضفاء مسحة من الجمال والروعة الفنية على نص اللغ -ز كي يسهل حفظه وتداوله؛ وبالتالي استمراره. وهذا منوط باختيار الألفاظ وحسن ترتيبها وترديدها. ويبقى الهدف من التكرار هو: " تكرير المعاني والألفاظ وحده هو، دلالة اللفظ على المعنى مرردا والتكرير المفيد يأتي في الكلام تأكيدا له وتشديدا من أمره، وإنما تفعل ذلك للدلالة على الكتابة بالشيء الذي كررت فيه كلامك، إما مبالغة في مدحه أو ذمه أو غير ذلك."⁽²⁾ ولكن لماذا يؤكد المبدع الشعبي كلامه ويثدد على أمره؟ لأنه يعي جيدا مدى قداسة وثقل الأمانة، المتمثلة في تراث الآباء والأجداد وما يحمله من عقيدة وقيم وأخلاق سامية، تنفرد بها هذه الأمة وحدها عن غيرها من أمم الأرض؛ لذلك فأبي تقصير في أدائها والوصول بها إلى

(1) - رابح العوي: أنواع النثر الشعبي، مرجع سابق، ص 114.

(2) - عبد العزيز عتيق: علم المعاني، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، د ط، 2004م، ص 159.

أصحابها سالمة، يُعتبر خيانة في حق الأجيال اللاحقة وهذا ما تأباه وتنفر منه طبيعة وأخلاق المبدع الشعبي ليقظة ضميره، وإحساسه بكامل المسؤولية تجاه مجتمعه.

3-4-3-2-5- وظيفة اللغز:

يرى الكثير من الناس أن اللغز، لا يعدو أن يكون وسيلة من وسائل الترفيه والتسلية لا غير. إلا أن الحقيقة خلاف ذلك؛ فالباحثون في الشؤون والآداب الشعبية، يرون أن الألغاز، كأى مظهر من مظاهر الآداب الشعبية هي جزء من ثقافة الشعب: ".فلا ينبغي أن يكون ترفا ثقافيا لا يعني إلا خيالا جامحا وتسلية عابرة، بل أننا نجد للغز دلالات عميقة تعني الحضارة والتاريخ، وتعني التربية والتعليم، وقلّ ما تكون غايتها سطحية عابرة، وحتما يفترض أن يكون لكل لغز هدف."⁽¹⁾ لأنه تعبير أدبي يصور جوانب من الثقافة اللامادية، المرتبطة بالحياة العقلية كنمط تفكيره، وإدراكه لمظاهرها، والحياة الروحية، ك معتقداته الدينية وقيمها الأخلاقية. فاللغز إذاً لم ينشأ عبثا: "لقد نشأ اللغز ليكفي ضرورة العمل والعلاقات الاجتماعية والروحية والنفسية إزاء الطبيعة، فقد تكون الوظيفة ترسيخ معتقد أو قيمة أخلاقية، أو تأكيد قيمة اجتماعية أو اعتقادية"⁽²⁾ إن الوظائف التي جاءت في نص القول هي وظائف وأخرى غيرها، تضطلع بها كل الأشكال التعبيرية الشعبية، و لا يمكن أن ينفرد بها اللغز وحده؛ إنما وظيفة اللغز الظاهرية، هي الوظيفة التعليمية؛ من خلال نصه الحاوي دوما على سؤال، يلح على طلب الإجابة التي هي بدورها إحدى الركائز الأساسية في البنية اللغوية لنص اللغز. ومن هنا يكون لزاما على من يهمله أمر الألغاز، وفك طلاسمها واكتشاف أسرارها، أن يكون دائب البحث والتنقيب للترود بمختلف العلوم، والمعلومات والفنيات، التي حتما تتطلبها مثل هذه الأنواع من المباريات، وبهذا يكون اللغز قد ضمن الوظيفة التعليمية بامتياز ومعها التسلية والترفيه، لأن التباري مهما كان نوعه، فهو ضامن لكل من وظيفتي الترفيه والتسلية، بل يمكن القطع بأنهما، سبب وجوده على الإطلاق منذ فجر التاريخ. ويبقى القول بأن: "اللغز جنس أدبي يقوم بعدة وظائف

(1) - عبد المالك مرتاض: الألغاز الشعبية الجزائرية، مرجع سابق، ص 21.

(2) - أحمد رشدي صالح: الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط 3، 1971م، ص 23.

نفسية، اجتماعية، تاريخية، ثقافية، فهو وسيلة أساسية للتربية، ذلك أنه يُعَلِّم الأطفال والكبار معا، كيف ينظرون للمشكلة من كل جوانبه، ثم يحتفظون بعد الكد والتفكير بحس فكاهي⁽¹⁾ وعلى هذا الأساس لا يمكننا تقزيم اللغز في وظيفة اختبار الذكاء، ومعرفة غزارة معلومات المتبارين، إنما الأمر أكبر من ذلك بكثير، ولا يدركه إلا العارفين بخبايا الصراع الحضاري الملتهب.

3-4-3-2-6- علاقة اللغز بالأشكال التعبيرية الشعبية الأخرى:

للمبدع الشعبي قدرات لا يُستهان بها ، في إيصال أفكاره للآخرين بكل سهولة ويُسر ، فهو ينتخب من بين أشكال التعبير ما يراه مناسباً للمقام دوماً؛ فباستطاعته التعبير عن الموضوع ، بغير واحد من أشكال التعبير المختلفة؛ فهذا موضوع نص لغز ينسج منه حكاية طويلة. وهذه حكاية تُضغَط لتصبح فكرتها العامة مثلاً سائراً كما يمكن للنكتة أن تأخذ أشكالاً تعبيرية مختلفة، وهكذا يتحول المبدع الشعبي بين هذه الأشكال ، دون ما عناء أو تكلف، فهو بخبرته متحكم بكل تلايب وظيفته، وكل ما يتصل بها من معارف ضرورية، ومعلومات لا بد منها؛ كحالة المجتمع وأفراده، واهتماماتهم وتطلعاتهم ومعاناتهم، وأوضاعهم الراهنة، وتاريخهم ومعتقداتهم وأصولهم وأيامهم ، وسلطينهم وملوكهم، وأبطالهم، فضلاً عن لغاتهم ولهجاتهم، وأساليب تواصلهم... فهي بحق علوم ومعارف شتى، موزعة بين الاجتماع، والتربية والتعليم، والتاريخ والبيئة، إضافة إلى علوم اللغة وأسرارها ومعارف أخرى، قد يختص بها المبدع الشعبي وحده، لمخيلتها الضيقة جداً؛ كأسرار عائلات وأفراد بيئته وزمانه، الأعراف والتقاليد السائدة آن ذاك... الخ. إنه بنك معلومات أو (قاعدة بيانات) على المبدع الشعبي الإمام بها، حتى يستحق إبداعه أن يحجز مكانه في المخيلة الشعبية، فتقبله وتحلده، بعد أن تنقحه وتهذبه، خاضعة إياه، إلى ما استرضعته من قيم روحية وأخلاقية، في طور تنشئتها الاجتماعية الأولى، في كنف الأسرة وما بعدها من مؤسسات

(1) - محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، مرجع سابق، ص 99.

التنشئة الاجتماعية الأخرى، على غرار المدرسة والمسجد، فإن قبلته مثل هذه الذات، أمكن أن يكون بعد ذلك تراثا شعبيا خالدا .

3-3-4-3- النكتة الشعبية :

"الفكاهة أو التفكه من الجوانب المميزة للسلوك الإنساني، أما الضحك فهو التعبير الجسمي أو الفسيولوجي عن هذا الجانب، و قد قال الكاتب الفرنسي "رابليه" ذات مرة " أن الضحك هو الخاصية المميزة للإنسان" (1) ورغم هذا فلا أعتقد أن أحدا منا يعرف من أول من ضحك من البشر، ولا عن السبب في ذلك؟! . ولكن ماذا لو لم يكن هناك ضحك أصلا؟ الأکید أنه لا يمكن تصور حياة سوية بدون ضحك، في عالم البشر هذا، فقد قيل: "ومن البلية ما يُضحك" بل ومن شر البلية ما يُضحك أيضا، فإذا كانت البلية بشرها تُضحك فما سواها أدمى للضحك. فهذا المخلوق الغريب حقا هو الوحيد-ربما- بين مخلوقاته سبحانه وتعالى الذي يتميز وينفرد بهذه الظاهرة. لذلك فهي وأسبابها لم يُخلقا عبثا. ولكن ما الداعي للضحك؟ وما الضحك أصلا؟

ما الضحك؟:

"الضحك ظهور الثنايا من الفرح؛ فهو ظاهرة مشاهدة، تترجمها تغيرات، في تقاسيم هذا الوجه الضاحك ويؤكد علم التشريح أن الضحك يؤدي إلى تقلص خمسة عشر (15) عضلة من عضلات الوجه، مع تغير في وتيرة التنفس، وتغير في شكل الشفتين، يرافق هذا التغير الشكلي، تغير في الحالة النفسية للشخص؛ يتمثل في ظهور علامات الابتهاج والغبطة والسرور" (2) وهذا ما يزيد من تعقيد الظاهرة لارتباطها بالحالة النفسية للإنسان؛ وهي أعقد بكثير من الناحية البيولوجية له. ولهذا تساءل الفلاسفة وعلماء النفس وعلماء الاجتماع وغيرهم، لماذا نضحك؟

(1) - شاکر عبد الحمید: الفكاهة والضحك، رؤية جديدة، مطابع السياسة، الكويت، د ط، 2003م، ص 7.

(2) - الصادق المهدي: الفكاهة ليست عبثا، البقعة، السودان، دون دار النشر، دط، 2006م، ص 6 بتصرف.

بعد الدراسة والبحث والتحري، تبين أن الإنسان بطبعه الاجتماعي، لا يبلغ أسباب السعادة والاستقرار إلا إذا حقق إشباعه من الحاجات التالية؛ الحاجة المادية، الروحية، والخلقية، والعاطفية، والاجتماعية، والمعرفية، والفنية والبيئية، والترفيهية... وسيظل الإنسان ساعياً وباستمرار، إلى تحصيل هذا الإشباع العام؛ إن على الصعيد الفردي أو الجماعي. ومن ضمن حاجات الإنسان الترفيهية، الفكاهة والتندر، وهي بمقابل الصرامة والعبوس؛ فأى خلل بينهما يخلق توتراً نفسياً واجتماعياً؛ ينعكس حتماً على المسار العام لحركية المجتمع وكيانه؛ ومن هنا كانت الحاجة إلى البحث عن التوازن المطلوب بين الجد والهزل. وهذا ما أضفى أيضاً على الجانب الهزلي من الحياة الشعبية، الصفة الرسمية والعملية؛ وذلك عن طريق دراسة أنواع الترفيه وعوامل الضحك ومصادره عند العامة من الشعب، فكانت النكتة الشعبية بصفاتها إحدى هذه العوامل المتخصصة في إثارة الضحك. فكان أن حظيت بدراسات مستفيضة وباهتمام واسع. فما النكتة؟

3-4-3-1- التعريف بمفهوم النكتة الشعبية:

جاء في المعجم الوسيط: "... (النكتة) الأثر الحاصل من نكت الأرض، والنقطة في الشيء تخالف لونه والعلامة الخفية والفكرة اللطيفة المؤثرة في النفس والمسألة العلمية الدقيقة يتوصل إليها بدقة وإنعام فكر وشبه وسخ في المرآة، أو السيف وشبه وقرّة في قرنية العين، ويسمى العامة نقطة، (ج) نُكْتُ ونِكَات، (النكيت) المطعون فيه. " (1)

يقول "الزمنخشري" ما نصه: " (ن ك ت): نكت الأرض بقضيبه أو بإصبعه، فأقبل يُنكُتُ الأرض. ومَرَّ الفرس ينكُتُ الأرض في عدوه: إذا نلّعن الأرض في عدوه. ونكت العظم: أخرج مخه. ونكت كَنَانَتَه: نكبها. وطعنه فَنكته على رأسه: ألقاه. وبالبعير نَاكُتُ: حازُّ ينكت بمرفقه حدّ كركرتة. وفي معجم العين نكتة: بياض أو حمرة. وكلّ نقطة من بياض في سواد أو سواد في بياض: نكتة. نقول: هو كالنكتة

(1) - إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، ج 2، ص 950.

البيضاء في جلد الثور الأسود . ومن المجاز : جاء بنكتة وبنكت في كلامه ، وقد نكت في قوله، ورجل منكت ونكات، وفلان نكات في الأعراض: طعان⁽¹⁾ من بين ما تشير إليه دلالة لفظة- نكتة- في هذا التعريف، الجزء الصغير المميز في الشيء؛ فهي نقطة من بياض في سواد أو نقطة من سواد في بياض، كما أنها بياض أو حُمرَة في العين ؛ وكلا اللونين ليسا من طبيعة العين السليمة. والنكات: الطعان في الأعراض، أي يختار السمات المتصفة بالسلبية منها دون الإيجابية في الشخص، على قلتها... أي مخالفة المعتاد من الشيء أو الأمر. كما أنها قد تشير أيضا إلى التأثير في الشيء أو الأمر كذلك؛ أي نكت الأرض أتر فيها بإصبعه، أو الفرس بحافره فترك فيها أثرا وكذلك لا بد من إحداث أثرٍ في العظم ليخرج مخه. فإذا تأملنا الخطاب الفكاهي (نص النكتة) وجدناه متضمنا لهذه المعاني ومعان أخرى غيرها . فهو بمروره الحتمي على محطة الضحك، يترك أثرا نفسيا طيبا ولو إلى حين، كما أنه خطاب ينتقي المميز من الألفاظ والمواضيع، حتى يحقق غرضه المطلوب.

وفي الجانب الاصطلاحي يبدو أن النكتة لم تظفر هي الأخرى بتعريف جامع مانع لها ، وحازت على مجموعة من التعاريف، حسب الزاوية أو المجال التي يُنظر إليها منه، فنجد أن: "النكتة خبر قصير في شكل حكاية، أو هي عبارة أو لفظة تثير الضحك . ولكن ما الذي يميز النكتة عن الكلام العادي؟ [...] إن النكتة تلاعبٌ بالألفاظ من شأنه أن يصنع معنى مزدوجا"⁽²⁾ وهذا يجعلنا بالضرورة إلى مساءلة الجانب اللغوي في نص النكتة، فهو استعمال خاص، يختلف عن لغة التواصل اليومية بين الناس، وفي هذا المعنى يقول زكريا إبراهيم: "فأكثر النكت مصدرها اللعب بالألفاظ الحادث من الإتيان بلفظ يحتمل معنيين، أو المعنى المبادر إلى الذهن غير مقصود بل لا بد أن نفتن من المتلقي ليفهم ويضحك من المعنى البعيد."⁽³⁾ لكن ماذا نقصد من وراء قولنا التلاعب بالألفاظ، وصنع المعنى المزدوج؟ وما علاقة هذا التلاعب بالألفاظ، بإثارة الضحك؟ أولا : "التلاعب اللفظي وهو الدليل على انحراف اللغة انحرافا

(1) - الزنجشري : أساس البلاغة، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ج 2، ص 907.

(2) - نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مرجع سابق، ص 176.

(3) - زكريا إبراهيم : سيكولوجية الفكاهة والضحك ، مكتبة مصر السلسلة في علم النفس، ط1، 2012م، ص 114.

مؤقتا، وكأن الألفاظ تريد من الأخرى أن تلهو وتعبث، وهذا اللهو أو ذاك العبث هو السر في ضحكنا"⁽¹⁾ ومعناه استخدام كلمة ، أو عبارة ، تخفي معنى آخر، غير المعنى الظاهري، وذلك هو المعنى المزدوج. ومن هذا الجانب تكون: "النكتة تركيب لغوية معقدة [...] ومع ذلك فهي تهدف من خلال المعنى المزدوج إلى إدراك العبث، أو المحال أو إدراك متناقضات الحياة." ⁽²⁾ فالنكتة إذاً وطيدة الصلة بالمجتمع، وهي بمثابة المرآة العاكسة للحياة، حلّوها ومُرّها فهي تعكس عادات المجتمع وتقاليده وتجاربه، وكل ما يدور بقلبه في جميع الميادين. وبين طياتها دلالات، تعبر بحق عن طبيعة النمط الفكري والثقافي والاجتماعي، السائد داخل المجتمع: "فالنكتة كشكل تعبير شعبي، هي موقف ورأي ساخر اتجاه موضوع ما، وبالتالي تريد نقل هذا الموقف وهذا الرأي إلى الآخرين وإحساسهم به، من أجل كشفه ومعرفة كنهه، وما يحتويه من عيوب ومفارقات اجتماعية مختلفة، في ثوب خفيف ترفيهي فكاهي." ⁽³⁾ إن عملية النقل هذه للآراء والمواقف المعيبة في المجتمع، تكون من أجل توجيه الفرد في حياته اليومية الاجتماعية، وعلى تحطّي ما يمكن تحطّيه من معوقات الحياة؛ إما عن طريق الموعظة الحسنة، أو الحث على التجلّد والصبر أمام نكبات الدهر وهزات الحياة، أو المساعدة على تلمّس السبيل السوي المفضي إلى النجاة، فهي برغم سخرتها اللاذعة، غالبا ما تحمل رسالة أقوى من الكلمات الرصينة المعيّنة .

وتصل إلى هدفها و غايتها ، في إيصال الأفكار و التأثير في توجيه المجتمعات ؛ عندما تتناقلها العامة ، بعد أن تتبناها؛ بسبب خفتها وجمالها وذكائها ، وإعجابهم بمهارة إبداعها وجمال سخرتها فكانت بهذا: " نوع من الأدب الساخر ورسالة سريعة الوصول والتأثير، تحمل في طياتها السحر الإبداعي، ضمن الفضاء الأدبي والدلالة اللغوية والإيحاء الفني والفكر الجلي بقيم حضارية معينة." ⁽⁴⁾ فهي بذلك وعاء من القيم الحضارية وليس مجرد كلام فارغ، يستدعي الضحك فقط وإنما: "الطرفة الشعبية (النكتة) شكل آخر من أشكال الأدب الشعبي يبعث على

(1) - فتحي محمد عوض: الفكاهة في الأدب العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1978 م، ص 06.

(2) - نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مرجع سابق، ص 177.

(3) - محمد سعيدي: مقدمة في انثروبولوجيا (مظاهر الثقافة الشعبية)، ص 87.

(4) - رابع خلدوسي: اضحك مع الأطفال ، سلسلة عالم الفكاهة ، دون دار النشر ، د ط، دت ، ص 3.

المرح والضحك، بدون أن يعني ذلك أن الطرفة مجرد كلام فارغ، يستدعي ضحكا مجانيا، فهي فن شعبي يحتوي في طياته على أفكار الشعب ومعتقداته وآرائه ونظراته الاجتماعية والحلقية والفلسفية، فالطرفة تختزل في قالبها الصغير والبريء أحيانا، تجارب عصور كاملة عاشها الشعب.⁽¹⁾ الحقيقة أن هذه الأفكار هي أفكار الناكت نفسه، فهو فرد من المجتمع، وحين يتأثر به يعكس فهمه هذا للمجتمع، فتكون النكتة تصوير لهذا الفهم ونقل له، والناكت يتخذ من نفسه ممثلا لفكر مجتمعه، وناطقا دائما باسمه، فهي قادمة من عمق المجتمع، وفيه تعتمل وتتخمر أيضا، فيكون لها بذلك أبلغ الأثر في؛ باعتبارها المرجعية الاجتماعية التي تصور الواقع بكل دقة وأمانة، ومن دون اكتراث للتناقضات التي تكبل هذا الواقع، حتى أنها تمردت عن كل الأعراف والمقدسات السائدة فهي بهذا تعلم الفرد الحكمة والعبرة من جهة، وكذا الجرأة في التعبير عما يختلج في نفسه من جهة أخرى، ولهذا جعل المبدع الشعبي من سلوك الأفراد، والجماعات، وكل مناحي الحياة الاجتماعية، مواضيع لنكته؛ يصبها في قوالب السخرية والاستهزاء والهزل، بعد أن يتجه تجهيزها بكل الأدوات والمواد الضرورية، من دكاكين البيان والمعاني والبديع، فمخرج في أشكال ومضامين متنوعة؛ فهي تارة بطول قصة، وأخرى بقصر جملة، ومرة بحكمة مسطى وطورا بشكل قصيدة. ولا غرض لها من هذا التلون والتباين؛ إلا العمل على إيصال صوتها للطبقات المقهورة، التي تمثل الأغلبية الساحقة في كل مجتمع، وإخراجه إلى السطح، والتصريح به في العلن؛ من فرط ما يعانيه من قمع وحصار وكبت. فهاهي تتنفس بعمق عن طريق هذا الضرب من الفن، المنفلت من كل رقابة أو تدجين. فالتفتت لها الأنظار؛ فأثارت الاهتمام، عبر العصور والأزمان.

3-4-3-2- النكتة في التراث العربي:

بداية يمكن الإشارة إلى أن رسول الإسلام محمد (صلى الله عليه وسلم)، حسب ما حدثتنا به السيرة النبوية العطرة: أنه (صلى الله عليه وسلم) كان أكثر الناس تبسما في وجوه أصحابه. ربما ضحك حتى تبدو نواجذه .

(1) - طلال حرب: أولية النص (نظرات في النقد والقصة والأسطورة في الأدب الشعبي) ، ص 157.

و أنه قال: " تَبَسُّمك في وجه أخيك صدقة . "

والمتصفح للتراث العربي القديم خاصة - ربما- يستغرب للمساحة والحجم التي شغلتها الفكاهة والتندر في هذا التراث. فقد تناولها الكثير من الأدباء العرب، وتفننوا في عرضها، وذكروا مزاياها المتعددة، وأثارها الطيبة. فكانت دائمة الحضور في المجالس - الرسمية - التي كان الأمراء أنفسهم يديرونها مع جلسائهم وندمائهم. وبرزت الكثير من الشخصيات الهزلية. اشتهر منها: أشعب - جحا - أبو دلامة - أبو العبر. وغيرهم كثير.

" فمن الأدباء والكتّاب الذين ضَمَّنوا مؤلفاتهم موضوع الفكاهة إلى جانب مواضيع أخرى نجد مثلا:

الجاحظ في كتابه-الحيوان - وأبو الفرج الأصفهاني في كتابه - الأغاني- وأبو حيان التوحيدي في كتابه -الإمتاع والمؤانسة- وهناك من الأدباء من أفرد التأليف عن الفكاهة، في كتب مستقلة عن باقي المواضيع الأخرى أمثال:

الجاحظ في كتابه- البخلاء - و ابن الجوزي في كتابيه- أخبار الحمقى و المغفلين- و-أخبار الظرف والمتماجنين- ، و أبو منصور الثعالبي في كتابه- لطائف اللطف-، وأبو الطيب محمد إسحاق الوشاء في كتابه- الموشى - أو (الظرف والظرفاء)"⁽¹⁾. إن التراث العربي أوسع وأرحب بكثير من أن يُحصَر في هذه الشخصيات أو هذه المجموعة من الكتب التي أتينا على ذكرها؛ على سبيل الذكر لا الحصر.

فهذه المؤلفات وغيرها كثير ، تنقل لنا صورة حية لمختلف طبقات المجتمع آن ذاك؛ من وزراء وولاة، وقضاة وفقهاء، وكتّاب وغيرهم، ممن يُصنَّفون ضمن الطبقة الحاكمة، كما تنقل لنا أيضا صورة معبرة عن الفئات الشعبية الدنيا المختلفة؛ كالمؤذنين والمعلمين والفقراء والمجانين والبخلاء والمتماجنين والمتطقلين والصعاليك والمهمشين. و في كل هذا كانت أداتهم التصويرية أو-كاميراتهم بلغة العصر- هي النكتة والفكاهة والنادرة والسخرية الناقدة تراوحت أغراضهم في ذلك بين الأغراض التربوية والتعليمية والأخلاقية والسلوكية وغيرها كثير، فهي أغراض لا تختلف في عموميتها عن الأغراض التي تُوظف فيها الفكاهة في عصرنا الراهن بمفهومها العلمي الشامل. من هنا

(1) - مجموعة مؤلفين: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال النشر والتوزيع، ط2، ص 398.

ندرك أن الفكاهة كانت موضوع اهتمام بالغ من الآباء والأجداد؛ علماء وفقهاء وفلاسفة وأطباء ومعلمين وغيرهم ممن خبروا خبايا النفوس وأسرارها ، فنذروا أنفسهم للعمل على التخفيف من وطء الهموم والمعاناة النفسية في مجتمعاتهم. بالقدر والإمكانات التي كانت متاحة لهم آن ذاك.

3-4-3-3- النكتة عند غير العرب :

تناولت المعاجم الغربية خاصة، النكتة من جوانب مختلفة ، أهمها الجانب النفسي. فعدت ظاهرة نفسية غرضها المزاح والترويح عن النفس ، عن طريق إثارة الضحك؛ مما زادها إبهاما وتعقيدا لذاتيتها أولا، ولاعتمادها على الخطاب الفكاهي الذي لا يمكن حصره؛ لتباينه الشديد من قائل إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى ، بكل متغيراتها الثقافية والجغرافية. وتزداد الأمور تعقيدا عندما نلاحظ الفروقات الهائلة في استجابات المتلقين لنفس الخطاب الفكاهي. وهذا ما يُؤشر إلى شدة صعوبة تحديد مفهوم دقيق للنكتة، في إثارتها للضحك والترويح عن النفس. وهذا ما حدا بالبعض إلى القول: " إن اليأس قد استولى على قدرتنا في تحديد مفهوم شامل للنكتة أو الفكاهة، وعموما نعتقد أن التخلي عن ذلك قرار حس، فيبدو أحيانا تعريف النكتة غير ثابت من بلد إلى آخر ومن زمن إلى آخر، كما يبدو أحيانا تعريفا دقيقا، يصعب علينا حصره" ⁽¹⁾ ومرد ذلك يعود أساسا في بعض جوانبه إلى أنواع (مصادر) الضحك نفسه؛ فهي مثيرة للغرابة والضحك أيضا فهناك: " ضحك السرور والرضا، وهناك ضحك السخرية والازدراء، وهناك ضحك المزاح والطرب، وهناك ضحك العجب والإعجاب وهناك ضحك العطف والمودة، وهناك ضحك الشماتة والعداوة، وهناك ضحك المفاجأة والدهشة، وهناك ضحك المقرور وضحك المشنوج، وضحك السذاجة وضحك البلاهة." ⁽²⁾ بالإضافة إلى الضحك المحفز عبر الدغدغة أو الوخز في أماكن معينة من الجسم البشري، وهذا التعدد يتوافق أيضا مع تعدد مسميات النكتة، أو بعبارة أدق ؛ الألفاظ

(1) - EMELINA Jean, la comique, Essai d'interprétation général, Paris, Edition Sédés, 1996, p 125

(2) - عباس محمود العقاد: جحا الضاحك المضحك ، الناشر مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، ص 9، عبر موقعها الإلكتروني وهو <http://www.hindawi.org>

المقاربة لها في اللغة وهي: الحكاية المرحة، وهي النادرة، وهي الحكاية الهزلية، وهي الفكاهة، والمزحة والطرفة، والهزل والدعابة، والمزاح، وفكاهة المجالس...، فكل هذه الألفاظ وأخرى غيرها، تحيل السامع، بشكل أو بآخر إلى أجواء الضحك، والبهجة، والانشرح النفسي. بفضل ما تتميز به من خواص ومميزات.

3-4-3-3-4- مميزات و خواص النكتة :

تتماز النكتة، كشكل من أشكال التعبير الشعبي، عن غيرها من الأشكال الأخرى؛ بخواص تتطابق مع فلسفتها، وغاياتها المنشودة من وراء الإضحك وحالة الانبساط المرافقة لها : "فمن حيث المستوى الداخلي النصي تكون بنيتها اللغوية قائمة أساسا على التلاعب اللفظي؛ بهدف خلق معنى مزدوج، أو لفظ يحتمل معنيين، أحدهما يكون ظاهريا غير مثير للضحك في الاستعمال العادي له، ومعنى مبطن، ذو دلالات هو سبب الضحك عند إدراك فحواه"⁽¹⁾ وهذا الجزء لا يخلو من المميزات الفنية والجمالية التي تمتاز بها أشكال التعبير الشعبي الأخرى. إلا أن النكتة تنفرد بمميزات خارجية أخرى، لا بد منها حتى يتحقق مقصدها من الإمتاع و التوعية بموضوعها. وهذا يتوقف أساسا على قائل النكتة نفسه؛ الذي لا بد له من مواصفات يختلف بها عن عامة الناس؛ من عبقرية وذكاء و فطنة ووعي وخفة الروح، وفي الغالب حيازته على بعض الأسرار العامة الفردية. كل هذا وآخر غيره، يضمن تجاوب وضحك الطرف المستهدف وهو المتلقي، وبه يتحقق المرغوب.

ومما تختلف به النكتة عن أخواتها؛ إمكانية تحديد الإطار الزمني والمكاني لها، للارتباط العضوي والنفسي والاجتماعي والثقافي لمبدعها بمجتمعه أو جماعته، وانصهاره فيها تماما. وبهذا تكون شديدة المحلية، مُكرّسة لنموذج خاص، ومتفرد للتسلية والضحك داخل بنية ثقافية واجتماعية ما. فما يُسلي ويُضحك هنا، ليس بالضرورة أنه يحقق النتيجة نفسها هناك. وهذا ما يجب على العوامة أن تعيه جيدا ؟

(1) - سعدي محمد : الأدب الشعبي بين النظرية و التطبيق، مرجع سابق، ص82

بقيت الإشارة في الأخير إلى أن للنكتة أنواع عدة منها النكتة السياسية، والنكتة الاجتماعية، والنكتة الدينية والنكتة الجنسية، والنكتة الأدبية، والنكتة اللغز، والنكتة العنصرية... إلى غير ذلك من صور المجتمع الهزلية المضحكة التي تتعقبها وترصدها كاميرات النكتة ومشتقاتها. وبها تبقى هذه النكتة شائعة في أحاديث وقصص وأمثال الناس؛ موجودة في كل آداب البشر مثلها، مثل الأمثال والحكم والقصص والأساطير، ولا يخلو تراث بشري من أدب ضاحك.

3-4-3-4- الأمثال الشعبية:

يحظى المثل الشعبي منذ القدم بالعناية والاهتمام، باعتباره الوعاء الذي يحوي بداخله تجارب وأفكار وقيم ومعتقدات وتقاليد المجتمع. وبهذه الخاصية أمكن للمثل تصوير بيئته الاجتماعية بدقة وأمانة. ناقلا معه أفكار الناس وتجاربهم في الحياة، فكانت من أفضل المحطات التي تُستقى منها العبر والعظات. ولا أدل على أهمية المثل وعلو مكانته؛ من ورودها في كثير من آي القرآن الكريم كقوله عز وجل: ﴿لَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾⁽¹⁾ وقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ﴾⁽²⁾ وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾⁽³⁾ وقوله جل جلاله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ

(1) - سورة الإسراء، الآية 89.

(2) - سورة الحج، الآية 73.

(3) - سورة البقرة، الآية 26.

لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"⁽¹⁾. ولم تغفل السنة النبوية الكريمة التنبيه إلى أهمية الأمثال من أنها أحد أوجه الخمسة للقرآن الكريم. فقد اخرج البيهقي عن أبي هريرة أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قال: "القرآن نزل على خمسة أوجه حلال وحرام، ومحكم ومتشابه، وأمثال، فاعملوا بالحلال واجتنبوا الحرام، واتبعوا المحكم وآمنوا بالمتشابه، واعتبروا بالأمثال"⁽²⁾ فيكفيها شرف الذكر في القرآن العظيم والسنة الطاهرة؛ فخرا وقدسيتها ودعوة للاعتبار بها. وعلى قدر هذا الشرف وهذه القدسية؛ حازت على القدر نفسه من الاهتمام والتدوين والدراسة والشرح والتصنيف عند الكتاب والأدباء العرب، والقدامى منهم تحديدا: "فقد بلغ اهتمام العرب بأمثالهم، حيث أننا لا نكاد نجد أحدا من مشاهير الكتاب والمصنفين في اللغة والأدب، إلا وبين مؤلفاته كتاب في الأمثال."⁽³⁾ ويُعتبر كتاب - أمثال العرب - للمفضل بن يعلى الضبي المتوفى سنة 170هـ، 786م من أولى الكتب في هذا المجال حيث قيل فيه: "تُعد أمثال الضبي أقدم مجموعة لدينا من الأمثال، وهي لذلك أقدم صورة لدينا من المثل الجاهلي المقترن بالحكاية، ومن ثم كانت قيمة هذا الكتاب كبيرة، لأنه أصبح مصدرا لأكثر الكتب التي أُلُفت بعده في هذا الموضوع."⁽⁴⁾ وقد حاز على جانب أكبر من الدراسة والتحليل لباحثين عرب وأجانب؛ خاصة المستشرقين منهم. يقول -رودولف زلهايم-: "ذلك الكتاب الذي يفيض بالقصص التعليمية للأمثال، وينقص كتاب - المفضل - الأسلوب العلمي، إذ يظهر فيه روح الأديب الذي يهتم بالقصص المسلية، ففيه أحسن الأقايصم والخرافات والأساطير، التي تنتهي بعبارة مأثورة لأحد أبطالها، وهم في العادة من زعماء القبائل والعشائر وشيوخها وشعرائها والحكام والحمقى، وتلمس بعض القصص، أخبار أيام العرب."⁽⁵⁾ وهذا دليل على المكانة الرفيعة التي تتبوؤها الأمثال عند جميع الشعوب من دون استثناء .

(1) - سورة الصف، الآية 21.

(2) - صابر حسن أبو سليمان: غاية البيان في أمثال القرآن، دار عالم الكتب، الرياض المملكة العربية السعودية، ط 1، 2001م، ص 6.

(3) - حلمي بدير: أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط 1، 2003م، ص 30.

(4) - الضبي: أمثال العرب، دار رائد العربي، تحقيق إحسان عباس، بيروت، لبنان، ط 2، 1983م، ص 5.

(5) - زلهايم رودولف: الامثال العربية القديمة، ترجمة رمضان عبد التواب، مؤسسة الرسالة، القاهرة، مصر، ط 2، 1984م، ص 52.

3-4-3-4-1- التعريف بالمثل: تورّد المعاجم العربية⁽¹⁾ جملة من معاني المثل يمكن اختصارها بما ورد في

كتاب- أساس البلاغة - إذ يقول صاحبه: "مثل: لي مثله و مثله و مثيله و مُمَاثَلَة، و مَثَل و مَثَل به مُثَلَة، ولا تمثلوا بنامية الله: وهو أن يقطع بعض أعضائه، أو يُسَوِّد وجهه، وحلت به المِثْلَة: العقوبة والمثالثات، ومثّل قائماً: انتصب، مثولاً ورأيته ماثلاً بين يديه، وتمائل من مرضه، ومثله به: شبّهه، ومثّل به: تشبّه به، ومثّل الشيء بالشيء: سَوَّى به، وقُدِّر تقديره... وحذاه على المثل وعلى الأمثلة والمثّل مَثَل مثلاً، ومثّلته: إعتمله، ومثّل التماثيل و مثّلها: صَوَّرها ... ونام على المثل: هو الفراش... وامتثلت الأمر: احتذيتّه، امتثل منه: اقتص وأمثله منه القاضي: أقصّه: وأخذ المثل: القصاص... ويقول أنا اليوم أمثل."⁽²⁾.

نلاحظ أن هذا النص قد أتى على معظم معاني لفظة-مثل-الواردة في معظم المعاجم العربية، ويمكن إجمالها مع ما تبقى من معانيها في ما يلي: الشبه والنظير، التسوية، والمماثلة، الحديث (القول)، الخبر، الصفة، الحذو الحجة والند، العبرة، الآية، القالب، المقدار، الانتصاب، التصوير، نصب الهدف، الالتصاق بالأرض، الذهاب، التنكيل، العقوبة، النمط، الفراش، الحجر، المنقور (المنحوت)، الوصف والإبانة. و مع مراعاة السياق التي ترد فيه هذه المفردات، يمكنها أن تحلف وتعوض لفظة- مثل -

وأما في الاصطلاح فللمثل عادة يفلت من الحصر في تعريف جامع، متبعا في ذلك آراء من أدلوا بأقوالهم فيه. وهي أقوال وآراء متعددة منها قولهم: "...ومن عجائبها، أنها مع إيجازها تعمل عمل الإطناب ولها روعة إذا برزت في أثناء الخطاب."⁽³⁾ هذا من الناحية البلاغية والجمالية لكن: " المثل فوق كونه خلاصة لتجارب إنسانية

(1) - يُنظر: مختار الصحاح، للرازي، ص 407 / لسان العرب، ابن منظور، ج14، ط 3، 1994م، ص 17 / القاموس المحيط، الفيروز آبادي، 1999م / مقاييس اللغة، احمد بن فارس، 1999م، وكلها في مادة (م ث ل).

(2) - الزمخشري: أساس البلاغة، حققه و قدم له و وضع فهرسه، د/ مزيد نعيم، و د/ شوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 1998م، ص 193.

(3) - أبو هلال العسكري: جمهرة الأمثال، ضبطه، احمد عبد السلام، وخرج أحاديثه، محمد سعيد زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج1، د ط، 1988م، ص 10.

طويلة، وفوق جماله اللفظي وبلاغته، فهو صورة مباشرة لأحوال المجتمع المتداول فيه⁽¹⁾ أي انه تصوير للبيئة التي أنتجتها بكل أبعادها فكان: "المثل هو الصورة الصادقة لحال الشعوب والأمم؛ ففيه خلاصة الخبرات العميقة التي تمرست بها عبر السنوات الطويلة من حضارتها وهو الخلاصة المركزة لمعاناتها وشقائها وسعادتها وغضبها ورضاها نجد في طياته مختلف التغيرات التي تمثل حياة مجتمعها وتصورات أفرادها، بأساليب متنوعة وطرق متعددة كالسخرية اللاذعة والحكمة الرادعة.": والحقيقة أن تعريف المثل ليس أمرا يسيرا، فمن الصعب تعريفه، تعريفا شاملا جامعا مانعا؛ ذلك أنه يشترك مع غيره من أنماط التعبير الشعبية الفنية في بعض خصائصه، إن قريبا أو بعدا. ⁽²⁾ وربما يعود السبب حسب قول - احمد أبو زيد وآخرون - : "وربما كانت المشكلة الرئيسية في الدراسات الإنسانية عامة والفنية منها خاصة هي مشكلة التعريفات الدقيقة المحددة، وتبرز هذه المشكلة بشكل واضح في مجال المأثورات الشعبية عند دراستها، ذلك أن المادة رغم خضوعها لتقاليد فنية راسخة ومستقرة، إلا أن تعدد الصور والأشكال والأطر، يجعل من الصعب أن يكون هناك فصل في هذا الشأن" ⁽³⁾ وربما تبقى مشكلة تعريف المثل على حالها مادام المثل باقيا على حاله أيضا لكن هذا: "لا يضير البحث العلمي في شيء ما دامت الجهود متواصلة في طريق التأسيس والدقة و الشمول"⁽⁴⁾ فإذا كان أمر تعريف المثل بهذا القدر من الاختلاف؛ فكيف تكون خصائصه؟

3-4-3-2- خصائص المثل ومميزاته:

3-4-3-1- الإيجاز: يقول ابن المعتز: "أبلغ الكلام ما حسن إيجازه، وقلّ مجازة"⁽⁵⁾ وهو من الصفات الطيوة في الأمثال، ومن أخص خصائصها، فنص المثل كلمات قليلة يسيرة، لكنها مشحونة بالكثير من المعاني

(1) - بن هدوفة عبد الحميد: أمثال جزائرية، أمثال متداولة في قرية الحمراء، ولاية برج بوعرييج، الجزائر، ددن، 1992 م، ص 13.

(2) - احمد بن نعمان: سمات الشخصية الجزائرية، من منظور الأنثروبولوجيا النفسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1988م، ص 336.

(3) - احمد ابو زيد وآخرون: دراسات في الفولكلور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د ط، 1972م، ص 311.

(4) - احمد بن نعمان: سمات الشخصية الجزائرية، من منظور الأنثروبولوجيا النفسية، مرجع سابق، ص 337.

(5) - السيد احمد الهاشمي: جواهر البلاغة، دار الفكر، بيروت، لبنان، د ط، 1994 م، ص 33.

محتوية على كم هائل من التفصيلات، والأحداث التاريخية، ذات الوقائع المتعددة، وبها تمتاز على ما عداها من فنون الأدب الأخر؛ أي أنها تتضمن معاني كثيرة، في ألفاظ أقل منها، وافية بالعرض، مع الإبانة والإفصاح.

3-4-3-2-2-4-3-4-3-2-2-4-3-4-3 إصابة المعنى: "الأمثال صائبة المعنى في ذاتها"⁽¹⁾ لما كانت الأمثال نتيجة لتأمل الحياة وأحداثها، أو نتيجة للتجارب التي تتمحض عن خبرات ومعارف صحيحة؛ فهي تتسم بالصدق والواقعية، الأمر الذي جعلها تلقى القبول والاستحسان لدى الناس، فتداولوها وطعموا خطبهم بها، مستشهدين على حالهم بحال ولادتها ونشأتها، مستسلمين لدلالاتها المباشرة على المعنى المراد، دون زيادة أو نقصان رغم الكلام القليل الذي يتميز به نص المثل؛ لأن إصابة المعنى هي المقصد من كل مثل من كل كلام، على وجه التعميم، ولتحقيق ذلك يجب: "أن يكون لفظك رشيقا، عذبا، فخما، سهلا، ويكون معنك ظاهرا مكشوفاً وقريبا معروفا"⁽²⁾ فإن فعلت تكون قد أصبت المعنى.

3-4-3-2-4-3-4-3-2-2-4-3-4-3-2-2-4-3-4-3 الذبوع والسيرورة: تتفاوت الأمثال في درجة الشيوخ والانتشار لأسباب كثير ومختلفة؛ لأن المثل قول يرد أولا على لسان شخص ما ولسبب ما أيضا، ثم يتعداه إلى أشباهه، عندما تتلقفه العامة وتستعمله على وجه تشبيها بالمورد الأول فيدخل بذلك دائرة الشيوخ والانتشار فيكون بذلك صورة الشعب ولسانه الذي يترجم عن نفسيته، ويفصح عن حياته.

3-4-3-2-4-3-4-3-2-2-4-3-4-3-2-2-4-3-4-3 جودة الكناية وحسن التشبيه: يقو ابن منظور: "والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره"⁽³⁾ ولذلك يُعتبر أسلوب المثل من أساليب الكناية والتعريض؛ لأن الأمثال لا يصرح فيها بالمعاني المطلوبة، وإنما يعوّض عنها بعبارات وألفاظ تفيد معاني أخرى، وهي مواردها وأصولها، من حيث أن الممثل به، لا يصرح بالمعنى الذي يريد، وهو مضرب المثل، وإنما يخفي هذا المعنى ويعبر عنه بألفاظ أخرى، هي ألفاظ المثل، فتكتسب المعنى المراد

(1)- حلمي بدير: أثر الأدب الشعبي في الأدب الحديث، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، دط، 2002، ص 32.

(2)- السيد احمد الهاشمي: جواهر البلاغة، مرجع سابق، ص 33.

(3)- ابن منظور: مصدر سابق، ص 114.

من الأمثال بهذه الكناية وضوحا وسطوعا. وأما التشبيه فهو: "صورة تقوم على تمثيل شيء حسي أو مجرد بشيء آخر حسي، أو مجرد أيضا، وذلك لاشتراكهما في صفة حسية، كانت أم مجردة، واحدة أو أكثر، بأداة من أدوات التشبيه"⁽¹⁾ والملاحظ أن المثل يعتمد بكل صورته على التشبيه، وفي كل هذه الصور، يتضمن المثل مضربه ومورده لأن التشبيه يزيد المعنى وضوحا، ويكسبه تأكيدا.

3-4-3-4-2-5- الأمثال لا تتغير: تلزم الأمثال حالة واحدة، وهي الحالة التي جرت عليها أولا، فهي لا تتغير، مهما اختلفت الأحوال التي تضرب فيها بعد ذلك كما يقول السيوطي: "الأمثال لا تتغير بل تجري كما جاءت"⁽²⁾ وقد علل الزمخشري عدم التغيير هذا بقوله: "ولم يضربوا مثلا، ولا رأوه أهلا للتسيير، ولا جديرا بالتداول والقبول، إلا قولاً فيه غرابة من بعض الوجوه، ومن ثم حُوِّفَظَ عليه وحُمي من التغيير"⁽³⁾ إذا فعدم تغير المثل حسب هذا القول، يرجع إلى نفاسته وغرابته بالدرجة الأولى.

3-4-3-4-2-6- خروج الأمثال عن القياس وتعدد رواياتها: في غالب الأحيان لا يمكن معرفة قائل المثل وهذا ربما يُبيح لنا القول: بلنَّ الأمثال قد تصدر أحيانا عن فئات لا تتحكم ولا تعلم أمر اللغة تماما، ولا تعرف من قواعدها شيئا، فتكون بذلك لا محالة عُرضة للوقوع في اللحن. ولكن رغم كل هذا، يسير المثل بين مختلف طبقات المجتمع، وينتشر دون تغيير، أو إصلاح حتى.

وأما تعدد الروايات - فهما- يكون ناتجا عن أمية الناقل وعدم استعماله الكتابة، والاعتماد على السمع والحفظ فقط؛ وما لهذه الوسيلة من محاذير. إضافة إلى كثرة التداول والتكيف؛ بهدف موافقة اللهجة المنقول إليها كما أن الرواية بالمعنى، تؤدي حتما إلى هذا التعدد؛ عندما توضع أو تستبدل لفظة بأخرى في النص الأصلي

(1)- محمد أحمد قاسم، محي الدين ديب: علوم البلاغة (البدیع والبيان والمعاني)، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط1، 2003 م ص145.

(2)- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمان: المزهرة في علوم اللغة، وأنواعها، تحقيق، جاد المولى، محمد أبي الفضل إبراهيم، محمد البيجاوي، دار التراث القاهرة، مصر، د ط، دت، ج 1، ص 486.

(3)- الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دط، 1977 م، ج1، ص08.

للمثل، زيادة عن عمليات التحريف والتبديل التي يتعرض لها نص المثل عمداً، لأسباب ذاتية محضة، يصعب حصرها.

3-4-3-2-7- قدرة المثل الشعبي على صياغة السلوك الإنساني : للمثل الشعبي قدرة هائلة على

تصوير، وصياغة السلوك الإنساني، بكل ما له وما عليه، وذلك ضمن جملة قصيرة، لا تتعدى كلماتها أصابع اليد الواحدة، مثل قولهم: "الدَّاب رَاكِب مَوْلَاه" فهي جملة بسيطة لكنها تحمل في طياتها الكثير والكثير من الصور المعبرة عن الظواهر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها من الظواهر التي يكون المجتمع مسرحاً لها. فالمثل السابق يُحيلنا إلى أن الأمور على غير ما يرام تماماً، وأن المثل الشعبي غير راض عما هو جارٍ في مجتمعه، من سلوكيات بني جلدته التي أضحت مقلوبة رأساً على عقب. وبهذا يظفر المثل أيضاً على ميزة الصدق في التعبير سواء تعلق الأمر بالفرد أو الجماعة، من دون خوف ولا وجل، أو أكثر من لحاكم أو محكوم؛ لأنه ينقل الصورة كما هي في الواقع، فيصيب بها الفكرة في الصميم، تاركاً بعد ذلك المتلقي وجهاً لوجه، أمام معتقداته وعاداته وتقاليده لرفض الفكرة أو قبولها.

3-4-3-4-3- نشأة المثل:

تُعتبر: "أمثال كل أمة من الأمم، نابعة من بيئتها الاجتماعية والجغرافية، ومن محيطها الفكري، والديني مستمدة من واقع تجاربها في الحياة اليومية، ومن أحداث وقعت لأفرادها وجماعاتها في تاريخها المديد، وخلّفت أبعاد الأثر وأبقاه في نفوسهم وعقولهم"⁽¹⁾ وهذا من بين الأسباب التي تجعل من المثل الشعبي، أكثر الفنون القولية انتشاراً وذيوعاً في المجتمعات البشرية، دون سواه من الفنون القولية الأخرى ذات الصلة، بتغطيته وتغلغله في دوايب الحياة العامة والخاصة في أدق جزئياتها. فلامس بذلك أحوال واهتمامات كل الفئات الاجتماعية فتداولت عليه الألسنة ورددته فضمن السيرورة مع الأجيال المتعاقبة عبر الأزمنة والعصور: " فوصلت إلينا مختومة

(1)- كمال خلالي: معجم كنوز الأمثال الحكيم العربية النثرية الشعرية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 1998م، المقدمة، ص 1 (المقدمة)

بخاتم تلك الأجيال أو محفوظة بهالة من الغموض، و قد تبدو وقحة أحيانا إلا أنها دائما غضة تُشَمُّ فيها رائحة منشئها"⁽¹⁾ إلا أن تحديد هذا المنشأ، ما فتى يشغل بال العلماء والباحثين في هذا الحقل، لكثرة الصعوبات التي تعترض طريق بحثهم ومن أهمها: "أن الأمثال لا يُعرف قائلها حتى نستطيع أن نعرف من أي وسط نبعت، هل قالها ريفي أو حضري، وهل قالها سوقي أو أرستقراطي؟.. فقد تقوله عجوز في بيتها أو فلاح في حقلها، أو صانع في مصنعه ثم يسير القول في الناس من غير اهتمام بقائله"⁽²⁾ إن عدم الاهتمام بقائل المثل دفع بالبعض إلى التساؤل عن حقيقة ملكيته، هل هي لفرد بعينه أم تعود للشعب بأكمله؟ في هذه النقطة تحديدا شدد "زايلر" بالدعوة إلى: "وجوب احترام فكرة الفردية في خلق المثل الشعبي، معارضا في ذلك كل المعارضة الفكرة السائدة التي افترضت مساهمة الشعب، بوصفه وحدة في خلق نتاجه الأدبي"⁽³⁾ مستندا في ذلك إلى مقولة: "الإبداع ابن الفردية" ليدخل بذلك في باب جديد من الجدل والنقاش، الذي لا نرى له نهاية؛ أو لا يمكن رؤيتها أصلا؛ لأننا ببساطة لا يمكن تحديد قائل كل هذا الكم الهائل من أمثال الأمم والشعوب، على اختلاف مستوياتها وبيئاتها وعصورها. إضافة إلى خروج بعض الأمثال من بيئتها الأصلية، بطرق متعددة ومتشعبة إلى بيئات أخرى بعيدة تتمتع بمواصفات شديدة الخصوصية، متشابكة و متداخلة في ذلك مع الأمثال المحلية الأخرى، مما يزيد عملية تحديد قائلها، أمرا بعيد المنال، إن لم يكن ضربا من المستحيل، على الأقل في الوقت الراهن وبالتالي فإننا: "لا نستطيع أن نرد كل مثل إلى قائله أو واضعه؛ لأن التاريخ لم يحتفظ بأسماء الذين أرسلوا هذه الأقوال التي أصبحت فيما بعد أمثالا يستثنى عدد قليل، منها الأمثال الأدبية التي لا نعرف قائلها"⁽⁴⁾ و مما سبق يمكن القول: أن تحديد تاريخ و نشأة المثل لا يمكن أن يجزم به أحد، وحتى القائلين بأن نشوءه قد ترافق مع ذبوع الكتابة، يدحضه وجود

(1)- قادة بوتارن: الأمثال الشعبية الجزائرية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1987م، ص4.

(2)- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مرجع سابق، ص148.

(3)- نبيلة إبراهيم: مرجع سابق، ص140.

(4)- نبيلة إبراهيم: نفسه، ص140.

الأمثال: " عند الشعوب التي لا تعرف الكتابة، وهي أمثال تخصُّها في كل شيء، ولم تفكر حتى في تدوينها " (1) ويقى الفضول الذي جُبل عليه الإنسان هو الأمل في تدليل هذه المعضلة.

3-4-3-4-4- وظائف المثل:

3-4-3-4-4-1- الوظيفة الأخلاقية: تحقّي مدونات الأمثل على مجموعة معتبرة من الأمثل التي تبدأ

بصيغة الأمر. ومعظم هذه الأمثال تكون لها وظيفة أخلاقية؛ تحمل في جوهرها النهي عن كل أنواع الفساد، والأمر بكل ما من شأنه أن يحقق لهذا الفرد الحياة الكريمة؛ فالأمثال تُعدُّ من الوسائل الفعالة، القادرة على توجيه الأفراد وفق مسار القيم الأخلاقية السائدة داخل المجتمع؛ باعتبار الأمثال الشعبية تمثل الضمير الحي للأمة في أرقى صوره ذلك بتمييزها بين الخطأ والصواب، الخبيث والطيب الحق والباطل. فهي تعرّف الأفراد بالقواعد السلوكية المستحبة التي يجب إتباعها، وبالنواهي والمنكرات التي يجب الابتعاد عنها؛ حتى يضمن بقاء السلوك العام للأفراد ضمن قواعد الآداب العامة: " المثل الشعبي سلاح قوي، تشهره العامة في مواجهة الشذوذ والانحرافات الاجتماعية أيًا كانت، أو أنه سباج من القيم، يضربه المجتمع من حوله، ليحمي نفسه وعاداته وتقاليده وشخصيته المتميزة" (2) التي تبرز من خلالها الهوية الوطنية؛ هذه الأخيرة التي تتطلب منظومة تربية أصيلة واعية، تستثمر في تراثنا الأصيل بما تملّيه متطلبات العصر؛ ليكون بذلك من العناصر الدافعة وليس من العناصر المعرّقة للتقدم والازدهار.

3-4-3-4-4-2- الوظيفة التربوية التعليمية: نظرا لالتصاق المثل بالحياة الاجتماعية والعملية للفرد، فهو

يتضمن بالتأكيد تجربة في هذا المجال أو ذاك؛ لأنه يرافق الشخص عبر مشواره الحرفي والمهني، ليتعلم طرق وسبل العيش؛ فالمثل إذن بمثابة المدرسة التي يتعلم من خلالها الفرد سُبل ووسائل الاستزاق السليمة، والسلوك القويم الذي يجب أن يسلكه في حياته؛ بتحديد العلاقة التي تربطه مع الآخرين أولاً، ومع أولياء الأمور ثانياً، من دون أن تحمل العلاقة بينهم وبين خالقهم؛ فكانت بمثابة نوع من التشريع الذي يضبط هذه العلاقات: " ولئن كانت

(1)- رابح لعوي: المثل واللغز العاميان، دون دار النشر، عنابة، الجزائر، ط 1، 2005م، ص7.

(2)- أحمد بن نعمان: سمات الشخصية الجزائرية من منظور الأنثروبولوجيا النفسية، مرجع سابق، ص345.

التشريعات القانونية اتخذت مصدرا رسميا لتنظيم العلاقات الإنسانية، فان الأمثال بدورها قد اتخذت مصدرا لتشريع العادات الشعبية، وتشكيلها حسب الاحتياجات الاجتماعية⁽¹⁾ فهي تهدف إلى تهذيب النفس من جهة وتعليم الفرد من جهة أخرى: "فالأمثال تراث يحتوي على ما لو أمكن تصويره، شعرا أو نثرا، تمثيلا أو قصصا لكان من خير الأدوات للضبط الاجتماعي، الذي لا بد منه لتنشئة الأفراد منذ طفولتهم، تنشئة اجتماعية سليمة"⁽²⁾ لأنها تغرس العادات والتقاليد المعتمدة في أفراد الأمة وتحفظ خصوصياتها.

3-4-4-3-4-3- الوظيفية الاتصالية: من أهداف فنون التعبير الأدبي عموما، والأمثال منها على وجه

الخصوص؛ الاتصال والتواصل بين الأمم والشعوب؛ فعند انتقالها عبر الأجيال البشرية المتعاقبة، تحمل معها جانبا مهما من الإبداع الفني والجمالي وحتى الترفيهي، زيادة عن الجانب العملي، من تجارب الحياة حُلُوها ومرها. فقد نجد أمثال أمم، تتشابه مع أمثال، أمم وشعوب، مختلفة معها في العادات والتقاليد، ومتباعدة عنها في البيئة الجغرافية؛ ومردُّ ذلك إلى متطلبات الحياة البشرية وخاصة المادية منها؛ فهي تتوافق في كثير من الاهتمامات والطموحات، رغم بُعد المسافات واختلاف العادات.

3-4-4-4-3-4-3- الوظيفية الترفيهية: إن التعدد والتنوع في م واضرغ الأمثال الشعبية؛ يُؤهلها لتغطية معظم

مناحي الحياة اليومية؛ مما قد يخطر على البال، أو حتى مما قد لا يخطر أيضا، فهي ترافق سلوك الفرد ونفسيته، من أقصاها إلى أدناها، ضمن سلم دراسة نفسية الإنسان. فالمثل الشعبي بوصفه للحياة الاجتماعية اليومية والعملية للفرد، قد سبر كُنْهها وأفرَد لها نصيبها: " فكثير جدا من الأمثال، لا يشتمل على سلوك أو توجيه أو حكمة وإنما يضطلع بوظيفة أدبية أو بلاغية تقصد إلى أغراض فنية تمتع الحس وترضي النفس؛ بما تشتمل عليه من تشبيه

(1)- شعلان إبراهيم احمد: الشعب المصري من أمثاله العامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د ط، 1972م، ص 47.

(2)- الساعاتي حسن: حكمة لبنان، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، 1980م، ص 26.

دقيق، أو مفارقة مضحكة، أو فن من القول طريف"⁽¹⁾ وذلك بالتقاطها لصور هزلية من الحياة اليومية، صيغت في قالب جمالي بغرض التسلية والترفيه والضحك، ولكن مع احتفاظها بلبعد الأخلاقي.

3-4-3-4-5-الوظيفة الفنية: المثل الشعبي وحيز العبارة، بسيط التعبير، قادم بأصالته من عمق الشعب؛ ألا أنه يجوز على مميزات و خواص فنية، أهله لأن يحتل المراتب الأولى، من الذبوع والانتشار، بين أفراد المجتمع، فغدا بذلك من الفنون الأدبية التي تبوأ المكانة المرموقة، بين فنون القول في الأدب الشعبي. تقول "نبيلة إبراهيم" بهذا الخصوص: "إن الطابع غير التعليمي في المثل يرتفع به إلى مستوى أدبي فني، لم يكن ليصل إليه لو أنه كان يهدف إلى غرض تعليمي صريح"⁽²⁾ إذا فكلما تخلص المثل من الأغراض التعليمية وابتعد عنها ، يستحيل إلى قطعة نثرية فنية، تستحق الاهتمام والدرس خارج الإطار التعليمي.

3-4-3-5- الأغنية الشعبية :

الأغنية الشعبية من الأشكال التعبيرية الشعبية، التي تتوارثها الأمة جيلا عن جيل؛ على غرار المثل الشعبي والنكتة واللغز، وغيره. من أشكال التعبير الشعبية الأخرى. تعكس جوانب كثيرة من عادات وتقاليده، ومعتقدات وقيم وأخلاق بيئتها الأصلية، عند ولادتها الأولى. قبل أن يعترها التبدل والتحوير والتحريف ، في سيرورتها عبر الزمن بفعل جملة من الأسباب؛ على غرار النسيان، وعدم فهم أو التباس كلماتها، أو أثناء عملية خضوعها للتكييف مع اللهجة، أو البيئة الجديدة المنقولة إليها... الخ .

إلا أن اللافت في الأغنية الشعبية مقارنة بشقيقتها؛ أنها ذات تأثير مزدوج على المتلقي؛ بفضل كلماتها

المدعمة بالحن والموسيقى، وهو ما تفتقر إليه الأشكال التعبيرية الشعبية الأخرى.

(1)- عبد العزيز الأهواني: علم الفولكلور، ترجمة احمد رشدي صالح، دار القلم، القاهرة، مصر، دط ، 1961م ، ص243 .

(2)- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مرجع سابق، ص143.

فكان الأجدد على الدارس أو الباحث في هذا اللون من التعبير الشعبي، ألا يغفل أو يهمل ملاحظات وأراء ذوي الاختصاص في مجال اللحن والموسيقى عموماً، والموسيقى الشعبية منها على وجه التحديد، فهي لا تقل تأثيراً وتشعباً، بوصلاتها وطبوعها، عن الجانب الذي يخصُّ الكلمة، وما يتفرع عنها من تخصصات لغوية وأدبية واجتماعية وغيرها. من هنا يتبين لنا جلياً أن البحث في الأغنية الشعبية ليس بالأمر الهين ولا بالبسيط؛ لأن معالجتها أو التعريف بها والوقوف على تأثيراتها، يحتاج إلى تخصصات متعددة ومجهودات معتبرة، حتى يتسنى الوصول إلى كُنْهها وتحليلها وحولتها، باعتبارها احد أهم أركان الثقافة المحلية فهي: "مرآة صافية، ينعكس عليها واقع المجتمع حيث تصوره تصويراً دقيقاً دون مبالغة أو مغالاة، بل إنها ترفض أي عنصر يتصف بالمبالغة في تصوير هذا الواقع"⁽¹⁾ فكانت بذلك مصدراً أساسياً في الدراسات الشعبية؛ لما تحمله من وجدان وفكر المجتمع.

ونود الإشارة إلى أن هذه الدراسة لا يمكنها الخوض في الجانب الموسيقي للأغنية الشعبية؛ لأنها خارج دائرة اختصاصها، وستستبعد الدراسة معالجة الجانب الموسيقي للأغنية عموماً، والتي منها الأغنية الشعبية؛ لاعتبارها خارج نطاق تخصصها.

3-4-3-1- تعريف الأغنية الشعبية:

لقد حاول جمع من العلماء والباحثين في التراث الشعبي، بلورت تعريف شامل للأغنية الشعبية. غير أن هذه الجهود -حسب معلوماتنا - لم تُفلح في التوصل إلى صياغة تعريف دقيق؛ يشمل كل مقومات ومجالات الأغنية الشعبية، واقتصرت تعريفاتهم على جانب أو بعض الجوانب منها فقط.

فهذا "الكسندر هجري كراب" يقول بأنها: "قصيدة شعرية ملحنة مجهولة المؤلف، كانت تشيع بين الأميين في الأزمنة الماضية، ولبثت تجري في الاستعمال لفترة ملحوظة من الزمن، هي فترة قرون متوالية في العادة"⁽²⁾ ففي

(1)- مجدي محمد شمس الدين: الأغنية الشعبية بين الدراسات الشرقية والغربية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، مصر، د ط، 2008 م، ص 109.

(2)- الكسندر هجري كراب: علم الفولكلور، ترجمة، احمد رشدي صالح، وزارة الثقافة المصرية، مؤسسة التأليف والنشر، دار الكتاب، القاهرة مصر، د ط، 1967م، ص 253.

تعريفه هذا نراه مركزا على مجهولية المؤلف، وهي الصفة التي تشترك فيها معظم أشكال التعبير الشعبي إلى حد ما وبالتالي فهذا التعريف لا يوفي بكل مقومات الأغنية الشعبية.

أما " أحمد مرسي " فيشير إلى أن: "الأغنية الشعبية هي الأغنية المرددة التي تستوعبها جماعة تتناقل آدابها شفاهيا وتصدر في تحقيق وجودها عن وجدان شعبي" ⁽¹⁾ إن الجديد في هذا التعريف بالنسبة لسابقه، هو الانتقال عن طريق المشافهة وتعبيرها عن وجدان الشعب؛ وهما صفتان أساسيتان في كل الأشكال التعبيرية الشعبية، بشيء من التفاوت؛ ولهذا يكون هذا التعريف أيضا قاصرا عن الإلمام بما تحمله من مقومات مميزة لها. مثل: " بساطة أسلوبها وبدائية آلتها الموسيقية، وتعبيرها المباشر عن لحظات الوجدان والانفعال والتأثر التي تجعل نصوصها يغلب عليها الحزن والمزاج الفردي" ⁽²⁾ ورغم هذه الملاحظات حول التعاريف السابقة إلا أنها لم تغطي كل مقومات الأغنية الشعبية؛ على غرار العفوية مثلا والتأثير الذي يُحدثه اللحن والموسيقى المرافقة عادة للكلمات، في هذا الضرب من أنواع التعبير الشعبي؛ فبقدر أهمية هذه الجوانب فهي مقومات أساسية تنفرد بها لتمييز عن باقي الأشكال الأخرى.

وفي محاولة أخرى لتعريف الأغنية الشعبية يقول " فوزي العنتيل " بأنها: " قصيدة مجهولة النشأة بمعنى أنها نشأت بين العامة من الناس في أزمنة ماضية وبقيت متداولة أزمانا طويلة" ⁽³⁾ فهذا التعريف يُعيدنا إلى المربع الأول بالإشارة إلى مجهولية المؤلف، شأنه شأن " الكسندر كراب " وتبقى معظم هذه التعاريف تدور في هذه الحلقة ذهابا وإيابا؛ دون جديد أو إضافة تحسم الأمر وتوقف الجدل.

3-4-3-2-5-2- أغراض وأشكال الأغنية الشعبية الجزائرية:

- (1)- أحمد مرسي: الأغنية الشعبية، الهيئة العامة للتأليف والنشر، القاهرة، مصر، د ط، 1968م، ص222.
- (2)- عبد الأمير جعفر: الفن الغنائي في الخليج العربي، وزارة الثقافة والإعلام، دار الجاحظ، بغداد، العراق، د ط، 1980م، ص11.
- (3)- فوزي العنتيل: بين الفلكلور والثقافة الشعبية، الهيئة العامة المصرية للكتاب، القاهرة، مصر، د ط، 1978م، ص247.

لقد تناولت الأغنية الشعبية جميع مجالات الحياة، وخاضت في كل القضايا والمواضيع ذات الصلة بالحياة اليومية لأفراد المجتمع، فكانت مرآة عاكسة، وصورة صادقة، لمشاعر الشعب، وتسجيل أمين لحالة المجتمع الاجتماعي وأوضاعه الاقتصادية، ومواقفه السياسية، ومعتقداته الدينية لأنها: "تصدر من قلوب شعوبها ومن أفئدتها في مختلف العصور فهي دائما تصور حياته، وآماله وآلامه، سواء في عصور الابتهاج، أو في عصور الابتئاس."⁽¹⁾ فمن الابتئاس إلى الابتهاج؛ تنوعت و تعددت أغراض الأغنية الشعبية الجزائرية، و تشكلت بأشكال وقوالب عكست محطات مختلفة، من حياة الفرد الجزائري، وعبرت عن آلامه وأحزانه، آماله وأفراحه... فكان منها.

- الأغاني الدينية التي تتضمن المدائح وأغاني المناسبات الدينية (المولد النبوي، الابتهالات، ..).
- أغاني الأفراح التي من ضمنها أغاني الزواج والختان والسبوع.
- أغاني العمل، مثل أغاني الحصاد والصيد.
- الأغاني البطولية والتي تشمل أغاني الحماس الثوري والحروب، وغيرها كثير؛ أي أنها: "لا تتوقف على المواضيع الروحية فحسب بل تمتد إلى المواضيع الدنيوية والمحزّمة"⁽²⁾ وهو النوع الطاغبي على اهتمامات العولمة (الفنية).

3-4-3-5-3 خصائص الأغنية الشعبية: نورد بعضا من أهم ما تميز به الأغنية الشعبية من خصائص: فهي

- واسعة الانتشار؛ فهي تتواجد عبر رقعة جغرافية واسعة، قد تتعدى حدودها الأصلية الأولى.
- جماعية التأليف؛ بالرغم من صعوبة إنكار الإبداع الفردي للأغنية الشعبية، إلا أن سعة التداول والانتشار، وما يرافقهما من تغيير وتبديل و إضافة وحذف، بالإضافة إلى خروجها من بيئة مؤلفها الأول، ودخوله طي

النسيان؛ يفرض نسبتها إلى الجماعة.

(1)- شوقي ضيف: الشعر وطوابعه الشعبية على مرّ العصور، دار المعارف، القاهرة، ط 2، د ت، ص 05.

(2)- إبراهيم الحميد ري: انطولوجيا الفنون التقليدية، دار اللادقية، سوريا، ط1، 1984م، ص 112.

- تنتقل شفاهة من جيل إلى آخر؛ وهي صفة مشتركة بين أشكال التعبير الشعبي عموماً. نصها قابل للتعديل والتبديل؛ إن انتشارها الواسع وتداولها المكثف بين الناس جعلها عرضة للتحوير والتبديل والتحريف لأسباب عدة، سواء على مستوى الكلمات وكذلك اللحن والموسيقى: "لا يمكن أن توجد بشكل نهائي وأصيل فهي دائماً تتغير و تتبدل مرارا في أثناء عملية الانتقال بالمشافهة وهي تارة تزداد غنى نتيجة لهذه التغيرات وكثيرا ما تفتقر و تصبح ذات عدوية مصطنعة ومبتذلة تارة أخرى."⁽¹⁾ وهي الطاغية على اهتمامات العولمة (الفنية)
- تناقش موضوعات نهم الجماعة؛ ولأنها ابنة بيئتها، فهي تنشأ دوما الارتقاء والازدهار لجماعتها
- لها ارتباط مادي وعقلي وروحي بالمجتمع؛ فارتباطها بهذه العوامل هو الذي يضمن لها الاستمرار والخلود.
- تحافظ على العادات والتقاليد والمعتقدات الخاصة بالجماعة الشعبية؛ وهي إحدى وظائفها الأساسية.
- تحمل معها كما هائلا من الموروث الثقافي الخاص بالجماعة الشعبية عبر الزمن؛ لأنه يمثل رصيد عدة أجيال متعاقبة: "إنها الذات الجماعية الفردية، التي تُكوّن ذاتية المجتمع في ماضيه وحاضره، وتعطي ذلك المجتمع والشعب خصوصيته التي يتميز بها، ولا يمكن إرجاعها لأية خصوصية أخرى."⁽²⁾
- هي إبداع تلقائي صادر عن فكر ووجدان مشترك ، بين أبناء المجتمع؛ لأن العفوية والتلقائية هي من المقومات الأساسية للأغنية الشعبية.

(1)- ارنست فيشر: ضرورة الفن، ترجمة، ميشال سليمان، دار الحقيقة للطباعة و انشر، ط 1، 1970م ص 32.

(2) - آدم كوبر: الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيون، عرض سعيد المصري، الكتاب السنوي لعلم الاجتماع، العدد7، د ط، 1984م، ص321.

- يمارسها المجتمع في إطار من عاداته وتقاليده ، ومناسباته الاحتفالية المتنوعة؛ وهي المواقيت والأماكن الحقيقية والفعلية لاستهلاك هذا المنتج الشعبي.

- تتميز عن الأشكال التعبيرية الشعبية الأخرى؛ بكونها تؤدي عن طريق الكلمة واللحن معا، وفي بعض الحالات تُتبع بالحركة أيضا، وليس بالكلمة فقط ؛ كما هو دارج مع الأشكال التعبيرية الشعبية المعروفة.

- سهولة اللحن؛ لأن جملها الموسيقية بسيطة قصيرة ومتكررة؛ يسهل ترديدها؛ وبالتالي حفظها.

- متانة العلاقة بين اللحن والكلمات؛ حيث تترافق الألحان والموسيقى الحزينة، في المناسبات ذات الصلة مع الكلمات ذات الدلالة الحزينة، وعكس ذلك في المناسبات السارة المبهجة.

- عادة ما تكون آلتها تقليدية محلية؛ وهذا ما يؤكد صدق تعبيرها عن بيئتها الأصلية.

3-4-3-4-5-4-3- وظيفة الأغنية الشعبية :

تعتبر الأغنية الشعبية نمط من أنماط التعبير الشعبي، تؤدي وظيفة خاصة في حياة الشعب؛ وتأخذ كمثل عن وظيفة الأغنية الشعبية ما قامت به الأغنية الثورية الجزائرية إبان الاستعمار الفرنسي الغاشم؛ فقد كانت بمثابة وسيلة إعلام، تتبعت أخبار العدو لتحذر منها، و تبنت أخبار المجاهدين بالنقل والترويج، وكشف أباطيل العدو وجرائمه، فضلا عن تأجيج جذوة الحماسة والنخوة والغيرة الوطنية.

أما غداة الاستقلال فلم تكن وظيفتها اقل شأنًا مما قامت به أثناء الثورة؛ إذ توجهت صوب الإصلاح والبناء والتهديب، بعد العزاء والمواساة التي كانت كل فئات الشعب الجزائري في أمس الحاجة إليها؛ لتضميد الجراح الغائرة التي حفرتها أيادي الغدر والطغيان الإستعمارية وحلفائها في الداخل والخارج؛ هذه الجراح التي لازال هذا الشعب الأبى المعطاء، يعاني من ويلاتها إلى يوم الناس هذا.

حقا لقد كان للأغنية الشعبية الجزائرية، الأثر البالغ على جميع المستويات؛ النفسية والاجتماعية، والاقتصادية والسياسية.

الفصل الثاني:

العولمة أبعادها وأهدافها

1- لمحة تاريخية:

واضح أن العصر الذي نعيشه اليوم من الجانب التقني خاصة، ليس هو العصر الذي عشناه قبل عقود ثلاثة فقد يبدو ذلك العصر بالنسبة لهذا كتلك العصور البدائية، التي لا تزال بقاياها على رقعة ما من سطح هذا الكوكب، بالرغم من التطور الرهيب في مجال التكنولوجيا المتقدمة وخاصة منها تكنولوجيا الإعلام والاتصال، هذه الأخيرة التي اختزلت الزمان والمكان وأصبحت كرتنا الأرضية بما رحبت وحوّت أضيق مما يستوعبه الخيال: "فالفكرة الأرضية لم تعد كبيرة وبعيدة بما فيها من البلدان البعيدة بل أصبحت كثيفة وصغيرة وقريبة؛ عن طريق شبكة الاتصالات."⁽¹⁾ أي كالتقنية الصغيرة المتقاربة الأطراف المتجاورة الأحياء، يمكن التجوال فيها وقضاء الحاجات بمقدار جهد الضغط على بضعة أزرار، مغروزة على هيكل لوحة، لا تتجاوز في أقصى الحالات راحة اليد؛ لتحصل على خبر أو خدمة أو سلعة، من أقاصي الدنيا. وكأن هذه- الأفاصي- لم تعد توحى بمشقة السفر، ولا وحشة الغربة، والبعد عن الأهل والأحباب، فهي من الماضي السحيق؛ لأنه لم يعد هناك اعتبار للمسافة، وبالتالي للزمن بصفتها متلازمين. فقد طويت المسافة وانحسر الزمن، وهي ميزة من أهم ميزات هذا العصر الموسوم بعصر العولمة كما وصفها أحدهم بقوله: "هي الكلمة الشعار، والجدل الأكثر استعمالاً، والأسوأ استعمالاً، والأقل تحديداً ولعلها الأكثر تعرضاً لسوء الفهم، والأكثر غموضاً، والأبعد أثراً، في السنوات الماضية وستكون كذلك في السنوات القادمة أيضاً"⁽²⁾. هذا ما يستدعي- بلا شك- رصدها وتتبع آثارها، عن كُتُب للسنوات المقبلة في مختلف الميادين والمجالات.

إن السؤال أو بالأحرى الأسئلة التي تطرح نفسها - ربما بإلحاح شديد- هي: متى بدأت هذه العولمة وأين

نشأت وترعرعت؟ ومن الذي أتى بها؟ وكيف تمكنت من إثارة هذا الجدل الواسع على مختلف المستويات؟ وما

(1)- اولريش بك: ما هي العولمة، ترجمة، أبو العيد دودو، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط2، 2012م، ص 49.

(2)- اولريش بك: ما هي العولمة، المرجع نفسه، ص 46.

مصدر هذا التأثير البينّ الوضوح على حياة الناس الفكرية منها والمادية؟ هي أسئلة وأخرى غيرها تحتاج إلى إجابات واضحة ومباشرة؛ حتى يتسنى لنا بذلك -ربما- الإحاطة والإلمام بمقتضيات هذه الظاهرة اللغز. على الأقل في وقتنا الراهن.

2- نشأة العولمة:

الحقيقة أن جدلا واسعا وتضاربا كبيرا رافقا للإجابة على هذه الأسئلة؛ فمن قائل: إن عمرها موغل في القدم ويعود بنا إلى عهد الإمبراطوريات القديمة الإغريقية والبيزنطية والرومانية... إلى قائل آخر: بأنها في طور التشكل وهي وليدة النصف الثاني من القرن العشرين ، ولا وجود لها قبل القفزة التقنية العملاقة لوسائل الإعلام الحالية.

إنه بون شاسع جدا بين الفريقين على ما يبدو، وبينهما هوة سحيقة جدا من الزمن؛ ولكي يمكن ردم هذه الهوة السحيقة بين القولين والتوفيق بينهما وتقريب وجهات النظر في هذا الشأن وجب استعراض جانب ولو يسير لأقوال ومساهمات أخرى ذات الصلة بخبايا الموضوع .

يقول " امارتيا سن . Amartya Sen " : " العولمة كانت وما تزال تمضي في طريقها على امتداد آلاف السنين من خلال الترحال والتجارة والهجرة وانتشار التأثيرات الثقافية ونشر المعرفة وإشاعة التفاهم بما في ذلك نشر العلم والتكنولوجيا. كانت العولمة منصفة فهي إذا في صالح الجميع"⁽¹⁾. لم نقف بعد على معنى الإنصاف في العولمة؛ بل بالعكس من ذلك فالأمة العربية تعاني أشد العناء من التّعول الغربي بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية على مرأى ومسمع كل شعوب العالم، بفضل ما جادت به عليها عبقريتها في مجال الإعلام والاتصال ووسائل القهر والإبادة.

(1) Amartya Sen-Dix vérités sur la mondialisation –traduit de l anglais par Sylvelle Gleizé le monde Fr. Http www le monde Fr. imprimer – article 06063 ,20827200html (02 -01-2010)

إن التعبير بآلاف السنين كما ورد في النص يحيل الأمر إلى فترات موعلة في القدم؛ فقد تصل إلى بداية التاريخ وربما تتجاوزه، ولا نعلم بالضبط كيف هو شكل هذه العولمة في تلك الحقبة الزمنية؟ وهل تأثرنا بها فعلا؟ في تتبعه للتطور التاريخي للعولمة يرى "بيتر ستيرنز. Peter N. Stearns": "إن مجموعة من العوامل هي التي ساعدت على تشكلها مشيرا في ذلك إلى الهجرة والاقتصاد والثقافة والبيئة والسياسة... إلخ على نمط مراحل تشكل الكائن الحي، لكنها مراحل من الطول ما يسمح فيها بتحدد الهياكل والأبعاد لتظهر في المرحلة التالية بشكل موسوم بالجددة والتمايز، وبعد تخطيها لجملة من المعوقات والعراقيل في سيرورتها اللامتناهية نحو تشكلها النهائي الذي ربما هو ما نعرفه اليوم كالتالي⁽¹⁾:

. المرحلة التحضيرية 1200 قبل الميلاد.

. المرحلة التحضيرية وأنماط الاتصال الناشئة 1200 قبل الميلاد . 1000 م .

. نقطة التحول (ولادة العولمة) 1000 م .

. نقطة تحول (ولادة العولمة) 1500 م .

. نقطة تحول (ولادة العولمة) 1850 م .

. العولمة منذ 1940 م تاريخ عالمي جديد.

وبهذا يؤكد "ستيرنز": "أنه بالرغم من كون مصطلح العولمة جديد نسبيا إلا أن عملية العولمة لها جذور تعود

لأزمة طويلة. وتتبع عملية التغيير هذه؛ تمكننا من فهم العولمة اليوم" ⁽¹⁾. إذا فللعولمة جذور تعود لأزمة طويلة. طبعاً هذه وجهة نظر لولادة أو لبداية العولمة، من دون الدخول في التفاصيل.

لن عرض وجهة نظر أخرى فيما قدمه " رونالد روبرتسون، Ronald Robertson " في جدول الزمني الذي

يؤرخ لولادة العولمة وقد ضمّنه خمس مراحل هي ⁽²⁾:

المرحلة الأولى : بروز العولمة في بدايات القرن الخامس عشر متزامنة مع التوسع الكنسي وسيوز مجموعة م-ن النظريات التي تتحدث عن وحدة العالم والبشرية.

المرحلة الثانية: التي بدأت في منتصف القرن الثامن عشر وكانت أيضاً مرحلة أوروبية وقد شهدت هذه المرحلة انتعاشاً واضحاً وغير مسبوق لمفهوم العلاقات الدولية مع تركيز خاص على الأبعاد القانونية التي تحكم هذه العلاقات بما في ذلك الارتباط بالمجتمعات غير الأوروبية.

المرحلة الثالثة : وتعرف بأنها مرحلة الانطلاق، التي امتدت من القرن التاسع عشر وحتى العقد الثاني من القرن العشرين وقد امتازت هذه المرحلة ببروز اتجاهات كونية واضحة تركز على المجتمع العالمي الواحد وتستمد حيويتها من المنافسة الدولية وسرعة التحولات في وسائل الإعلام والمواصلات واندلاع الحرب العالمية الأولى.

المرحلة الرابعة : والتي امتدت إلى بداية السبعينيات من القرن العشرين، فقد اتصفت أساساً ببروز الأمم المتحدة وتفاقم حدة الصراع من أجل الهيمنة العالمية ، بما في ذلك المنافسة للوصول إلى القمر والتهديد بالفناء النووي الجماعي، وتطوير شبكة المواصلات والاتصالات، والاهتمام العالمي بحقوق الإنسان، وحريته من قبيل مؤسسات المجتمع المدني على الصعيد العالمي.

(1) - Peter N Stearn op cit p 13

(2) - السيد يسين: العولمة والطريق الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة خاصة لمكتبة الأسرة، د ط، 1999م، ص 24.

المرحلة الخامسة (الأخيرة): هي تلك التي امتدت من بداية السبعينيات إلى بداية التسعينيات من القرن العشرين، ولقد شهدت هذه المرحلة تزايداً في إدراك الأفراد بعالمية العالم، وذلك على أثر انتهاء الحرب الباردة و بروز المؤسسات الحكومية، وغير الحكومية لإدارة القضايا العالمية المعاصرة، مع زيادة واضحة في القلق العالمي على مصير البشرية على هذا الكوكب، وهو القلق الذي بدأ يُروَّج له عبر وسائل الإعلام التي استعانت بالأقمار الفضائية لتتخطى الدول وتصل إلى كل زاوية من زوايا الكرة الأرضية.

فهل يا ترى تستجيب هذه المراحل الخمسة فعلاً لحمل وولادة العولمة التي نحن بصدددها اليوم؟ وهل تبناها باحثوا شؤون هذه الأخيرة (العولمة)؟

الحقيقة إن هذا الجدول الزمني تعرض للنقد تارة، وحتى للتفنيد تارة أخرى، من قِبَل عدد غير قليل من المتتبعين لشؤون العولمة. وحتى من صاحب الجدول نفسه؛ إذ قال في موضع آخر: "العولمة تشير إلى ضغط العالم وتصغيره من ناحية، وتركيز الوعي به ككل من ناحية أخرى، وإذا كانت العمليات والأعمال التي يشير إليها المفهوم راهنا تنسحب إلى قرون خلت مع وجود بعض المعوقات فإن التركيز الأساسي في مناقشة العولمة يقع على العصور الحديثة نسبياً، وحيث أن هذه المناقشات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بمعالم الحداثة وطبيعتها فإن العولمة تشير بوضوح إلى التطورات التي حدثت مؤخراً."⁽¹⁾ وهذا معناه أن العولمة لا يمكن لها أن تستقر على حال واحدة إلا إذا استطعنا كبح جماح التطور والتحديث؛ وهذا ما لا يقوله عاقل. وعليه فستبقى العولمة هلامية مائعة تتشكل وفق تطورات العصر الذي هي فيه وبما يعتره من تغيرات جذرية هامة. مستمرة؛ وعليه ذهب البعض⁽²⁾ إلى القول بأن: "ظهور العولمة مرتبط بسقوط الاتحاد السوفيتي السابق عام 1989م وانتهاء فترة الحرب الباردة بكل ما كانت تحمله من حروب وخلافات وصراعات شغلت العالم طوال القرن العشرين وأسفرت عن تحويل النظام الثنائي إلى

(1)- رضا عبد الواحد أمين: الإعلام والعولمة، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 2007م، ص 48.

(2)- رضا عبد الواحد أمين: نفسه، ص 66.

نظام أحادي القطبية تسيطر فيه الولايات المتحدة على النظام العالمي من خلال المؤسسات الدولية الجديدة كمنظمة التجارة العالمية والمنظمات القائمة كالأمن المتحدة والمنظمات التابعة لها " .إن هذا الطرح و بهذا التحديد الزمني- من وجهة نظرنا- ربما لا يكفي لتأمين كل هذه الإرادة العسكرية الرهيبة ووسائل النقل والإعلام والتواصل الخارقة ممثلة في ما يُعجُّ به الفضاء من أقمار صناعية على اختلاف أحجامها ووظائفها .

ولعل أول إشارة لمفهوم العولمة ، كما نفهمه اليوم -ربما- كانت في ما تضمنه كتاب أستاذ الإعلاميات السوسيولوجية الكندي بجامعة - تورنتو- " مارشال ماك ماهان " تحت عنوان -القرية الكونية- في نهاية الستينيات من القرن العشرين ، حيث تنبأ فيه بما يمكن أن تحدثه الثورة المعلوماتية القادمة، من تغيرات جوهرية على حياة الإنسان؛ مما يتلاءم والحياة في قرينته الكونية .

ولكن بالرجوع قليلا إلى ما قبل ستينيات القرن العشرين ، وتحديدًا إلى العام 1841م وعلى إثر اكتشاف التلغراف والسكك الحديدية وازدهار الثورة الصناعية، كتب الكاتب والدبلوماسي الفرنسي "فران لوس رين " ما نصه : " ماذا سيكون حال المجتمع العالمي عندما لا تكون هناك دولة بعينها، حيث لن تكون هناك فرنسا أو انكلترا أو ألمانيا ... أو أن تكون تلك المجتمعات في منظومة واحدة ؟ في ظل تلك العولمة، كيف يعبر الناس عن مشاعرهم وبأية لغة ستكون، فهل ستتحدث كل أمة لغتها ؟ " ⁽¹⁾ إن اكتشاف التلغراف في ستينيات القرن التاسع عشر، وبعد النجاح الباهر في ربط انكلترا بشمال أمريكا بشبكة من المعلومات ، نمت الأسواق المالية ؛ وتقلصت المسافات بشكل مذهل؛ ومنه يمكن اعتبار بداية الجيل الأول للعولمة مع دخول السكة الحديدية والتلغراف حيز الخدمة الدولية حسب هذا القول.

ومن انكلترا أيضا كتب "ماينارد كينز" وقبل أزمة الكساد العالمي بحوالي عقد من الزمن، وتحديدًا في العام 1919 م في وصف بدايات الانفتاح على العالم بما نصه: " أنه يمكن لسكان "لندن" بمكاملة تلفونية طلب الشاي والإفطار

(1)- رضا عبد السلام : انخيار العولمة ، دون دار النشر والبلد، د ط ، د ت ، ص 31.

وكافة أشكال السلع من أي مكان في العالم؛ ويمكنهم بذات الطريقة استثمار ثرواتهم في أي جزء من العالم، كما يمكنهم الانتقال إلى أي مكان ومن منطقة مناخية إلى أخرى دون جواز سفر أو أية شكليات.⁽¹⁾ وهذا يؤكد قول ورؤية الكاتب والدبلوماسي الفرنسي السابق الذكر.

إذا فالعولمة - حسب ما سبق ذكره - مرهونة في وجودها بتطور التلغراف والسكك الحديدية والهاتف وبالإجمال تطور وسائل الاتصال والمواصلات عموماً .

ومما يُعزِّز هذا الطرح ما ذهب إليه كل من " ليفين " و " وليام سون " بعد الانتهاء من دراستهما (2000م) عن تاريخ بدء العولمة بالقول: " بأن العولمة لم تبدأ منذ 5000 سنة أو حتى 500 سنة كما ادعى البعض؛ إنها بدأت مع بداية القرن التاسع عشر ومن ثمّ فإنها ظاهرة شديدة الحداثة.⁽²⁾ إن هذا الطرح المحدد لبداية العولمة لا يمكنه أن يصمد طويلاً أمام الطروحات الأخرى لأسباب موضوعية على الأقل؛ فلو حدها بغير هذه الفترة الزمنية -ربما- كان أصح وأسلم لهما من النقد.

ولكن يُجمع البعض⁽³⁾ على: " أن هذا المصطلح الذي اسمه- العولمة - لم ينشأ بشكل مفاجئ بل م -رّ بمراحل ثلاثة نوجزها في ما يلي:

- مرحلة التكوين الجنينية: وهي المرحلة التي تكونت فيها الإمبراطوريات على غرار الإمبراطورية الإغريقية والإمبراطورية الرومانية، والإمبراطورية الفارسية، والإمبراطورية العثمانية، وغيرها.
- ثم مرحلة الميلاد: وفي هذه المرحلة نشأت المؤسسات الرابطة و المنظمة للعلاقات بين الدول والهيآت على غرار صندوق النقد الدولي والبنك العالمي وعصبة الأمم المتحدة والتي بفضلها تسنى للعالم الثالث الاندماج في المجتمع الدولي.

(1)- رضا عبد السلام : مرجع سابق، ص 32.

(2)- رضا عبد السلام: نفسه، ص 29.

(3)- البلاوي حازم: نحن والغرب، عصر المواجهة أم التلاقي، دار الشروق، القاهرة، مصر، د ط ، 1999 م، ص 65.

- وأما المرحلة الثالثة: فهي مرحلة النمو والتوسع وتشمل في ما تشمل نهاية الحرب الباردة و انهيار جدار برلين عام 1989م، وانتشار الأسلحة النووية والسباق نحو التسليح وبيوز الشركات متعددة الجنسيات (فوق قومية) وتطور المعلومات والبرمجيات".

ويرى آخرون أن جذور العولمة تعود إلى العهد الاستعماري؛ أي لما كانت جُلّ دول العالم تحت الاحتلال والقهر الغربي، حيث ربط هذا الاستعمار الغربي دول العالم بروابط ومعاهدات واتفاقيات اقتصادية ، وتجارية لتلبية وإشباع نهم المعامل والمصانع الأوروبية المستعرة؛ وهذا يعود إلى ما قبل ثلاث مائة سنة خلت.

يُفصّلها "جوران توربون " إلى ست (6) موجات تاريخية للعولمة هي:

" انتشار الأديان،- الغزوات الاستعمارية الأوروبية، - صراعات قوى أوروبية داخلية خالصة،- ما بعد الحرب

العالمية الثانية، - والآليات السياسية للحرب الباردة،- وآليات العولمة المالية والثقافية ."⁽¹⁾

ويرى " جورج هنري سوتو، G . Henri Soutou " : " إن العولمة تمتد عبر التاريخ في ثلاث عوالم هي⁽²⁾ :

- منذ القرن الثامن عشر من الحرب العالمية الأولى.

- خلال العشرينيات.

- بعد الحرب العالمية الثانية حتى الآن.

ومنه فان هذه الموجات المتباينة تؤدي إلى خلق أوضاع متباينة أيضا، ومنها تعدد أشكال ومظاهر العولمة

الناجمة عن هذه الأوضاع التي سيتغلب فيها احد الجوانب؛ الاقتصادية أو السياسية... الخ. مما أبان عن عوالم

(1)- جوران توربون: العوالم، الأبعاد، الموجات التاريخية، المؤثرات الإقليمية وتوجيه الحكم المعياري، ترجمة، بدر الرفاعي، في مجلة الثقافة العالمية، العدد 106 ، الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ماي 2001م ، ص 13.

(2)- Henri Soutou , " introduction à la problématique des mondialisations", Revue Relation Internationales , (N 123 (France 2005 l 03), P, 99.

متعددة أيضا ومختلفة بحسب الجانب المرکز عليه، مع الأخذ بعين الاعتبار كل من عاملي الزمان والمكان، فضلا عن النماذج التي تتبناها الدول في تعاملها مع هذه الظاهرة بأسلوبها الخاص، المنبثق حتما من ثقافتها وعقيدتها بهدف ترويضها، والتحكم فيها بعد ذلك، أو على الأقل تجنب ما يمكن تجنبه من مساوئها وسلبياتها ثم الاستفادة منها - إذا سلمنا أننا نستطيع فعلا الاستفادة منها حقيقة- كانت هذه نبذة مختصرة عن ولادة هذا - المخلوق- المثير للجدل الذي عُرف باسم- العولمة- تعريبا و - GLOBALIZATION - أصلا. فما مصدر هذا التعريف ومتى ظهر وترسخ في أديباتنا بشكل نهائي؟

3- مفهوم وتعريف العولمة:

من المؤكد أن كلمة - عولمة - التي بلغ انتشارها أقاليم العالم؛ كظاهرة ونظرية ومفهوم، أصبحت الأكثر تداولاً واستخداماً في هذا العصر؛ وقد شغلت كل شرائح المجتمع بمن فيهم غير المتخصصين في القضايا الفكرية والثقافية، وفرضت نفسها بقوة على الواقع والفكر العالمي؛ بالرغم من أنها لم ترد في المعاجم العربية القديمة و-ربما - ينسحب هذا على قواميس اللغات الأخرى، إلى ما قبل العقدين الأخيرين للقرن العشرين الميلادي، أي قبل عام 1980م، على الأقل بهذه الصيغة المتداولة في هذا العقد الأول من القرن الواحد والعشرين.

كما أنه من المؤكد أيضا أن لفظة- عولمة- العربية هي ترجمة أو مقابل للكلمة الانكليزية - Globalization- الذي أشار إليها قاموس -Oxford- للمرة الأولى عام 1991م باعتبارها من الكلمات الجديدة التي ظهرت خلال التسعينيات من القرن الماضي.

ونجد أن معجم - ويبسترز، Webster's⁽¹⁾ - الانكليزي يُعرّف كلمة - عولمة - Globalization - كالتالي:

(1) Webster's Knuth New collegiate Dictionary, 1991, p 521.- (1)

To Globalize = to make Global; especially to make Space or: application worldwide In scope or application.

أي اكتساب الشيء طابعا عالميا أو كونيا، وجعل نطاقه أو تطبيقه عالميا أو كونيا؛ والكلمة مشتقة من

– Global – والتي تشير إلى الحياة الاجتماعية بشموليتها من دون إقصاء.

وفي اللغة الفرنسية اتخذت مقابلا لها الكلمة – Mondialisation – والتي تشير إلى التعامل مع الآخر؛ وخاصة

في جانبه الثقافي. وهذا ما جاء في النص الحرفي لتعريف العولمة في الانكليزية والفرنسية كما ظهر في الموقع المعروف

ب- كل المصطلحات - من مصدره الأصلي والمرفق بعنوان الموقع.

Definition of *globalization*

noun glob·al·i·za·tion \,glō-bə-lə-'zā-shən\
Popularity: Top 10% of words_

Definition of *globalization*

1. : the act or process of globalizing : the state of being [globalized](#); *especially* : the development of an increasingly integrated global economy marked especially by free trade, free flow of capital, and the tapping of cheaper foreign labor markets

Définition de Mondialisation. Désigne un processus par lequel les échanges de biens et services, capitaux, hommes et cultures se développent à l'échelle de la planète et créent des interactions de plus en plus fortes entre différentes parties du monde.

[définition de mondialisation - Glossaire International](#)

www.glossaire-international.com/pages/tous-les-termes/mondialisation.html

Désigne un processus par lequel les échanges de biens et services, capitaux, hommes et cultures se développent à l'échelle de la planète et créent des interactions de plus en plus fortes entre différentes parties du monde.

Cité en 1959 dans le journal anglais *The Economist*, puis dans le quotidien français "Le Monde", le terme mondialisation fait l'objet, depuis de nombreuses années, de débats sur les réalités qu'il recouvre.

La nature **multidimensionnelle** du processus ne permet pas une vision unique du concept selon les spécialités : économie, sociologie, politique, philosophique...

Il est maintenant admis que le terme désigne **le développement de l'interdépendance au niveau mondial**. À partir de cette définition générale chaque grand courant académique met l'accent sur la dimension qui lui paraît la plus pertinente. Par exemple, certains universitaires comme Manuel Castells se concentrent sur le lien entre les dimensions économiques et sociales. D'autres, comme John Urry, mettent l'accent sur la complexité croissante qui caractérise tous les échanges humains (économiques, culturels et politiques).

Read more at <http://www.glossaire-international.com/pages/tous-les-termes/mondialisation.html#D11LYVqz4tlcAKGF.99>

ولعله من المفيد ولو بشيء من الإيجاز، الإشارة إلى الاختلاف الظاهر بين المفهومين، الانكليزي والفرنسي
 فبينما نجد المفهوم الفرنسي للعولمة - Mondialisation - يشير إلى طرح ثقافي في أغلب الأحيان للدلالة على
 أنهم أصحاب حضارة؛ وبالتالي يُجسّدون العالمية بهذا المفهوم، ويحاولون الحفاظ على خصوصياتهم.

في حين - وعلى النقيض من ذلك تقريبا - نجد المفهوم الأمريكي - Globalization - يُفهم منه طمس الآخر.
 وقد يكون هذا صحيحا بالنظر إلى الظروف ، وإلى الكيفية التي نشأت (تكونت) بها هذه الولايات المتحدة
 الأمريكية على أساس فدرالي، والذي يفيد بوجود عدة عرقيات؛ إلا أنه في الولايات المتحدة الأمريكية طُمست
 ودُوّبت في بوتقة واحدة ولا سبيل لأيّها للظهور؛ فالكل موجود والكل غير موجود؟

وليس معنى هذا أن هذين المصطلحين هما من مثالا - العولمة - بل هناك مرادفات أخرى تناولتها المقالات
 والخطب في بادئ الأمر؛ على الرغم من اختلاف المعنى الذي تشير إليه كل مفردة. ومن مثل هذه المترادفات
 المتداولة راهنا، نجد في اللغة الفرنسية مثلا :

- الدولّة (التدويل) : Internationalisme.

- الكونانية : Cosmopolitisme .

- الشاملة: Globalisme .

- العالمية: Universalisme .

وأما في اللسان العربي: " فلكي نصل إلى فهم أفضل للفظّة - العولمة - لا بد وأن نستعرضها لغويا :

فالعولمة لغة ومثلها الكوننة والحوقولة والرودنة والقوقعة والهوجلّة، على وزن فوعلة؛ وهي من المصادر القياسية في
 اللغة العربية وبالتالي فهي مصطلح سليم من النحت والتركيب وعليه فان لفظة - العولمة - غير موجودة في القواميس
 اللغوية العربية حتى مطلع التسعينيات من القرن العشرين المنصرم وإنما هي - وحسب التعريف اللغوي - مصدر

قياسي، قيس على غيره من الكلمات؛ اشتق من جذر كلمة هي -العالم-⁽¹⁾. ومنها الفعل - عَوَّلَمَ - على صيغة - فَوَّعَلَ - وهي من أبنية الموازين الصرفية العربية، وهذه الصيغة تفيد وجود فاعل يقوم بالفعل"، وهي تتطابق مع الصيغة الانكليزية (...zation) وفي الفرنسية مع الصيغة (..sation).

وقد ترجمت هذه الكلم ة - Globalization - ذات المنشأ الأمريكي الأول في اللغة العربية إلى - الكونية - و- الكوكبية- و- العولمة- وبغض النظر عن دقة المصطلح من عدمه، فقد طغى استعمال هذه الأخيرة- عولمة - من دون غيرها بحيث أصبحت الأكثر تداولاً وانتشاراً ؛ علماً أنها مشتقة من لفظة- عالم- أي (Word) وليس من لفظة - كوكب - أي (Globe).

ومهما يكن من أمر فهذا المصطلح يتكرر وباستمرار في ميادين علمية متباينة، مثيراً لإشكاليات فكرية على الصعيد المعرفي، بداية من الدراسات الاقتصادية إلى ميادين أخرى كالاجتماع والسياسة، والبيئة والثقافة، والأدب والإعلام والمعلوماتية وغيرها، من ميادين العلم و المعرفة؛ مما جعلها على رأس قائمة اهتمامات جُلِّ الباحثين، على اختلاف مشاربهم وميولاتهم ومواقعهم الجغرافية، شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، وبكل هياثم الرسمية منها وغير الرسمية على اعتبار، أنها من أهم الظواهر التي أطلَّت برأسها دون جسدها ، على البشرية في هذا القرن الواحد والعشرين للميلاد (21م).

فانبرى يرصدها ويراقبها جمع من المهتمين و المتتبعين لشؤون هذه العولمة ، بهدف وضع تعريف جام.ع مانع له فكانت النتيجة كمًا هائلاً لا يكاد يُحصى من التعاريف والتصورات والآراء، المتشعبة في غالبيتها الساحقة،- إن لم نقل كلها- بالخلفية الفكرية (الثقافية) والتوجُّهات السياسية والقناعات الأيديولوجية التي ينطلق منها كل

مساهم:" لأن مثل هذه المفاهيم وغيرها في مجال العلوم الإنسانية أو في المجال الثقافي من الصعب ج.د أن تتولأ من

(1)- خليل نوري مسيهر العاني : العولمة الإسلامية في زمن العولمة الثقافية ، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، العراق

ط 1، 2009م، ص107.

الانحياز وأن تُعرّف تعريفاً جامعاً مانعاً محايداً، كما يقول علماء المنطق. " (1)

لذلك سنتعرض بإيجاز إلى بعض من هذه الآراء والتصورات ؛ لأن الإحاطة بها كلها هو - ربما - ضرب من المستحيل؛ وسنكتفي بما نراه خادماً لموضوعنا، حتى لا ننته في خضم هذا المحيط الغائرة أعماقه.

وبالبدية مع كلمة للرئيس الأمريكي "جورج بوش الأب" يوم 1990/01/14 م والذي يبدو أنه حدد فيها المفهوم الأمريكي للنظام الدولي الجديد في خطابه السنوي المعتاد أمام " الكونغرس " حيث قال: "إن الولايات المتحدة تقف على أبواب القرن الواحد والعشرين ولا بد أن يكون هذا القرن الجديد أمريكياً بمقدار ما كان القرن الذي سبقه، وهو القرن العشرون (20م)؛ قرناً أمريكياً. " (2) بمقدار أكبر من الهيمنة والقهر، والعدوان السافر على الأمم والشعوب؛ الراضية للاصطفاف في الطابور الغربي ممثلاً بالولايات المتحدة الأمريكية.

إن أول ما يُستشف من كلام الرئيس: هو الاستمرار في اعتلاء الصدارة على المستوى العالمي بالتفوق على كل الأصعدة وفي جميع المجالات؛ خاصة منها التكنولوجية والعسكرية، وهذا فعلاً ما ميّز القرن العشرين (20م)، من سباق محموم بين القوى العظمى نحو التسليح ؛ بالسعي نحو امتلاك أكبر قدر ممكن من الترسانة النووية وأسلحة الفتك الأخرى؛ لا لشيء إلا لإرهاب الآخرين والتعؤل عليهم، ونبذهم وإقصائهم ونهب خيراتهم بغير وجه حق كما فعل أجداده من قبل بالهنود الحمر.

وثاني ما يُستشف - وربما هو الأخطر - تحذير كل من تُسوّل له نفسه شق عصا الطاعة الأمريكية، والخروج عن الصف الأمريكي، وعدم الالتزام بقواعد اللعبة؛ التي تم طبخها مسبقاً وما على الجميع إلا الالتزام، والانقياد لما يُطلب منهم، من دون رد أو اعتراض لأن - خارطة الطريق - قد تم رسمها بل والتصديق عليها، وهي الآن في مراحلها التطبيقية. فلا نقاش، ولا مجال للتراجع أيضاً؛ بعد أن قطعت شوطاً من التطبيق والتجسيد على أرض

(1) - بركات محمد مراد: ظاهرة العولمة، رؤية نقدية، كتب عربية للنشر الإلكتروني - www.kotobarabia.com ، ص 13.

(2) - خليل نوري مسيهر العاني: العولمة الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مرجع سابق، ص 20.

الواقع. لقد تجسد هذا الكلام وغيره خلال بداية العشرية الأولى من هذا القرن الواحد والعشرين (21م) مُثَلَّة في غزوها للعراق، وما شهدته العالم في ذلك العقد من تعدُّ صارخ على حق الشعوب، في الحياة والعيش وفق ما يناسب مبادئها وثقافتها ورؤيتها للكون والحياة.

حدث هذا ويحدث ، باسم محاربة الإرهاب تارة ، وحماية حقوق الإنسان تارة أخرى؛ و على ذكر حقوق الإنسان يمكن الجزم -حسب معلوماتنا- أن الولايات المتحدة الأمريكية من بين أكثر المناطق انتهاكا لحقوق الإنسان على وجه البسيطة؛ وتاريخ أمة الهنود الحمر هناك أكبر من أن يُطمس. وبهذا كشفت الولايات المتحدة الأمريكية، عن وجهها الحقيقي ونبيتها الفعلية ، في جرّ العالم إلى ما يحقق مصالحها ورفاهيتها دون غيرها.

لقد كانت كلمة الرئيس هذه، موجهة إلى الرأي العام الأمريكي بالتحديد، ومنه إلى الرأي العام الدولي؛ بهدف رصد ردود الأفعال الأولية وتحديد الخطوة الموالية. وهذا ما حدث بالفعل يوم 1990/10/01 أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة. حيث حدد الرئيس " جورج بوش الأب " نظرتة لمدخل الألفية الثالثة، وتحديد نظرتة للعالم في عامها الأول أي (2000م) على أنه: " عالم حدود مفتوحة، عالم تجارة مفتوحة، عالم عقول مفتوحة." ⁽¹⁾. وهذه العبارة ، تحدد المقصود بالعولمة؛ فهي العقول المفتوحة والتجارة المفتوحة والحدود المفتوحة، أي كل شيء مفتوح أو لنقل بعبارة أدق: عالم بدون أبواب أو حواجز أو عوائق مهما كان نوعها؛ سياسية، اقتصادية، اجتماعية عسكرية، فكرية، أو ثقافية وبالتالي تشريعية؛ وهي مربط الفرس كما يُقال.

ومعنى هذا، العيش ضمن إطار واحد؛ مما يُفرض بالضرورة إلى تنازل غير المنتسبين إلى الحضارة الغربية

(أوروبا وأمريكا) عن خصائصهم العقديّة وعن قيمهم وأعرافهم وتقاليدهم وتشريعاتهم؛ إنه الانفتاح التام الذي

(1)- زين العابدين الركابي: العولمة ، جريدة الشرق الأوسط ، ليوم - 1999/01/13 م.

يجب أن يعم العالم ويتجه به: " نحو سيادة نظام واحد تقوده في الغالب قوة واحدة " ⁽¹⁾. وهذا ما يمكن اعتباره الإعلان الرسمي لانطلاق المرحلة التطبيقية الفعلية والعلنية للعولمة؛ ذات الرأس الواحد أو النمط الفكري الواحد.

ولكن ما المقصود بالنظام الواحد؟ وما هي القوة القائدة الواحدة؟ يجب عن هذا التساؤل "نعوم تشومسكي" بقوله: " النظام الجديد المقصود يقوم على أساس سيطرة قوة أحادية في المجال العسكري، واستخدام الولايات المتحدة الأمريكية للقوة من أجل إخضاع بعض الدول التي لا تتفق معها في توجهاتها السياسية. " ⁽²⁾ مثل العراق، وكوريا الشمالية، على سبيل التمثيل لا الحصر: " وهذا ما أعلن عنه الرئيس الأمريكي "جورج بوش الأب " يوم 17/01/1991م بتدشين ما أسماه بالنظام العالمي الجديد (New World ordre) مستخدماً لفظة (Ordre) وفيها من الأمر والقسر والتوجيه ما ليس في غيرها مثل كلمتي (System) أو (Institution) وهذا حسب العارفين بخبايا اللغة وأساليبها، وكأنما يريد الرئيس الأمريكي، أن يوحي: " بأن النظام المدعي وبلاده على رأسه قد أسقط كل قوة معارضة للتوجهات الرئيسية لبلاده، وهي الليبرالية والرأسمالية والديمقراطية، وتبع هذا تعميق الكتاب لاستخدام النظام العالمي ومصطلح العولمة؛ لتجسيد معنى التفوق الأمريكي آنف الذكر " ⁽³⁾ وإن كان هذا مما لا يمكن إخفاؤه فقد حان وقت الجلاء والظهور، واستعراض العضلات.

وفي ظل هذا الوضع غير المسبوق تعالت أصوات من داخل هذا المعسكر نفسه منددة ومحدرة من مغبة

الاستمرار على هذا النهج الأحادي المتغطرس الموهوم بجنون العظمة، المتعطش للهيمنة وسفك المزيد من الدماء

البريئة، فضلاً عن الإقصاء والتهميش - الذي ربما هو من نصيب المحظوظين؛ لبقائهم أحياء فقط - .

(1)- عبد الصبور شاهين: نحن والعولمة من يربي الآخر ، ص 37.

(2)- نعوم تشومسكي: الدولة الفاشلة، دار الكتاب العربي ، ترجمة، سامي الكعكي، بيروت، لبنان، دط، 2007م.

(3)- رضا عبد الواحد أمين : الإعلام والعولمة ، مرجع سابق، ص 202.

ونذكر من بين تلك الأصوات ما قاله الرئيس الفرنسي " جاك شيراك " في كلمة ألقاها بمناسبة العيد الوطني الفرنسي المصادف ليوم 14 / 07 / 2000م ما نصه: " أن العولمة بحاجة إلى ضبط، لأنها تنتج شروخا اجتماعية كبيرة، وهي وإن كانت عامل تقدم، فهي تثير أيضا مخاطر جدية، ينبغي التفكير فيه جيدا، ومن هذه المخاطر ثلاثة:

- أولها أنها تزيد ظاهرة الإقصاء الاجتماعي .

- وثانيها أنها تنمي الجريمة العالمية.

- وثالثها أنها تهدد أنظمتنا الاقتصادية. "⁽¹⁾ وشهد شاهد من أهلها، وأي شاهد هو ؟

نعم العولمة بحاجة إلى ضبط ؛ لأنها تنتج شروخا اجتماعية كبيرة؛ وهل يحتاج إلى ضبط إلا من كان جامحا متغوّلا، متجاوزا لحقوق غيره؛ ومنتهاكا لها بطرق و وسائل هي في متناوله دون الآخرين؛ يعبث بها كيفما يشاء دونما رقيب ولا حسيب، ولا أي وازع يكبح شهيته للقتل والتدمير تارة، والتهميش والإقصاء تارة أخرى. إنها العولمة كما عرفها أحد علماء السياسة الأمريكيين " جيمس روزانا " بقوله: " إنها عملية انصهار اقتصادي وسياسي وثقافي لشعوب وثقافات الأرض ، في بوتقة واحدة تصبغ بصبغة القوى الفاعلة والمؤثرة فيها. "⁽²⁾ ولا أحوال هذه البوتقة والقوة الفاعلة فيها، إلا الولايات المتحدة الأمريكية من دون غيرها، على الأقل في الوقت الراهن ما لم يكن هناك خطأ قاتل لها.

إذا فهي - العولمة - انصهار وذوبان لكل شعوب الأرض في بوتقة واحدة ؛ وهذا ما يؤشر إلى اتساع وشراسة العملية، على حساب الغلبة والمقهورين ، بمزيد من التلذذ عند خطف لقمة العيش من أفواههم ، والسطو على

(1)- وردت هذه المعلومة في مجلة الحوادث، التي تصدر في ، لندن ، انكلترا ، في العدد 2310 بتاريخ 09/03/2001 م.

(2)- بدرية البشر: وقع العولمة في مجتمعات الخليج العربي، دبي والرياض، أمودجان ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط 1، 2008 م

بجهوداتهم وسرقة اجتهاداتهم وعرق جباههم ونزع البسمة من شفاههم؛ وهكذا يكون القرن الواحد والعشرون قرناً أمريكياً بامتياز. فهل هذا صحيح وممكن؟

يُرد المفكر الفرنسي " بيير بيارنيه " في كتاب له تحت عنوان - لن يكون القرن الواحد والعشرون أمريكياً- بقوله: " إن بقاء الهيمنة الأمريكية على العالم هو من قبيل الأوهام اللذيذة التي يصدقها عادة ضعاف النفوس وضعاف الذاكرة على السواء، لأن تاريخ الإنسانية لا يعرف المزاح ولا يخضع للمصادفات، ومن العبث والخذاع المكشوف، التفكير في أن - قدر - الولايات المتحدة سوف يجعلها تتحكم في الكوكب الأرضي إلى أبد الأبدين فمن العيب على دولة عظمى مثل الولايات المتحدة أن تستهين بعقول الآخرين إلى هذا الحد.⁽¹⁾ ولا يزال هناك من يطبلُ ويزمّر لها من دون توقف، وعلى مستويات عليا؛ من بني جلدتنا كأمة عربية. - للأسف الشديد-.

إذا كانت هذه هي البداية الفعلية للعولمة فكيف يمكن تصور نهايتها؟ وبعبارة أدق ماذا بقي للعولمة من

انجازات بعد الذي أنجز وتحقق لها حتى الآن؟ الأيام القادمة- من دون شك- تحمل الإجابة الصحيحة عن هذه التساؤلات وغيرها.

في انتظار ذلك لنستعرض بقية الآراء، والتصورات الهادفة إلى وضع تعريف جامع مانع لهذه الظاهرة، التي شغلت بال الإنسانية جمعاء؛ ولنعرج على مؤلف في هذا الشأن أثار الكثير من ردود الأفعال؛ سواء منها المؤيدة أو المعارضة لما طرحه صاحبه، من أفكار وتصورات لهذه الظاهرة، إنه كتاب - نهاية التاريخ وخاتم البشر- أو بترجمة أخرى - نهاية التاريخ والإنسان الأخير- للمفكر الياباني الأصل "فرانسيس فوكوياما، Francis Fukuyama" وهي النظرية التي تبناها هذا المفكر؛ عندما اعتبر سقوط الشيوعية وانتهاء الاتحاد السوفيتي باختيار جدار برلين وانتصار الرأسمالية على الشيوعية التي كانت بمثابة العدو اللدود والجدار الحائل دون بسط هذه الرأسمالية لنفوذها على العالم بصفتها الأقوى

(1)- نبيل راغب: أقتعة العولمة السبع : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر، د ط ، 2001م ، ص 47 .

والأصلح لتسيير الشؤون العامة والخاصة لشعوب العالم قاطبة؛ باعتباره المنهج الأوحى لقيادة العالم، وعليه فلا جدوى من التفكير في منهاج آخر غير الليبرالية الغربية وبالتالي فهي نهاية للتفكير ونهاية للتاريخ.

وربما يكون قصد " فوكوياما " بنهاية التاريخ: " أنه لن يكون هناك مجال لمزيد من التقدم في تطور المبادئ والعقائد والأنظمة السياسية بعد ظهور الديمقراطية الليبرالية في صورتها المتطورة والآخذة في الرسوخ، ويرجع ذلك في رأيه إلى أن كافة المشكلات والقضايا الجوهرية ستكون قد حُلَّت وهو ما يؤكد مفهومه عن - خاتم البشر - أو الإنسان الأخير - الذي يزعم أنه سيكون المواطن النموذجي: " الذي سينعم بالرفاه وكافة الحقوق المدنية، مثل العمل والمساواة والعدل وغيرها، من خلال التطبيقات الديمقراطية الليبرالية الغربية. " (1) بل يذهب إلى أبعد من ذلك حين يقول: " إن الحياة ستستمر من ميلاد إلى موت وسيستمر تفجر الأحداث، لكن لن يكون هناك أي تقدم أو تطور بعد اليوم فيما يتعلق بالمبادئ والعقائد والمؤسسات خارج إطار النسق الغربي الليبرالي الحر. " (2) ربما يحتاج هذا الكلام إلى براهين أقوى وأدلة أكثر واقعية؛ لأن الواقع يثبت أن هناك ملايين من البشر، في أدغال إفريقيا، وأمريكا الجنوبية وفي رُفَع جغرافية كثيرة في آسيا، لا تعرف - ونحن نعيش الطفرة الهائلة في مجال الاتصالات والمواصلات - عن الشرق ولا عن هذا الغرب شيئا؛ لأن شغلها الشاغل هو الصراع للبقاء على قيد الحياة فقط؛ بتأمين قوت يومها المنهوب. فما بالك بالنسق الغربي الليبرالي الحر أو حتى المقيد؟

ثم يضيف مسترسلا في الصفحة نفسها: " إن الديمقراطية الليبرالية تشكل نقطة النهاية في التطور الإيديولوجي للإنسانية، والصورة النهائية لنظام الحكم البشري المنشود وبالتالي فهي تمثل نهاية التاريخ. " إن هذا الكلام لا يُفهم -ربما- إلا بتحجر العقل البشري أو توقفه عن النشاط والعمل تماما، وهو مما يستعصى على كل ذي عقل من البشر القبول به أو تصديقه بسهولة. هذا عن - نهاية التاريخ - فماذا يقصد - بالإنسان الأخير أو خاتم البشر -؟ يقول: "وهو

(1) - نيبيل راغب: أقتعة العولمة السبعة ، مرجع سابق، ص 7.

(2) - نيبيل راغب: المرجع نفسه والصفحة.

الإنسان الأخير لأنه لن يأتي بعده إنسان أفضل منه، لأنه الأفضل." (1) نعم الإنسان الغربي هو الأفضل ولن يكون غيره أفضل منه على الإطلاق؟؟

إنها نظرة استخفاف واحتقار وعنصرية تفرزها الذات المركزية المتضخمة، غرورا واستكبارا لكل ما يصطلح على تسميته بالأطراف .

وهناك مؤلف، أثار هو الآخر، ضجة وردود أفعال ليست بالقليلة؛ إنه كتاب- صراع الحضارات- لصاحبه

أستاذ العلوم السياسية الأمريكي " صامويل هنتنجتون ، Samuel Huntington " الذي: " اعتبر نهاية الحرب الباردة وانتصار المعسكر الغربي على المعسكر الشرقي، بداية لصراع طويل وممتد بين الغرب النصراني وحضارته الغربية، والشرق المسلم وحضارته الإسلامية." (2) وأخيرا صدعوا بالحقيقة الكبرى التي ما فتئت تقض مضاجعهم وتوجه تفكيرهم وتحدد مسار حياتهم؛ إنها خافية عن الكثير من الناس، على اختلاف مستوياتهم.

إن هذه النظرية . أو بالأحرى هذا الطرح لا يستبعد دخول العالم في صراع طاحن وطويل ، بين حضارتين متباينتين تماما؛ الأولى شرقية المنبت عريقة المنشأ، روحانية المذهب والجوهر، والأخرى غربية المولد حديثة العهد، مادية المذهب والجوهر. وعلى أساس هذا الطرح: " سوف يتمحور الانقسام الأساسي داخل المجموعة البشرية حول العوامل الثقافية التي ستصبح المصدر الرئيس للصدام [...] إن صدام الحضارات هو الذي سيحتل مركز الصدارة في السياسة العالمية." (3) لنترك هذا الطرح للأيام لتبث في محتواه، فهي وحدها الكفيلة بإصدار الحكم النهائي في واقع ومستقبل الناس، لأن الغيب المطلق ليس من اختصاص البشر فيما نعلم.

(1)- نيبيل راغب: مرجع سابق، ص7.

(2)- سليمان بن صالح الخراشي: العولمة ، دار بلنسة للنشر والتوزيع ، الرياض، المملكة العربية السعودية ، ط 1، 1420هـ ، ص 10.

(3)- [http – //www-wahdah- net/3awlama htm](http://www-wahdah-net/3awlama.htm)

وفي لحظة من صحوة الضمير يكتب " هنتنغتون، Huntington " في مجلة -شؤون خارجية، foreign Affairs - في عدد شهري -نوفمبر / ديسمبر - 1996م إن: "الغرب متفرد وليس عالميا - the west Unique not Universal - يُفَرِّقُ فيها بين التحديث - modernization - وبين التغريب - westernization - ويقول: " إن شعوب العالم غير الغربية لا يمكن لها أن تدخل في النسيج الحضاري للغرب، حتى وإن استهلكت البضائع الغربية وشاهدت الأفلام الأمريكية، واستمعت إلى الموسيقى الغربية، فروح أي حضارة هي اللغة والدين والقيم والعادات والتقاليد"⁽¹⁾ فإذا كانت الشعوب غير الغربية لا يمكنها الدخول في النسيج الغربي مهما استهلكت من المنتجات الغربية المادية منها والمعنوية. فماذا بقي للعولمة أن تنجزه؟ غير محاربة الدين واللغة والقيم والعادات والتقاليد المرتبطة بهما، لبسط نفوذها والتمكين لنفسها، للاستحواذ على العالم بمختلف لغاته وقيمه وعاداته ومعتقداته.؟ وعلى ضوء استحالة هذه العملية ولو نظريا. يستدرك " هنتنغتون، Huntington " قائلا: " إن التحديث والنمو الاقتصادي لا يمكن أن يحققا التغريب الثقافي في المجتمعات غير الغربية، بل على العكس، يؤديان إلى مزيد من التمسك بالثقافات الأصلية لتلك الشعوب . ولذلك فإن الوقت قد حان لكي يتخلى الغرب عن وهم العولمة، وأن ينمي قوة حضارته وانسجامها وحيويتها في مواجهة العالم، وهذا يتطلب وحدة الغرب بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية ورسم حدود العالم الغربي في إطار التجانس الثقافي."⁽²⁾ هل معنى هذا احترام خصوصيات الشعوب وحضارات الأمم ، ونبد فكرة المركزية المقيتة وترسباتها العنصرية، وبقيادة الولايات المتحدة الأمريكية نفسها؟

حول هذا التصور أو قريبا منه يحاول " توماس فيردمان ، Thomas Friedman " في كتابه الموسوم - السيارة ليكساس وشجرة الزيتون، نحو فهم للعولمة - : " يحاول التنظير للعولمة التي لم يذكرها " فوكوياما " بالاسم ؛ وهو كتاب صحفي يحكي فيه الكاتب مشاهداته وحواراته ولقاءاته التي تدور حول التوازنات المتداخلة لنظام العولمة التي يرمز إليها بالسيارة اليابانية الفارهة التي تمثل قمة التفوق التكنولوجي " ليكساس " والهوية القومية أو المحلية التي يرمز إليها بشجرة

(1) - عبد العزيز بن عثمان التويجري: العالم الإسلامي في عصر العولمة ، دار الشروق، القاهرة ، مصر، د ط ، 2004م ، ص 48.

(2) - عبد العزيز بن عثمان التويجري: نفسه والصفحة.

الزيتون، ويرغم التعارض بين الاثنين إلا أن التوازن بينهما ضرورة ملحة لاستقرار العولمة كنظام اقتصادي وسياسي واجتماعي وثقافي. ⁽¹⁾ ولكن أليس من حقنا أن نتساءل كيف يتم هذا التوازن ومن يقوم بتحقيقه؟ الجواب على هذا التساؤل نجده عند " فريدمان " في آخر الكتاب حيث يقول ما نصه: " إن المجتمع العالمي المزدهر هو المجتمع الذي يستطيع أن يحدث التوازن بين السيارة ليكساس وشجرة الزيتون على الدوام، ولا يوجد نموذج على العارض اليوم أفضل من أمريكا ، ولهذا السبب فإني أومن بشدة أن تكون أمريكا في أفضل حالاتها، اليوم وغدا وفي كل وقت حتى يتسنى للعولمة أن تكون قابلة للاستمرار، إنها يمكن أن تكون ويجب أن تكون منارة للعالم اجمع، فلنعمل على ألا نبدد هذا الإرث ⁽²⁾ ويا له من إرث مُقامٍ على أشلاء وجماجم الآخرين...

إن قابلية العولمة للاستمرار مرهون بلأن تكون أمريكا في أفضل حال حسب "فريدمان " لأنها هي من أنجبتها فلها الحضانة والرعاية ، بل وحتى الملكية والكفالة، أليست العولمة هي الأمركة في هذه الحال؟ خاصة عندما يصيح بأعلى صوته " حفظ الله أمريكا".

إن " فوكوياما " و" فريدمان " وأمثالهما؛ وهم لُذُنُو، ممن التزموا بالدعاية، المغرضة والعلنية للعولمة في كتبهم ومؤلفاتهم قد أدت إلى تأجيج ردود الأفعال المعادية لما يطرحونه بش أن هذه الظاهرة، فكانت هناك أفكار وتصورات لمفكرين لُذُنَّاب من المعسكر نفسه - وهم على الأرجح في تزايد مستمر- أظهرت الجوانب المظلمة لهذه الظاهرة، أمثال " بول كينيدي " وكتابه - صمود القوى العظمى وسقوطها - وكتاب - الموجة الثالثة - لصاحبه " إلفن توفلر " وكتاب -عولمة الفقر- لصاحبه " تشوسو دوفيسكي " إن هذه الكتب وغيرها كثير، حاولت إزاحة المساحيق والأقنعة التي وضعها مروجو العولمة على وجهها المشوه أصلا، كي يستسيغها الناس، من دون مقاومة أو اعتراض، ريثما يتحكم الكبار في خيوط اللعبة وأدوات التوجيه الأخرى المتبقية.

(1) -Freedman Thomas –The Lexus end The Olive Tree . Understanding Globalization. 1999.

(2)- نبيل راغب: أقنعة العولمة السبعة ، مرجع سابق ، ص 11.

إذا فاللعبة لا تزال جارية ومستمرة ، وقد فرضت نفسها على اهتمامات الفكر والواقع العالمي، ويبدو أنها ستدوم لفترة أطول:"إن العولمة قد أصبحت ظاهرة العصر كما يقول: " فيذر ستون، Feather stone" و"لاش Lash " وأصبح من غير الممكن فهم عقد التسعينات وما حدث فيه من تطورات متلاحقة دون الرجوع إلى ظاهرة العولمة التي أصبحت الإطار المرجعي لكل الدراسات الاجتماعية والإنسانية" ⁽¹⁾ مما يعني أن العولمة مستحوذة على حياة كل البشر من جميع أوجهها لأنها: " العملية التي من خلالها تصبح شعوب العالم متصلة بعضها في كل أوجه حياتها ثقافيا واقتصاديا وسياسيا وتقنيا وبيئيا . " ⁽²⁾ إن هذا الاتصال بين شعوب العالم لا يعدو أن يكون خرقاً للحدود الجغرافية بين الدول؛ أي تقويض السيادة الوطنية، وانحسار لدور الدولة في المجال الاقتصادي والسياسي خاصة لصالح قوى خارجية أخرى في انتظار خلق الفرصة السانحة للدمج النهائي في بوتقة واحدة وهذا ما يستشف من تعريف "مالكوم واتزر، Malcolm Waters " حين يقول: " إن العولمة هي كل المستجدات والتطورات التي تسعى بقصد أو من دون قصد إلى دمج سكان العالم في مجتمع عالمي واحد . " ⁽³⁾ إن عملية الدمج هذه يمكن أن تكون يسيرة وسهلة إذا كان الأمر يتعلق بالجوانب المادية؛ كاندماج أو دمج شركتين أو شركات نفعية مع بعضها البعض لأن التعديلات المطلوبة في الغالب سوف تركز على الجوانب المادية المتعلقة بالعوائد المادية، وعليه فالعولمة بهذا التعريف غير مكتملة، مادام أنها لم تشمل على الجوانب الأخرى غير المادية، واقتصرت على العائدات المالية دون غيرها؛ لأن المتطلبات البشرية أكبر بكثير من هذه العائدات المالية، بل تتعداها إلى احتياجات نفسية ، واجتماعية وثقافية أوسع مما نتصور لأن:"عولمة العمل الاقتصادي، تصاحبها أمواج من التحولات الثقافية، وهي قضية يمكن أن نطلق عليه اسم- العولمة الثقافية- والأمر في ذلك يتعلق بالتأكيد وبشكل مركزي بإنتاج الرموز الثقافية." ⁽⁴⁾ مثل (الكوكا كولا، ومطاعم الماك دونالد

(1) - Mike Featherstone , Scott Lash , Ronald Robertson , global modernities , London, Sage , 1995 , P , 1

(2) - جورج لودج: إدارة العولمة في ظل الاعتماد المتبادل، ترجمة، محمد رؤوف حامد، سلسلة كراسات عروض اجتهادات حديثة حول العلم والمستقبل، القاهرة ، مصر ، المكتبة الأكاديمية ، ط 1 ، 1999 م، ص 12.

(3) - Malcolm Waters , 1995 , Globalization , Rauttidge ; London P , 55

(4) - أولريش بك : ما هي العولمة ؟ ، ترجمة، أبو العبد دودو، مرجع سابق، ص 80.

وأفلام هوليوود، وشخصية رومبو، وسجائر المارلبورو، وسراويل الجينز، وقبعة رعاة البقر، وغيرها من الأيقونات.. (1).
ولكن كيف يمكن التمييز بين العولمة الاقتصادية والعولمة الثقافية؟

4- العرب والعولمة:

كما سبقت الإشارة إليه من قبل فإن مصطلح - العولمة- لم يَجد له ذكر في المعاجم العربية القديمة فهو غربي المنشأ: " شأنه شأن معظم المصطلحات الناشئة خارج وطننا العربي والإسلامي، لم تصل إلى ساحتنا الفكرية إلا بعد ما حظيت بما حظيت به من الدرس والبحث والتمحيص في الكواليس الغربية [...] وبالتالي فإن تعاملنا معه لن يعدو التلقي، إلا بتفاوت أساليب هذا التلقي ومستوياته، أما المشاركة والإضافة فأغلب الظن أنها مسألة بعيدة المنال الآن إن لم تكن من قبيل المحال." (1) فهل هذا معناه الانسحاب من هذا المعترك ، وترك الساحة فارغة لم تختلف الأهواء والتجارب؟ إنه ليس بالقرار السليم -فيما نعتقد- لأن المعركة الفاصلة أو النهائية سيكون أحد أطرافها الإسلام وأما الطرف أو الأطراف الأخرى- فالكفر ملة واحدة -.

وهذا ما يراه الدكتور " محمد بن علي العقلا " عميد كلية الشريعة بجامعة أم القرى بقوله: " إن هناك أهدافا غير معلنة لهذا التوجه العالمي الجديد، ومن أبرز هذه الأهداف محاربة الإسلام بما ينطوي عليه من مبادئ وقيم سامية ومنهج في التطبيق، لا يعلو عليه أي منهج آخر، وهو ما يتعارض مع مصالح العالم المادي الغربي الذي يساند العولمة بكل ما يملك." (2). فكل ما يتعارض مع المصالح الغربية أو لا يتوافق مع أنماط الفكر الغربي عموما يعتبر نشازا ولا بد من إدخاله بيت الطاعة-غالبا الأمريكي- بكل الوسائل المتاحة، من ترهيبية أو ترغيبية فالوسيلتان متوفرتان وجاهزتان أيضا، وما على الطرف الآخر إلا الاختيار بين الوسيلتين المعروضتين، من دون غيرها فهذا هو المتاح والمتوفر -:" إما

(1)- خليل نوري مسيهر العاني: العولمة الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مرجع سابق، ص 106.

(2)- سليمان بن صالح الخراشي: العولمة، مرجع سابق، ص 9.

أن تكون مع الولايات المتحدة الأمريكية وإلا فأنت مع الشيطان أو الإرهاب - " كما صرح بذلك الرئيس الأمريكي " جورج بوش الابن " ذات يوم.

ويُعرّفها المفكر السوري وأستاذ الفلسفة - صادق العظم - بالقول: "هي حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ".⁽¹⁾ أي انه لا مكان في هذا العالم على رحابته للأمم المغلوبة على أمرها، فهل هذا تجسيد فعلي للعبارة القائلة: - البقاء للأقوى والأصلح-؟ مع التحفظ على كلمة الأصلح؛ لأن الصلاح أمر نسبي يقدره كل حسب قناعاته وتنشئته وتربيته فضلاً عن عقيدته، أو ميولاته أو حتى شهواته، التي توجهه فلا بد من أن يوجد موجه ما.

إن هذا المعنى يظهر بتعبير آخر عند الفيلسوف الفرنسي المسلم " رجاء جارودي " بقوله: " العولمة هي نظام يمكن الأقوياء من فرض الديكتاتوريات اللإنسانية التي تسمح بافتراس المستضعفين، بذريعة التبادل الح - ر وحرية السوق. " إذا فالاقتصاد بكل جوانبه هو أحد أهم أدوات بسط السيطرة على الآخرين، وربما هو الأمر نفسه الذي قصده "عبد الله التركي " بالقول: "إنها (العولمة) تهدف إلى تعميم وتطبيق أمر ما على العالم كله. " أي إخضاع المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها، وتحت أية ذريعة وهذا هو المقصود بتطبيق الأمر على العالم كله. كما هو جار اليوم في أكثر البقاع التي يتواجد فيها العنصر المسلم تحديداً وعلى رأسها الأمة العربية.

ويقول الدكتور " صبري إسماعيل ": " إن العولمة ظاهرة تتداخل فيها أمور الاقتصاد والسياسة والثقافة والاجتماع والسلوك، ويكون الانتماء فيها للعالم كله عبر الحدود الدولية، وتحدث فيها تحولات على مختلف الأصعدة، تؤثر على حياة الإنسان في كوكب الأرض أينما كان. " ⁽²⁾ إذا فحسب هذا القول فتأثير العولمة يشمل قطاعات واسعة من حياة

(1)- بكر: دراسات الوحدة ، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية ، تحرير، أسامة أمين الخولي وآخرون ، ط 23 ، 1998م، 2000 م، بيروت، لبنان ، ص 28.

(2)- عبد العزيز الصغيري : العولمة السياسية، نظرة تاريخية، بحث، موقع مجلة العصر الكتروني، ص 1 .

البشر في أية بقعة على هذا الكوكب، بما فيها العادات والتقاليد والأعراف وما إلى ذلك من الخصوصيات التي تتميز بها الشعوب والأمم بعضها عن بعض.

ويعرفها الدكتور- يوسف القرضاوي- بقوله: "العولمة في حقيقتها وأهدافها وطرائقها اليوم إنما هي الإستعمار بشكل جديد، وباسم جديد وهي عبارة صريحة أمركة العالم"⁽¹⁾ ربما يكون هذا القول أكثر وضوحاً من سابقه لأنه يصف العولمة بالاستعمار من نوع جديد؛ بمعنى أنه يختلف عن الاستعمار الذي عهدته الأمة العربية والإسلامية في القرن الماضي (20م) وثانيتها يصفه- بالأمركة - تحديداً، إلا أنه لم يحدد شكل هذا الاستعمار الجديد وآليات عمله، وهل هو سيادة النظام الرأسمالي بعد اندحار النظام الاشتراكي؟ على حد قول من يعتبر العولمة آلية من آليات تطور النظام الرأسمالي، أم إحلال وبسط النموذج الأمريكي على العالم؟ باستعمال أي شكل من الأشكال. ربما نجد بعضاً مما نحن بصدد البحث عنه عند الدكتور "محمد عابد الجابري" إذ يقول: "بأن العولمة ليست مجرد آلية من آليات التطور الرأسمالي؛ بل هي بالدرجة الأولى إيديولوجية تعكس إرادة الهيمنة على العالم."⁽²⁾ إن المعترف به في الوقت الراهن على الأقل، هو التفوق الأمريكي الواضح؛ خاصة في المجالات الصناعية الحيوية العسكرية منها والالكترونية؛ وعلى الأخص في مجالي الإعلام والاتصال، فما الجانب الذي تشمله هذه الهيمنة على العالم بكافة شعوبه؟ المادي منه أم المعنوي؟ فالأول ممكن التحقيق بالظلم والقهر المفرطين لأنه ظاهر للعيان، ومحسوس بالبنان فمن الممكن سلبه وانتزاعه... وأما الثاني فلا أعتقد أن النفاذ إليه من الأمور السهلة أو اليسيرة؛ ذلك لأنه كامن في النفوس وثابت في الوجدان، ليس ببادي للعيان ولا هو يُدرك بالبنان؛ باختصار هو جوهر وكيونة هاتھ الأمم والشعوب؛ وبالتالي فالوصول إليه وانتزاعه يتطلب ما يتطلب من الجهد، والعمل والرقابة والمتابعة، وغيرها من الإجراءات العديدة المتنوعة، وبالأخص القمعية منها والتعسفية، ولمدة ليست بالقصيرة - بكل

(1)- يوسف القرضاوي: الإسلام و العولمة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، دط، 2000 م.

تأكيد- مع ما يرافقها من نسب عالية من احتمالات الفشل، أو-ربما- تحقيق نتائج عكسية- وما تجرّبتا الفيتنام والجزائر ببعيدتين- وإن كانت وسائل التنفيذ آن ذاك، توصف اليوم بالوسائل القديمة نسبيا. ولكن الثابت تاريخيا أن الكيانين لم يتأثرا؛ أي لم تكن خسارتهما إلا في الجوانب المادية عموما، من غير الجانب المعنوي، وهذا ما حفظ لهما البقاء والاستمرار إلى يوم الناس هذا. إذا فما الجديد الذي جاءت به العولمة الأمريكية في هذا القرن الواحد والعشرين (21م)، لثُحِّقَ به ما عجزت عنه هي ومثيلاتها في القرن الماضي؟ لا شك في أن الأساليب القديمة الساخنة (الحروب) لم تعد مجدية في تحقيق الأطماع التوسعية القديمة؛ وهذا ما وعاه زعماء ومفكروا الغرب فابتكروا لذلك طرقا تُسهِّل لهم الولوج من خلالها إلى جوهر كيانات الأمم وعمق وجودها؛ وذلك باستهداف كياناتها الاقتصادية والسياسية والتشريعية والثقافية، هذه الأخيرة التي تمثل الأساس الذي تنبني عليه الكيانات الأخرى من البنى الأساسية للأمم وشعوب الأرض. فما هي طرق وأبعاد العولمة في اختراق الكيانات المغايرة للثقافة الغربية عموما ونمط ثقافة الولايات المتحدة على وجه الخصوص؟

5- من أبعاد العولمة وأهدافها:

من خلال التحولات الجذرية- الراديكالية- الجارية في الساحة الدولية وعلى جميع المستويات، يرى بعض الباحثين المهتمين بظاهرة العولمة، أن هذه الأخيرة قد مسّت كل مجالات الحياة الإنسانية، ولذلك فهي تتبلور في مجموعة من الأبعاد أو- العولمات-، يُفضي التوليف والتفاعل بينها إلى إحداث التغيير الجذري، الذي لا يمكن إنكار بعض ما تحقّق منه، فضلا عن تفاديه أو تجنبه، وبالتالي وجب التكيّف مع هذه المستجدات؛ التي تعتبر كل منها بمثابة عولمة خاصة أو جزئية تشير في حقيقتها إلى إرهاصات وتباشير ميلاد العصر الجديد، الذي بات يُعرف اليوم بالعالم المعولم أو المجتمع العالمي، أو حتى بالقرية الكونية. ولذلك فقد وُضعت لهذه الأبعاد-العولمات- تصنيفات وتوصيفات كثيرة؛ ترمي في مجملها إلى إمكانية حصر المفهوم والإحاطة بخصايها، وحصر أبعاده من جهة ولتسهيل دراسته واستيعابه من جهة أخرى ليس إلّا. لأن العولمة يمكن وصفها بأنها تمرد، وخروج عن السابق

المألوف. في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والتشريع والإعلام والاتصال والسياسة الدولية... وعموما تغيّر النظر إلى العالم من جميع جوانبه. وهذه بعضا من هذه التغيرات الأساسية التي بدأت أثارها تنعكس على الكثير من مظاهر الحياة العامة لدى الشعوب والأمم، والتي تتجلى أهم مظهراتها في الأبعاد التالية.

5-1- البعد الاقتصادي:

وهو البعد- ربما- الأوضح والأساس، أو هو المظهر الطاغى على ظاهرة العولمة؛ لأن أول الصور التي تتبلور في الذهن عند الحديث عن العولمة هي العولمة الاقتصادية، أو بتعبير أكثر دقة الجانب الاقتصادي منها، وبالتالي فهي من هذا الجانب مفهوما اقتصاديا قبل أن تكون مفهوما آخر؛ علميا أو سياسيا أو اجتماعيا أو ثقافيا أو غير ذلك: " ويعود هذا الارتباط العميق والعضوي بين العولمة من ناحية والعولمة الاقتصادية من ناحية أخرى، إلى أن المظاهر والتحليلات الاقتصادية للعولمة هي الأكثر وضوحا في هذه المرحلة من مراحل بروز العولمة كحلقة تاريخية . فكل المؤشرات الموضوعية تشير إلى أن العولمة الاقتصادية هي الأكثر اكتمالا وهي الأكثر تحققا على أرض الواقع من العولمة الثقافية أو السياسية." (1) وهذا راجع إلى مظهراتها اليومية المستمرة في حياة الناس ومعايشتهم لميادينها وفضاءاتها؛ في أسواقها ومتاجرها وفي حاجاتهم الماسة لاستهلاك منتجاتها، وتأثرهم بأساليب الترويج والدعاية لها؛ لارتباطها بأسلوب ونمط المعيشة، الذي يشير إلى الطبقة الاجتماعية. وذلك باعتبار الاستهلاك ليس كميزة دالة وإنما كهدف وغاية في حد ذاته؛ فجعل الناس يقبلون على الاستهلاك بمبرر وبدونه؛ أي حتى بدون الحاجة إلى ما يشترونه؛ فأصبحوا خاضعين لهذا الفعل لغرض مغاير تماما لحقيقته ، فأصبحوا لا يملكون خيارات أخرى غير الاستهلاك فقط. وقد ركزت العولمة الاقتصادية اهتمامها على تلبية الحاجات البيولوجية، التي لا يمكن للإنسان الاستغناء عنها بأي حال من الأحوال ، فرافقت هذه الحاجة وحاورتها، فكانت الجانب الأكثر تحققا وظهورا على أرض الواقع؛ بللنظر إلى الاستهلاك كهدف في حد ذاته، وربطه بأسلوب الحياة، وبأشكال التميز الاجتماعي

(1)- رضا عبد الواحد أمين : الإعلام و العولمة ، مرجع سابق، ص 77.

الأمر الذي جعل الناس يتدافعون نحو الاستهلاك ، بغض النظر عن حاجاتهم الفعلية. ومن ثمَّ تحولت دواتهم تحت تأثير الاستهلاك المادي والمعنوي ؛ إلى ذوات خاضعة لا تملك من أمرها شيئاً ؛ بنمطها الداعي إلى تبني ثقافة الاستهلاك المادي المفرط (البشع) كهدف أسمى، لتحقيق الفوز بأقصى درجات الإشباع- الذي تعدى كل الحدود المتخيَّلة للتبذير والبذخ المفرط-.

ربما يكون هذا صحيحا فيما لو افترضنا أن الناس لا همَّ لهم في هذه الحياة إلاَّ ملأُ بطونهم فقط؛ وفي هذه الحالة، يتساوى البشر مع الأنعام؟ وهذا خ.رق صريح لإنسانية الإنسان بإلغاء عقله وإنجازاته، واختزاله في الجانب البيولوجي، وتقزيم فطبع لطموحاته وآماله؛ وحتى لدوره وسبب وجوده على هذه البسيطة. ولكن على الرغم من أن هذه الفئة لا تتعدى نسبتها الـ 20% من سكان الأرض، فإن النسبة المتبقية 80% تتلوى جوعا وعطشا، وغربا وتشريدا وتيها... إلخ لا شك في أن هناك خلل ما. وماذا لو كان العكس؟. أيكون هناك خلل أيضا؟

إذا فالصواب هو عدم تقزيم العولمة إلى الحد الذي يجعلها مقتصرة على الاقتصاد فقط بل: " هي لحظة تاريخية تتضمن كل الأبعاد الحياتية المختلفة بما في ذلك الاقتصاد والسياسة والثقافة والإعلام والتي تتداخل مع بعضها البعض لتشكيل عالما بلا حدود اقتصادية أو ثقافية" (1) إن العملية الاقتصادية لا بد لها من عمليات أساسية ترتبط بها حتى تكتمل؛ ومنها على سبيل التمثيل لا الحصر؛ عمليات الإنتاج والتوزيع والاستهلاك، للسلع والخدمات.. إذ لا يمكن تصور وجود اقتصاد من دون هذه العناصر. وهي عمليات متكاملة فيما بينها؛ فعملية الإنتاج بمطلباتها المعقدة تحتاج في نهاية الأمر إلى عملية التوزيع التي تتطلب بدورها عمليات على درجة عالية من الدقة والتعقيد، لكي تصل إلى المستهلك النهائي أو الطرف المستهدف؛ وحتى تتجسد هذه العمليات وغيره، على أرض الواقع؛ يجب توزيعها على عدة جوانب نذكر منها على الأخص ما يلي:

(1)- رضا عبد الواحد أمين: الإعلام والعولمة، مرجع سابق، ص 77.

5-1-1- الجانب التجاري:

وهو الجانب الذي يغطي على الأخص عمليات التسويق والإشهار وتقنيات الدفع والاقتراض... الخ وهذه العمليات هي إحدى المداخل المبتكرة، التي أتاحت للعولمة التمدد والتعريف بنفسها في مناطق جغرافية أوسع؛ لم تكن لتبلغها من دونها ، وخاصة منها عملية الإشهار؛ التي تتطلب قدرا كبيرا من التقنيات المادية، التي وفرتها تكنولوجيا الاتصالات الحديثة، على مستوى الصوت والصورة، وكذلك المعارف العلمية بشؤون الناس وميولاتهم واحتياجاتهم وتفضيلا تهم أيضا . أليست القيم في إحدى مفاهيمها وتعريفاتها هي الاحتياجات والاهتمامات والميولات...؟ وهذا ما دفع بعلماء الاقتصاد إلى الاهتمام بها ودراستها ، بهدف إشباع حاجات الناس ورغباتهم، ومن ثمّ تحديد السلع ونوعيتها ، وكميتها وقيمتها (سعرها) في آخر المطاف، وهي في الوقت الراهن، الكُوة التي منها تنفث قِيَمها ، وأنماط معيشتها في من يخالفها هذه الأنماط من الأمم والشعوب، وهي الحمولة الإضافية، والسرية لهذا الجانب المهم من العملية الاقتصادية. ربما هذا ما توحى به منتجات - الكوكا كولا- ومطاعم ماكدونالد، وملابس الجينز ، وموسيقى الروك والجاز ، وأفلام هوليوود ، والحفلات الصاخبة، وحتى لعبة الريغي... الخ تحقيقا لأحد الجوانب الرئيسية الأربعة لظاهرة العولمة الاقتصادية والمتمثل في انتقال السلع والخدمات. ولت هذه السلع والخدمات اقتصرت على المشروع منها؛ بل لقد تجاوزتها كثيرا إلى المتاجرة بالمنتجات من مخدرات بكل أصنافها من كوكايين وهروين وغيرها، وقد طالت هذه التجارة الأعضاء البشرية والرضع، فضلا عن استغلال الأطفال في الدعارة والقتل المأجور... وغيرها كثير من التجاوزات والجرائم الفظيعة التي تُرتكب في حق الإنسانية باسم العولمة وتحقيق الرفاهية المزعومة على هذا الكوكب.

5-1-2- الجانب التسيير :

وهو -ربما- الجانب الأكثر رمزية، وتحديدًا لنوعية النظام الاقتصادي المتبع لدى مختلف الدول. فبعد انفجار الاتحاد السوفيتي، وسقوط نظم التسيير الاشتراكي المراكز، والانفلات شبه الكلي للمؤسسات، من قبضة الدولة في الأنظمة الاشتراكية؛ وذلك بالاتجاه نحو خصخصة هذه المؤسسات الإنتاجية وفق مبادئ التسيير الرأسمالي (اقتصاد السوق)، والذي يتم من خلال تنميط القواعد والمقاييس التقنية والمحاسبية والتسيير، لتحقيق أكبر ربح ممكن؛ من خلال إزالة الحواجز الجمركية، وفتح الأسواق الوطنية أمام المنافسة، وخلق مناطق حرة للتبادل التجاري؛ وفق بنود المنظمة العالمية للتجارة (OMC) أو (WTO) (World Trade Organization)؛ هذه الأخيرة التي تعتبر من الأدوات أو الأسلحة الفتاكة التي ابتكرتها العولمة، بعد اغتيال-شقيقتها- الاتفاقية العامة للتعريفات والتجارة (GATT) (General Agreement on Tariffs and Trade) لأنها لم تعد تُلبى نَهَم ما يسمى بالدول العظمى، أو لأن حملتها السرية، أو بالأحرى إيديولوجيتها العالمية، لم تعد تتوافق مع التطلعات الجديدة للمصالح الأمريكية. وعليه لا بد من تكييف الوضع، وتعديله لضمان تحقيق رفاهية المواطن الأمريكي، على حساب كل الشعوب الأخرى في العالم. ليتطابق مع ما دعا إليه خبيرهم الاستراتيجي " فوكوياما" عن الإنسان الأخير أو خاتم البشر كما يسميه وهو الإنسان الغربي تحديدًا دون غيره.

5-1-3- الجانب المالي :

هو أحد الجوانب الأساسية المهمة لما يمثله المال في صناعة الفارق في كل شيء، وهو يشمل الاتجار بالسندات والأسهم والأوراق المالية الأخرى، كما أنه يُمكن من الوصول إلى تحقيق الاستثمار خارج البلد الأصلي كخطوة أولى؛ للاستفادة من العمالة الرخيصة وبالتالي تحسين المردوديّة والإنتاجية، وكذلك مقاومة المنافسة العالمية، بالإضافة إلى السياسات الاندماجية والتحالفات الإستراتيجية بين الشركات الكبرى للهيمنة على الأسواق العالمية، وهي الخطوة الموالية؛ بُغية الوصول إلى إمكانية التحكم في قيمة العملات وذلك بتحديد سعر الصرف وقد

تحقق ذلك في العام 1973م عندما أقدمت الولايات الأمريكية على: "إلغاء وإبطال نظام سعر الصرف الثابت وأصبح بإمكان أصحاب رؤوس الأموال والمصارف أن يحددوا مصير واستعار عملات الدول الأخرى، مراعين مصالحهم قاولا وأخيرا ومستنديين على (مشاعرهم) ومصالحهم، وأصبحوا يملكون السلطة لإملاء إرادتهم على الحكومات [...] تمخض عن هذا الموقف قيام ثورة مالية ضحّت بنظام سعر الصرف الثابت مستبدلة إياه بوضع مائع دونما ضوابط، وهكذا فقد أصبحت العملات والأموال سلعا تتداول شأنها شأن أية سلعة أخرى تُباع وتُشترى وتُترك الأمر لزمرة من الممولين والمؤسسات المالية والأسواق التي تأتمر بأمرهم لكي يحددوا أسعار الصرف على هَدْيِ مصالحهم"⁽¹⁾ وهي الخطوة المرجوة؛ والتي تهدف من ورائها إلى تحقيق عملية استقلال البنوك المركزية عن القرارات السياسية للدول وبها تفقد الدولة الوطنية أهم جزء من سيادتها؛ وعندها يبدأ العد التنازلي لكيانها برمته لصالح أصحاب رؤوس الأموال ورؤساء الشركات العالمية؛ الممسكون والموجهون الحقيقيون لدفة العولمة عن طريق أخطر مؤسساتها؛ المتمثلة في البنك الدولي (BM) وصندوق النقد الدولي (FMI) والمنظمة العالمية للتجارة (OMC)... وهذا أيضا تجسيدا لأحد الجوانب الرئيسية الأربعة لظاهرة العولمة الاقتصادية والمتمثل في: انتقال رؤوس الأموال؛ إما عن طريق الاستثمارات الأجنبية مباشرة أو عن طريق الاستثمارات المالية بعد انتقال السلع والخدمات والأفراد والتكنولوجيا.

فصّلنا البعد الاقتصادي إلى هذه الجوانب حتى نتبين أين مَكْمَن التأثير لأن الأهداف الحقيقية تسكن وتختفي في التفاصيل الدقيقة ذات الصلة المباشرة مع العامة أو الجمهور، وفي هذا الاحتكاك تتم المبادلات المختلفة، منها المادية وهو الجانب الظاهر والواضح في العملية، و أما المعنوية (أو لِنَقُلُ الإيديولوجية) فهو الجانب غير المرئي في العملية التبادلية؛ ولتحقيق هذا الهدف الحيوي لا بد من استعمال وسائل أخرى على درجة عالية من التقنية؛ وبالتالي قدر كبير من التأثير في الاختيارات والتفضيلات، ومنه إلى التوجهات التي تتجلى مظاهرها على

(1)- عبد الحي يحي زلوم: نذر العولمة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1999م، ص ص 298، 299.

السلوك الفردي؛ ومنه إلى السلوك الجماعي، وهو بالضبط ما يدخل ضمن المسعى الرامي إلى توحيد نمط الحياة في إطار ظاهرة هذه العولمة التي استحوذت على أدق تفاصيل الحياة. بمعنى أدق فسح المجال للجغرافية الاقتصادية على حساب الجغرافية السياسية.

5-2- البعد السياسي:

إن أول ما يتبادر إلى الذهن عند ذكر البعد السياسي، هي السيادة الوطنية للدولة ومدى ممارسة هذه الدولة لصلاحياتها وسلطاتها كاملة، على شعبها وثرواتها الطبيعية، ضمن حيزها الجغرافي بكل أبعاده (برا وبحرا وجوا) ممثلة في اتخاذها لقراراتها السيادية بكل حرية داخل مجالها الوطني؛ باعتبارها المصدر الوحيد لرسم السياسات ، وسن التشريعات، واتخاذ القرارات. كما أنه البعد الذي يتعذر ، أو يستحيل الفصل بينه وبين البعد الاقتصادي؛ لأن التحكم فيهما بالإضافة إلى الجانب الأمني والعسكري ؛ يؤشر إلى قوة الدولة وتكريسها الكلي لهذه السيادة الوطنية، وهي التي كانت مصونة إلى حد ما؛ بالقواعد والاتفاقيات والهيئات الممثلة في الأمم المتحدة، وكذلك ما تتمخض عنه المفاوضات الدبلوماسية من تنازلات وتوافقات بين الدول الأعضاء، بما يخدم السلم والأمن العالميين وفق توازنات القوى بين الإيديولوجيتين ، أو القطبين المتزعمين للنظام الدولي آن ذاك، الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي (URSS -USA)، تُطوِّقُهُما بنود الفصل السابع لميثاق الأمم المتحدة؛ الذي يجيز استعمال القوة العسكرية؛ ضد الدولة المعتدية على سيادة دولة أخرى عضو فيها. مما أدى إلى كبح جماح العدوان لدى الكثير من الدول الاستعمارية الغربية- راعية العولمة اليوم -

أما وقد أصبح العالم تحت زعامة قطب واحد، هي الولايات المتحدة الأمريكية (USA) فقد أصبحت هذه السيادة عُرضة للتقويض والاختراق في غالب الأحيان من نواح متعددة (سياسية، اقتصادية، ثقافية...)، وذلك تمهيدا لإزالتها تماما وإحلال- الدولة الكوكب أو الحكومة العالمية الواحدة- كما هو مبرمج لدى مهندسي

وموجهي العولمة؛ أصحاب رؤوس الأموال وقد لخص: "الرئيس الأمريكي "هيز، HAYS" في مقولته المشهورة- لم يعد صحيحا القول بأن الدولة هي دولة الشعب، من الشعب، ولأجل الشعب، لقد أصبحت الدولة للشركات تحكمها الشركات، ومن أجل مصالح الشركات-"⁽¹⁾ هذا فضلا عن وسائل الإعلام، تحت العباءة العسكرية الأمريكية تحديدا...

إن هذا الاختراق يمكن أن يتجسد عن طريق الشركات متعددة الجنسيات أو العابرة للقارات؛ بدعوى حماية مصالحها الاقتصادية، وذلك بتشكيل شركات أمن خاصة، وتجنيد العملاء والمرتزقة... وغيرها من الأساليب الجهنمية التي لا تراعي فيها أية مصلحة لأصحاب الأرض، ناهيك عن البيئة وكل ما يتصل بها متجاوزة بذلك مفهوم الأمن الوطني (جيش وشرطة)؛ الذي كان يعني حماية إقليم الدولة ومصالحها ضد كل التهديدات الداخلية والخارجية. هذا بالإضافة إلى استغلال التكنولوجيا الحديثة للإفلات من رقابة أجهزة الدولة الوطنية، السياسية منها والاقتصادية والأمنية، زيادة على تغليب القطاع الخاص، مع تضخيم وتوسيع صلاحيات ما يسمى بالمجتمع المدني وذلك بالعزف على وتر الديمقراطية حقوق الإنسان. وهي الأسلحة التي تُشهر في وجه كل من يقف حائلا أمام الزحف الجارف لتنميط الحياة السياسية، وفق ما يروق للكبار ويعزز لهم حفظ مصالحهم، وجني محصولهم مما زرعه من فقر وجهل ومرض ومعاناة الفقراء والمرضى والمشردين... وكانوا هم السبب في تفاقم أوضاعهم بهذا الشكل الكارثي اللاإنساني؛ لذلك فقد تكون محطة الوصول لهذا البعد هو عولمة التشريع؛ عندما تصبح بقايا الدول تتلقى تشريعاتها و تُرسم سياساتها من خارج كيانها ولغير صالحها، تحضيرا لفسح المجال أمام ظهور مؤسسات الحكومة العالمية المرجوة، ويشير جل المراقبين للوضع السياسي الراهن، أن هيئة الأمم المتحدة ومعظم المنظمات التابعة لها، قد أصبحت في خدمة مصالح جهة واحدة مهيمنة، خلافا للهدف الرئيس الذي أنشئت من أجله أول عهداها -عهد الشائبة القطبية-؛ يتجلى هذا في الكيل بمكيالين بالحكم دوما لصالح هؤلاء الكبار ولحماية مصالحهم، في

(1)- عبد الحي يحي زلوم: نذر العولمة، مرجع سابق، ص 295.

القضايا التي يكون أحد أطرافها ممن يُعتون بالكبار (G8) أو بالفاعلين الحقيقيين، مع الفئات الأخرى من غيرهم بعد أن تؤول في هذه الحالة كل من الديمقراطية ومبادئ حقوق الإنسان وكل مشتقاتهما إلى جوار الصفر بالتعبير الرياضي الصّرف، لتظل بعدها بقرونها الحادة ، في وجه الأغلبية الساحقة والمسحوقة على هذا الكوكب التعيس حظه .

5-2-1- الجانب التشريعي:

وهذا الجانب يأتي بعد سلسلة من الانجازات السياسية المتواصلة، وربما المضنية لما تتطلبه العملية من جهد ومال ووقت بما فيها المكر والخداع والمراوغة والإغراء ولما لا القوة أيضا إذا لزم الأمر ذلك ..؟ فالتشريع للعالم بأكمله من مصدر واحد بمعنى من الحكومة العالمية المنشودة، هو الهدف الأسمى وربما تكون النهاية الحتمية للمسيرة التاريخية للعولمة برمتها، إذ يصبح كل شيء مُعَوَّم، بما في ذلك الإنسان الذي يصبح هو الآخر مُتَشَيِّء أو مُتَسَلِّع (من الشيء أو السلعة) بتعبير أحدهم، في هذه المرحلة الأخيرة كما يصورها هـ ـوس وخبك من يُسمون بمهندسي العولمة أو الفاعلين: " وهكذا لم يستطع الزمن أن يغيّر هذا التقليد الصلب الراسخ الذي يمثله اقتران المال بالتنفيذ والقوة وأن الفارق بين مشرّعي القرن التاسع عشر ووقتنا الحاضر أن الأموال لشراء التشريعات كانت تدفع على أساس فوري [...] أما الآن فإنها تُدفع مُقدما من خلال وأثناء الحملات الانتخابية والتأييد المادي للمرشحين ويتم الحصول على التشريعات فيما بعد"⁽¹⁾ فهل إنسان الوجدان والأحاسيس والعواطف والانفعالات وما إلى ذلك من الجوانب الروحية الميتافيزيقية الخارقة فيه تصبح لاغية، أو لا وجود لها بشراء ذمم هؤلاء؟

الحقيقة إن السير في هذا الاتجاه جارٍ منذ مدة ليست بالقصيرة وهي متمثلة في ما أسموه بالإنسان المستنسخ ذو الصفات المنتقاة التي تتوافق مع الهدف النهائي للعولمة؛ المتمثل في الحصول على أفراد مجتمع عالمي منسجمون

(1)- عبد المحي يحي زلوم: نذر العولمة، مرجع سابق، ص 320.

تماما في كل مناحي الحياة ؟! أو لنقل بشيء من الصراحة، آلات بيولوجية مبرمجة ! ولكن من هذا الذي قام ببرمجتها ولأي غرض، وما النتيجة المنتظرة من العملية، ولمصلحة من؟! هذه وأسئلة أخرى غيرها يعجز حتى سُواق العولمة أنفسهم عن إعطاء الإجابة الموضوعية المقنعة، فضلا عن التحكم في مسيرتها وتحديد وجهتها. ولكن رغم هذه الحقائق الصادمة، فهذا ما يريده الفاعلون والمؤيدون المتحمسون للعولمة.

فهل سيتحقق حلمهم في نهاية المطاف والتطواف؟ أم هو مخض للماء ليس إلا؟ وستعود البشرية حتما إلى أولى عهودها، وأنقى مراحلها، بعد أن يُدرك الإنسان أخيرا- ربما بعد فوات الأوان- أنه تجاوز حدوده (عبادة الله) وصلاحياته (الاستخلاف في الأرض) بكثير، وأنه جرَّ على نفسه ما لا طاقة له به؛ جراء فضوله وخبله، وجنونه وحمقه أيضا.

5-2-2- الجانب الدبلوماسي:

وهو من أبرز الجوانب التي تستخدم في إدارة النزاعات من جهة سواء المحلية منها أو الدولية ، عن طريق المفاوضات والوساطة والتحكيم بين المتنازعين. كما أنها تستعمل من جهة أخرى في المجالات العلمية والاقتصادية لإنشاء الشركات، والجمعيات والمنتديات، وغيرها مما يدخل تحت مسمى المجتمع المدني(الكوكبي) وهي إحدى القنوات المبتكرة، للوصول إلى قيادة مشتركة للعالم؛ حيث تضم إلى جانب الدبلوماسيين، رجال المال والأعمال ليجمع بذلك المال والسياسة في وعاء واحد؛ مُكوِّنا بذلك القلة القليلة التي تملك بيدها ناصية العالم وتتولى فيه القيادة و التوجيه. وهو الدليل القاطع لتآزر وتكامل الاقتصاد والسياسة في شد إزر ظاهرة العولمة والدفع بها قُدما في كنف الحماية والرعاية العسكرية، كإحدى الوسائل الدبلوماسية الاستثنائية لفرض قرارات وتوصيات ممن يُسمون بللكبار (G8).

5-3- البعد الثقافي:

إن القول بالبعد الثقافي للعولمة، أو العولمة الثقافية يوحي بالكثير من التعميم والشمولية والغموض، وحتى بشيء من التعقيم والمراوغة والخداع. فالثقافة بتعاريفها المتعددة المستخلصة من الإيديولوجيات والمرجعيات الفكرية تنبع من جذور دينية أو اثنية أو وثنية، فتضفي على المجتمع أو الأمة خصوصية مستقلة ومميزة لها، عن المجتمعات أو الأمم الأخرى؛ بعقائدها وطقوسها وعاداتها وتقاليدها وأفكارها، الضاربة بجذورها في أعماق التاريخ. يقول مالك بن نبي: "إنها الجو العام الذي يطبع أسلوب الحياة في مجتمع معين وسلوك الفرد فيه بطابع خاص يختلف عن الطابع الذي نجده في حياة مجتمع آخر" ⁽¹⁾ بمعنى أنها العنوان الكامل لكل مجتمع، وروح حضارته؛ بذلك المركب المتجانس من العادات والتقاليد والقيم وأسلوب التفكير، ونمط الحياة، بتراكماتها وترسباتها على امتداد التاريخ؛ التاريخ البشري.

إذا فماذا تعني العولمة الثقافية؟ أو ما هي الشحنة الإضافية التي قد يحملها البعد الثقافي للعولمة؟ خصوصا لمن هم خارج نطاق الحضارة الغربية، أو ممن يُفضّل نعمتهم بالأطراف، بعبارة أدق: ما حقيقة وأهداف عولمة هذا البعد؟

إذا كان المفهوم العام للعولمة؛ هو إخراج الشيء من محلّيته ووضعه في نطاق عالمي؛ فان العولمة الثقافية قياسا على هذا المفهوم السابق، هي إصباغ العالم بثقافة واحدة؛ أي توحيد كل ثقافات المعمورة ضمن نسق ثقافي واحد؛ بدعوى أن البشرية كلها تشترك في نفس الاحتياجات المادية والروحية؛ وما هذه التباينات في المظاهر الثقافية إلا للمتطلبات التكيف مع البيئة الطبيعية لتحقيق هذه الاحتياجات. والتالي فالعولمة الثقافية ما هي إلا انتقال الأفكار والمعلومات والقيم، وأنماط السلوك بكل حرية، للوصول بعدها إلى عالم تسوده ثقافة عالمية مشتركة

(1) - مالك بن نبي: تأملات مشكلات الحضارة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط 5، 1991م، ص 147.

وموحدة، وهنا يكمن السر والغموض من وراء هذه العولمة الثقافية. إذ كيف يمكن دمج وصهر كل ثقافات العالم على شدة تباينها واختلافها، في منظومة واحدة، تحوز على إرضاء شعوب الأرض قاطبة؟

إن حقيقة الواقع الراهن؛ يشير إلى هيمنة وتعميم ثقافة الدول الغربية الرأسمالية الكبرى، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، على كل بلدان وشعوب العالم؛ لأن الثقافة هي أحد أهم المكونات المرافقة للحضارة؛ وعليها يتوقف رفض أو قبول الآخر لهذه الحضارة، فقبول شعب أو أمة لثقافة أخرى؛ معناه الانسجام الفكري والروحي بين الشعبين أو الأمتين، وعلى أساس هذا المعطى، تسعى الدول الغربية لتسويق ثقافتها خارج نطاق حدودها الحضارية؛ لأنها إحدى الحلقات المهمة لاستكمال منظومة عولمة العالم؛ على اعتبار أن العولمة الثقافية هي السبيل المؤدي إلى تحقيق عولمة المجالات الاقتصادية، والسياسية والاجتماعية، ولأن ظاهرة العولمة كلٌّ لا يتجزأ، فإن هذه المجالات تتداخل وتتآزر مع بعضها البعض للوصول إلى الهدف المنشود. يساعدها في ذلك انفراد القوة المهيمنة على هذا العالم ذي القطب الواحد لأن: "العولمة بمفهوم الطرح الغربي الأمريكي بالخصوص، هي محاولة فرض نموذج معين للثقافة؛ يمكن القول بأن العولمة الثقافية نتيجة حتمية وملازمة للعولمة الاقتصادية، لكن الثقافة المقصود بها في شعار العولمة هي - الثقافة الاستهلاكية- الموجهة أساساً لدعم العمل الاقتصادي والتجاري، فهي تخص عالم السينما وعالم المواضع والفنون بمختلف أشكالها"⁽¹⁾ إلا أن العولمة الثقافية تختلف عن العولمة الاقتصادية في كونها غير واضحة وغير مرئية لأنها: "من أكثر الأبعاد تأثيراً على هوية الفرد والجماعة معاً، وبالتالي على صمود أو ذوبان مجموعة من الكيانات القومية المستهدفة، وفي مقدمتها الكيان العربي الإسلامي"⁽²⁾ إذا فالعولمة الثقافية تتجاوز الهوية الوطنية والبنية التقليدية للمجتمع؛ بانتهاك قيمه و عاداته و أنماط حياته، في هدوء و صمت، فهي قابضة وراء الثقافات الوطنية، ترصدها وتعمق من جذورها، وتتحين الفرصة المناسبة للانقضاض عليها، لتحل محلها

(1)- حفناوي بعلي: مدخل إلى نظرية النقد الثقافي المقارن، المنطلقات، المرجعيات، المنهجيات، الدار العربية للعلوم، ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1 2007م، ص 192.

(2)- أحمد درويش: ثقافتنا في عصر العولمة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونهيمان، الجيزة، مصر، ط 1، 2003م، ص 38.

بعد ذلك إلى الأبد. إلا أن هذه أمور لا تحدث بين عشية وضحاها، كما هي الحال في العناصر المادية من العولمة، وإنما قد تستغرق من الوقت ما تحقق به الاندماج في البناء الثقافي المستهدف؛ دون إحداث لأي خلل فيه، اتقاء الرفض والمقاومة، فيستمر التفاعل، بين الثقافتين غير المتكافئتين، ويستمر معه اختراق الثقافة المحلية بقبولها للعناصر الثقافية الدخيلة، مما يؤدي إلى تشتيت قوة المجتمع؛ بتقسيم آراء أبنائه حولها، ما بين رافض ومؤيد ومتشكك وخاضع مستسلم. وهو أول الأغراض الذي تهدف إليه العولمة الثقافية في: "عملية توحيد ثقافي للعالم تتم بواسطة أنظمة المعلومات ووسائل الإعلام، وكذلك بواسطة السلع التي تُسهم في إحداث أنماط استهلاكية هي جزء من الثقافة السائدة في عالم اليوم. فهناك عملية توحيد ثقافية للعالم تبدو في بعض الأحيان قسرية يختبرها الناس كعملية مفروضة عليهم، وأحيانا تتم بهدوء من دون أن يعي الناس أنهم صاروا متجانسين مع من ينتمون في الأصل إلى ثقافة أخرى"⁽¹⁾ وبهذا تتحقق أولى الخطوات المُفضية إلى ما يُصطلح على تسميته بعولمة الثقافة؛ التي هي في حقيقة أمرها سيادة ثقافة القوي المهيمن على الضعيف المغلوب. بعبارة أدق سيادة وحلول ثقافة الشمال القوي، لثقافة الجنوب الضعيف.

من هنا لا بد أن: "يتساءل المرء عن حقيقة هذه العولمة هل هي فعلا فرصة للتحرر من السجون القومية الرثة أم هي تجديد لنظام الهيمنة الدولية وللعلاقات الامبريالية"⁽²⁾ فإذا كانت العولمة هي تجديد لنظام الهيمنة الدولية فما هي الوسائل والأساليب المستخدمة في ذلك؟ على اعتبار أن الولايات المتحدة الأمريكية، هي المقصودة بالهيمنة الدولية على الأقل في الوقت الراهن فإن: "هذه الأمركة تستخدم في عولمتها كل الشركات العملاقة متعددة الجنسيات و المؤسسات المالية لصندوق النقد الدولي، ووكالات الأمم المتحدة العاملة في مجال التنمية والثقافة

(1)- فرغلي هارون: الإرهاب العولمي وأخبار الإمبراطورية الأمريكية ، مراجعة وتقديم، سامي فريد ، دار الوافي للطباعة والنشر ، القاهرة، مصر، سلسلة الوافي، العدد 2، د ط، 2006م ، ص 85.

(2)- حفناوي بعلي: مدخل إلى نظرية النقد الثقافي المقارن، المنطلقات، المرجعيات، المنهجيات، مرجع سابق ، ص 200.

ومختلف وسائل الإعلام وأجهزة المخابرات، فبصمات العولمة الأمريكية باتت واسعة المساحة وعميقة الأثر" (1) هذه المساحة الواسعة والأثر العميق جاء نتيجة السطو على مقدرات الشعوب، والاستغلال المتعسف للمؤسسات الدولية؛ لتحقيق المصالح والأهداف الأمريكية البحتة، بالهيمنة الاقتصادية والعسكرية من جهة، والترويج للثقافة الأمريكية من جهة أخرى، بتسخير المؤسسات الاقتصادية والمالية والسياسية والإعلامية، بفروعها وامتداداتها عبر العالم؛ في محاولة لصبه داخل القالب الحضاري الغربي المهيمن، بعد أن استحوطت إلى اذرع أخطبوطية، وأدوات طيّعة في قبضتها.

5-3-1- الجانب الروحي:

مما لا يمكن إخفاؤه في ظل العولمة الراهنة؛ بروز عالم بعيد عن القيم السماوية، بالقدر الذي لا يمكن إغفاله أو التغطية عليه: "وعلى ما يبدو فالمواجهة بين الدين وفكر عصر المعلومات ستدور رحاها على جبهة القيم والأخلاق بصفة أساسية، لقد أدركنا أخيرا أن التكنولوجيا سواء قامت على البحوث العلمية الجديدة أم على غيرها، ستظل فرعاً من فلسفة الأخلاق، لا من العلم" (2) وهذا ما يؤكد الأهمية البالغة للأخلاق في المجتمع؛ فبدونها تفقد الإنسانية إنسانيتها، وتُحوي بعيداً عن الدور الذي وُجدت من أجله، فتختل بذلك الموازين، وتنحرف الغايات؛ لتتعدّد الحياة ويتيه الناس في دهاليزها، غير مدركين لحقيقة وجودهم فيها؛ فتختلط المصالح وتضيع الحقوق، وتختفي المروءة ويُعيّب العدل، وتستعر المنافسة غير الشريفة؛ فينتشر الظلم وتتقوض الحريات وتعمّ الفوضى، ويفقد المجتمع بوصلته لينهار في مستنقعات الفتن، والحروب الأهلية التي لا تُبقي ولا تذر. ومن أبرز منتجات وتحديات العولمة في الآن نفسه؛ تدهور الأخلاق وتفكك الأسرة، ومعاناة الإنسان من الفراغ الروحي وانتشار مُلغف للجريمة المنظمة، وارتفاع نسبة الإدمان على المخدرات والمتاجرة فيها، وتفشي الأمراض المستعصية

(1)- حفاوي بعلي: مرجع سابق، ص 202.

(2)- خليل نوري مسيهر العاني: العولمة الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، مرجع سابق، ص 409.

(الإيدز أو السيدا) بسبب الانحراف الأخلاقي والشذوذ الجنسي، التي تعاني منه الدول الراعية للعولمة نفسها

" فمهما حاولت الوسائل والطرق المتخذة للحد من المرض فإن المعالجة الجذرية تبقى بعيدة المنال لأن العلاج

الوحيد للمرض هو التمسك بالقيم والأخلاق التي لا يمكن أن نجدتها في نظام قيمى وأخلاقى في غير الدين" (1)

لذلك ستدور رحى الصراع مستقبلا على أشدها، بين الدين ومحاولات فصله وإقصائه عن الحياة؛ مما قد تتمخض عنه نتائج عكسية لمن يريدون تنميط أسلوب الحياة؛ في الطعام واللباس والتسلية والتسوق والاستهلاك... ربما لأنهم لم يدركوا أن التنوع هو أحد أسرار الخلق وهي خصائص مغروزة بالفطرة، ومنها فطرة التدين أيضا فهي قديمة قدم الإنسان ومتأصلة في النفس البشرية؛ وعليه يكون إلغاء التداول الثقافى وبناء المشترك الإنسانى أو إيقاف الحوار الحضارى من الصعوبة بمكان؛ لأن الله سبحانه وتعالى قد جعل الناس في أصل الخلق شعوبا وقبائل لقوله جلّ جلاله: " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ" (2) ولذلك عجزت العولمة الراهنة على محو الخصوصيات حتى في عقر دارها، رغم كل المحاولات اللينة منها والعنيفة؛ بل بالعكس لقد أدت هذه المحاولات العنصرية إلى تأكيد وجودها وكسب التأييد لها والاعتراف بها. فكيف هي بالعالم بكل اختلافاته وتنوعاته؟

5-3-2- الجانب العلمى:

إنه الجانب الحيوى والفعال في ظاهرة العولمة برمتها، فلولاها لما كانت الأمور على الحالة التي هي عليه اليوم؛ من النتائج المذهلة التي حققها في شتى المجالات، خصوصا ما تعلق منها بنشر وتعميم تقنيات ووسائل الإعلام والاتصال، التي أسهمت بالقسط الوافر في عولمة الكثير من الأمور؛ بإخراجها من الدائرة المحلية الضيقة إلى المستوى العالمى الرحب؛ بفضل الانترنت وملحقاتها من هذه الأجهزة الذكية التي أصبحت في متناول أغلبية

(1)- رعد شمس الدين الكيلاني: العولمة وتاريخ الصراع مع الغرب، دار الجنان للنشر والتوزيع، الخرطوم، السودان، ط 1، 2012م، ص 76.

(2)- سورة الحجرات، الآية 13

سكان المعمورة ولكن: " جزء من المآسي التي تصيب العالم الثالث، كون جزء من نخبته تتسع قاعدته أكثر فأكثر أصبح معروضا في السوق وخاضعا لإغراءات هاته العروض، وللأسف فقد أصبح عدد الأعضاء المنتمين للهيئة الأكاديمية والمنخرطين في هذه العملية كبير جدا هكذا، فان العولمة لم تقم فقط بإزالة النظام وإزالة التنسيق بل هي تسعى أيضا وعن طريق المتاجرة إلى إزالة الطابع الأكاديمي عن عالم المعرفة والبحث. فبالنسبة لها كل شيء وكل فرد وجب أن يُعرض في السوق " (1) وعندها تتشيء وتتسلعن الأفكار أيضا- كما وصفها أحدهم-.

5-3-3- عولمة العلوم و التقنيات:

وقد يكون من مظاهره على المستوى الرسمي، تبادل الخبراء والبعثات الطلابية إلى الخارج؛ حيث نلاحظ تزايد عدد الطلبة المسجلين في الخارج خلال العقدين المواليين لانهيار أهم رموز الثنائية القطبية، المتجسد في جدار برلين عام 1989م. والغالبية العظمى من هؤلاء الطلبة كانت وجهتهم الولايات المتحدة الأمريكية ، والباقي إلى أوروبا وكلاهما من قلاع العولمة ومراكز إنتاجها وقيادتها.

وهذا ما فرض على الجامعات والمراكز العلمية الاستجابة لمتطلبات المرحلة الجديدة، ب إعادة هيكلة مؤسساتها وبرامجها، وسياساتها التعليمية والبحثية، بما ينسجم مع التوجه الجديد، ويستجيب لمتطلبات قوى السوق الرأسمالية، وتحديات استعمال تكنولوجيات الاتصال والإعلام، والشبكات المعلوماتية؛ التي بقدر ما أتاحت للبحث العلمي دفعا قويا، من خلال توفر كم هائل من المعلومات ، والمعارف المتنوعة؛ بقدر ما أدخلته أيضا في الدائرة التجارية، وفقا لاقتصاد السوق الذي يفرض منطقه الخاص؛ بعولمة الأفكار والآراء والوعي، ومنها إلى القيم وما ينتج عنها من توجهات وسلوكيات، يكون المجتمع مصبًا ووعاءا لعملية المزج والتشكيل الجديد لهذا الوعي وهذه الأفكار والآراء، وفق المنظور العالمي الكوكبي الناشئ. على الرغم مما يحويه من تناقضات أصلا.

(1)- المهدي المنجرة: عولمة العولمة، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط 2، 2011م، ص 16.

5-3-4- الجانب اللغوي:

الأدب الشعبي، وبهذه التسمية وجب أن تكون لغته هي لغة الشعب نفسه، وفي البيئة نفسها أيضا؛ حتى يكون بمثابة المرآة العاكسة لكل محتويات هذه البيئة؛ لأن اللغة هي أساس الفكر وأداة للتواصل والتفاعل، وأحد المقومات الأساسية للهوية أيضا. من هنا وجب الحفاظ عليها من الاختراق اللغوي والثقافي؛ التي تمارسه العولمة في جميع أنحاء العالم، وخاصة على مستوى العالم العربي، التي تجلت ملامح الهيمنة الثقافية واللغوية للعولمة في معظم أقطاره، إن لم تكن كلها. هذه الملامح تتجلى بوضوح بارز في ما نعيشه من ازدواجية اللغة في المجتمع، وفي كل مجالات الحياة الاجتماعية؛ جراء الثنائية اللغوية التي فرضتها العولمة في مناهجنا التعليمية بكل مستوياتها؛ ففي الجامعات مثلا تُنشر معظم-ربما كل-الأبحاث العلمية والأكاديمية ذات التخصصات الدقيقة بغير العربية؟؛ كالإنكليزية والفرنسية، مما يُسهم في تهميش اللغة العربية؛ وبالتالي تفهقرها، وتخلفها وأهلها عن الركب الحضاري الذي تتبناه وتقوده العولمة اليوم: "وإذا أردنا أن نتقدم خطوة إلى الأمام، ويتحقق لدينا الإقلاع الحضاري الشامل وجب علينا أن نحمي هذه القيم، ونحافظ على لغتنا الأصلية، ونوظفها للغرض نفسه"⁽¹⁾ فالأصل لا يأتي إلا بالأصل، وأما الزيد فيذهب جُفاء.

5-4- البعد الاجتماعي:

إن هذا البعد هو البعد الأكثر استهدافا؛ فكل الأبعاد الأخرى على اختلاف غاياتها الظاهرة ينتهي بها المطاف حتما إلى المجتمع ليتجسد فيه هدفها؛ فبدونه تؤول العملية بكاملها إلى الوهم. وربما يكون هذا البعد هو نهاية العملية برمتها إذا تحققت فيه الأهداف المنشودة، المتمثلة في الوصول إلى توحيد نمط الحياة، على مستوى كل المجتمعات البشرية في قالب واحد على سطح هذه المعمورة وهنا تظهر الآثار المدمرة الفعلية للعولمة عند: "نفشي البطالة وزيادة عدد المحرومين وإهمال البعد الاجتماعي و الإنساني وإضعاف التماسك الاجتماعي على مستوى

(1)- المهدي المرجرة : مرجع سابق ، ص 65.

العائلة والمجتمع ، وخلق عادات وتقاليد وأعراف اجتماعية جديدة وبالتالي قيم أخلاقية وأنماط سلوكية مناقضة لما هو مألوف، وتقلص الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الدولة، وضعف المسؤولية للدولة في إيجاد فرص عمل شريف للمواطن، وأخيرا خلق حالات من التوتر الاجتماعي والعمل على زرع روح الاغتراب، وهذه جميعها نقاط قد تؤثر في الجانب الاجتماعي. " (1) وهو المصعب النهائي لمختلف منتجات العولمة.

لذلك نلاحظ الأهمية البالغة التي تُعطى لهذا البعد؛ باعتباره المصعب الذي تستقر فيه مآلات الأبعاد الأخرى على اختلاف أهدافها الجزئية؛ وهو يشتمل على جوانب عدة منها.

5-4-1- الجانب الديموغرافي:

يعتبر هذا البعد أحد الأهداف الرئيسة الواجب تحقيقها بكل ما أتيح من وسائل وإمكانات؛ لما يُمثل من أهمية قصوى في تحقيق الأهداف الأخرى الكامنة من ورائه (ضمنه)، ومن أهمها التحكم في النمو الديموغرافي المتزايد في العالم على حساب النمو الغذائي (كما يدعي أحبار العولمة)؛ مما يهدد القوى العظمى نفسها، وهذا تحت شعارها المغرض في إحداث تنمية عادلة ومستدامة. وتحت هذا المسمى يمكن التحكم في النمو الديموغرافي على الكرة الأرضية؛ ولكن بما يخدم القوى المهيمنة ويُلبى حاجاتها الملحة إلى اليد العاملة المؤهلة تقنيا وعلميا؛ لضمان التأمينات الاجتماعية لفئة المتقاعدين، الغالبة على سكانها الآيلة إلى الانقراض حتما، (بفعل التفسخ الأسري والانحلال الأخلاقي المتفشي في مجتمعاتها، وطغيان الجانب المادي والفردانية المتطرفة و... الخ) وهذا ما جعل مهندسو العولمة يدرجون هذا العنصر ضمن أولوياتهم، ويبتكروا له الوسائل القانونية والمادية؛ لتحقيق أغراضهم غير المعلنة. ويأتي على رأس هذه الوسائل، ما يسمى بالمنظمات الدولية لحقوق الإنسان- والتي هي إحدى ثلاثة ركائز أساسية ترتكز عليها العولمة، بعد الحرية والديمقراطية- وقد بلغت من الزيف والنفاق والكيل بمكيالين ما لم يعد خافيا على العاقل والمجنون، ولا على الداني والقاصي.

(1)- حكمة عبد الله البزاز: العولمة والتربية، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ط1، 2001م، ص 35.

ولمن يُساوره الشك فليطلع على قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بالقضايا الإسلامية عموماً والعربية على وجه التحديد، مقارنة مع مثيلاتها من القضايا التي تخص غير العرب والمسلمين؛ منذ اغتصاب فلسطين، بوغد-بلغور- إلى قرارات تدمير العراق بكذبة أسلحة الدمار الشامل، وسوريا وليبيا واليمن... الخ بحرافة الإرهاب؟ وهكذا هي مهمة هذه المنظمة المسماة بالدولية ظلماً وزوراً؛ و الأحرى أنها سلاح فتاك في يد قوى الظلم والطغيان الغربي المجرم تُسلطه على كل من تُسوّل له نفسه مخالفة النظرة الغربية للحياة، ونمط العيش والتفكير. وهي اليوم من أكثر أدوات العولمة فتكاً وتدميراً للدول النامية، بمعية صندوق النقد الدولي، والمنظمة الدولية للتجارة (الكات): " فالعولمة ترجع في التحليل الأخير إلى الانتظام، إنها تعني منذ الآن العملية التي بواسطتها- بمساعدة صندوق النقد الدولي والبنك العالمي في الغالب- تنظيم نزع ملكية الشعوب بمباركة الزعامة المحلية التي لا يفوقها الاغتناء بالمناسبة " (1) إنه الفساد المستشري والوضع المزري؛ الذي لا يمكن دحضه أو إخفاؤه في دول ما يُسمى بالعالم الثالث.

5-4-2- الجانب السلوكي :

إن الهدف الأساس من توسيع العولمة مجال اهتماماتها، من المجال الاقتصادي بداية، إلى المجال الثقافي تالياً؛ هو خلق المناخ الملائم، والترتبة الصالحة لاستنبات ثقافة الاستهلاك لدى المجتمعات المستهدفة بالتعليم، وتوسيع مساحتها باستمرار عن طريق: " تخليق المستهلك على المستوى العالمي من خلال نشر نمط الحياة الغربية، وهذا الفهم يُمثل إعادة هيكلة الأوضاع في العالم على وفق رغبة الشركات متعددة الجنسيات وبما يُعظم التوسع الرأسمالي" (2) إلى الحد الذي تغطي فيه كل يابسة الكرة الأرضية وقاطنيها جميعهم، وبذلك تُعظم من ربحيتها وتكون عندها ثقافة الاستهلاك هي السلوك المشترك لدى الناس؛ ومنه توحيد السلوكيات العامة للبشر في نمط واحد؛ يُتحكم فيه من خلال نوعية المواد المتماثلة المطروحة في الأسواق، ذات المصدر المشترك في الإنتاج المتمثل

(1)- المهدي المرجرة : مرجع سابق ، ص13.

(2)- رواء زكي يونس الطويل: مستقبل المعلوماتية والتنمية للدول النامية في الألفية الثالثة، دار زهران للنشر، عمّان، الأردن، د ط، 2009م، ص25.

في الشركات العابرة للقارات ؛ باعتبارها النواة الأساسية التي قامت عليها العولمة والرعاية لها أيضا. وعليه يمكن

التحكم في السلوك العام للشعب وتوجيهه من خلال تعميم فكرة تنميط الإنتاج الذي يؤدي إلى تنميط

الاستهلاك وهو بدوره سوف يؤدي إلى تنميط السلوك النابع من: "إنجيل الإعلام والقائمين عليه، هو المادة والمال

وأما الأعمدة التي يقوم عليها فهي: الجريمة والجنس والاستهلاكية" ⁽¹⁾ فلم يعد التأثير السلبي للإعلام، خافيا على

الكبير ولا الصغير، الرجل والمرأة، ولكن من دون حراك.

5-4-3- الجانب المهني :

يتطلب تنميط الإنتاج، وظائف ومهن تتلاءم والأوضاع الجديدة؛ مما يجعل من بعض الوظائف والمهن اليوم

يصحّ نعتها -بلقديمة- وبالتالي تفقد مكانتها في ساحات العمل الراهنة، فاسحة المجال لوظائف ومهن أخرى

جديدة ملائمة لمتطلبات هذا الوضع؛ الذي سوف يتميز بالذكاء والاستعمال الكثيف للتكنولوجيا فائقة التطور

وهذا يستدعي وجود اليد العاملة المدربة على التقنية العالية، بما تتطلبه من علوم ومعارف ومهارات متنوعة ومعقدة.

مما يقودنا بالنتيجة إلى مواجهة جيوش من البطالين والعاطلين عن العمل. وهذه من السلبيات الكارثية للعولمة على

المستوى الاجتماعي. وعندها يصبح البقاء للأقوى والأصلح فعلا. ولكنها العولمة؟ همُّها جني الأرباح المادية وجمع

الأموال فقط؛ ولو على أشلاء الآخرين وجماجمهم. إنها حضارة أمريكا والغرب؟!.

5-5- البعد الاتصالي :

هذا البعد لا يقل أهمية - بل وخطورة- عن الأبعاد الأخرى وربما كان البعد الذي تعتمد هذه الأبعاد في

إيصال وتحقيق مشروعها العولمي المسطر. ومن أهم أدوات هذا البعد، كل أجهزة الاتصال والبث، وفي مقدمتها

القنوات الفضائية، ومحطات البث الإذاعية، والإنترنت، ومنها أيضا الصحافة المكتوبة والهواتف الذكية... الخ مع

(1)- عبد الحي يحي زلوم: نذر العولمة، مرجع سابق، ص312.

ملاحظة أن اللغة الغالبة أو المهيمنة تقريبا في معظم هذه الأجهزة؛ هي اللغة الانكليزية وهذا ليس عبثا ولا صدفة بل هو نتاج تفكير وتخطيط إستراتيجي محكم.

قوامه أن اللغة هي أساس الفكر، ذلك أن التواصل بلغة واحدة يؤشر - في الغالب- إلى تماثل وتشابه في الشعور والإحساس لدى الناطقين بها، وهذا يقود بدوره إلى وحدة التعبير عن المواقف؛ هذه المواقف التي تنبع خاصة من الخلفية التاريخية والعقائدية لأصحابها، وثقافتهم وتراثهم ونمط تفكيرهم. وليعكس جانبا من سلوكياتهم وأنماط معيشتهم. وعلى ضوء هذا المعطى يُحدد الإعلام الغربي هدفه بالدرجة الأولى في توحيد لغة الاتصال (مثلة في اللغة الانكليزية) بين شعوب العالم. وذلك بتخطي لغات الشعوب الأخرى وإضعاف طاقتها، وتهميش حضاراتها والاستغناء عن تاريخها، لتخلو الساحة لها، وينتهي بذلك عائق لغة التواصل بين شعوب العالم، وترحف العولمة باسمها؛ وفق مسارين أساسيين متلازمين هما.

5-5-1- الجانب الإعلامي:

ويتمثل خاصة في المادة الإعلامية التي تُطرح عبر كافة وسائل الاتصال الحديثة، وخاصة منها القنوات الفضائية والمحطات الإذاعية وشبكة الانترنت والاتصال عبر الهواتف الذكية وخطوط الألياف البصرية، إلى غير ذلك من الوسائل فائقة التطور في هذا المجال. وما يهمنا هنا ليست الوسيلة التقنية بحد ذاتها -رغم أهميتها القصوى- إنما هو بالتحديد مضمون هذه المادة الإعلامية وحمولتها السرية (الإيديولوجية)، وكذلك الأهداف المرجوة من ورائها. فإذا افترضنا-مؤقتا- أن دور وسائل الإعلام والاتصال تنحصر في عملية النقل والنشر والتحليل لمختلف أنواع النشاط البشري، تتبين لنا الصلة الوثيقة بينها وبين ثقافة المجتمع ؛ باعتبار أن احد أوجه الثقافة هو التعبير عن النشاط الإنساني في عمومها أيضا، مما يستدعي في هذه الحال القول : بأن الإعلام هو أداة النقل والنشر لهذه الثقافة وبالتالي نقل ونشر للعادات والتقاليد والقيم وأنماط السلوك المتضمنة في المادة الإعلامية، من مجتمع إلى آخر؛ وهنا يضطلع الإعلام بدور آخر أكثر حيوية من دوره الافتراضي السابق، متمثلا في الترويج لبضاعته في

المجتمع الجديد بشتى الوسائل؛ ومن هنا تبرز العلاقة الوطيدة، بل العضوية بين الثقافة والإعلام، ودور هذا الأخير في تشكيل وبلورة الثقافة الإنسانية الراهنة .

مما سبق - ربما- يمكننا الادعاء بأننا قد أدركنا مبرط الفرس - كما يقولون- وممارسة حقنا على الأقل ولو في التساؤل- فقط- عن ماهية الحمولة السرية غير المعلنة للإعلام الغربي؟ وما الهدف أو الأهداف المنشودة من وراء هذا السعي المحموم إلى بسط السيطرة الإعلامية على العالم، في ما يُصطلح على تسميته بعولمة الإعلام ؟

" إن الإعلام الذي يتدفق من الدول الكبرى بإمكانياتها الكبرى إلى الدول الصغيرة ، قادر إلى الوصول دون استئذان لكل بيت ، بل إلى غرفة النوم في كل بيت، وقادر تاليا على طعن البنى الفكرية والعقائدية في مجتمعات الدول الصغرى، وعلى تأهيل المجتمعات وإعدادها للاحتواء والتدجين، كما أنه قادر على طعن موروثها الثقافي والقيمي والسلوكي وعلى زرع جذور ثقافة جديدة لا تقف عند تغيير العادات والتقاليد فقط ولكنها تغير القيم والعقائد أيضا " ⁽¹⁾ فما من يوم يمر إلا و يكسب الإعلام الغربي المعولم مساحات جديدة ؛ من ثقافتنا وعاداتنا وسلوكياتنا وحتى من عقيدتنا، لصالح ثقافة وسلوكيات العولمة؛ عن طريق السعي إلى توحيد الصورة وكذا الخطاب في الرسالة الإعلامية للوصول بها إلى تحقيق التماثل والتشابه في المشاعر والأحاسيس، ورذات الفعل؛ وبالتالي تشابه وتماثل المواقف والآراء في القرية الكونية المرتقبة؟. و آخر ما يطمح إليه الإعلام الغربي اليوم أو الإعلام المعولم في نهاية- اللعبة- إلى تشكيل المجتمع العالمي المنسجم، المتكامل فيما بينه؛ أي مجتمع الرفاهية والعدل والمساواة؛ لكن يجب أن يكون كل هذا الزخم، ضمن المقومات الحضارية الغربية؛ العلمانية المادية التي تُفدّس قيم الاستهلاك والريخ والأنانية والكسب السريع.

5-5-2- الجانب المعلوماتي:

ويقصد به انتشار المعلومات، ونقل العلوم والمعارف، والثقافة والفنون، وغيرها من المعلومات، التي يحتاج

(1)- محمد السماك : الثابت والمتحول، جريدة الأهرام المصرية ، بتاريخ ، 23/6/1999م.

إليها الأشخاص، على اختلاف ثقافتهم ولغاتهم و مشاريتهم وتطلعاتهم واحتياجاتهم المختلفة. وهو ما نراه اليوم عبر الشبكة العنكبوتية خاصة، والفضائيات وأجهزة التواصل الأخرى عموماً. حيث أصبحت المعلومة -رغم خطورة البعض منها - اليوم في متناول جميع الناس بغض النظر عن ألوأنهم وأشكالهم ، وجنسياتهم وأوطانهم ومعتقداتهم وانتماءاتهم، ومستوياتهم العلمية وطبقاتهم الاجتماعية ... يُوظفونها، كل حسب احتياجاته، من دون رقابة أو توجيه وإرشاد بل: "لقد صنعت مواد الإعلام وسُخِّرت وسائله لتخدم الرأسمالية المعلوماتية العالمية وأصحابها من فئة الواحد بالمائة، وفضلاً عن ذلك فإنه يجري تعبئة هذه الوسائل لتخدم أجندتها إن في أوقات السلم وإن في الحرب" ⁽¹⁾ فهل بقي لنا بعد هذا، أن نُصدِّق كل ما نراه، فضلاً عما نسمعه في مختلف وسائل الإعلام؟

6- الهوية في كنف العولمة:

مما لا شك فيه، ومما هو ليس بخافٍ على احد أيضاً؛ أن العولمة اليوم تُفرض بقوة النفوذ السياسي والاقتصادي والضغط العسكري، والتفوق التكنولوجي، والقصف الإعلامي، لفرض ثقافتها وأنماطها الفكرية على دول العالم الثالث (الجنوب)، بتعميم النموذج الغربي. ولكن هل النموذج الغربي اليوم قابل للتعميم فعلاً؛ بعد أن وقَّع التاريخ فشل هذا الاستعمار الغربي، في تغريب العالم وشعوبه على مدى قرابة الثلاثة قرون؟ إذاً فما هو الهدف الأساس للعولمة اليوم؟: "الهدف الأساس من العولمة تشكيك أمم الحضارات العريقة في حضاراتها ونفسها وعقائدها وتغريب إنسانها في أفكاره ومناهج تعليمه، بل حتى في طراز عمارته وأسلوب حياته، بل في طعامه وشرابه، عن طريق انتشار المطاعم الغربية، وكتابة الأسماء بغير اللغة العربية، إنهم يريدون أمركة كل شيء" ⁽²⁾ من هذا يمكن القول بأن الصورة قد بدأت تتضح أكثر، وبدأت معها الخفايا بالظهور، في إلزام العالم بأسره بإتباع

(1)- عبد الحي يحي زلوم: نذر العولمة، مرجع سابق، ص311.

(2)- سليمان بن صالح الخراشي: العولمة ، مرجع سابق ، ص 30.

نظام سياسي واقتصادي واجتماعي وثقافي واحد؛ مما يعني تهديد الهوية الحضارية والخصوصيات الثقافية: "والخطورة في هذا الأمر أن قوة الإبحار التي تُطرح بها هذه الهوية الشمولية ذات المنزغ الغربي والأمريكي تحديدا تعمي الأبصار عن رؤية الحقائق على الأرض كما هي، مما يؤدي إلى توهم أن هذه الهوية المغشوشة هي الهوية العصرية، الهوية الكونية، هوية التحديث والمدنية، الهوية التي ينبغي أن تسود وتقوم، لا هوية الجمود والجمود" ⁽¹⁾ انه الخطر الحقيقي الذي بدأنا نعيشه في واقع حياتنا، ونحس بآثاره المدمرة للعقل والوجدان معا؛ جراء ضعف المناعة الثقافية لدى الفرد والمجتمع؛ بفعل السياسة الاستدمارية الجديدة، التي تهدف إلى تنميط البشر و القيم و المفاهيم، وفق معاييرها الجديدة، الساعية إلى صياغة هوية فضفاضة، تُفرض على الواقع البشري في صور من التوافق الشكلي، والإجماع الإجباري المزيف: " إن العولمة بهذا المفهوم الشمولي ذي الطابع القسري سيؤدي إلى فوضى على مستوى العالم. في الفكر و السلوك، و في الاقتصاد و التجارة، و في الفنون و الآداب، وفي العلوم والتكنولوجيا أيضا" ⁽²⁾ إنها الطريقة الجديدة التي جادت بها قريحة الغرب؛ لطمس ثقافات الأمم، وهويات الشعوب، واقتلاع معالمها وتمجيتها حتى تسود ثقافته، وتهيمن حضارته على الأرض: " لقد كشفت الدراسات والوثائق والاتفاقيات التي صاغتها مؤسسات الهيمنة الغربية، والتي تمت - عولمتها- تحت علم الأمم المتحدة، عن طريق أبعاد هذه العولمة، الطامعة في (صَبَّ العالم في القالب الأمريكي الغربي)-سياسيا واقتصاديا واجتماعيا وثقافيا وقيميًا ودينيا وعسكريا-الأمر الذي جعل هذه العولمة فتنة كبرى ومحنة عظيمة وابتلاءً شديدا أمام عالم-الجنوب-وفي القلب منه عالم الإسلام" ⁽³⁾ إن العنصر الجديد هنا هو تحديد الرقعة الجغرافية والشعوب المستهدفة والمعنية بجمعية التغيير والتعولم-إنه العالم الإسلامي- ذلك الرقم الصعب في هذه المعادلة الكونية، الذي يسبب صداعا كبيرا لمهندسي العولمة بامتلاكه لكل المقومات التي تؤهله وحده لقيادة هذا العالم، وعلى رأسها الدين الإسلامي العظيم بنبئ محتوياته

(1)- عبد العزيز بن عثمان التويجري : العالم الإسلامي في عصر العولمة ، دار الشروق، القاهرة، مصر، د ط ، 2004م ، ص 55.

(2)- عبد العزيز بن عثمان التويجري: مرجع سابق ، ص 49.

(3)- محمد عمارة : بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط 1، 2009م ، ص 7.

وسعة وعائه وسماحة أخلاقه...؛ وهذا الذي أَرَّق هؤلاء، والمستشرقون قبلهم، في إيجاد الكيفية التي يمكن بها التصدي لهذا الدين، والحيلولة دون سيادته مرة أخرى مهما كانت الأحوال والظروف؛ حتى وإن اضطرتهم الأمور في ذلك إلى مزيد من القتل والتشريد، وسفك الدماء- وهاهي أوضاع الدول العربية اليوم ليست بخافية على أحد- ليزرعوا الشعور بالهزيمة بين المسلمين؛ بإضعاف الإحساس بالذاتية والتميز، وبالاعتزاز، بكل ما يرمز أو يشير من قريب أو بعيد إلى التراث الحضاري، والرصيد الثقافي للإسلام الخالد. بعبارة موجزة نسف هذا العائق المتمثل في الهوية الإسلامية من الوجود تماما. حتى تتم السيطرة بعد ذلك على العالم؛ باستنبات قيم الحضارة الغربية؛ لتسهّل على الشعوب الأخرى الاندماج والانسج-ام؛ وبالتالي النهل من عطاءات العولمة ونعيمها الافتراضي؟.

7- أدوات العولمة:

لتحقيق مآربها وتجسيد خططها، استعملت- ولا زالت تستعمل- العولمة، وسائل وأدوات على قدر كبير من الضخامة والتداخل، والفاعلية على الصعيد العالمي، وهو ما حقق لها هذا الانتشار الواسع عبر زوايا الكون الأربعة؛ ومن أهم هذه الأدوات والوسائل الظاهرة نذكر ما يلي:

7-1- منظمة الأمم المتحدة: (1) ONU:

تأسست رسمياً عام 1945م على أنقاض هيئة سابقة لها هي- عصبة الأمم- تضم معظم دول العالم تقريباً. من مبادئها، اعتماد مبدأ المساواة بين الدول والإعلان عن حقوق الإنسان واحترام حرياته الأساسية توحيد وجهات النظر الدولية حول مختلف القضايا السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ومن أهدافها الحفاظ على الأمن والسلام العالميين بمنع نشوب الحروب؛ عن طريق توفير الأمن الغذائي، وتنمية العلاقات الودية الدولية بعدم

(1)- الطاهر قسام: مفتاح التاريخ المعاصر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 1، 2002م، ص 106 وما بعدها.

التدخل في الشؤون الداخلية للدول ، والمساواة بينها في السيادة ، وحل النزاعات الدولية سلميا والامتناع عن التهديد بالقوة... لكن ما شاهدناه ونشاهده اليوم هو الخرق الصارخ لهذه المبادئ والأهداف عند استعمال القوة لفك النزاعات والتدخل في دول ذات سيادة للسيطرة عليها تحت ذرائع واهية؛ كالديمقراطية وحقوق الإنسان وغيرها كثير؛ وما أسلحة الدمار الشامل العراقية إلا إحداها، وقس على ذلك ثم انظر إلى حالة العالم العربي اليوم تتضح لك بعضا من مشاهد الظل الغامضة.

7-2- صندوق النقد الدولي IMF⁽¹⁾:

من الهيئات التابعة لمنظمة الأمم المتحدة يفوق أعضاؤه الـ 185 دولة؛ وظيفته ضمن المنظمة الأممية، تقديم القروض المالية لمواجهة النقص في العملات الأجنبية لدى أعضائه. لكن بشروطه القاسية؛ كفرض طبيعة السياسات الاقتصادية الواجب إتباعها على الدولة المعنية؛ لتتخصص وظيفته الأساسية بعد ذلك في الوصول بالدول المستهدفة إلى مرحلة العجز عن تسديد ديونها؛ لتقع بعدها فريسة للدولة المقرضة أو الممولة لديونها، فتفرض شروطها وتبسط نفوذها لتبدأ عملية استنزاف كل ثروتها. وبذلك يزداد أهل البلاد فقرا وتعاسة، لحساب الأغنياء والمترفين في الجزء الشمالي للكرة الأرضية.

7-3- البنك الدولي WB⁽²⁾ (World Bank):

ويُعرف أيضا: البنك الدولي للإنشاء والتعمير، ويضم حُلّ دول العالم؛ وعضويته مرتبطة بالانضمام إلى صندوق النقد الدولي. مهمته المعلنة محاربة الفقر في الدول النامية، غير أنه حقيقة الأداة التي تتقاسم الأدوار مع صندوق النقد الدولي، في إفقار هذه الدول وامتصاص ثروتها، من خلال تقديم القروض المالية والمساعدات الفنية

(1)- من الموقع ، <http://www.imf.org> ، بصرف ، 2019/02/02م.

(2)- من الموقع ، <http://www.aljazeera.net> ، بتصرف ، 2019/02/02م.

والمشورة للدول الأشد فقرا في العالم، ليتبين فيما بعد أن حقيقة هذه المشورة، هي أوامر وتعليمات تعسفية مجحفة بتوجيه من الولايات المتحدة الأمريكية؛ حتى يكون خادما ومنعشا لاقتصادها وشركائها.

7-4-4- المنظمة العالمية للتجارة WTO⁽¹⁾: (World Trade Organization)

هي المنظمة العالمية التي تهتم بالقوانين الدولية المتعلقة بالتجارة ما بين الدول، تضم في عضويتها أكثر

من (160) دولة. هدفها المعلن؛ تعزيز انسياب التجارة الدولية بين دول العالم، من خلال مجموعة من الاتفاقيات نذكر من أهمها:

7-4-1- الاتفاقية العامة للتعريف الجمركية والتجارة GATT: (General Agreement on Tariffs and Trade)⁽²⁾

هي منظمة تابعة للأمم المتحدة تستهدف التخفيف من قيود التجارة الدولية وبخاصة القيود الكمية مثل تحديد كمية السلعة المستوردة وهو ما يعرف بنظام الحصص وقد تضمنت خفض الرسوم الجمركية على عدد من السلع. وهي التي أصبحت تعرف اليوم بمنظمة التجارة العالمية (WTO) بعد تكييف بنودها لتتماشى ومتطلبات نَهَم العولمة الراهنة.

7-4-2- الاتفاقية العامة لتجارة الخدمات GATS⁽³⁾: (The General Agreement on Trade in Service)

هي اتفاقية المنظمة التجارة العالمية عُقدت لبسط النظام التجاري متعدد الأطراف في قطاع الخدمات، بنفس الطريقة التي يقوم بها نظام اتفاقية ال (GATT)، ببسط نفس النظام في تجارة السلع.

7-4-3- الاتفاقية حول الجوانب التجارية لحقوق الملكية الفكرية: وتُعرف اختصارا بالحروف (TRIPS)⁽⁴⁾

(1)- من الموقع ، <http://www.ar.wikipedia.org> ، بتصرف ، 2019/02/02م.

(2)- من الموقع ، <http://www.aljazeera.net> ، بتصرف ، 2019/02/02م

(3)- من الموقع ، <http://www.ar.wikipedia.org> ، بتصرف ، 2019/02/02م.

(4)- الموقع السابق نفسه.

التي تعني (Agreement on Trade Related Aspects of Intellectual Property Rights)، وهي عبارة عن اتفاق دولي يحدد المعايير الدنيا للقوانين المتعلقة بالعديد من أشكال الملكية الفكرية التي تشمل حقوق التأليف وبراءات الاختراع، والعلامات التجارية؛ ويهدف في ظاهره إلى نقل وتعميم التكنولوجيا، بما يحقق المنفعة المشتركة لمنتجي ومستخدمي المعرفة التكنولوجية، بلفضل طريقة مؤدتي إلى الرخاء الاجتماعي والاقتصادي.

7-4-4- المنندى الاقصادى العالمى (دافوس):⁽¹⁾ (World Economic Forum)

هي منظمة دولية مستقلة، ينصب اهتمام قادتها على كيفية الوصول بالعالم، إلى الحد الأدنى من الرخاء والرفاهية عن طريق تشجيع الأعمال، والسياسات والنواحي العلمية.

7-4-5- مجموعة الدول الصناعية الثمانية (G8)⁽²⁾ : تضم الدول الصناعية الكبرى في العالم. وهم الولايات

المتحدة الأمريكية، روسيا، اليابان، ألمانيا، انكلترا، فرنسا، إيطاليا، كندا. يمثل مجموع اقتصاد هذه الدول الثمانية أكثر من نصف الاقتصاد العالمي، وكذلك أغلب مراكز القوى النووية في العالم. يكون اجتماع قادة هذه الدول دوري ومستمر؛ للتصديق على كل الاتفاقيات المحففة (عموما) في حق الصغار (الأطراف).

7-5- الشركات متعددة الجنسيات (العابرة للقارات) MNC⁽³⁾ : (Multinational Corporation)

هي شركة ملكيتها تخضع لسيطرة جنسيات متعددة كما يتولى إدارتها أشخاص من جنسيات متعددة وتمارس نشاطها في بلاد أجنبية متعددة مركزها الرئيسي يوجد في دولة معينة تسمى الدولة الأم (Home Country) وتتوسع في نشاطها إلى دول أخرى تسمى الدول المضيفة (Host Countries) تتمتع بقدر كبير من حرية تحريك ونقل الموارد ومن ثم عناصر الإنتاج من رأس المال والعمل فضلاً عن المزايا التقنية ممثلة في نقل التكنولوجيا عبر

(1)- من الموقع، <http://www.aljazeera.net>، بتصرف، 2019/02/02 م.

(2)- من الموقع السابق الذكر.

(3)- من الموقع، <http://www.ar.wikipedia.org>، بتصرف، 2019/02/02 م.

الدول المختلفة، وهي مستقلة في هذا المجال عن القوميات المحلية، فهي من خلال هذا النشاط تساهم في تحديث آليات وخصائص النظام الاقتصادي العالمي فضلا عن تكريس وترسيخ عالميته، ولذلك تُعد من أهم العوامل الأساسية في ظهور العولمة الراهنة.

من خلال هذا العرض الوجيز لأدوات العولمة يتبين أن الأمر في غاية التعقيد والتداخل؛ وأن العولمة حصيلة تضافر طاقات فكرية ومادية، وسياسية واجتماعية، تولدت عنها طاقة هائلة دفعت بركب العولمة إلى اكتساح كل الساحات والمحافل؛ مما اكسبها القدرة على التغيير والهيمنة حيثما حلّت وتواجدت؛ لأنها تملك الأسباب والقوة لذلك. غير أن هذا لا يعني أبدا حتمية نجاح مشروعها بتفاصيله الحالية؛ لأنها -ربما- تكون قد أخطأت في تقدير مدى تشبث الشعوب والأمم، بعاداتها وتقاليدها وعقائدها وخصوصياتها، ومحاولتها لتعويضه بهذا الكم الهائل، من السلع والملذات المادية الزائلة، متناسية أو متجاهلة بأن الإنسان مادة وروح أيضا، ولا بد لهذه الروح هي الأخرى من غذاء، والأكد أنه يختلف تمام الاختلاف عن الغذاء المادي أو البيولوجي؛ حتى يتحقق لهذا المخلوق البشري التوازن المطلوب، وتتحقق به أيضا إنسانية الإنسان ليتقي شرّ نفسه على نفسه.

الفصل الثالث:

الأدب الشعبي

وقيم المجتمعات

الأدب الشعبي وقيم المجتمعات:

توطئة:

إن جوهر الصراع الذي تكتوي به شعوب اليوم ؛ حقيقته راجعة في الأصل ؛ من جهة أو أخرى، إلى محاولة البعض الإستئثار بسيادة قيمها، وفرضها عنوة على باقي الشعوب الأخرى؛ ناسية أو متجاهلة، للعوامل والظروف القهرية التي تحول دون ذلك قطعا. إنها ثلاثية، الإنسان ، المناخ، والتضاريس، فهذه العوامل مجتمعة ، جزء أساسي من مكونات شخصية الفرد، تماما كالمالح في العجين، منها تنبع وعليها تنبني كل حركاته وسكناته وتصرفاته.

هذه الحركات والسكنات والتصرفات، هي ماثار جدل الأمس القريب ، واليوم، على مستوى النخبة المثقفة في بلادنا الجزائر؛ تتمركز بالأساس حول نظرهم إلى الآخر، هذا الآخر المتمثل في الإنسان الغربي، والحضارة الغربية عموما. وهي إلى اليوم - للأسف- ما تزال تلقي بظلالها القاتمة؛ ومنها على سبيل التمثيل والحصر، المسألة اللغوية حيث: " تتير المسألة اللغوية في الجزائر الكثير من الجدل والتموقع الإيديولوجي الذي أدى إلى انشطار واضح بين النخب المثقفة والسياسية"⁽¹⁾ تجلّى ذلك فيما اصطلح على تناوله تحت مسمى أو مشجب- التعريب-

فمن هذه النخب نذكر مثلا الفرانكفونية وما تسعى إليه: "إن ما يسعى إليه زعماء الفرانكفونية هو زعزعة إيمان الناس بالقيم الوطنية والانتماء الإسلامي، ودفع المؤسسات التربوية والإعلامية والثقافية لنشر قيم جديدة." ⁽²⁾ بمعنى الانغماس الكلي في بحر هذه الحضارة ، من دون تمحيص أو تدقيق أو فرز؛ إنما يجب الأخذ بكل ما أنجبهت على جميع المستويات ، الفكرية والعلمية والسلوكية، مع نبذ لكل ما هو محلي أو أصلي ، أو تقليدي بتعبير أدق؛ لأن التقليدي أو التقاليد، إنما هي في حقيقتها القيم الراسخة في هذا المجتمع ، أنشأتها الظروف القاهرة سابقة الذكر، على مدار قرون خلت من الزمن ، تاركة ومخلفة وراءها أحاديث منقوشة في الفكر والشخصية ، لا يمكن ردمها في

(1)- عبد القادر فضيل: اللغة ومعركة الهوية في الجزائر، جسر للنشر والتوزيع، الجزائر، ط 2، 2015م، ص7.

(2)- عبد القادر فضيل: المرجع السابق، ص 74.

زمن قصير؛ قياسا إلى عُمر الحضارات. إن هذا التيار ليس وحده من يتبنى هذا الطرح، إنما يعضده في ذلك تيارات تغريبية أخرى؛ منها التيار الشيوعي، وكذلك المتداولون على التستر وراء شعارات اللائكية والعلمانية ممن يزعمون -زورا- أنهم ديمقراطيون؟! ...

وأما الفريق الثاني بُنْخِه هو الآخر؛ يقف على الطرف النقيض تماما؛ فهو الراض لها (الحضارة الغربية)

جملة وتفصيلا، ويُعزي كل المصائب والنكسات والإخفاقات والكوارث وغيرها، مما نحن عليه اليوم من جهل وتخلف، إلى تلك الحضارة الغربية بكل نتاجاتها الفكرية والعلمية أيضا؛ وربما نسي، أن الجزء الأكبر مما يتنعم به من رفاهية ورغد العيش، إنما هو إحدى ثمار هذه الحضارة. و هؤلاء هم من استغل الفريق الأول محدودية علمهم وقلة وعيهم وسذاجتهم؛ للاستخفاف والتطاول، على أجداد الأمة وتاريخها ولغتها. وحتى مقدراتها العقلية.

وأما الفريق الثالث، المدرك والواعي لأبعاد وشراسة الصراع الراهن (في ظل العولمة)، فرمما يكون هو قارب

نجاة لهذه الأمة؛ لأنه يروم الاستفادة من كل منتجات هذه الحضارة، في إطار أصالتنا وقيمنا ومعتقدنا؛ ولا يتأنى هذا إلا عن طريق غرس هذه المبادئ والقيم في المنظومة التربوية؛ حتى تُعبّر بحق عن أصالة هذا الشعب وانتمائه

والأصالة في هذا السياق: "هي القدرة على استنطاق الماضي لتوظيفه في خدمة الحاضر، والمستقبل، من خلال

معطيات العالم الجديد، وهكذا يتعين علينا أن نغرس القيم الروحية، والأخلاقية، والحضارية، النابع ة من واقعنا

لصياغة ملامح مجتمع قادر على التكيف مع معطيات عصره." (1) فقطار الحضارة لا ينتظر أبدا.

1- مفهوم القيم:

عاد الانشغال بالقضية القيمية في الوقت الراهن (عصر العولمة) إلى واجهة الأحداث الجارية على جميع

المستويات الوطنية والإقليمية والعالمية؛ وذلك من خلال الأصوات التي بدأت ترتفع هنا وهناك من خطورة إنتشار

(1)- علي بن محمد: معركة المصير والهوية في المنظومة التعليمية، الصراع بين الأصالة والانسلاخ في المدرسة الجزائرية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، دط، 2012م ص34.

القيم المادية، والنزعة الفردانية؛ وما سببها من ابتعاد عن السلوك الأخلاقي المرغوب. إن اتساع نطاق الجريمة بشتى أنواعها، و انتشار المخدرات و تفشي الاختطافات وغيرها، إلا أحد المؤشرات الدالة على صدق هذه الأصوات من جهة، وعلى الورطة الكبيرة التي تعاني منها المنظومة التربوية المعاصرة في العالم من جهة أخرى. فمنظومة القيم والمنظومة التربوية والمنظومة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والأمنية وأخرى غيرها؛ تتداخل عناصرها وتتشابك مع بعضها البعض. بحيث يؤدي أي تغيير في واحدة من هذه المنظومات إلى التأثير على منظومة القيم. من هنا تتجلى بوضوح العلاقة الوثيقة بين العولمة والقيم. ولعله التفسير في ظل العولمة، لما هو حاصل اليوم في العالم من تدني للقيم عموماً، وانحطاط رهيب للقيم الأخلاقية منها على وجه الخصوص.

1 1 - تعريف القِيم:

1-1-1- لغة: للقِيم مجموعة من الدلالات نجدّها في المعاجم اللغوية، وكلمة- قيمة- في أصلها مشتقة من الفعل- قَوّم- وهو متعدد الموارد والمعاني، وقد استعمل العرب هذا الفعل ومشتقاته للدلالة على معانٍ متعددة نورد بعضها منها في ما يلي:

- السياسة والرعاية: فالعرب تسمي- القِيم- (بتشديد الياء) الشخص الذي يقوم على الناس ويسوسهم. ففي لسان العرب⁽¹⁾: القِيمُ: الاستقامة، وفي الحديث: قل آمنت بالله ثم استقم، والقيمة: واحدة القِيم، وأصله الواو لأنه يقوم مقام الشيء، والقيمة: ثمن الشيء بالتقويم، والقِيم: السيد وسائس الأمر. وقِيمُ القوم: الذي يقوّمهم ويسوس أمرهم.

وفي منجد اللغة والأعلام⁽¹⁾: القِيم على الأمر: م، قِيمَة: متولّيه، القِيم: كل ذي قيمة، القيمة: ج، قِيم: الثمن الذي يعادل المتاع .

(1)- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 1997م، ص 346.

- الديمومة والثبات: كما جاء في قوله تعالى: (عذاب مقيم)؛ أي دائم.

- الصلح والاستقامة: كما جاء في قوله تعالى: (دينا قِيًّا)؛ أي مستقيما.

1-1-2- اصطلاحا:

يعد مفهوم القيم من أكثر المفاهيم المصنفة في مجال العلوم الاجتماعية إثارة للجدل، وذلك بسبب ارتباطها الوثيق بمجموعة كبيرة من المفاهيم الأخرى ذات الصلة؛ من مثل الاتجاهات والدوافع والمعتقدات والرغبات والحاجات... الخ وهذا ما جعله دائم الحضور في مجالات العلم المختلفة ، وخاصة منها العلوم الإنسانية، وبالتالي يكون هذا المصطلح -القيم- مرتبط ارتباطا وثيقا بالتراث أو الجانب الفلسفي- بكل ما يحمله من تشعبات وتفريعات- من جهة، كما أنه يُعبّر عن أرضية ومنطلقات مشتركة بين مجموعة كبيرة من العلوم والمعارف من جهة أخرى. ذلك لأن الوجود الإنساني يقوم على هذه القيم - وكما يُعتقد - فلا معنى لحياة الإنسان بلا قيم تحكمه وتضبطه، عندما يتعامل مع محيطه المادي أو المعنوي من حوله؛ بمعنى التكامل والتناغم التام بين متطلبات الجسد والروح، دون طغيان إحداها على الأخرى، فغلبة الأولى تهوي به إلى أدنى الدركات، وأما تغلب الثانية فتوهمه بالارتقاء إلى حيث لا تسمح به مكوناته (كثله) البيولوجية؛ وبالتالي وجب عليه إحداث التوازن البشري المطلوب باستنباط واختراع القيم والأخلاق الموجهة والمميزة له عن غيره من هذه المخلوقات. فإذا تجرد هذا الإنسان من قيمه، وخاصة التي توصف منها بالفاضلة، فإنه وببساطة يتجرد من حقيقة إنسانية مميزة ، ينفرد بها عن باقي المخلوقات التي تتقاسم معه هذا الكون الفسيح العجيب، والرهيب أيضا.

وعلى أساس هذه الأهمية التي تكتسيها القيم في حياة الإنسان، ظهر اتجاه نحو التخصص في دراستها تحت

اسم -نظرية القيمة، Theory of value - وذلك بهدف صياغة القضايا والمشكلات التي تناقشها وتثيرها دراسة

(1)- المنجد في اللغة والأعلام: دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 38، 2000م، ص 664.

القيم؛ بحيث تكون قابلة للدراسة الميدانية، وبالتالي الوصول إلى تعميمات أو نظريات يستفاد منها بالإجماع أو بتحديد المصطلحات الفلسفية ذات المدلول الغامض من مثل: "تصورات المرغوب - أو - ما ينبغي أن يكون... الخ" على الأقل.

وبالرغم من هذا التخصص فقد اختلف العلماء والمنظرون في تحديد أو إعطاء معنى محدد للقيم؛ لأن قضية القيمة تتسم بالعمق المعرفي والثقافي وحتى الإيديولوجي؛ لأننا ننطلق من ثقافة معينة تحكمها أو توجهها: "كل من التعاليم الدينية والرؤى الفلسفية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ وهي أصول فكرية تحكم تفاعلنا مع القضية (القيمة)"⁽¹⁾. من هنا نلاحظ أن القضية القيمة متغلغلة بشكل واسع في كل المجالات التي تهتم بقضايا الإنسان عموماً، وخاصة منها التي تُعنى بتفاعله مع محيطه ومن حوله على وجه التحديد؛ ليتجلى العمق المعرفي والثقافي والإيديولوجي، وما يتولد عنه من اختلاف في وجهات النظر للقضية القيمة برمتها.

ولا يزال هذا الاختلاف وهذا الاهتمام - في الوقت نفسه - يتفاقم ويتسع كلما دعت الضرورة إلى

الكشف عن طبيعة وملامح هذه القيم، وفي دورها كمتغير في جميع المجالات - الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والتربوية... الخ، وبعبارة أوجز في المجالات الحياتية بكاملها؛ ما ظهر منها وما خفي، وكنتيجة حتمية لهذه الاختلافات والاهتمامات، أدلى كل فريق بما في جعبته من آراء وأفكار ، ورؤى على الرغم من اختلافاتهم وانتماءاتهم العلمية والإيديولوجية؛ خدمة للعلم وللإنسانية جمعاء، من جهة، وإرضاء للفضول العلمي من جهة أخرى، وهذه بعضاً من هذه الأفكار والآراء نوردها مختصرة.

(1) - ماجد زاكي الجلاد: تعلم القيم وتعليمها، دار المسيرة للنشر والطباعة والتوزيع، عمان، الأردن، ط 2، د ت ، ص 17.

2- آراء في القيم:

2-1- عند الفلاسفة :

تطغى على آراء الفلاسفة في هذا المجال الصبغة الميتافيزيقية فهي: " لا ترتبط بمكان أو زمان معينين ، كما كانوا يعنون بالقيم أشياء متباينة ، ويُعبّرون عنها في مفهومات مجردة مثل: الحق- الخير - الجمال -العدل- الكمال... الخ"⁽¹⁾. وهذه المفهومات المجردة في الحقيقة هي -الأكلة- المفضلة للفلسفة لأنها تحيط بالظاهرة من كل جوانبها من دون أن تصل بها إلى الحقيقة النهائية، وبهذا تحافظ على ديمومتها واستمرارها وجدليتها ، وهكذا هي الفلسفة.

2-2- عند علماء النفس:

هذا الصنف من العلماء وخاصة منهم - علماء النفس التجريبي - كان يرفض التعامل مع موضوع القيم سواء في البحث التجريبي (الإمبيريقى) أو النظري، ويبررون ذلك بأن القيم تخرجهم أو تبعدهم عن الموضوعية التي يجب أن يتّصف بها العلم (علم النفس)؛ عندما كان العلم في بداياته الأولى ببراءته الطفولية.

ولكن المعطيات الواقعية أدت إلى تغيير نظرهم للقيم؛ عندما أصبحت تشكل موضوعا هاما، من بين الموضوعات التي يهتم علم النفس بدراستها. وهي اليوم ترياقا لحالات نفسية مرضية، استعصى علاجها عن الطب الكيميائي الحديث.

ولقد أجرى علماء النفس تجارب عديدة ودراسات سيكولوجية حول القيم؛ بهدف الكشف عن علاقة القيم كمتغير، بالعديد من المتغيرات الأخرى. بهدف توسيع مجالات عملها وتطبيقاتها، في هذا العصر الذي تفاقمت

(1)- كمال التايبي: الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، 1980م، ص 16.

معضلاته، إلى القدر الذي لم يعد التحكم في أغلبه-ا تحت السيطرة الكاملة؛ وهي على أبواب الانفلات إن استمر الوضع على هذه الشاكلة.

2-3- عند علماء الاجتماع :

لم يكن علماء الاجتماع في بادئ الأمر يختلفون في وجهة نظرهم أو في نظرهم لموضوع القيم عن علماء النفس؛ فقد اعرضوا عن التطرق لها أو دراستها، لمدة غير قصيرة تقارب القرن من الزمن، وذلك بحجة تحقيق أعلى نسبة من الموضوعية، وبالتالي الدقة العلمية؛ لأن نظرهم إلى القيم كانت تتسم دوما بالذاتية وهذا ما يؤكد -ليفي ستروس- عن أهمية القيم في دراسة الثقافات المختلفة بقوله: " إنه إذا كان قد بدا (ظهر) من العلوم الاجتماعية شيء من العزوف أو التردد أو التقصير أو التباطؤ في الانفعالات والعواطف والظواهر غير المنطقية، وبما أن مهمة أي علم أن يعبر عن الظاهرة بأسلوب منطقي، فإننا نخشى أن يفضي الكلام علميا عن القيم إلى تناقض الحادث من تفسير بيانات غير منطقية، بعبارات منطقية فهذا من شأنه أن يهدم هذه البيانات، ويشوه طبيعة القيم". وهذا لا يعني أن العيب في دراسة القيم، بقدر ما هو -ربما- في المنهج المتبع، أو قصور في أحد جوانبه. لأن دراسة حول الفلاح البولندي في أوروبا وأمريكا عام 1918م من طرف "وليام توماس و زباني كي" قلبت النظرة الأولى رأسا على عقب: "وأصبح علماء الاجتماع يستخدمون مفهوم -القيم- استخداما متزايدا. وسرعان ما أصبحت تمثل موضوعا يهتم به علماء الاجتماع، إلى درجة أن صاغوا العديد من النظريات السوسولوجية حولها، واعتبروها محددًا ومفتاحًا لفهم الثقافة الإنسانية."⁽¹⁾، وحققوا بذلك؛ فتحا مبينا في مجال العلوم الإنسانية خصوصا، وخدمة للبشرية عموما.

(1) - فوزية دياب: القيم و العادات الاجتماعية، مع بحث لبعض العادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، 1980م، ص 18.

2-4- عند الأنثروبولوجيين (علم الإنسان):

لقد اهتم الأنثروبولوجيون بدراسة القيم: " واستفاد علماء الأنثروبولوجيا في دراستهم المختلفة من مفهوم القيم كما قام العديد من الأنثروبولوجيين بتحليلات مباشرة للقيم، ويتمثل ذلك في التحليلات التي قام بها-كلاك هون وكوديل، وسكار، وفلورانس"⁽¹⁾. وكان لدراستهم وتحليلاتهم الأثر الواضح على فهم وتفسير بعض السلوكيات البشرية والاهتمام بها.

2-5- عند علماء الاقتصاد:

لقد أولى علماء الاقتصاد عناية فائقة بدراسة القيم؛ لما لها من تأثير مباشر في تحديد ذوق وميول الناس وكيفية اختيارهم أو تفضيلهم لسلعة دون أخرى، كما استعانوا بدراسة القيم في تحديد أسعار السلع ، وإنتاجها واستهلاكها حسب مناطق توزيعها؛ وفي هذا الصدد يقرر "هرتز لي" بقوله: " إن علماء الاقتصاد وحدهم ينفردون من بين العلماء الاجتماعيين بما أولوه من اهتمام جدير بالذكر بدراسة القيم، ولذلك فهم يعدون بحق رواد دراسة القيم في الميدان الاجتماعي؛ فقد عكفوا منذ قرن مضى على البحث فيها ، وفي الدور الذي تلعبه في تحديد الأسعار، وفي إنتاج السلع واستهلاكها وتوزيعها ، وبالتالي فقد تعمقوا في دراستها وتحليل ما يتصل بها من إشباع الحاجات والرغبات "⁽²⁾. إلا أن هذه الدراسات ، كانت في معظمها تعود بالفائدة على التجار والمضاربين والمحتكرين للسلع والبضائع، ومن هو سائر في فلحهم؛ أكثر من الزبائن والمتسوقين. وهذا بالضبط ما تقوم به العولمة حالياً؛ والاقتصادية منها على وجه الخصوص ، باستغلال هذه الدراسات وأخرى حديثة، لأغراض أخرى، قد لا تكون لها علاقة بالاقتصاد أصلاً؛ وإنما لبطس السيطرة والهيمنة الثقافية لا غير.

(1)- كمال التايبي: الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم، مرجع سبق ذكره، ص17.

(2)- فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية ، مرجع سبق ذكره، ص 18.

كان هذا عن نظرة الفلاسفة وعلماء الاجتماع وعلماء النفس وعلماء الاقتصاد والاثروبولوجيين بصفة إجمالية موجزة؛ وهي توحى ولا شك بعمق الهوة في تحديد مدلول هذه-القيم- وثـ نبي عن قدر هائل من الاختلاف، في وجهات النظر حول الإحاطة مفهوم القيم، والمؤشرات التي يمكن الاحتكام إليها في دراستها وتحليل طبيعتها. ولتقريب وجهات النظر هذه فقد صُنّفت هذه التعاريف إلى ثلاثة اتجاهات أساسية هي:

3- تصنيف تعاريف القيم:

3-1- تعريف القيم من خلال التصريح المباشر:

تُعرّف القيمة الاجتماعية بأنها أنماط سلوكية يفضّلها بعض الأشخاص عن أنماط أخرى غيرها، ويكون منشؤها كموجهات للسلوك عن تفاعل بين الشخصية والواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، كما تُعرّف أيضا بأنها مجموعة من المعتقدات التي تحظى بقدر من الاستمرار النسبي. وعندها تكون بمثابة موجهات للأشخاص الذين يعتقدونها نحو غايات ووسائل لتحقيقها. و تتكشف هذه القيم في السلوك اللفظي والفعلي، وفي المواقف والاتجاهات والعواطف التي يكنها الأشخاص نحو قضايا بذاتها.

ومن أهم علماء هذا الاتجاه نجد "ميلتون روكش" حيث يعرف القيمة بأنها: "عبارة عن غايات يسعى الفرد إلى تحقيقها وذلك من خلال التعريف بها مباشرة؛ وبالتالي التعبير عما هو مرغوب فيه أو ما هو مرغوب عنه شخصيا أو اجتماعيا." ويقول أيضا في السياق نفسه: "إن القيمة عبارة عن معتقد واحد يحظى بالدوام ويعبر عن تفضيل شخصي، أو اجتماعي لغاية معينة من غايات الوجود"⁽¹⁾. إذا فالقيمة من وجهة النظر هذه على درجة عالية من التقديس والتبجيل كما هو المعتقد عند معتقيه وأتباعه المؤمنين به حق الإيمان. أما "كلود كلاك هون" فيقول: "تمثل القيم تصورا صريحا أو ضمنيا يميز الفرد أو الجماعة، ويحدد ما هو مرغوب فيه، ويؤثر في اختيار

(1) - طاهر بوشلوش: التحولات الاجتماعية والاقتصادية وأثارها على النسق القيمي للمجتمع، الجزائر، 1967م، 1999م، رسالة دكتوراه في علم النفس، ص 16.

الطرق والوسائل، والغايات المتاحة للسلوك"⁽¹⁾ فهي بمثابة أمارات تميّز أصحابها عن غيرهم، سواء كانوا أفراداً أم جماعات وهي في الوقت ذاته مُوجّهة لسلوكهم، مُعلنة عن توجهاتهم.

3-2- تعريف القيم باعتبارها تفضيلات يختارها الفرد:

في هذا الاتجاه ربط بعض الباحثين بين القيم والتفضيلات التي يختارها الفرد؛ فعندما تقوم مجموعة ما باختيار سلوك ما؛ فيكون معنى ذلك أنها فضّلته على غيره من أنماط السلوك الأخرى المتاحة، وذلك لاعتقادها بأن هذا الاختيار أو التفضيل إما أن يكون إيجابياً بأن يجلب منفعة (لذة)، أو سلبياً يدفع مضرة (ألم) وعليه فتفضيلاتنا للأشياء هي في جوهرها قيمنا التي نتمثلها يقول "تورندايك": "إن القيم هي مجموعة من التفضيلات المبنية على شعور الإنسان باللذة أو بالألم وهما يعدان المحكّين الرئيسيين للحكم على القيم وتكوّنها، فتمسك الإنسان بالقيم مناط إما بتحقيق لذة أو بدفع ألم، أما ما سوى ذلك فإنه يكون عديم القيمة على الإطلاق"⁽²⁾. الحقيقة أن هذا الرأي أسال الكثير من الخبر بين مؤيد ومعارض ومؤفّق بينهما.

ومن علماء هذا الاتجاه مثلاً نجد من يعتبر بأن: "القيم هي العناصر الثقافية التي تجعل الثقافات الأخرى عسيرة الفهم. أو بمعنى آخر: "هي موضوع الرغبة الإنسانية والتقدير ، ولذلك تشمل القيم كل الموضوعات والظروف والمبادئ التي أصبحت ذات معنى ، خلال تجربة الإنسان الطويلة، والقيم من ناحية أخرى قد تكون إيجابية أو سلبية وأساس التمييز ، يقوم على ما هو مرغوب فيه؛ أي أن القيم الإيجابية هي قيم مرغوبة، والقيم السلبية قيم غير مرغوبة أي أن القيم ذات طبيعة نسبية"⁽³⁾ تختلف من بيئة إلى أخرى، ومن شعب إلى آخر، ومن أمة إلى أخرى؛ بفعل عوامل لا قبل للإنسان بتغييرها؛ بل لا يملك الطاقة الكافية لذلك - على الأقل في الوقت

(1)- طاهر بوشلوش: المرجع السابق، ص 17.

(2)- عاطف غيث، غريب سيد أحمد: علم الاجتماع العام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 1978م، ص 162.

(3)- عاطف غيث، غريب سيد أحمد: نفسه والصفحة.

الراهن- وإن كانت رغبته إلى ذلك مُلِحَّةً وجامحة أحياناً؛ على غرار تضاريس الأرض ومناخاتها المتناقضة الممتدة من الجامد وحتى المنصهر؛ ومن الشاهق علواً إلى المنبسط أفقياً...؛ وما تولَّد عنها من تكيِّفات وتحولات عميقة على المستويات البيولوجية والنفسية والفكرية للإنسان. فما بال قوم يسبحون - أو يريدون السباحة- ضد القوانين الكونية الراسخة في الطبيعة البشرية، بما وُلدوا وبها يحيون ويعيشون ما قُدِّر له م أن يعيشوا، وبها يُغادرون إلى مصيره المحتوم. وهكذا هي سيرورة الحياة.

3-3- تعريف القيم باعتبارها حاجات ودوافع واهتمامات:

هذا الاتجاه ينفي ضمناً القيم؛ ويجعلها مكافئة للحاجات، والدوافع أو الاهتمامات، وخاصة علماء النفس الاجتماعي منهم، الذين يحددون نظرهم للقيم في سمات الفرد، واستعداداته واستجاباته لما يتصل بالآخرين، وهذا ما يجعلهم على خلاف مع علماء الاجتماع الذين يتعاملون مع القيم الجماعية. وهذه بعض مسوغاتهم في التدليل على تلك الاعتبارات.

3-3-1- القيمة والحاجة :

يعتبر "ماسلو، Maslow" مع بعض العلماء أن مفهوم القيمة مكافئ لمفهوم الحاجة. ويعتبر آخرون أن للقيمة دافعاً بيولوجياً يقوم على الحاجات الأساسية للفرد؛ بمعنى أنه لا يمكن أن تتشكل قيمة لدى الشخص، إلا بوجود حاجة معينة يسعى إلى تحقيقها أو إشباعها، وعليه تكون الحاجات الأساسية، هي التي توجه اختيارات الفرد فتكون بمثابة قيم بيولوجية أولية، تتحول مع نمو الفرد إلى قيم اجتماعية. وأن هذه الحاجات يمكن حصرها في ثلاثة أنواع هي: " الحاجة إلى القوة التي تتصل بحب الجبروت والنفوذ والتسلط و التحكم والتأثير في مجريات الأمور والحاجة إلى إقامة علاقات ودية مع الآخرين [...] فترافقها قيم الانتماء والصدقة والتضامن والمحبة والتعاون والحاجة للتحصيل [...] التي تنبع منها اتجاهات قيمية؛ كحب النجاح والحصول على الثروة والمكاسب والاقتناء

والتنافس وتحقيق المكانة الاجتماعية⁽¹⁾ وبهذا يفرّق العلماء بين - القيمة والحاجة - لأن الحاجات توجد لدى جميع الكائنات الحية من إنسان وحيوان. وإنما القيمة تختص بالإنسان وحده دون سائر الكائنات؛ لأنهم يرون أن القيم تتضمن تمثيلات معرفية لحاجات الفرد أو المجتمع.

3-3-2- القيمة والدافع:

يُصنّف الدافع كأحد المحددات الأساسية للسلوك، وهو حالة شعورية تدفع الكائن الحي نحو هدف معين وعليه يمكن المقارنة بين القيمة والدافع بتحديد نوع الهدف في كل منهما، حيث أن الهدف في القيمة من النوع المطلق ويُنسَم بالوجوب. فعندما يُعبّر الفرد عن قيمة العدل مثلاً يقول: "يجب عليّ أن أكون عادلاً" ولكن عندما يُعبّر عن الدافع للعدل يقول: "أريد أن أكون عادلاً: فمن يرى العدل واجباً مطلقاً عليه الالتزام به يختلف عن من يدافع عن دافع يدفعه للعدل. بمعنى أدق أنه هو نفسه في حاجة ماسّة إلى هذا العدل.

3-3-3 القيمة والاهتمام:

يرى الفيلسوف الاجتماعي "بييري" أن القيمة هي: "أي اهتمام بأي شيء؛ فإذا كان الشيء موضع اهتمام فإنه حتماً يكسب قيمة"⁽²⁾ كذلك يرى بعض الباحثين: "أن القيمة هي أي موضوع نهتم به ونميل إليه" وهنا تكون القيمة مرادفة تقريباً للاهتمام، أو هي محصورة في شكل المنفعة التي يأمل الإنسان فيها تحقيق اللذة دوماً. غير أن حقيقة القيم ربما تتجاوز ذلك بكثير.

4- تصنيف القيم:

(1) - حليم بركات: المجتمع العربي في القرن العشرين العشرين (20 م)، بحث في تغير الأحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، د ط، 2000م، ص 638.

(2) - ماجد زاكي الجلاد: تعلم القيم وتعليمها، دار المسيرة للنشر والطباعة والتوزيع، الأردن، ط 2، د ت، ص 23.

نشير بداية إلى أن تصنيف القيم قد أثار الكثير من المشكلات؛ نظرا لتنوع وجهات النظر، أو المداخل التي يتبناها الباحثون للتصنيف، وليس ثمة اتفاق على تصنيف معين؛ لعدم الاتفاق حول المبادئ التي يمكن أن تستند إليها إطارات التصنيف.

فمن الباحثين من فرق بين القيم الرئيسية والقيم العملية "جوليتلي" ومنهم من تحدث عن أربعة نماذج للقيم الغائية، والخارجية، والكامنة، والوسيلية، "س.ل. لويس".

ومنهم من كتب عن القيم الثابتة والقيم العملية "جماعة كورنل"، ووصف أحدهم القيم في ضوء الاهتمامات مثل: الايجابية والسلبية والتقدمية، المتكررة والكامنة والفعلية، وهناك تصنيفات عديدة وفقا لمحتوى القيمة مثل: قيم اللذة، القيم الجمالية، القيم الدينية، القيم الاقتصادية، القيم الأخلاقية، والقيم المنطقية... الخ. إلا أن أهم هذه التصنيفات يعتمد على معايير ستة هي: (1)

المعيار الأول:

1-4- معيار محتوى القيمة :

يعتبر تصنيف العالم الألماني "سيرا نجر، Spranger" من أشهر التصنيفات التي اعتمدت معيار محتوى القيمة (تصنيفات المحتوى) وهو التصنيف الذي استخدم في اختبار "فيرنون و البورت" للقيم؛ ويشمل: القيم النظرية القيم الاقتصادية، القيم الاجتماعية، القيم السياسية، القيم الدينية، القيم الجمالية.

1-4-1- القيم النظرية:

وهذه القيم يمكن أن تنحصر في نمطين من الناس هما نمطي العالم والفيلسوف؛ لأن كل منهما يهتم بالمعرفة

(1) - فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية، مرجع سابق، ص 74.

واكتشاف الحقيقة، وهذه تخص معشر الفلاسفة ومن حذا حذوهم، أو السعي إلى التعرف على القوانين وحقائق الأشياء؛ وهذه تمثل فئة العلماء ومن سار على نهجهم، واتبع سبيلهم.

4-1-2- القيم الاقتصادية:

"وتتضمن الاهتمام بالمنفعة الاقتصادية والمادية والسعي إلى المال والثروة وزيادتها عن طريق الإنتاج واستثمار الأموال، وتُمثل رجال الأعمال والاقتصاد." (1) ربما تكون القيم الاقتصادية هي الأوضح من بين القيم الأخرى لارتباطها عمليا بالقيمة النقدية للأشياء الملموسة؛ وإن كان هذا التقدير أيضا يطرح إشكالية من نوع مختلف متعلق بالأذواق والتقديرات المعنوية للأفراد، مما يدخله بالتالي في خانة التجريد التي يصعب في العادة تقديره بالدقة الكافية المطلقة.

4-1-3- القيم الجمالية:

"وتعبر عن الاهتمام بالجمال وبالشكل وبالتناسق وهي تمثل الشخص ذا الاهتمامات الفنية الجمالية، وليس بالضرورة أن يكون هؤلاء فنانيين أو مبدعين وإنما تكون لديهم القدرة على تذوق الجمال والفن." (2) وهذا النوع من القيم يرتبط أساسا بالحالة النفسية المعقدة للشخص؛ فما نراه أو يبدو لنا جميلا، قد يراه غيرنا عكس ذلك. وقليلة هي الأشياء؛ التي يتم الاتفاق على جمالها أو قبحها في هذا العالم.

4-1-4- القيم السياسية:

"وتتضمن اهتمام الفرد بالحصول على القوة والسلطة والتحكم في الأشياء أو الأشخاص والسيطرة عليها ويعبر عنها الفرد بالنشاط السياسي والعمل السياسي وحل مشكلات الجماهير، ويتميز الأشخاص الذين يتصفون

(1)- نجيب اسكندر، لويس كامل مليكة، رشدي منصور: الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط 3، 1975م ص 498.

(2)- هاشم فاتح الله عبد الرحمان: دور كليات التربية في تنمية وتدعيم بعض القيم لدى طلابها، رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة المنيا، مصر 1992م، ص 58.

ب هذه القيمة بقدرتهم عن توجيه غيرهم والتحكم في مصائرهم.⁽¹⁾ إن هذا الطرح ولا شك غير كاف للتعبير عن القيم السياسية؛ التي يندرج تحتها تنظيم أفكار الفرد ومعتقداته وبالتالي سلوكه في محيطه المرتبط حتماً بتراثه ومعتقداته، وبالتالي فهي تعبير عن خصائص المجتمع وحضارته.

4-1-5- القيم الدينية:

"وتتضمن الاهتمام بالمعتقدات والقضايا الروحية والدينية والغيبية والبحث عن حقائق الوجود وأسرار الكون فهو راغب في معرفة أصل الإنسان ومصيره، ويرى أن هناك قوة تسيطر على العالم الذي نعيش فيه." ⁽²⁾ وما من أحد من البشر يستطيع أن ينفي هذه القوة أو حتى الخروج عن سيطرتها، مهما كانت منزلته وقوته؛ لذلك كانت القيم الدينية الصحيحة واجبة التقديس والامتثال لها؛ لأنها لا تأمر إلا بالحق، ولا تقود إلا إلى خير البشر رفاهيتهم. وما البؤس والشقاء الذي يسود العالم اليوم، إلا نتيجة لإعراض كثير من البشر عن مثل هذه القيم الفاضلة؛ فكانت النتيجة اقتراب البشرية من التردّي في دهاليز التعاسة والشقاء- إن لم تكن قد تردّت فعلا- وهو مصير كل من خالف أو استهتر بالسُّنن الكونية القاهرة.

4-1-6- القيم الاجتماعية:

وغايتها الاهتمام بالناس، ومساعدتهم وخدمتهم، والنظر إليهم نظرة إيجابية، كغايات لا كوسائل لتحقيق مصالح شخصية، وهي تجسد نمط الفرد الاجتماعي، يرى "سبرا نجر": "أن القيم الاجتماعية تنحدر عن الذات وتقترّب جدا من القيم الدينية، وعليه يمكن اعتبار القيم والعادات الاجتماعية، مظهران من مظاهر العقل الجمعي والسيطرة الاجتماعية:" فهما تعملان على إدماج الفرد في المجموع، لتحقيق التوافق والتماسك ولتحقيق الضبط

(1)- نجيب اسكندر و آخرون: قيمنا الاجتماعية، آثارها في تكوين الشخصية، مكتبة نخضة الشروق، القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 80.

(2)- نورهان منير حسن فهمي: القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، د ط، 1999م

والتنظيم الاجتماعي وأن وسيلتها إلى ذلك ما يفرضانه من جزاء على من يخالفهما ويخرج على أوامرهما"⁽¹⁾ ربما لا يكفيها الاقتراب من القيم الدينية في بعض الحالات؛ ولكن من الحكمة أن تكون هي القيم الدينية نفسها؛ حتى نضمن سعادة المجتمع ورفاهيته بالكامل.

- المعيار الثاني:

4-2-2- المقصد من القيمة : وهي تلك القيم التي ينظر إليها الأفراد والجماعات على أنها وسائل لغايات معينة وتتضح القيم عند "روكتش، Rokeach" على أنها ضرب من ضروب السلوك أو غاية من غايات الوجود المفضلة والقيم عنده تنظم في نوعين رئيسيين هما :

4-2-1- قيم وسائلية : وتُعرف بالقيم الوسيطة، وهي قيم ليست مقصودة لذاتها، بل تعد وسيلة لتحقيق غايات عليا أبعد منها. أو هي تلك المعتقدات التي تفاضل بين وسيلة وأخرى في الوصول إلى غاية ما مثل: الصلاة الصوم، الحج، التي تقوّل به إلى قيمة العبادة.

4-2-2- قيم غائية : وهي القيم التي تكون غاية في حد ذاتها، أو ما يسعى إليه الإنسان جاهدا كي يحقق به معنى وجوده، وما يريد لنفسه وغيره في نهاية المطاف.

ويصعب التمييز بين القيم الوسيطة والغائية نظرا لتداخلهما وتشابكهما مثل تحصيل العلم في الجامعة فهو وسيلة وغاية في ذات الوقت.

- المعيار الثالث:

4-3- شدة القيمة: وتنقسم إلى ثلاثة أنواع هي:

(1)- فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية ، مرجع سابق، ص 341.

4-3-1- القيم الملزمة والآمرة الناهية : وهي القيم التي تحمل صفة الإلزام، فتكون ملزمة للأفراد على الإلتباع، سواء بقوة العرف أو القانون، وبهذا يكون كل مخالفا لها خارجا عن العرف والقانون مما يستوجب تعرضه للعقاب، ومن أمثلتها القيم المتعلقة بالمعتقدات الدينية وعدم الاعتداء على الآخرين أو إبدائهم وبالالتزام بمعايير المجتمع الأخلاقية.

4-3-2- القيم التفضيلية: صلة الرحم، وإكرام الضيف، والإحسان إلى الجيران، والتعاون، وأشباهها من هذه القيم؛ هي التي يحث المجتمع أفرادها على طلبها والإعلاء من شأن فاعلها، لكنه لا يعاقب عن تركها.

4-3-4- القيم المثالية: وهي القيم التي يُرجى أن تكون ، والتي يتطلع الناس إلى تمثيلها في سلوكهم ولكنهم يشعرون بصعوبة تطبيقها بشكل دائم، وبصورة كاملة. وهذه القيم ذات أهمية كبرى؛ لأنها تُوجه سلوك الأفراد نحو المثل العليا. ومن أمثلتها: الزهد، الإيثار، التضحية، البذل والعطاء... الخ.

- المعيار الرابع:

4-4-4- عمومية القيم : ويقصد بهذا المعيار مدى شيوع القيمة وانتشارها، وتصنف القيم في هذا المعيار إلى صنفين هما:

4-4-1- القيم العامة: وهي القيم الشائعة والمنتشرة في المجتمع بغض النظر عن فئاته وطبقاته وبيئاته، وتمثل هذه القيم الإطار القيمي، الذي يحتكم إليه أفراد المجتمع في سلوكياتهم.

4-4-2- القيم الخاصة: " وهي القيم التي ترتبط بفتة خاصة أو تُحدد بزمان ومكان معينين، ومن أمثلتها إخراج الزكاة في شهر رمضان، والصلاة في المسجد، والاحتفالات بالمناسبات الدينية.⁽¹⁾ وكذلك هي القيم التي يتوخى منها صاحبها المنفعة الشخصية أولا.

(1) - حامد زهران ، إخلال محمد سرى، القيم السائدة والقيم المرغوبة في سلوك الشباب، بحث ميداني في البيئتين السعودية والمصرية ،جامعة حلوان مصر ، د ط ، 1985م، ص 73.

- المعيار الخامس:

4-5- وضوح القيمة: وتشتمل على نوعين:

4-5-1- القيم الصريحة: وهي القيم التي يصرح بها الفرد ويعلن عنها بالكلام مثل القيم المتعلقة بالخدمة

الاجتماعية والمصلحة العامة.

4-5-2- القيم الضمنية: وهي القيم التي يستدل عليها خلال سلوك المنتظم الذي يصدر عن الأفراد ولذلك

تعتبر قيما حقيقية صادقة، إذ أن ما يدل على القيمة هي آثارها الظاهرة في السلوك.

- المعيار السادس:

4-6- دوام القيمة: وتنقسم إلى قسمين:

3-6-1- قيم عابرة: وهي القيم العارضة التي لا تدوم طويلا وإنما توجد لوقت قصير ومؤقت، لارتباطها

بحدث ما أو ظاهرة معينة تزول بزوالها، مثلا قد تظهر قيمة معينة بين أفراد مجتمع تتعلق بموضة أو سلوك معين ثم

سرعان ما يتلاشى ويندثر.

4-6-2- قيم دائمة: وهي القيم التي تتناقلها الأجيال من جيل إلى جيل مما يضمن لها الدوام الطويل؛ لأنها

تتخذ صفة الإلزام والتقدير؛ كالقيم الخلقية من صدق وأمانة وعدل وتسامح وتعاون...

5- خصائص القيم:

على الرغم من وجهات النظر المتنوعة والآراء المتعددة، والخلافات القائمة حول مفهوم القيم وما تعنيه

تداخلها مع بعض المفاهيم الأخرى. توجد نقاط، تلتقي عندها هذه الآراء ووجهات النظر من أهمها أن:

5-1- القيم شخصية ذاتية:

لا يمكن البتة الفصل بين القيم وشخصية الفرد وذاته؛ لأنها تظهر لديه بأشكال مختلفة من التفضيلات والاهتمامات والاختيارات والحاجات والاتجاهات والأحكام، مما يجعلها قضية ذاتية شخصية، ولذلك يختلف الناس حول مدى أهميتها باختلاف ذاتهم وشخصياتهم وهي بذلك (القيم): "تؤثر وتتأثر بذاتية الفرد واهتماماته وميولاته ورغباته وتأملاته وطبيعة ذوقه، فتفاوت الناس واختلافهم في الحكم على الأشياء إنما جاء نتيجة بنائهم الشخصي ولمعتقداتهم حولها، فالحسن والقبح والرفض والقبول لشيء ما، يُبنى على تصور الفرد لهذا الشيء واعتقاده فيه؛ إذ لا يوجد شيء حسن وقبيح في حد ذاته؛ بل تصور الإنسان عنه هو الذي يعطيه هذه الصفة كما يقول أنصار الفلسفة الواقعية. فتصوراتنا للأشياء هو الذي يكسبها قيمة عندنا ومن هنا تكتسب القيمة أهميتها لدى ممثلها والمتمسك بها من الناحية العملية"⁽¹⁾ فهي من المكونات التي تدخل في التركيبة النفسية للفرد والتي بها يرى ويُقدر الأشياء؛ أي يحدد قيمتها من منظوره الخاص.

5-2- القيم نسبية:

وتتمثل هذه النسبية في اختلاف الزمان والمكان والإنسان، فكل إنسان له تقديره وبيانه للقيمة وأهميتها وجدواها في زمانه، وكذا في مكانه وبيئته أيضا وذلك لتصورات الأفراد للقيمة وارتباطاتها الزمنية والمكانية وهي بذلك تتبع لمعتقدات الإنسان وتصوراته، فالقيم ثابتة راسخة عند معتقديها، من حيث مصدرها وأهميتها وضرورة تمثلها لأنهم اختاروها وميزوها بالعقل والفهم العميق، وجعلوها معيارا لسلوكهم.

زد على ذلك فهي نسبية لما تثيره من جدال واختلاف بين الأشخاص والثقافات والأجيال، فما يعتقد جيل بأنه قيمة إيجابية قد يراه آخر قيمة سلبية، وهذا راجع في الحقيقة إلى المعتقد والتصور الذي تنبع منه القيمة؛ ذلك

(1) - محمد علي محمد: مفهوم القيم الاجتماعية، الأسس النظرية والمؤشرات الإجرائية، المركز الإقليمي العربي للبحوث والتوثيق في البحوث الاجتماعية، القاهرة، مصر، د ط، 1986م، ص 167،

أن اختلاف التصور يؤدي بالضرورة إلى اختلاف الرؤى للقيم طبقاً للقاعدة القائلة: "القيم تابعة للفكر ومتولدة منه" (1) فالفكر البشري في تطور وتحدد مستمرين؛ وهذا ما يؤدي إلى ظاهرة ما يسمى أيضاً بصراع الأجيال فحقيقته هي تطور في الأفكار المؤدي إلى التطور في الأدوات وبالتالي القيم ومنها إلى السلوك.

5-3- القيم (مجردة) تجريدية:

القيم معان مجردة؛ بمعنى أن معانيها لا تتضح إلا في السلوك الذي تمثله والواقع الذي تتمظهر فيه. فالعدل مثلاً من حيث هو قيمة، يحمل معنى ذهنياً مجرداً غير محسوس، لكنه يتخذ قيمته من الواقع الحي الممارس، وبما أن القيمة تتلبس بالزمان والمكان فلا يمكن فهمها إلا في السلوك الذي يمثل الإطار الثقافي الذي يعيشه الإنسان. فالقيم إذا معان كلية ومطلقة ومجردة، ورغم هذا لا تكون إلا إذا تلبست بالواقع والسلوك؛ أي عندما يؤمن بها الإنسان كموجه له، ويدرجها ضمن سلوكه.

3-4-4- القيم متدرجة :

والتدرج هنا يستدعي وجود ما يسمى - بالسلم القيمي - حيث تترتب القيم عند الفرد ترتيباً هرمياً تتفضل وتهيمن فيه (عليه) بعض القيم عن البعض الآخر؛ ذلك أن للفرد قيماً أساسية مسيطرة ولها الدرجة العالية من الأهمية. وهي التي تترتب على قمة سلمه القيمي، ثم تتدرج حسب أهميتها مشكّلة عند صاحبها نسقاً قيمياً داخلياً متدرجاً. يتجلى بوضوح في مواقف الحياة المختلفة، وبخاصة عندما تتعارض القيم المهمة مع تلك الأقل أهمية فيعمل على الاختيار منها، وإخضاع بعضها لبعض. فنجد مثلاً: " أن الصلاة وطلب العلم قيمتان يدين بهما المرء إلا أنه وفي ظروف معينة (فاهرة) يتحتم عليه الاختيار وتفضيل بعضها عن الأخر وتقديمه؛ فقد يقدم الصلاة على طلب

(1) - احمد حسن الشحات: الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ط، د ت

العلم وقد يفعل عكس ذلك، وهذا (نابع) ينبع من ترتيبه الهرمي للقيم. " (1) فتحدد الأولويات وترتيبها من شأن الفرد نفسه، في الظروف العادية وخارج مجالات القهر والتسويق . وتبقى الإشارة في هذه النقطة إلى أن هناك إمكانية لتغيير بناء القيم وترتيبها فهي لا تتخذ مرتبة ثابتة لا تتغير في نفس الفرد، بل ترتفع وتنخفض وتتقدم وتراجع فيما بينها، وذلك تبعاً لتصورات الفرد وبنائه الشخصي، وتربيته وطبيعته، وبما تعرّض له من مؤثرات خارجية.

كما لا يمكن التغاضي عن: " أهمية العامل البيئي والتربوي في توضيح - السُّلم القيمي - وثباته. فنجد الخبرة والنضج، والوعي والإدراك ، والنمو والتعلم. جميعها تؤثر في مدى وعي الفرد وإدراكه للقيم؛ وكلما زاد الوعي والإدراك والنضج، كان ذلك ادعى لحسن ترتيب القيم وتنظيمها ومن ثم ثباتها " (2) مما يخلف انعكاسات طيبة مفيدة على البيئة وأصحابها للعديد من الأجيال التالية المتعاقبة، ومن هنا تتجلى أهمية القيم.

6- أهمية القيم:

كما سبق وأن ذكرنا في- خصائص القيم- من تعدد الآراء وتنوع وجهات النظر وشدة الخلافات القائمة حول- مفهوم القيم- وتداخلها نجد أن هذا في الآراء ، والتنوع في وجهات النظر والاختلافات القائمة ، كلها تتلاشى وتندثر ، لتستحيل إلى اتفاق مطلق على أهمية القيم وأثرها البالغ ، في تشكيل سلوك الإنسان وبناء شخصيته وتعريفه بذاته. هذا السلوك الذي به يتحقق الوجود البشري على اعتبار أن الإنسان هو جوهر الوجود وكل ما في هذا الكون مُسخّر للإنسان ليقوم عليه حياته.

وتكمن أهمية القيم في جانبين؛ فهناك قيم تعود أهميتها على الفرد وأخرى تعود على المجتمع.

(1) - ماجد زاكي الجلاد: تعلّم القيم وتعليمها ، مرجع سابق، ص 37.

(2) - حسن حسين زنتوت: استراتيجيات التدريس، رؤية معاصرة لطرق التعليم والتعلم، سلسلة أصول التدريس، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 4

6-1-1- أهمية القيم بالنسبة للفرد:

تشكل القيم ركنا أساسيا في بناء الإنسان وتكوينه؛ فهي تضرب جذورها في أعماق النفس البشرية ممتدة إلى جوهرها وخفاياها وأسرارها. ولذلك تعتبر القيم:

6-1-1-1- جوهر الكينونة الإنسانية:

لقد لازمت القيم الإنسان وتكوينه وجُعِلت جزءا من ذاته. فالإنسان له كيان مادي محسوس هو الممثل

للجسد البشري وهو غير الإنسان؛ بل هناك عنصر جوهري أهم من الجسد، به يتميز الإنسان عن باقي

المخلوقات هو عنصر (الروح) الذي أودع الله فيه أسرار المكنونة والتي لا يجليها إلا هو. ورسالة الإنسان ووظيفته

تتلخص في الاستخلاف والاستعمار: " فاستعمار الكون أي تعميمه وتوظيف ما فيه للرفي بحياة الإنسان وتقديمه

يعبر عن الجانب المادي المحسوس، أما الاستخلاف فهو يركز على الجانب المعنوي الذي يظهر في منظومة من

القيم والمعايير ثم يتسع ليشمل البعد المادي، ومن هنا يتبين أن القيم ومعاييرها هي التي تمثل جوهر الإنسان

الحقيقي فبالقيم يصير الإنسان إنسانا وبدونها يفقد إنسانيته ويتردى إلى أسفل سافلين" ⁽¹⁾ بمعنى أنه يساوي نفسه

مع من هو أدنى منه خلقا عن طواعية وبمحض إرادته؛ فكان لزاما أن يتردى ويدوق وبال أمره— كما هي الحقيقة

اليوم شاخصة للعيان-

6-1-2- القيم هي من يخطط مسارات الفرد وعليها تُضبط سلوكياته في الحياة:

لكي نرسخ في الفرد السلوكيات الحسنة ونجنبه السلوكيات السيئة لابد أن نعزز لديه منظومة القيم الإنسانية

الفاعلة والصحيحة المبنية على القناعة والقدرة والإرادة: " لأن السلوك الإنساني ينبع من القيم التي تنشأ عن

التصور والمعتقد والفكر، وبذلك تعمل على تحديد مسارات الفرد واتجاهاته في الحياة. ففي حالة ترسيخ القيم

(1) - ماجد عرسان الكيلاني: فلسفة التربية الإسلامية، مكتبة هادي، مكة المكرمة، م. ع. السعودية، دط، 1988م، ص 28.

السلبية فإن السلوك يكون بالضرورة سلبيا مرفوضا يجلب لصاحبه التعاسة والشقاء في الدنيا والآخرة. " (1) ويكون دليل الاستجابة لهذه القيم من خلال إتباع أنماط سلوكية معينة، تحددتها الجماعة ولا تخضع لأهواء الأفراد، وهم بذلك يحاولون دائما تمثل القيم الاجتماعية من خلال هذه النماذج السلوكية الفعلية ذات الدلالات الاجتماعية الرمزية.

6-1-3- القيم وقاية للفرد من الانحراف وطغيان الغرائز:

تحتوي النفس البشرية على غرائز وشهوات وأهواء لها ما لها من التأثير ؛ باعتبارها من المداخل الكبرى للفساد والسوء، وإن لم تتم السيطرة عليها كانت معول هدم وتدمير. وهنا تكون القيم النبيلة والأخلاقية الفاضلة منها على وجه التحديد ، بمثابة المكابح التي بها يمكن التحكم أو التخفيف من الآثار المدمرة لهذه الغرائز والشهوات، عندما تتجاوز الحدود الطبيعية لها. ويمكن التمثيل لها هنا بقيمة- الإيمان بالله تعالى - فهي رادع قوي في درء المفاسد؛ ومُنظم فعّال لطغيان الغرائز البشرية.

6-1-4 - القيم تُسَلِّح الإنسان بالطاقة الحيويّة وتُصْرِفه عن السلوك السلبي:

إن الفاعلين في الحياة والناجحين تجد لهم قيم مميزة عن غيرهم من العاجزين والفاشلين الذين يُعزّون فشلهم إلى أسباب واهية للتصل من المسؤولية الملقاة على عاتقهم ، بسبب سلوكياتهم السلبية الناتجة حتما عن تبنى القيم السلبية، المورثة للعجز والضعف ، وغيرها من المثبطات الناشئة عن منظومته القيمية السلبية المتبناة. ومن أهمها إتباع هوى النفس بالخضوع التام لمطالبها التي لا تنتهي إلا على حافة القبر ومن دون استيفائها. وهذا هو العاجز الفاشل التعيس.

(1) - عمان سلطان وآخرون: صراع القيم بين الآباء والأبناء ، المجلة الاجتماعية القومية، ع 1، يناير 1972م، ص 10.

6-2-2- أهمية القيم بالنسبة لتماسك المجتمع :

تُخبر الحقيقة التاريخية، أن قوة المجتمعات وضعفها، لا تتحدد بالمعايير المادية وحدها؛ بل إن بقاءها وجودها واستمرارها، مرهون بما تملكه من معايير قيمية وخلقية؛ كأتماط سلوكية وفكرية وعملية؛ وهي بالنسبة لمعتنقيها عاملا مهمًا وفعالًا لتماسك أفرادها؛ لأنها بمثابة قيود وضوابط، تنظم وتقمع العدوانية أو الميول والدوافع الأنانية وبذلك يكون هناك ما يحقق مظهرًا متجانسًا في الأفكار والتصرفات، يؤثر به على التماسك الاجتماعي وحسن التعامل والاتصال بين الناس. وما نهاية الأرقام وفناء المجتمعات، إلا بعد أن تمرت ورفضت تبني معايير القيم الفاضلة وركونها إلى معايير قيمية سلبية (فاسدة) يسودها الظلم والتكبر والانحلال الخلقي. وما أف بول وزوال الحضارات البائدة إلا وكان أحد أسبابها الانحلال الخلقي، المرافق للظلم والجور و... الخ: "القيم إذن هي التي تدفع على تمسك الناس بالعادات الاجتماعية، كما تُضفي عليها معنى و تفسيرها وتبين الفكرة التي وراءها والحكم الاعتقادي الدافع إلى التمسك بها" (1) لذلك فإن:

6-2-1- القيم تحفظ المجتمع من السلوكيات الهدمومة :

إذا كانت القيم الإيجابية والأخلاق الفاضلة، هي ركن أساسي في بناء وتكوين الإنسان الصالح؛ فهذا يُشير إلى أن هذه القيم هي الركن الأساسي في بناء وحفظ المجتمع. لأن المجتمع هو مجموعة من الأفراد؛ وما يؤدي إلى انحراف الأفراد يؤدي إلى انحراف المجتمع بكامله. فإذا كانت القيم الأخلاقية الفاضلة للفرد على مستوى عال من التقديس والاحترام، كان المجتمع على درجة كبيرة من التماسك والانسجام؛ وبالتالي الاستمرار والبقاء لمدة أطول. وهو عامل أساس في تقدير عمر الحضارات؛ فتبقى ما بقيت هذه القيم الفاضلة منتشرة بين الناس، آخذة بناصية توجيههم وإرشادهم: " بالرغم من تساوي النمو العقلي والنمو الخلقي، من حيث ضررها؛ لكن الانحطاط الخلقي يؤدي إلى أفدح من تلك التي يؤدي إليها الانحطاط العقلي" (2) و تاريخ الأمم والحضارات شاهد على ذلك.

(1)- فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية، مرجع سابق، ص 337.

(2)- ضياء زاهر: القيم في العملية التربوية، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، مصر، دط، 1984م، ص 85.

6-2-2- القِيم تحفظ للمجتمع هويته وتَميُّزه :

تتميز المجتمعات وتختلف عن بعضها البعض وفقا لما تتبناه من أصول ثقافية ومعايير قيمية، تشمل جميع نواحي الحياة المختلفة؛ لأن الحفاظ على هوية المجتمع ، تنبع من محافظته على قيّمه الأصلية المتأصلة لدى أفرادها وأن زعزعتها أو اضمحلالها يكون مؤشرا كافيا عن ضعف الهوية المميزة لهذا المجتمع. لذلك لا بد من تدقيق النظر في منظومات القِيم الوافدة، ومدى انسجامها مع منظومة القِيم الأصلية المحلية؛ بهدف حماية أفراد المجتمع وهوياتهم الثقافية من التشتت و الصراع، وضمان الاستقرار والتميز.

بعد هذا الاستعراض الموجز للقِيم والوقوف على أهميتها القصوى وآثارها البالغة؛ على كل من الفرد ؛ بتوجيهه وتهدئته، حتى يكون عضوا صالحا في خدمة نفسه وأسرته ومن ثمة مجتمعه . والمجتمع يحفظ هويته الثقافية لتمييزه عن باقي المجتمعات والشعوب ؛ لأن هوية المجتمع متضمنة في ثقافته أي: " ثمة علاقة وطيدة بين الهوية والثقافة بحيث يتعذر الفصل بينهما، إذ أن ما من هوية إلا و تختزل ثقافة ، فلا هوية بدون منظور ثقافي، أو لا تستند إلى خلفية ثقافية، والثقافة في عمقها وجوهرها، هوية قائمة الذات" (1) فاستهداف ثقافة أمة ما؛ معناه الإجهاز على هويتها وتجريدها من خصوصيتها، وهي معضلة العصر الراهن، عصر العولمة. فما الهوية إذا ؟

7- مفهوم الهوية:

7-1- لغة: ورد في قاموس المنجد في اللغة والأعلام " أن الهوية: " حقيقة الشيء أو الشخص المطلقة المشتملة

على صفاته الجوهرية و ذلك منسوب إلى هو. " (2) كما جاء فيه أيضا أن: "الهوهو: لفظ مركب من هُوهُو، جعل

اسما معرّفا باللام ومعناه الاتحاد بالذات. أي اتحاد الذات مع نفسها، مع عُسر أو استحالة الفصل بينهما؛ تماما

(1)- عبد العزيز بن عثمان التويجري: العالم الإسلامي في عصر العولمة ، مرجع سابق، ص57.

(2)- المنجد في اللغة والأعلام: مرجع سابق، ص 875.

كاستحالة الفصل بين وجهي العملة النقدية. وجاء في موسوعة (1): Dictionnaire Encyclopedique :

AUZOU عن الهوية ما نصه:

Identité : n ,f, caractère de ce qui est Identique .Identité d opinion. Qualité d une chose qui reste identique a-elle-même dans le temps ...

7-2- اصطلاحاً:

يعتبر مفهوم الهوية من المفاهيم التي اقتحمت بشدة مجالات البحث العلمي، والجدل السياسي والثقافي؛ نظراً لعلاقة المفهوم بكل المجالات العلمية، من فلسفة ومنطق وتاريخ وعلم النفس، فضلاً عن العلوم السياسية والاجتماعية وغيرها من العلوم ذات الصلة.

كما يرتبط مفهوم الهوية وما يتعلق به من محددات، ومؤشرات، ومفاهيم؛ كالذات واللغة والثقافة والحضارة والأصالة والعرف والخصوصية، وغيرها من المفاهيم التي ترتبط بها على المستوى المعرفي والمفاهيمي والإيديولوجي ووفق سيرورة تاريخية معينة، تتفاعل فيه داخل فضاء اجتماعي ما. نتولد عنه خبرات مشتركة بين أفراد هذا المجتمع تتحول فيما بعد إلى قيم ومميزات وخصائص؛ مُشكّلة بذلك في مجموعها ما يُعرف بالهوية. التي يتم تداول مفهومها بكثافة في مجال العلوم الإنسانية خاصة.

7-3- مفهومها في الفلسفة:

استحوذ مفهوم الهوية على اهتمام وتفكير العديد من الفلاسفة، فقد أدلى كل واحد بما رآه إسهاماً في الدفع نحو إدراك الحقيقة، أو الاقتراب منها على الأقل. يقول أبو نصر الفارابي: "أن الهوية الشيء عينه، ووحدته وتشخصه وخصوصيته، ووجوده المتفرد له، وقولنا أنه" هو" إشارة إلى هويته وخصوصيته ووجوده المنفرد له، لا يقع فيه اشتراك. هكذا تتأكد الصبغة الواحدية لمفهوم الهوية على المستوى الفلسفي. إذ- هو- يعني أصلاً المماثلة والتوحد يُضاده مفهوم التخلف والتكاثر، وهو بهذا يقترب من مفهوم الهو هو." (1)

وقد جاء في الموسوعة الفلسفية تعريف الهوية على أنها: " مقولة تعبر عن تساوي وتمائل موضوع ما مع ذاته أو ظاهرة ما مع ذاتها، ويتطلب تعيين هوية الأشياء أن يكون قد تمّ تمييزها مسبقاً، ومن ناحية أخرى فإن الموضوعات المختلفة غالباً ما تحتاج إلى تحديد هويتها بهدف تصنيفها، وهذا يعني أن الهوية ترتبط ارتباطاً لا يمكن فصله بالتمييز بين الأشياء. إن هوية الأشياء مؤقتة وانتقالية، فتغيره. وتطوره. مطلقان والهوية متعينة وليست مجردة" (2) أي أنه يمكن إدراكها والإحساس بها من خلال آثارها في توجيه تصورات وخيارات حاملها وتحديد مواقع فاعليها، داخل المجالات الاجتماعية.

يعرفها المفكر الفرنسي " أليكس ميكشيللي، M. Alex " بأنها: " منظومة متكاملة المعطيات المادية والمعنوية، والنفسية والاجتماعية، التي تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي، وتتميز بوحده التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعورية، فالهوية هي وحدة من المشاعر الداخلية التي تتمثل في وحدة من العناصر النفسية والاجتماعية والمادية التي تجعل الفرد يتميز عما سواه بوحده الذاتية" (3) وأما " برتراند بادى، Bertrand Badie " فيعتبرها: " مجموعة من الاستراتيجيات التي تضعها الجماعات والأفراد في المعترك، من أجل أن يحدّوا أنفسهم بالنسبة للآخرين، حسب رغبتهم ومصالحهم" (4) إلا أن " ماكس فيبر M, Weber " نجده يحدد مستويين للهوية: " المستوى الأول: الصورة الكونية، أي جملة المعتقدات والمسلّمات الافتراضية عن العالم، والتي على ضوءها يمكن الوصول إلى إجابة شافية حول مغزى الوحدة وحقيقة الكون. والمستوى الثاني: السياق التصوري وهو الذي تضع فيه الذات الجمعية نفسها ضمن تقسيمات العالم، انطلاقاً من

(1) - عبد الوهاب المسيري ، وفتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، لبنان، د ط، 2003 م، ص 190 .

(2) - م. روزنتال، ب. بادين : الموسوعة الفلسفية، ترجمه سمير كرم ، بيروت، لبنان ، دار الطليعة للنشر والتوزيع، د ط، 1981 م، ص 16.

(3) - سعيد إسماعيل علي: الهوية والتعليم، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 2005 م، ص 27 .

(4) - الحسين الزاوي : الشك ومكامن الغل في فلسفة المشهد الجزائري، رياض العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2005 م ، ص 61 .

النواحي الثقافية والاجتماعية والأخلاقية، وانطلاقاً من هذا الأخير ينظر للآخر المحدد الأساسي للهوية⁽¹⁾ ونختم هذه التعاريف بتعريف " جوتلوب فريج، J,Fredj " الذي يوحى فيه بصعوبة الوصول إلى تعريف محدد للهوية بقوله: " كل تعريف هو عبارة عن هوية، فالهوية في حد ذاتها لا يمكن أن تعرف. " إذا فللهوية لا يمكن تحديد مجال تواجدها، أو حتى أساليب استعمالها ولذلك تعتبر من المفاهيم التي يتعذر حصرها وتعريفها؛ فهي لا تتل بعيدة عن الدقة العلمية المطلوبة، وعن إشباع الفضول البشري من العلم، وعن الرغبة الإنسانية الجارحة في الوصول إلى الحقيقة المطلقة، لأن عالم الإنسان وما ينطوي عليه من مشاعر، وأفكار وتصورات وانتماء وولاء، وما يحكمها من تفاعلات على المستويين، الاجتماعي والثقافي، هو صاحب التأثير البالغ في تشكّل الهوية من ناحيتها النفسية والاجتماعية.

7-4-4- مكونات الهوية :

يحمل مصطلح الهوية مضامين متعددة، يمكن التعبير عنها واخصرارها في ما يلي:

7-4-1- المكون الثقافي: يمكن الكشف عن هوية الشخص من خلال العناصر الثقافية المميزة التي تتمثل في الدين أو اللغة أو العادات والتقاليد والأعراف، أو نظام الإدارة والتنظيم الهيكلي للقوة والسلطة والقانون المنظم أو وسائل الإنتاج أو الملابس أو طرائق الأكل والشرب أو الأساطير والقصص الخرافية، والمعتقدات والرموز، أو القيم الاجتماعية المشتركة، كما يندرج فيها وحدة المصالح والمصير والتاريخ المشترك: " ومن شأن الهوية الثقافية أن تعطي الناس شعوراً بالكرامة والعزة ولا تعطيتهم الاتجاه نحو الخضوع مجرد تأمين البقاء، لأنه يوجد تراث ثقافي إنساني مشترك تقع علينا مسؤولية كبرى في دفعه وتقدمه والحفاظ عليه " ⁽²⁾ فالعزة والكرامة هي رأس مال الإنسان وفائدته فإذا فقدتهما انهار واضمححل. فالحفاظ على الهوية الثقافية هو الحفاظ على الوجود نفسه.

(1)- مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 1979م، ص 461 .

(2)- المهدي المنجرة : قيمة القيم ، دون دار النشر والبلد والطبعة والتاريخ، ص 47 .

7-4-2- المكون الاجتماعي: وبداية هذا المكون من المولد أو العائلة أو الأسرة أو القبيلة، تليه عناصر المكون البيولوجي المكون من العرق أو اللون أو الدم أو الجنس، أو النوع، أو عن طريق الانتماء والتبعية أو العضوية الأثنية، ثم الطبقة والمكانة والوظيفة، القدرات الاقتصادية والعقلية، الإبداع، الانتماء المهني التنظيمي التنشئة الاجتماعية، الارتباط بمكان ما، نمط السلوك، وغيرها من العناصر التي يمكن بها الاستدلال عن هوية الفرد.

7-4-3- المكون السياسي: تتكشف الهوية السياسية من خلال نظام الحكم وشكل الدولة ونظام الإدارة والسيطرة على جهاز إدارة الدولة، والبناء الدستوري والقانوني فيها، أو المواطنة والجنسية، أو الأيدولوجيا الموجهة للبناء السياسي الرئيسي ممثلاً في الحكومة والفرعي ممثلاً في التنظيمات السياسية، كالأحزاب وتنظيمات المجتمع المدني.

8- تصنيفات الهوية:

تعددت تصنيفات الهوية وتنوعت، تبعاً للباحثين واختلاف تخصصاتهم ونظراتهم وتصوراتهم وأطروحاتهم، في ما يمكن إجماله في: الهوية الفردية، والهوية الاجتماعية، والهوية الثقافية.

8-1- الهوية الفردية:

هذه الهوية تقتضي تعريف مصطلح الذات، الذي يُؤلف للإشارة إلى الهوية الشخصية، التي نقفل في مجموع الخصائص التي يملكها الشخص، وبما توزن قيمته الاجتماعية والنفسية؛ التي يعرف الشخص نفسه بها من جهة، ومراقبة ثباته وعدم تغيره، بمراقبة استقرار وثبات هذا الوزن من جهة أخرى. فيكون الشعور بذلك على صورتين: تقدير الذات والشعور بما عندما تتحقق الطموحات الموافقة لاعتراض الجماعة وتمثيلها، إضافة إلى الوضعية والمكانة والقيم والقدرات والتاريخ الشخصي...

من محددات الهوية الشخصية الشعور بالتميز والاختلاف عن الآخرين، والشعور بالاستقلالية والثقة، والشعور بالوحدة والتماسك، والشعور بالانتماء، والشعور بالقيمة وتقديم الذات، وهذه المشاعر مجتمعة هي التي تتحدد على ضوءها صفة الهوية بكل مستوياتها، التي تتراوح بين: ⁽¹⁾

2-1-1- الذات المثالية: تعتبر قدرات الفرد واستعداداته، وإمكاناته والفرص المتاحة له، وكذا مستوى طموحاته من المحددات الواجب مراعاتها لتحقيق النموذج الذي يرغب الفرد أو يأمل أن يكون عليه، لتحقيق ذاته وإنجاز هويته.

8-1-2- الذات الواقعية: تُرك هذه الذات بالإمكانات والقدرات، والأدوار والوظائف التي يقوم بها الفرد في واقعه الفعلي، بما يتضمن الاتجاهات الشعورية نحو نفسه، وتلّوجح هذه الاتجاهات بين قطبين أحدهما موجب ناتج عن تقبل الذات والرضا عنها، والثاني سالب يتمثل في رفض الذات الاجتماعية، أو السخط عليها.

8-1-3- الذات الاجتماعية: وهي الذات التي تظهر بها أمام الآخرين؛ ونعتقد أنها هي الصورة التي يرانا بها هؤلاء، ورغم أن هذه النظرة قد لا تكون مطابقة في الواقع للصورة التي يرانا منها الآخرون فعلاً، فإن هذا المستوى يؤثر تأثيراً مباشراً في سلوكياتنا، وفي الطريقة التي نجهد بها لإثبات هويتنا. وهذه الذات الاجتماعية تقوم على جدلية الحاجة إلى الأمن، والحاجة لاحترام الذات.

8-1-4- الذات الظاهرية: هي الوجه الوحيد من الهوية التي يدركها الشخص فعليا. لأنه يضع قيمته الاجتماعية مقابل ما يملكه من قدرات وخبرات شخصية، لافتا بها أنظار الآخرين، و هو الأسلوب الذي يدير به هويته وينظّم به تصوراتة نحو الآخرين.

8-2- الهوية الاجتماعية:

على اعتبار أن الإنسان كائن اجتماعي، فهو دائم البحث والسعي للانتماء والارتباط بالآخرين، بهدف

(1)- محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2003 م، ص 94 وما بعدها.

التخفيف من التوترات الانفعالية التي يتعرض لها، في حال انعزاله و مفارقتها للجماعة أو الاغتراب عنها ، فانتفاء الفرد و ارتباطه بجماعته الاجتماعية؛ سواء تمثلت هذه الجماعة في الأسرة أو العشيرة أو القبيلة أو الوطن أو طائفة أو تنظيم رسمي أو غير رسمي...وعليه يقرر " وليام جيمس، William James " بالقول: "بأن الهوية تقع عند نقطة التقاطع بين معرفة الذات، والمعرفة المتمخضة عن العلاقة مع الآخر، كما يعتبر إدراك الفرد للآخرين، وإدراك الآخرين له يكون الهوية الاجتماعية، أي أن ذلك ينطلق من التقاء-الأنا والآخر، ومن خلاله يمكن الكشف عن الآلية النفسية التي تتحكم في العلاقات الاجتماعية، فضلا عن المعايير والقيم والأعراف والتصورات التي توجه سلوك الأفراد نحو هوية جماعية واحدة."⁽¹⁾ فالهوية الاجتماعية لا تتعلق فقط بالأفراد؛ بل تتعدى في مفهومها

الفرد إلى الجماعة؛ لأن هوية الجماعة مرتبطة بتعريفها الاجتماعي، حتى يتم تحديد موقعها ضمن المجموع الاجتماعي كما حددها "دنيس كوش، Denis Couche " بقوله: " فالهوية الاجتماعية للفرد هي مجموع انتماءاته لمنظومة اجتماعية، كانتمائه إلى طبقة جنسية، أو عمرية، أو إلى مجتمع محلي بدوي أو ريفي أو حضر...الخ؛ لذلك فهي تتيح للفرد التعرف على نفسه من خلال المنظومة الاجتماعية المنتمى إليها، وتمكّن المجتمع من التعرف عليه"⁽²⁾ فهي عملية تبادل واحتواء و اعتراف بالآخر في الوقت ذاته .

وقد ذهب - ماكس فيبر- إلى القول: " أن الهوية الاجتماعية تتضح في نسق من العلاقات الاجتماعية يترابط الأفراد فيها بوحدة من الإحساس والشعور العاطفي، وبوحدة المصالح ويشتركون في ثقافة معينة تحدّد أدوارهم الاجتماعية والمسؤوليات التي تميّز أعضائها عن غيرهم من الأفراد والجماعات"⁽³⁾ وفي سياق قريب يرى "ايريكسون، Erikson" بأن الهوية: " هي عملية تتم في إطار الثقافة الاجتماعية للفرد، وأنها ذات تأثير نفسي متزامن على كافة المستويات الوظيفية الفعلية، والتي عن طريقها يستطيع المرء أن يقيّم نفسه في ضوء إدراكه لما هو

(1)- محمد مسلم : مقدمة في علم النفس الاجتماعي، دار قرطبة للنشر والتوزيع ، الجزائر، د ط، 2007 م ، ص 1 .

(2)- Denis Couche, La nation de la culture dans les sciences sociales, Alger, Edition casbah, 1999, p 83 .

(3)- Denis Couche , op. Cit, p 86

عليه، وفي ضوء إدراكه لوجهة نظر الآخرين فيه، وأنها عملية نفسية اجتماعية دائمة التغيّر والنمو وقد أرجع الإحساس الواعي بوجود الهوية إلى عاملين هما: إدراك تماثل أفراد الجماعة المحلية واستمرارية الوجود عبر الزمان والمكان. وإدراك حقيقة أن الآخرين يتعرفون عليه من خلال هذا التشابه والاستمرارية. فالشعور بالهوية يأخذ بالحسبان في جانب منه العلاقة بين الآخرين، فالفرد يكتسب هويته الخاصة من كل الهويات الفردية والجماعية⁽¹⁾

مما يجعل الأمر أكثر تعقيدا وتشابكا؛ بالرغم من أنها تتشكل حقيقة من الأفراد، ويُعبّر عنها بهوية

- النحنُ - خلافا لهوية-الأنا-الهوية الذاتية.

8-3- الهوية الثقافية:

بخصوص الثقافة كمفهوم سوسيولوجي؛ فإنها تحوي البعد التراثي والأدبي والفني، إضافة إلى البعد الأنثروبولوجي الذي يشتمل الفن والأدب، بما فيها العادات والتقاليد، والمعتقدات والتصورات والأفكار وأنماط الحياة التي تتميز بها جماعة بشرية معينة. عن غيرها من الجماعات الأخرى؛ فالثقافة عمق في الماضي وامتداد في الحاضر والمستقبل فهي من هذا المنظور، شاملة لشق موروث وآخر مكتسب بفعل الإنتاج وإعادة الإنتاج الثقافي من خلال الأنماط الثقافية السائدة وأيضا: "تعتبر الهوية بمثابة الصورة التي تكونها جماعة ما عن نفسها، ويستنبطها أفرادها بإدماج التشابهات الدالة على الانتماء للجماعة، وإظهار خصوصيات مميزة عن باقي الجماعات في حركات انخراط للداخل، وحركات كتأكيد الاختلاف نحو الخارج. فالهوية الثقافية هي أيضا الرمز أو القاسم المشترك، أو النمط الراسخ الذي يميز فرداً أو جماعةً أو شعباً من الشعوب عن غيره"⁽²⁾ فالهوية الثقافية عبارة عن منتج ما، يتم إنتاجه باستمرار ومن دون توقف.

يمكن تحديد الهوية الثقافية في مجموعة من المقومات الأساسية التي تتجسد في العناصر التالية:

(1) - سالم المعوش: المدينة العربية بين عولمتين، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، 2006 م، ص 143 .

(2) - محمد إبراهيم عيد: الهوية والقلق والإبداع، عالم الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د ط، 2002 م، ص 2 .

8-3-1- القِيم الدينية والوطنية المتكونة التي تشكلت عبر العصور، والتي بموجبها يكتسب الشعب الحامل للهوية حصانة تحول دون انصهاره وذوبانه. في شعوب أخرى؛ كما تؤهله لمجابهة ومقاومة كل محاولات الطمس والتدوير مهما كان مصدرها.

8-3-2- اللغة الوطنية واللهجات المحلية المرتبطة بوجود شعب ما، على أن تكون هذه اللغة الوطنية معتمدة في التدريس على جميع المستويات، وفي التسيير الإداري، وفي كل الأجهزة الرسمية، إضافة إلى كونها لغة التواصل بين شرائح المجتمع إلى جانب اللهجات المحلية.

8-3-3- العادات والتقاليد والأعراف النابعة من تلك القيم والحاملة لها والعاكسة لمستوى الشعب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي حامل الهوية.

8-3-4- التاريخ النضالي الذي ينسجه ذلك الشعب حامل الهوية من أجل المحافظة على هويته أرضا وقيما وعادات وتقاليد وأعرافا.

وأن هذه الهوية تتبدى على عدة مستويات يحدد ها محمد عابد الجابري في ثلاثة مستويات هي: المستوى الفردي والمستوى الجماعي، والمستوى الوطني القومي، والعلاقة بين هذه المستويات الثلاثة تتحدد أساسا بنوع - الآخر- الذي تواجهه: "فالهوية الثقافية هي موضوع سيرورة شأن- الوجود- أي موضوع ينتمي للمستقبل بقدر ما ينتمي للماضي، [...] فالهويات الثقافية تنبثق من أماكن لها تاريخ، لكنهم مثل كل شيء، وكل حدث تاريخي يعانون ويكابدون التغيير والتحول الدائم"⁽¹⁾ وهذا ما يجعل الهوية الثقافية في ديناميكية دائمة لتجدد نفسها من جهة، وتحافظ على استمرارها عبر الزمن من جهة أخرى. فهي كائن اجتماعي تحوّل حركية المصادر القيمة والسلوكيات، وتغيّره من الداخل، وأما من الخارج فبفعل عملية التأثير والتأثر الناتج عن احتكاك الشخص مع عناصر الهويات الثقافية الأخرى، فتكون بذلك في إحدى حالتين: حالة الانتشار والتوسع إن استطاعت فرض

(1) جورج لارتين: الايدولوجيا والهوية الثقافية، الحداثة وحضور العالم الثالث، ترجمة، فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، د ط 2002م، ص 268.

نفسها على غريمتها الوافدة ؛ وأما أنها سوف تسير نحو حالة الانكماش والضمور، مُجبرة على ترك المجال لغيرها بالتوسع والانتشار، وتكييف الأفراد مع محيطهم الثقافي الجديد، بما يتطلبه من تغيير أو تطوير للسلوك طبقا للمستجدات الحاصلة في مكونات الهوية الجديدة؛ من معارف وتصورات وأفكار ضمن المحيط الاجتماعي ، بحيث تجعل الأفراد متوافقين ومتقاربين؛ لتخدم مصلحتهم وهذه الجماعة الاجتماعية. يقول محمد عابد الجابري عن الهوية الثقافية: " أنها الحد المكتسب من المعارف والتصورات والممارسات الفكرية لدى الإنسان في محيطه الاجتماعي والتي تلقاها لمصلحته ولمصلحة هذا المحيط" ⁽¹⁾ وهذا يقودنا إلى إدراك حتمية العلاقة الوطيدة بين الثقافة والهوية ومدى درجة التداخل والتشابك وتبادل الأدوار والوظائف بينهما.

ومهما تعددت التأويلات والأفكار والآراء تبقى الهوية فعل اجتماعي ناشئ عن تصورات معينة، والتمسك بالذاكرة الجماعية، وإعادة للماضي، فيكون بذلك لكل فرد هويته الفردية التي يتميز بها عن أفراد جماعته وبالنتيجة يكون لكل جماعة هويتها الخاصة بها، ومنها إلى المجتمع الذي يكسب هو الآخر هويته وخصوصياته.

هذه الخصوصية تتجلى بوضوح عندما تُترجم إلى قيم أخلاقية سائدة؛ يجسدها سلوك أفراد المجتمع في واقعهم المعيشي. فترسم على ضوءها صورة المجتمع الحقيقية؛ التي تحبر الغريب عن أهم القيم والعادات المحددة لهوية هذا المجتمع. وعليه تكون الأخلاق أيضا من القيم التي بها تُعرف الأمم والمجتمعات؛ كما عُرفت بذلك الأمة الإسلامية بأخلاقها الروحية السامية النبيلة. بفضل التنشئة الاجتماعية المستوحاة من الدين الإسلامي المجيد.

9- مفهوم التنشئة الاجتماعية:

الثقافة والشخصية من المفاهيم الأكثر جدلا، ومدعاة للخلاف بين الباحثين، وجوهر الخلاف بينهما يرجع إلى أنهما تركيبات من الوقائع السلوكية، تتحدد بالزاوية التي ينظر منها كل من يخوض غمار البحث في هذه

(1)- إبراهيم حركات: الصراع بين هويتين ثقافيتين، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، د ط، 1977 م، ص 55.

المفاهيم، فالثقافة والشخصية كلتاها لا يخضع للمعاينة المخبرية التجريبية القطعية. مما جعلهما عرضة لعدد التعاريف-ربما- بعدد الباحثين الذين تناولوا هذين المفهومين؛ في كل من علم النفس والتربية والاجتماع والفنون والآداب وغيرها من العلوم ذات الصلة. وأهم مجال يجتمع فيه المفهومان - الثقافة والشخصية- هو مجال التنشئة الاجتماعية، وهذا لا يمكن أن يمر إلا عبر الأسرة و المدرسة؛ إذا أُريدَ لعمليات التغيير الثقافي أن تحدث.

9-1- تعريف التنشئة الاجتماعية:

9-1-1- لغة: لم تَرِدَ - التنشئة الاجتماعية- في المعاجم والقواميس العربية بهذه الصيغة مجتمعة، لكننا نجد لفظة -تنشئة- والتي تعني: أقام، ونشأ الطفل: نما وأدرك مرحلة الشباب ودخل مرحلة النضج والإدراك. وهنا نجد أن النمو يعني الجانب البيولوجي والنفسي؛ وعندما تُلحق بلفظة -اجتماعية- نجد أن -التنشئة الاجتماعية: تعني أيضا النمو، ولكن في البيئة الاجتماعية، مما يعني اكتساب العناصر الاجتماعية الثقافية من هذه البيئة لتصبح جزءا من بنيته الشخصية. تَرِدُ في اللغة الفرنسية تحت لفظ -socialisation- في اللغة الانكليزية بلفظ -socialization-

9-1-2- اصطلاحا: تعتبر التنشئة الاجتماعية إحدى أهم العمليات الاجتماعية التي يخضع لها الأفراد؛ بهدف تحقيق الاندماج والانسجام في المجتمع أي: "هي العملية الاجتماعية الأساسية التي يصبح الفرد عن طريقها مدججا في جماعة اجتماعية من خلال تعلم ثقافتها، ومعرفة دوره فيها"⁽¹⁾ كما تُعرف أيضا بالتنشئة الثقافية؛ لأن الفرد عن طريقها يستوعب ثقافة بيئته و يستأنس بها ، فتدعى عند ذلك بالتأنيس الاجتماعي، فضلا عن التطبيع

الاجتماعي لأنها بمثابة العقد الذي يرتبط عن طريقه أفراد المجتمع الواحد. إذا فهي التنشئة والتأنيس والتطبيع الاجتماعي؛ وكلها تلخص العملية التعليمية التي يكتسب الفرد على إثرها ملامح السلوك، التي تشير إلى أنه قد أصبح من الأعضاء الذين تنعكس فيهم ثقافة المجتمع، وقيمه الاجتماعية والأخلاقية، وبالتالي هويته المميزة. وقد

(1)- نخبة من الأساتذة: المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، د ت، ص449.

ذهب بعض أهل الاختصاص إلى تسميتها: "بالولادة الاجتماعية، بعد الولادة البيولوجية الطبيعية المألوفة"⁽¹⁾ كما يشرح ذلك "إميل دوركايم" بالقول: "أنها عملية استبدال الجانب البيولوجي بأبعاد اجتماعية وثقافية، تصبح هي الموجهات الأساسية لسلوك الفرد داخل مجتمعه" بمعنى إنجاز عملية مزج لهذه الأبعاد، ثم تشكيل هذا الكائن البيولوجي ليصبح كائنا اجتماعيا؛ أي يصبح على شكل إيقونة يُشار بها إلى البيئة وكذلك المجتمع الذي نشأ فيه فأكسبه خواصه ومميزاته، فهو صورته وهويته؛ لأن امتزاج هذه الأبعاد الاجتماعية والثقافية مع الشخصية، تُشكّل قاعدة وجدانية أو إلزاما أخلاقيا؛ مما يستوجب تلقائية الشخص في الفعل أو الشعور بطريقة طبيعية عادية.

9-2- شروط التنشئة الاجتماعية:

9-2-1- وجود مجتمع: يعجُّ الكون بأنواع شتى من المجتمعات المختلفة (إنسان، حيوان، حشرات...) إلا أن

المجتمع المقصود بالتنشئة الاجتماعية هو المجتمع الإنساني فقط.

9-2-2- الطابع الإنساني: وهو الشرط الضروري الواجب توفره لتحقيق عملية التنشئة الاجتماعية؛

لأنها عملية إنسانية اجتماعية.

9-2-3- سلامة البيئة البيولوجية: وتعني سلامة مجموع أفراد المجتمع من الأمراض والعاهات؛ النفسية

(كالعقد النفسية بكل أنواعها...) والعقلية (كالجنون والخبَل...) والبيولوجية (كالعمى والصمم...)

إذ لا يمكن تصور تنشئة اجتماعية طبيعية وفعالة في أوضاع أو بيئة غير طبيعية.

(1)- الوحيشي احمد: الأسرة والزواج، مقدمة في علم الاجتماع العائلي، الجامعة المفتوحة، طرابلس، ليبيا، د ط، 1998م، ص81.

9-3- عناصر التنشئة الاجتماعية:

9-3-1- الفرد: يُعتبر الفرد مدار عملية التنشئة الاجتماعية برمتها؛ على اعتبار أنه المادة الخام التي يجري تشكيلها وقبولتها اجتماعيا، للوصول بها في النهاية إلى ترسيخ الاتجاهات والسلوكيات الايجابية، وبالمقابل اعتراض وقطع الطريق أمام الاتجاهات والسلوكيات السلبية، المؤدية إلى عدم الانسجام والتماسك الاجتماعي. ومن أهم العناصر التي تدخل في إعداد الفرد، بنيته البيولوجية، وعناصره الوراثية، وبناءه الفكري والمعرفي والمزاجي؛ فلا بد لهذه العناصر وأخرى غيرها، أن يكون لها الحضور الكامل إذا أُريد لعملية التنشئة الاجتماعية أن تحقق النجاح والأهداف المرجوة.

9-3-2- مضمون التنشئة الاجتماعية: ونعني بها الرسالة التربوية المتضمنة للأنماط السلوكية المرغوبة، والمراد

زرعها واستنباتها في المجتمع عن طريق عناصره؛ بفعل التقليد أو التلقين أو العرض، وهنا يبرز دور اللغة كأداة للاتصال وكوعاء للفكر، فعن طريقها يتم تمرير القيم الثقافية والدينية والخلقية، من جيل إلى جيل، بما يحقق عملية التعامل والتشارك الاجتماعي بين أفراد المجتمع، وعن طريق هذا التشارك تتعلم الأجيال الصاعدة المعايير الاجتماعية والضبط الاجتماعي وهكذا دواليك.

9-3-3- المؤسسة الاجتماعية: وتتميز فيها نوعين من المؤسسات هما:

9-3-3-1- مؤسسات تقليدية: وتشمل كل من الأسرة والمدرسة والمسجد كما سبقت الإشارة إليها.

9-3-3-2- مؤسسات حديثة: وتشمل وسائل الإعلام، والنوادي الرياضية والثقافية السابقة... إلا أن الجديد هنا هو - الشارع- الذي أصبح من المؤسسات المساهمة في عملية التنشئة الاجتماعية؛ باستقطابه لعدد غير قليل من الأفراد لشغل أوقات فراغهم فيه؛ وبالتالي التزود بالخبرات الاجتماعية في فضائه.

9-4-4- خصائص التنشئة الاجتماعية: تمتاز التنشئة الاجتماعية بجملة من المواصفات والخصائص نذكر منها على

سبيل الحصر مايلي:

9-4-4-1- إنها تخص الإنسان من دون غيره من مخلوقات الأرض؛ لأنها عملية إنسانية اجتماعية بحتة.

9-4-4-2- إنها عملية مستمرة تستغرق حياة الفرد بكاملها؛ لأن الحياة في حد ذاتها سلسلة من المواقف المتجددة.

9-4-4-3- لا يمكن لعملية التنشئة الاجتماعية أن تتفادى تأثيرات العوامل الثقافية والاجتماعية والاقتصادية، وكذا

العوامل الأسرية.

9-4-4-4- إنها علاقة تأثير وتأثر بين الطفل ومحيطه الاجتماعي والنتيجة شخصية متميزة و منفردة لكل شخص.

9-4-4-5- لا تقتصر التنشئة الاجتماعية على مجتمع دون آخر؛ وإنما هي عملية واجبة ومفروضة على كل مجتمع

مهما كان شكله أو درجة تحضره. فهي مطلوبة في المجتمعات المتحضرة، كما في المجتمعات الأشد بدواة.

9-5-5- العوامل المؤثرة في التنشئة الاجتماعية: للأسرة الدور المهم في التنشئة الاجتماعية، لأنها أول محطة

اجتماعية يُستقبل الطفل فيها؛ إذ يعتبر أفرادها الصورة الأولى التي يرى الطفل صورته من خلالها. إلا أن هذا الدور

لا يبقى مُحتكراً في كنف الأسرة فقط، ونظرا للظروف الحياتية الحتمية، يتجاوزه فيما بعد إلى محطات وعوامل أخرى

غيرها، والتي من ضمنها ما يلي:

9-5-5-1- العوامل الداخلية: وهذه العوامل تتمثل في التالي:

9-5-1-1- الدين: ويُعتبر من العوامل الأساسية والمؤثرة في عملية التنشئة الاجتماعية بالحرص على تنشئة

الأفراد على مبادئه وأفكاره الملزمة لأن: "الدين كنسق من الرموز يُرسخ لدى الإنسان حالات وجدانية و دوافع قوية ، وذلك من خلال تشكيل رؤيته الكلية عن الوجود"⁽¹⁾ فهو بذلك مصدراً تُستمد منه القيم الاجتماعية.

9-5-1-2- الأسرة: أول مؤسسة اجتماعية يتلقى الطفل فيها مبادئ التنشئة الاجتماعية، ولها يعود الدور

الأكبر والأساس في بناء شخصية الطفل، من خلال تفاعله مع أفراد أسرته، حسب طبيعة وشكل هذه الأسرة فكلما قلَّ عدد أفرادها ازداد الاهتمام بالطفل أكثر.

9-5-1-3- العلاقات الأسرية: إن الجو العائلي لا محالة يُلقى بظلاله على تكامل نمو الطفل البيولوجي

والنفسى معاً؛ فالدفء الأسري يؤدي إلى تماسك الأسرة، مما يعني توفير الجو الملائم للتنشئة السليمة للطفل.

9-5-1-4- المرتبة الاجتماعية للأسرة: إن الوضع الاجتماعي والاقتصادي للأسرة الذي على ضوئه تتحدد

الطبقة الاجتماعية لهذه الأسرة ؛ له التأثير المباشر على نوعية التنشئة التي يخضع لها الطفل (الأسر الأرستقراطية والأسر الغنية والأسر الفقيرة...).

9-5-1-5- المستوى التعليمي والثقافي للأسرة: إن أسرة يكون كل أو معظم أفرادها من ذوي الرتب العلمية

المختلفة، بالتأكيد تكون التنشئة الاجتماعية فيها مختلفة تماماً، عن أخرى جلّ أو أكثرية عناصرها لا حظ لهم من العلم والمعرفة؛ يتجلى ذلك في إدراك، وعدم إدراك، وكيفية إشباع حاجات الطفل، وكذا في الأساليب التربوية المناسبة لذلك.

9-5-1-6- نوع الطفل (ذكر/ أنثى): إن الإقرار باختلاف الأدوار المنوطة بكل من الذكر والأنثى مستقبلاً

ينعكس على نوع التنشئة الاجتماعية لكل منهما؛ فتنشئة الذكر تركز على تلقينه مبادئ القيادة والمسؤولية

(1)- أميرة منصور يوسف علي: محاضرات في قضايا السكان والأسرة والطفولة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، دط، 1999م، 410

والاعتماد على النفس والشجاعة: "فدوره كرجل يقوم على قاعدة الاعتماد على الذات والاتزان والصلابة والسيطرة ويُعتبر الزوج و/أو الوالد المعيل الأساسي للأسرة ويُنتظر منه أن يُؤمّن احتياجاتها" ⁽¹⁾ إنه التكليف الطبيعي والمنطقي لدور الرجل في معترك الحياة وللقيام بهذا الدور كاملا غير منقوص لابد لهذا الذكر أن: "يروّض على أن يُسيطر على كل ما هو أنثوي في داخل ذاته وفي خارجها" ⁽²⁾ في حين أن الأنثى تنحّ تنشئتها على الحياء والطاعة: "وتُحاط علاقة الفتاة بالجنس الآخر بعدد من الموانع القوية حتى تتماهى بعض الأسر إلى حد منعها من الحديث مع أي شاب غريب حتى ولو كان الحديث بريئا، وإذا سُمح بالاختلاط فلا بد أن يكون في حضور الكبار" ⁽³⁾. لأن العفة تقتضي التنازل والتضحية ببعض الحقوق، إذا أُريد للمجتمع أن يجيأ على الطهارة والنقاء؛ وبالتالي الاحترام و التقدير المفضيان -حتما- للاستقرار والاستمرار والرفاهية والازدهار. والأم مدرسة...

9-5-2- العوامل الخارجية: وتتمثل في المحطات والعوامل التي ليس للأسرة يد في تحديد نوعية التنشئة

الاجتماعية فيها؛ أي لا تستطيع فرض نمط تنشئتها الخاصة بالكيفية الحرفية التي تريدها، ومن هذه المحطات والعوامل نذكر ما يلي:

9-5-2-1- المؤسسات التعليمية: وهي المؤسسات الخاضعة للسياسة العامة للدولة؛ من مدارس وجامعات

ومراكز التكوين العلمي والمهني ويدخل ضمن هذه المؤسسات المساجد ودور العبادة...

9-5-2-2- الأصدقاء والزملاء: ويشمل كل من زملاء العمل والدراسة في كل مراحل التعليم حتى الجامعة

وكل التنظيمات المتواجدة، بالإضافة إلى الجيران وأفراد الحي أو القرية، فضلا عن الجماعات الدينية والفكرية. فكل هؤلاء على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم، لهم تأثير مباشر على التنشئة الاجتماعية للفرد.

(1)- اللجنة الاجتماعية لغربي آسيا، الشركة في الأسرة العربية، سلسلة دراسات عن المرأة العربية في التنمية، نيويورك، الأمم المتحدة، رقم 13، 2001م، ص 16

(2)- حمداوي محمد: وضعية المرأة داخل الأسرة في المجتمع الجزائري التقليدي، مجلة إنسانيات، جانفي/أفريل، 2000م، ص 19.

(3)- أكرم حجازي: البنيوية التركيبية(فلسفة بيير بورديو)، مجلة علوم إنسانية، العدد 20، أفريل 2005م، من موقعها الإلكتروني،

9-5-2-3- ثقافة المجتمع: هدف التنشئة الاجتماعية هو ترسيخ ثقافة المجتمع، بكل عناصرها ضمن

شخصية الفرد حتى يتسنى له الاندماج والتفاعل مع أفرادها؛ بما يحقق الانسجام والتماسك.

9-5-2-4- الوضع السياسي والاقتصادي للمجتمع: تُثمر التنشئة الاجتماعية، وتُوثق أكلها كلما ساد

واستمر الاستقرار السياسي، وتحقق الاكتفاء الذاتي؛ أما في حالات الفقر والفوضى والاستقرار، وفي ظل انفلات

الأمر السياسية والأمنية، فلا يمكن الكلام عن التنشئة الاجتماعية ولا ضبطها أو التحكم فيها؛ لأنها تتخذ

منحى مغايراً تماماً لما تعارف عليه الناس زمن الأمن والاستقرار.

9-5-2-5- وسائل الإعلام: ربما هي اليوم الوريث الوحيد لكل ما سبق ذكره من العوامل الداخلية بما فيها

الأُسرة، والعوامل الخارجية بما فيها المؤسسات التعليمية؛ واستلمت وظيفة التنشئة الاجتماعية قسراً من أصحابها إذ

لم تعد لهم القدرة على الرفض أو مقاومة وصدّ ما يتعرض له الأطفال، من مسخ وتشويه للمبادئ والقيم

الأخلاقية، التي ورثوها ونشئوا عليها، في أضخم عملية للغزو الفكري، تتعرض لها البشرية في الوقت الراهن وذلك

بتعليم الأطفال وتلقينهم العديد من القيم الدخيلة، المناقضة تماماً للقيم المحلية الأصيلة؛ وذلك عن طريق المحطات

التلفزيونية الفضائية، والشبكة العنكبوتية، والأجهزة الذكية والهواتف النقالة وغيرها من الوسائل التكنولوجية الرهيبة

خصوصاً في مجالي الإعلام والاتصال؛ وما فرضه عصر العولمة، من أنماط معيشية جديدة استحوذت على كل

الاهتمامات والوظائف السابقة، لكل من الأسرة والمجتمع، فكانت التنشئة الاجتماعية هي المستهدف الأول

لوسائل الإعلام .

9-6- أهداف التنشئة الاجتماعية:

من بين العديد من الأهداف التي تسعى وتطمح عملية التنشئة الاجتماعية إلى تحقيقها وتحسينها عبر أفراد

المجتمع ولصالحه نذكر ما يلي:

9-6-1- إكساب الشخص المبادئ السائدة في المجتمع؛ ليستطيع التكيف والتألف والتعاون مع الآخرين.

9-6-2- ضبط السلوك والحاجات؛ بغرس القيم الروحية والأخلاقية حتى تنطبع شخصية الفرد اجتماعيا.

9-6-3- تعضيد وتقوية شخصية الطفل وتعليمه المهارات المناسبة؛ حتى يستطيع مستقبلا الاعتماد على النفس.

9-6-4- تحقيق النضج النفسي للفرد؛ بهدف خلق شخصية قوية، مشبعة بثقافة المجتمع، مسلحة بمبادئه، حاملة

لهويته، ومجسدة لقيمه الأخلاقية، شخصية تتمتع بالاستقلال الذاتي، وترنو إلى خدمة هذا المجتمع، وتحقيق آماله وطموحاته.

10- أهمية القيم الروحية والأخلاقية في منظومة التراث الشعبي:

يعود الجدل حاميا من جديد حول أهمية القيم الاجتماعية وأثرها في التوجيه والضبط الاجتماعي؛ بعد

الخلخلة والرجة العنيفة التي أحدثتها العولمة في منظومة هذه القيم، ولبعض التشوهات والانحرافات الواضحة في

السلوك، التي ظهرت في بعض التصرفات اللاأخلاقية المنافية للقيم الدينية، والأخلاقية خاصة منها المستمدة من

روح الدين الإسلامي الحنيف.

ونظرا لأهمية هذه المنظومة الروحية والأخلاقية- بل لقداستها- حُفظت في مخزون التراث الشعبي المعنوي

كما تجسدت في مظاهر جوانبه الماديّة؛ فكان مصدرا ومعينا لا ينضب من التوجيهات والإرشادات نحو التقدم

والارتقاء، فضلا عن صرامة الضبط الاجتماعي والتحكم السلوكي؛ للامتثال الطوعي والإرادي لأفراد المجتمع، وعن

طيب خاطر لهذه القيم الروحية أو الدينية تحديدا؛ لأنها وببساطة تتصف بالإنسانية والاجتماعية والواقعية. كما

أنها تتوافق مع الطبيعة الفطرية للإنسان، مما يجعلها تتلاءم مع خصائص المجتمع الطبيعية؛ لارتباطها بالسلوك

البشري في كل مظاهره وأبعاده، وكذا مسيرتها لسنة التغيير الثابتة في هذا الكون الفسيح، فهي بذلك رفيعة

الإنسان من مهده وحتى لحده، فهي شاملة للمواقف الحياتية بأكملها. وأما في التشريع الإسلامي فميزتها

الشمولية؛ للربط العضوي بين المادة والروح. غايتها في ذلك ضبط علاقات وسلوك وأفعال وأقوال الأفراد وتوجيهها وتحديدتها وفق التشريع الإسلامي الذي غايته هي الوقوف على أوامر الله ونواهيه، ابتغاء مرضاته سبحانه. فهل أخلاق العولمة من هذا الطراز؟ أم أنها غارقة في الأنانية والفردانية المفرطة؛ في محاولة للوصول إلى حالة الإشباع والرضا. فهيهات هيهات بين السلوك المؤدي إلى مرضاة الله، ونظيره المؤدي إلى إرضاء النفس؛ بعبارة أوجز بين المجتمع الرباني، ونظيره المادي؛ الذي تنشده العولمة وتسعى إلى تجسيده على أرض الواقع بكل طاقاتها، ومحمل ترسانة وسائلها وأدواتها. لهذا السبب وليس لغيره كان وطء العولمة أشد على العالم الإسلامي عموماً، والعربي منه خصوصاً؛ وسيكون أشد وطئاً في قابل الأعوام؛ حتى تنتصر البشرية لطبيعتها وفطرتها. وهي حتماً غير الذي تصبو العولمة وتتلهف إلى إحلاله في "قريتها الكونية".

11- القيم الأخلاقية ومبادئ العولمة:

نظراً للعلاقة العضوية القائمة بين القيم والهوية والأخلاق من جهة، والتنشئة الاجتماعية من جهة أخرى يمكن الجزم؛ بأن موضوع القيم متغلغل في كل مناحي الحياة؛ الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والثقافية والسياسية والأمنية والعسكرية وغيرها؛ ومن ثمة حاز على اهتمام العلماء والباحثين والمربين والعسكريين... بغض النظر عن انتماءاتهم العقائدية وتخصصاتهم العلمية وتوجهاتهم الإيديولوجية، وقد تفاقمت أزمة القيم في الآونة الأخيرة بفعل ما أحدثته آليات العولمة وأدواتها من اختلالات عميقة في منظومة القيم برمتها في المجتمعات المعاصرة؛ مما قد يؤدي بالبعض منها إلى الانقراض والطمس والتلاشي أو الذوبان في غيره. وفي كل هذه الحالات وأشباهها، تكون هوية وخصوصية الأمم والمجتمعات على اختلافها، ومنظومة أخلاقها خاصة، تحت التهديد، وفي اختبار عسير للصمود والمقاومة، أمام السيل الجارف للعولمة وثقل حملتها المريبة.

إن حالة الاستنفار والقلق التي تعيشه شعوب العالم وأمه، في صفوف المخلصين من أبنائها؛ لدليل على

عظمة الخطب وهول الكارثة؛ كيف لا ومصير الأمة وكيانها بكامله على المحك، فهو يتعرض للانذار والتفكك

والتلاشي، بفعل الانتهاك والتعدي الذي تمارسه قوى الهيمنة والتسلط على خصوصية الشعوب، من خلال تراثها الشعبي ومنظومة قيمها الاجتماعية.

هذا التراث الذي يخترن ضمن عناصره العصارة الفكرية والسلوكية لأجياله السابقة؛ في منظومة من القيم الروحية والأخلاقية، هي بمثابة الضابط، والموجه الذي يسوس به أفرادهم ويميّزهم به عن الآخرين؛ في مسيرتهم الدائمة نحو الرقي والرفاهية والازدهار.

إن اقتحام العولمة بكل ترسانتها التكنولوجية، وأحماها المريية، لميادين "لعب" قيم وخصوصيات الآخرين من دون استئذان تارة، وغنوة في كثير من الأحيان؛ لهو أحد أقوى المؤشرات على تنفيذ أمر ما، كان قد دُبّر بلبيل. ولقد بدأت تنكشف مساحات كثيرة من خفاياه، من خلال الممارسات الميدانية، لكل من المنظمة العالمية للتجارة - OMC - والبنك العالمي - BM - وصندوق النقد الدولي - FMI - والشركات متعددة الجنسيات؛ أدوات العولمة وآليات تنفيذ مخططاتها الرهيبة على أغلب دول العالم، المصنفة خارج دائرة الحضارة الغربية. لقد كُتّب مهندسو العولمة والفاعلين فيها، على شعوب هذه الدول، أن تتجرع مرارة القهر المادي والمعنوي للإستعمار الغربي من قبيل ليتم استكمال ما تأجل منه، وإحاقه بالجزء الأخير من مسلسل الهيمنة الشاملة على شعوب هذا العالم؛ التي تُحجر وضد إرادتها؛ على أن ترتدي الزي الغربي، وتأكل من موائده وتلهو في بساتينه، ولا تصدح إلا بلسانه. بعبارة

أخرى يجب أن تكون صوراً مستنسخة، أو على الأقل نماذج طبق الأصل للفرد الغربي؛ مجردة من كل الخصوصيات، وكل الأمارات الفارقة المميزة لها، وبهذا عسى أن تحوز رضاهم، وتظفر بفتات موائدهم: "فالكرامة من الآن فصاعدا لفظ لا قيمة له، لأنه أمام محاولات (العولمة) حيث لا خيار سوى الخضوع والانحناء والركوع أمام رؤوس الأموال وأمام السادة الجدد لما يسمى (بالنظام الكوني)"⁽¹⁾ وهو المصطلح الذي عُوض عنه بما أصبح يُعرف في الأدبيات الواهنة بالعولمة. وهذا ما تسعى إلى تحقيقه؛ بتجاوزها لكل خصوصيات الشعوب، والانتقال بها إلى

(1) - المهدي المنجرة: قيمة القيم، دون دار النشر والبلد، ط 2، 2007م، ص 89.

حالة التعميم والكونية ؛ لذلك فهي تخترق الحدود وتعتدي على خصوصية وميزة المكان وأهله، والعبث بثقافة ومقدسات شعبه، في محاولة منها إلى إضعاف انتمائه القومي والديني؛ بهدف تفتيت هويته وتفريغها من كل محتوياتها؛ في عملية ما يسمى بإفراغ المجتمعات من هويتها، ومن ثم إلحاق مثل هذه الشعوب بآليات ومؤسسات القرية الكونية الصغيرة من دون حدود أو حواجز.

إلا أن الهوية تقف في وجه كل هذه-الطموحات- العولمية؛ مقاومة لكل عمليات التذويب المنهجية ومتفادية لكل أسباب الفناء المتربصة بها؛ متمسكة في ذلك بكل أسباب الوجود والاستمرار، بالعمل على تكريس الانتقال من العام إلى الخاص، ومن اللامحدود إلى المحدود، ومن الكلي إلى الجزئي، في عناد واضح وتعارض صارخ مع ما تهدف إليه العولمة، مما ينبئ ربما بطول المطاردة والمنازلة بين الطرفين، مع اشتداد واستمرار معاركهما يوما بعد يوم؛ ولطبيعة العلاقة بينهما، المتسمة بالجدل والصراع، ولا محالة بالصدام لأن: "العولمة كما هي محددة وكما هي مفروضة حاليا، تكون أحد الأسباب الأساسية في صعود العنف وتنازل النزاعات التي نلاحظها على المستوى الكوني، هي أيضا ذلك الحقل المناسب لمواجهة كونية أخرى، أكثر حدة وتهديدا لاستمرار الإنسانية على قيد الحياة"⁽¹⁾ نتيجة للاختلاف ولعدد الدوافع التي يتحرك على وقعها أنصار كل فريق، وأيضا لشدة الاستقطاب الراهنة، نتيجة للتعبئة الشعبية المفرطة لأنصار الطرفين المتصارعين.

على ضوء ما سبق، يمكن القول أن الخطر الذي تمثله العولمة على كل من الثقافة والقيم لم يعد خافيا على احد؛ لأن الشعار الذي يرفعه أنصار العولمة اليوم في وجه الشعوب الأخرى يتلخص في القول التالي: "ليس أمامكم إلا خيار واحد". وكم يحمل في مضمونه من روح الهيمنة والتسلط، التي طالما اجتهدوا في إخفائها وتلييسها بالشعارات البراقة المزيفة؛ من مثل الديمقراطية والحرية وحقوق الإنسان: "إن ما تمت عولمته حاليا هو بكل تأكيد الفقر والظلم الاجتماعي والرشوة والاستلاب الثقافي وهو أيضا التضييق على الحريات والحقوق المدنية، فما هو

(1)- المهدي المنجرة : قيمة القيم ، مرجع سابق، ص 91.

الحيز المتبقي للديمقراطية داخل مجال غير ملائم، مجال تم تشكيله ورعايته من لدن - القوة العظمى الوحيدة- وأتباعها؟⁽¹⁾ وهذا ما يعزز التخوفات التي يبديها مناهضو العولمة. حتى وصل بهم الأمر إلى القول (بأمركة) العالم تحديداً؛ وذلك طبقاً لبعض الوقائع والأحداث التي جرت، ولا يزال البعض منها جارياً إلى اليوم عبر مناطق عدة من العالم.

وليس من الصدف أن تجرّي هذه الأحداث والوقائع وفق سيرورة (كرونولوجيا) منسجمة إلى هذا الحد الملفت حقاً؛ لو لم تكن قوة موجّهة لها، وفق خطة سابقة الإعداد واضحة المعالم، معروفة وسائلها وعتادها، لا تُخفي خطوات تنفيذها على ذي عينين إذا: "من السذاجة بمكان تبرئة العولمة من مطامع الهيمنة التي صرح بها الرئيس الأمريكي الأسبق "نيكسون" منذ الستينات عندما قال: " إنه يتعين على الولايات المتحدة استغلال تلك الهيمنة الإعلامية في تكوين نموذج أمريكي يسود العالم " ⁽²⁾ إذا فعمر الخطة يزيد عن نصف قرن على أقل تقدير حتى يومنا هذا.

ومن النتائج الفعلية لهذه الخطة المجسدة في الواقع الراهن؛ هذا العدوان الصارخ والمحموم على دول ذات سيادة، لا شيء سوى أن قيمها الاجتماعية السائدة، هي غير القيم اليهودية المسيحية، وهذه التدخلات السافرة والضغوطات المتنوعة على دول أخرى؛ إلا بهدف ترويضها؛ عن طريق طمس تراثها وسلب خصوصياتها وتذويب هويتها، لتكون بعد ذلك أداة طيّعة ضمن التشكيلة العامة لهذه العولمة.

هذا ربما هو الجانب المرئي من العملية؛ بحيث لا يمكن إخفاؤه-لأنه يندرج ضمن بند تأديب الدول المارقة- وما هذا المروق إلا عن منظومة الأخلاق الغربية؛ التي وصلت إلى حدّ الاستهتار والاستهزاء بكل المقدسات الدينية، وكذا الاستخفاف بالقيم الروحية التي منها القيم الأخلاقية المنبثقة عنها؛ أي ذات الأصل

(1)- المهدي المنجرة : نفسه، ص 79.

(2)- علي حميدان : الخليج وتحديات العولمة، ابو ظبي، 1997م.

السماوي الموحى بها إلى الأنبياء والرسل، كمعالم جاهزة، داعية وهادية إلى خير البشرية وسعادتها. فهل البشرية اليوم وتحديدًا بعد منتصف العقد الثاني من القرن الواحد والعشرين للميلاد (21م) تنعم بهذا الخير وتتعمق بهذه السعادة، في ظل هذه الحرب المفتوحة على ما أسموه (بالإرهاب)؟ أم أنها كشفت وبما لا يدع أدنى مجال للشك على أنها حرب شعواء ضد منظومة قيم الأخلاق الفاضلة؟ والواقع الحياتي الراهن خير دليل وأقوى برهان.

الفصل الرابع:

تأثيرات العولمة على الأدب

الشعبي الجزائري

تمهيد:

كما سبقت الإشارة إليه في الفصل الثاني من أن العولمة قد مسّت كل الجوانب الحياتية للفرد؛ من اقتصادية واجتماعية وسياسية وثقافية وتربوية وإعلامية... الخ، وعليه وجب الوقوف على الحالة التي يكون التراث الشعبي بشقيه المادي والمعنوي أو الشفهي، قد آل إليها، في ظل هذا الوضع الجديد والغريب حقا، عما ألفناه من قبل أي منذ أقل من نصف قرن على وجه التحديد؛ حينها كان الأب بكبريائه وأنفته وغيرته على قومه أبا للجميع والأسرة بتقاليدها النبيلة السامية، مأوى للجميع، والمجتمع بتضامنه مظلة حماية للجميع أيضا، أين هذا كله مما نحن فيه اليوم؟ أترأه اندثر وتلاشى؟ ولم يعد له وجود بيننا؟ أم أن خطبا ما قد وقع؟ فألم بكل ما له علاقة بتراثنا وثقافتنا، وديننا وقيمنا وهويتنا، وحتى شخصيتنا فقدنا الجزء الأكبر منها، وهي لازالت في انهيار مستمر، وربما حتى ندرك مرتبة المسخ الكلي للمجتمع، ويكون بذلك صورة طبق الأصل لمجتمعات لا تربطنا بها سوى الصورة الآدمية، المجردة من كل القيم الإنسانية النبيلة وتحديد القيم الدينية، أو لنقل اختصارا الصورة البيولوجية المطابقة للبشر، فماذا حدث إذا؟ وماذا افتقدنا أو أضعنا؟ وما العمل وكيف هو المخرج؟ فأما ماذا حدث؛ فتصدع وانحيار شبه تام لقيم المجتمع الأصيلة النابعة من تراثنا الثقافي، والحاوي للثقافة العربية الإسلامية بكل قيمها النبيلة ومن ثمّ وجب البحث عما تبقي من عناصر هذا التراث المادية منها والمعنوية (الشفهية)، خاصة هذا الأخير الذي يشمل في ما يشمل على وجه التخصيص الأدب الشعبي بكل عناصره المختلفة، وأما ما العمل، فلا ضير وبشيء من التحفظ أيضا من الاستئناس بمقولة للإمام مالك بن أنس: "لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها"⁽¹⁾.

واضح أن المقصود من هذا القول ليس هو الجانب المادي لعوامل الصلاح؛ على غرار وسائل النقل والاتصال والإنتاج وغيرها؛ لاستمرار تغييرها وتطورها الدائم، وإنما هو الجانب المعنوي من هذه العوامل، وتحديد الجانب

(1) - ابن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم بمخالفة أهل الجحيم، تحقيق وتعليق، د/ناصر بن عبد الكريم العقل، مكتبة الرشد، الرياض، م، ع، س،

ج 2، د ط، د ت، ص 88.

السلوكي، المرتبط والموجه أساسا بالقيم الخالدة المستخلصة من ديننا الحنيف؛ لأن القيم من الموجهات القوية للسلوك.

وكما سبقت الإشارة إليه أيضا في الفصل الثالث؛ بأن القيم الأخلاقية تمثل إحدى أقوى الموجهات الضابطة لسلوك الفرد والمجتمع، والتي تتميز أيضا بالثبات والاستمرارية لمدة طويلة نسبيا. ومن بين القيم الأخلاقية الكثيرة الموجهة والضابطة انتخبنا قيمة- الحياء - بصفتها أولى القيم المستهدفة من قبل ظاهرة العولمة. بعد ما تم إزالة جزء كبير منها - إن لم يكن كلها - في عقر دارها (دول المركز) لا يزال التركيز الشديد على هدم وإزالة هذه القيمة من الوجود نهائيا؛ لكونها (في نظرهم المشوه) تشكل إحدى العقبات المزعجة لسير عجلة العولمة، ومن ذلك فقد عمد دهاقنة ومنظري هذه الأخيرة؛ لتجسيد مقولة: " إذا لم تستح فافعل ما شئت " وهي مقولة تحمل القدر الكافي من الحقيقة الواقعية. وعليه فهي القاعدة الذهبية التي وجدت فيها العولمة ضالتها؛ خصوصا في ربوع العالم الإسلامي عموما، والعربي منه على وجه التخصيص. لأن الإجهاز على فضيلة -الحياء- بتذويبها واقتلاعها من النفوس؛ يفسح المجال واسعا لكل صنوف الآفات الاجتماعية، وعلى رأسها الانحلال الخلقي وباستشرائه بين أفراد المجتمع، يكون قد بادر بأول وأهم خطوة على الطريق المؤدية إلى الدخول في نفق التلاشي والزوال الحتمي؛ كما هي سنن الكون في من كانوا قبلنا. ولن نكون الاستثناء من دون الأمم البائدة، إلا بالتدثر بالقيم الفاضلة التي تنسجم مع الفطرة البشرية المجدولة على الإصلاح والتعاون وفعل الخيرات. ذلك هو قارب النجاة في ما أرى، ولا أعرف غيره. وصدق من قال:

" وَإِذَا أُصِيبَ الْقَوْمُ فِي أَخْلَاقِهِمْ &&& فَأَقِمْ عَلَيْهِمْ مَأْتَمًا وَعَوِيلا " (1)

(1)- احمد شوقي: الشوقيات، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه، د/صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ج2، 1، دت، ص139.

يتناسب عمر الحضارات طرديا مع مدى احترامها بل وتبجيلها، لعدد كبير من القيم الفاضلة؛ فكلما كان نطاق تجسيدها في الواقع المعيش أوسع ؛ كلما رسخت أركان وجودها ، وأخذت بأسباب الديمومة والاستمرار في الوجود. فالقيم الأخلاقية بمثابة الوقود في خزانات الأمم و المجتمعات؛ فمن يملك القدر الوفير من هذا الوقود ، أي من الأخلاق الفاضلة، يستمر وجوده وسفره في هذا الكون بقدر أوفر؛ وأما من كان حظه منها شحيحا، أو منعما تماما؛ فلا نرى له سببا وجيها لأن يدبّ على أديم هذا الكون ذو الأصل الطاهر النقي.

إلا أن الإنسان وكما أخبرتنا عنه أنباء السماء؛ مخلوق، بقدر ما هو عجيب ولطيف، فهو بالقدر نفسه غريب في الأطوار والمزاج؛ هذه الغرابة و التقلبات، التي هي من صميم خلقته، فرضت عليه البحث عن ركن آمن يؤوى إليه؛ فكان هذا الركن هو ركن أخلاق السماء أيضا. فمن اتخذها مرشدا وموجها فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عنها فكأنما احتضن ضنك المعيشة في هذه الحياة الدنيا؛ فكم هو تعيس والحالة هذه، وكم هو ظالم لنفسه ضعيف.

تأسيسا على ما سبق يمكن القول: إنه لا غنى البتة لأي مجتمع مه م ا كان، نوعه أو شكله أو درجة تحضره، عن قيم أخلاقية ما، يضبط بها عناصر مجتمعه يرشدهم ويوجههم، وفق ما توافقوا عليه من القيم السائدة بينهم. مما توارثه القوم خلفا عن سلف، أباً عن جدّ، ليصل الدور حتما إلى الابن عن طريق الأب وهكذا هي سيرورة الحياة. هذا التوارث الذي نحن بصدد؛ هو الذي يُصطلح عليه- بالتراث الشعبي- الذي: " من الضروري في هذا الصدد أن نوضح الدور الكبير الذي يمكن أن يلعبه الفن الشعبي في تشكيل ثقافتنا القومية وتطويرها وهذا الفن بمثابة تلخيص لصفات الشعب وخصائصه الذاتية"⁽¹⁾ فلكل شعب تراثه الخاص به، يُصّب ويُحزّن في مستودع عناصره، ما توارثه من أسلافه، وما جادت به قريحته أيضا، في عملية تراكمية عبر الأجيال المتعاقبة واللاحقة.

(1)- عبد الرزاق حلي: دراسات في المجتمع العربي والثقافة الشخصية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص157.

أوردنا هذه المعلومات لنرى من خلالها، ما الذي تحتزّنه عناصر التراث الشعبي الجزائري في جعبتها، وما الذي تحتفظ به كموروث ثقافي، نتميز به عن غيرنا، كما تميز الأسلاف به من قبلنا، و أقصد الآباء والأجداد، ومن ضمن عناصر هذا التراث ننظر في عناصر الأدب الشعبي، وتحديدًا ما ورد منها في الفصل الأول من هذه الدراسة وأعني بذلك كل من:

- البوقالة والحكاية الشعبية، التي نتلمس فيهما خُلق- الحياء - وكيف استطاعت تثبيته لدى الناشئة.
 - اللغز الشعبي الذي نتلمس في مواده التعليمية- أركان الإسلام الخمسة، فضلا عن العقيدة والأخلاق.
 - المثل الشعبي ونتلمس فيه خاصة بعد، توجيه السلوك العام في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها. الشهامة وعزّة النفس والحفاظ على الشرف، وبها يشتهر الشعب الجزائري، ويتميز عن غيره من الشعوب قاطبة.

- النكتة الشعبية و نتلمس فيها وظيفة الرقابة الاجتماعية بكل أنواعها.

- الأغنية الشعبية وتأثيرها الواضح على التنشئة وتوجيه الرأي العام.

والذي لا ريب فيه حتما هو أن الأدب الشعبي الجزائري لا يقتصر على ما ذكرناه من العناصر السابقة فقط وإنما هو من الغنى ببقية العناصر الأخرى بكثرتها وتنوعها وتعددتها، بحيث لا يسمح هذا المقام المحدود باستيعابها ولكن لا بد لها من مساحة أوسع ، ووقت أطول وجهد أوفر ، حتى تأخذ حقها كاملا؛ وهذا مما يتعدى قدرات وطاقة وعمر جيل واحد، وإنما يحتاج إلى تضافر جهود الأجيال المتعاقبة واللاحقة معا.

فهل هذه وغيرها من عناصر الأدب الشعبي الجزائري المختلفة، لا تزال هي المستودع الآمن لهذه القيم النبيلة ؟

أم أن هناك طارئ ما طرأ على هاته العناصر، واستبدلت حمولتها الأصلية الأصيلة، بحمولة غير التي كانت تحملها من قبل؟ أم أنها في طور التحنيط الذي يسبق مراسيم الدفن النهائية.

1- تأثير العولمة على العناصر المادية للتراث الشعبي:

قبل الإجابة على السؤال السابق، لا بأس من استعراض موجز للحالة التي آلت إليها بعضا من عناصر التراث المادي، كالعمارة، واللباس وأنماط الأكل والزخرفة و... الخ. فمن خلال الممارسة الميدانية (الحياتية) - والتي لا تخفى على ذي عينين-: أن أنماط التعمير - عندنا - قد خرجت عما كانت عليه من نمط العمارة الإسلامية بطرازها المتميز، المتفرد، واستبدلت بالنمط الغربي الخالص... - وأعني بذلك فترة ما بعد الاستقلال - فلم نعد نلمحها إلا في المساجد تقريبا، وأما ما عاداها من المنشآت العمرانية الحديثة فهي غريبة بامتياز، ولا فرق بين صورة فوتوغرافية لعاصمة غربية، وأخرى لعاصمتنا من حيث هندسة العمارة ونمط البناء. فأين هويتنا في مجال العمران؟ إننا نملك ولا فخر نموذجنا الإسلامي المميز، ولا أحد يملك الطاقة الكافية لإنكاره مهما عظمت قوته أو استفحل حقدته؛ فهي راسخة بشموخ، منذ قرون إلى اليوم، مفصحة عن أندلس العزة والحضارة - بالرغم مما تتعرض له هذه المعالم التاريخية العجيبة، قصر الحمراء على سبيل المثال لا الحصر وغيره - من طمس وتهديم، سوى أنها تحتزن هوية أصحابها بالرغم من مغادرتهم لها منذ زمن بعيد. أوليس الآثار الرومانية دالة على حضارتهم أيضا في كل بقاع العالم إلى يوم الناس هذا؟ فلماذا نغيب نحن هويتنا؟ فيما تتنافس الأقوام الأخرى على إظهارها وترسيخها في كل ما تُتاح لها الفرصة لذلك؛ في نشر الأفكار وتسويق السلع والخدمات... وإن كانت الأولى سابقة للثانية خادمة ومكملة لها. لأن غرس الفكرة بعد قبولها، يسهل مهمة قبول السلعة واستهلاكها. وبذا يتحقق المراد وتنطلي الحيلة على أصحابها (ضحايها).

فمنط اللباس الذي يتباهى به اليوم شبابنا؛ - زخر المجتمع وعماده - يتسرول في سراويل بلغ بها التمزق والبلى والضيق، حدا لا يُقبل من ذي عقل، بل إننا نشاهد بأعيننا من التقلبات (الموضات) الغريبة المشينة ما هو أدهى وأمَرّ؛ فهي سراويل لا تكاد تؤدي حتى وظيفتها الحقيقية في ستر عورة لابسها؟!.

ومن المأكولات ما لم يعد يعنيه لا نوعها ولا مصدرها، ولا أن يختلط فيها خبيثها بطيبها- في الغالب الأعم-؛ فنتج عنه من الأسقام والأمراض ما لم يكن لأجداده به عهد، ومن السلوكيات ما لم يُقرّ بها أسلافه؛ بل أجداده وآبؤه من عهد قريب، وهم لا يزالون إلى يوم الناس هذا بيننا أحياء يُرزقون، وقد استحالوا إلى إيقونات عن ماضٍ تليد، أو كما يُعبر عنهم شعبيا (بالبركة)، فأين مكن البركة فيهم؛ وهم الذين ذاقوا من شطف العيش والشقاء ألوانا، ومن الحرمان أشواطاً، ومن الاستعمار جهلاً ومرضاً ودماراً.. لقد أصيبوا في أجسادهم، وفتنوا في دينهم، واستهدفوا في هويتهم وانتمائهم، فما بدلوا تبديلاً.

إنهم آووا إلى الركن الشديد الخالد؛ الذي تعلموه في الزوايا والكتاتيب من حفظ القرآن والسنة النبوية وتعاليم الدين الإسلامي، وعموم التراث الشعبي الأصيل؛ فتشربت منه أنفسهم، عزّة النفس، والبطولة، ومحاربة الظلم والجور، والثبات على الحق، ومخالفة العدو، واليقين بالنصر... وبالجملة فضائل الإسلام الحنيف. فأُكْرِمُوا؛ وتحسنت أحوال دنياهم، وما بدّلوا شيئاً من دينهم ولا فرّطوا في آخرتهم .

وهُم اليوم يُلوّحون بأيديهم، ويصيحون بأعلى صوتهم أن: يا شباب هذا الجيل خذوا عنا أمانة الأجداد إليكم، كاملة غير منقوصة، تحفظكم و تحفظ أبنائكم من بعدكم، كما حفظتنا وآباءنا، من الذوبان و التناهي إلى ما يدمر كياننا و يطمس هويتنا.

2- تأثير العولمة على عناصر الأدب الشعبي الجزائري:

للإجابة على هذا التساؤل لابد من استعراض وبسط لبعض هذه العناصر كل على حدا لتتسنى لنا الإحاطة الكاملة بمعظم جوانبه المتباينة وتأثيراته المختلفة وثقل حملته، ثم النظر بعد ذلك في حاله وماذا يقول واقع الحال فيه، ولتكن البداية مع:

2-1-1- البوقالة:

2-1-1-1- تعريف البوقالة: يمكن القول إنها لعبة حظ نسائية ولكن بطريقة أدبية مميزة .

2-1-2- أصل التسمية:

اشتق اسم البوقالة من الكلمة الأمازيغية (أبوقال) وهو عبارة عن إناء يُصنع من الفخار(الطين) يستعمل لشرب الماء في الغالب ، وأحيانا لوضع الحليب أو اللبن أيضا، أما علاقة (أبوقال) بالموشح الشعبي فيعود إلى استعماله أثناء جلسات القراءة.

1-1-3- كيف تتم جلسة القراءة؟:

في بعض جلساتهم الحميمية، تضع النسوة العازبات في هذا الإناء الطيني شيئا من حُلْيَهِن (خاتم ، سوار، قُرط الأذن، سلسلة...الخ) ثم يُغطى بقطعة قماش من حرير ، وعقب ذلك يُشرع في قراءة الموشح الشعبي، وبعد قراءة مقطع منفرد؛ تُدخل القارئة يدها إلى داخل أبوقال ثم تسحب قطعة واحدة من مجموع الحلبي الموضوعه فيه وعليه يُفسَّر طالع صاحبة الحلية المسحوبة على ضوء ما جاء في الموشح الشعبي المقروء . وهذه هي الجلسة التي تسمى بالبوقالة.

من الوهلة الأولى نميز الجانب الترفيهي لهذه الجلسة؛ لأنها عادة ما تجمع فتيات في عمر متقارب وغالبا تكون بينهن علاقة قرابة أو جوار، كما يمكن أن تُعقد أثناء الزيارات العائلية في مناسبات الأفراح المختلفة، وربما كان رواجها في الريف أكثر منه في الحضر؛ لعدة أسباب ربما أهمها الانتشار الواسع للخرافات، وأعمال السحر المختلفة ولكن من المؤكد أن الصبغة كَرَّ يجدن متعة كبيرة لأحلامهن في هذا العالم الافتراضي، الذي يصنعه بأيديهن يُنفسن به عن همومهن وكرباتهن في الواقع الملموس.

وتتميز البوقالة أو بالأحرى الموشح المقروء ، بلغة مناسبة لمستوى الطبقات الشعبية، وذلك لأن الشعب هو الذي أنتجها وهو من يستهلكها أيضا. وهذه العملية نجدها خاصة بالقرب من المدن الساحلية التي تتميز بكون غالبية سكانها يحتفظون باللسان الأمازيغي إلى يومنا هذا من مثل (بجاية ، تنس ، شرشال... الخ)؛ ورغم هذا المستوى اللغوي الشعبي فإن البوقالة غنية بالصور البيانية والبلاغية من مثل استعمالها للسجع والطباق ولأساليب التلميح والتصريح وغيرها.

ورغم الشكوك التي تحوم حولها من أنها أحد أضرب السحر المنهي عنها شرعا ولأنهم يُصنّفونها ضمن أعمال المنجمين والعرفان الذين يدعون معرفة الغيب وما سيكون في قابل الأيام؛ إلا أنها تحمل غير قليل من المعاني التي تحث على التحلي بالسلوك القويم (الاجابي) الذي تحدده القيم المستخلصة من الدين الإسلامي الحنيف، وهي بذلك تحدد ثقافة وهوية وانتماء هذا الشعب ، الذي يُراد له أن ينسلخ من هويته رغم أنفه وإرادته وليس له انتماء لغيرها. وهكذا يفصح تاريخه من خلال هذه النماذج. قناعاته الراسخة رسوخ الجبال الشامخات بل واعتزازه بأنه جزء لا يتجزأ من هذه الحضارة الإسلامية العظيمة؛ التي حفّت الأرض يوم ما بأنبل وأسمى القيم.

2-1-3- عينة من موشح البوقالات⁽¹⁾: تجدها في الملحق.

2-1-4- مضمون موشح البوقالة .

تكشف القراءة السريعة لموشح البوقالة بشكل عام، وللعينة التي بين أيدينا بشكل خاص؛ عن النبيل والحياء ومراقبة المولى تبارك وتعالى، في التعبير عن عاطفة الحب والهيام، لدى المرأة والرجل على حد سواء؛ وهي عاطفة أودعها المولى عز وجل في كل مخلوقاته، وعلى أساسها يتم تعمير الكون واستمرار الحياة؛ المنوط والموقوف على ذكر وأنثى، لا استثثار ولا غنى لأحد على آخر، فكل طرف في حاجة ماسة وملحة للآخر؛ إنها من ودائع الله في خلقه سبحانه. فكيف تم التعبير عن هذه الخلدات النفسية العارمة، وهذه المتطلبات الجسدية المليحة، ذات

(1)- العربي دحو: أمثال وأقوال مأثورة وبوقالات شعبية جزائرية ، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، الجزائر، د ط ، 2011م ، ص 152

الخصوصية الخاصة؟ ففي البوقالة التالية ما يشير إلى ما قد أعلننا عنه سابقا، تقول البوقالة: "جاري يا جاري

ياللي دارك... خدى داري هذا شحال عيني في عينك... وما قدرت انبوحلك بأسراري... انطق لباس في

منامي نحى عليه كل أضراري... وقال لي إي كتب ربي يعيا هو مول بيتك... وتعيأ أم البنات والذراري

(70)*. فمن هذا النص نستشف ولع القائلة بجارها، إلا أنها لم تستطع البوح بهذا الشعور رغم قرب المسافة

واحتمال سهولة اللقاء بحكم المجاورة. لا شك إنها التنشئة القومية على فضيلة الحياء من التعاليم الدينية الصحيحة.

وفي بوقالة أخرى نجد في نفس السياق ما نصه: "دار خذا دار... طاقة خذا طاقة.. والعيون عشاقة... وحق

موسى وعيسى وراكب الناقة... ما داري يا عباد، الأرواح متى تتلاقي (117)" فكيف تكون البداية لتحقيق هذا

الحلم المقدس يا ترى؟ نجد إجابته في نص هذه البوقالة: "بسم الله بديت وعلى النبي صليت... نطلب ربي

يعطيني ما تمنيت (39)" إنها بلا شك بداية مباركة. وأما في هذه البوقالة فنجد ما نصه: "ضاق عليا الحال

وبكيت... رفدت لبريق وتوضيت... صديت للقبلة واصلت... وطلبت ربي يفرج عليا... ويكتب ليا ذاك

الزين (135)" إنها قمة الالتزام بالشرع والسمو في الأخلاق، ومنها يبرز بوضوح خلق الحياء، إنها التنشئة الرفيعة

والتربية الإسلامية الخالصة. والآن؟ لقد تحقق المطلوب ووقع المرغوب فكيف كان الرد على المشكور؟ لقد كان بهذا

النص المفور: "أرفدت بُريقي (***) وتوضيت... نشكر ربي عطاني ما تمنيت (32)" ولتقييد هذه النعمة وضمن

دوام استمرارها يبينه نص هذه البوقالة: "بيض يا نور الياسمين... انت جوهرة ما كسبوها سلاطين... ربي

يحفظك من العين ويبعد عنك الحاسدين... بجاه رب العالمين وبعجاه الأنبياء الصالحين (52)" إنها قبس من

صفات الرعيل الأول من المسلمين. وفي سياق الحياء دائما نقرأ هذا النص: "عيني على الحبيب واللسان علي

حاشم... تمنيت ندير الحنة وندير الخاتم (215)" ففي هذا النص تُفصح صاحبتة عن الحائل الذي جعلها تكتم

مشاعرها، اتجاه من تريده، أن يكون أبا لأبنائهما، إنه الحياء، المعبر عنه في نص هذه البوقالة بلفظ (اللسان حاشم)

(*) - هذا الرقم في آخر نص لث بوقالة يشير إلى رقمها التسلسلي في المدونة المذكورة أعلاه.

(**) - بُريقي: الإبريق، أي: الإناء

وهو مرادف-الحياء- في العامية الجزائرية. ولكن هل هذا الحياء يمنع من ذكر مواصفات فارس الأحلام؟ لننظر في هذا النص: "اللي ما يخاف من ربي خاف منو...واللي يدير في قلبو ربي والنبي عليه راني مهني (288)" هذه هي الصفة التي تريدها هي فيه ، فكيف يريدونها هو؟ إن جوابه في هذا النص من هذه البوقالة : " ما نخدهاش

طويلة كي السلوم...وما نخدهاش قصيرة كي الفكرن ماشي (*)...نخدها مربوعة القد تعمّر لي

فراشي(303)" إنها الصورة المثالية للجانب المادي، وهذا بكل تأكيد خارج عن سلطة البشر، فالله هو الخالق

المصور، يرزق من يشاء من عباده. وهو المقصود والمعبر عنه في المخيال الشعبي ب- المكتوب- كما في هذا النص

: "دعيت ربي والنبي، نمت حبيبي...دايرة به النجوم وقال لي خليلتي...الكريم هو الله وحده...ما

يدّيك (***) غير أنا يا اللي كتّيك (***) لي الله (131)" وهكذا هو الشأن الأكبر من البوقالات؛ لا يتجاوز حد

التلميح اللبق والتصريح العفيف، والانقياد لسلطان القيم ومنظومة الأخلاق؛ يتجولن ضمن ربوعها في جو من

العفة والأمن والاحترام المتبادل من كلا الطرفين، فالكل يمرح ويريد الفوز بالدارين، في رحاب ما حدده المشرّع

الكريم.

2-1-5- البوقالة و العولمة:

إلا أن السؤال الواجب طرحه وبإلحاح شديد: أين هي البوقالة اليوم؟ أم تراها اندثرت وسافرت عبر الزمن

إلى اللانهاية ومن غير رجعة؟ وما شأنها بما نراه اليوم من تطور فظيع للآلة التكنولوجية الرهيبة في كل مناحي

الحياة؛ الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والنفسية...الخ؟ بعبارة أوضح: ما موقع البوقالة في ظل العولمة الحالية

بأساليبها ووسائلها؟.

(*) - كي الفكرن ماشي : مثل السلحفاة أثناء سيرها

(**) - يدّيك : يأخذك (هنا بمعنى يتزوجك)

(***) - كتّيك : أي تكون من نصبي (من المكتوب)

بالفعل انه سؤال، ولا شك يُلحُّ على الإجابة كما ألحَّ على أن يُطرح؛ لأن الأمر يتعلق بإحدى أجزاء الثقافة المحلية، وأيضا جزء من الهوية، المعرّض للانقراض إن لم يكن قد انقرض فعلا، وإن كان قد حدث هذا فعلا فما هي الأسباب؟ وما السبيل إلى حمايتها إن كانت ما تزال على قيد الحياة، أو إعادتها من رحلتها إن كانت لها وظيفة حيوية داخل المجتمع؟

الحقيقة إن الإمام بالإجابة على مثل هذه الأسئلة ليس بالأمر الهين، ولكنه ليس مستحيلا في الوقت ذاته، ذلك أن عوامل وظروف اجتمعت، ونشأت على إثرها أوضاع جديدة مختلفة كل الاختلاف عن الظروف التي أوجدتها أول مرة، وأوجدت لها وظيفتها التي تناسب ظرفها التي هي فيه، أما اليوم فهل مازالت ظروف الميلاد نفسها وبالتالي الوظيفة ذاتها؟

من المؤكد أن ظروف اليوم ليست هي ظروف الماضي، وبالتالي فلكل ظرف وزمان، أدواته وأفكاره؛ فكل فكرة تنتخب لها أداة تناسبها للقيام بوظيفتها المنوطة بها. وعلى هذا الأساس يمكن القول: هل البوقالة كأداة وظيفتها التي كانت منوطة بها، لا تزالان صالحتان في مثل زماننا هذا؟ زمن العلم، وتكنولوجية الاتصالات والمواصلات أركان العولمة؟

إن وظيفة البوقالة أو الموشح المقروء، بما يحققه من الإمتاع و الترفيه عند الأداء يتوافق تماما مع ما هو مطلوب أن يحققه الأدب، الذي يستحق أن يُنعت بالرفيع، أو أن يحظى بالصفة العالمية، ذلك أنها أولى وظائف الأدب عموما، مع وظائف أخرى بطبيعة الحال، حتى يحافظ بها على بقائه وديمومته واستمراره.

فهل للبوقالة وظائف أخرى زيادة على وظيفتها الترفيهية والإمتاعية؟ مع العلم أن وسائل الترفيه والاستمتاع في هذا العصر شبه المعولم لا تُعد ولا تُحصر؛ سواء في شكلها أو في مضمونها. فهل البوقالة اليوم في مستوى هذا التحدي من المنافسة المعولمة الشرسة؟

إن الإجابة على هذا السؤال هي التي تحدد بقاء واستمرار، أم زوال واندثار هذه الجزئية ومثيلاها من

محددات الهوية الثقافية؛ لأن- انتفاء وظيفة العضو يؤدي إلى ضموره - كما يُقال في العلوم التجريبية؛ فهل هذا

يصدق أيضا في العلوم الإنسانية؟ وتحديدًا مع بوقالتنا؟

لنعد قليلا إلى الوراء ولنستفسر مرة أخرى عن المضمون الحقيقي للبوقالة، وما هو الغرض الأساسي منها ومن هم

روادها وزبائنها؟ وهل وسائل هذا العصر المعولم، التي تُوصف بالمتطورة جدا أو بالفائقة التطور، عاجزة عن تلبية

حاجات هؤلاء الرواد و الزبائن؟ إن الحاجات المادية يمكن القول بأنها أيسر في التحقيق من مثيلاها النفسية، وإن

كنا على يقين بأن الفصل بينهما شديد الصعوبة؛ لشدة الارتباط والتداخل بينهما؛ لذلك لا يمكن لأحدهما أن

ينفصل أو يستغني عن الآخر؛ ذلك لأن إشباع الحاجات المادية لا يغني عن إشباع الحاجات النفسية، والعكس

صحيح في هذه الحالة أيضا؛ وربما هنا بيت القصيد، أو مربط الفرس كما يُقال؛ فالمادية الاستهلاكية التي طغت

على إنسان هذا العصر، قد أنسته التفكير في الجوانب الأخرى الخفية، ولم يُعَرِّها الاهتمام اللازم والكافي، لإحداث

التوازن النفسي المطلوب، الذي يكون الشخص من دونه في غير الحالة المرجوة له؛ وبالتالي فهو والحال هذه، مهياً

للقيام بأي فعل كان؛ ليحقق به هذا التوازن، وسيظل البحث مستمرا، من دون كلل ولا ملل إلى نهايته.

وهكذا صبايا البوقالة؛ في ظل انعدام هذا التوازن، مع النقص الواضح ربما في وسائل الترفيه، والمستوى

العلمي. يلجأ إلى التنفيس عن حالاتهن بهذه الطريقة؛ التي ربما لا وجود لغيرها في المنطقة. وبها يقضين فعلا

أوقاتا ممتعة وإن كان معظمهن ليس لهن الإيمان المطلق بما تفعلنه، وتسمعه في جلسة البوقالة هذه؛ لأن هناك من

سبقتهن لهذا الفعل، وتأكدن بأن نبوءاته كانت في غالبيتها مجانبة للحقيقة والواقع؛ بمعنى أنها في غالبيتها العظمى

لم تكن واقعية بالقدر المطلوب؛ وعليه فلا يعول عليها كثيرا عندما يجذُّ الجِدِّ، ونكون وجها لوجه مع الواقع

الحقيقي، لا الوهمي أو الافتراضي.

إذا كان الجو أثناء جلسة القراءة في البوقالة يُوصف بالوهمي والافتراضي، رغم بساطة أدواته، وحتى بدائيتها فإن الجلسات عبر وسائل العولمة اليوم أكثر وهمية وافتراضاً، بل وإفساداً في غالبيتها العظمى؛ وهذا ربما هو الفرق الجوهرى بين- اللعبتين- إن صح هذا الوصف. فما نوع الأخلاق التي أرسّتها البوقالة في زبائنها من خلال ما خُلصنا إليه من تحليل مضمون بعضها، وما هي نوعية الأخلاق التي تحاول العولمة اليوم غرسها في هذه الناشئة؟ إن الذي لا مراء، ولا جدال فيه: هو الإجماع الذي كاد أن يكون مطلقاً، على أن العولمة بوسائلها الحديثة قد أدت إلى زعزعة القيم بشكل عام في كامل أنحاء العالم؛ وذلك بخروجها عن المؤلف المعتاد؛ وإن كانت النسب متفاوتة من مجتمع إلى آخر، كل حسب ظروفه وموقعه، ومرونته في التكيف مع الأوضاع المستجدة.

إن الذي تريده العولمة لروادها يناقض تماماً فضيلة - الحياء- التي تشبعت بها صبايا البوقالة، حتى غدا الجزء الأساسى البارز من سلوكهن. فما البارز من السلوك اليوم في زمن العولمة في العالم العربي ومنه بلادنا الجزائر؟ إنه الاندحار الرهيب في مجال الأخلاق عموماً، وخلق - الحياء- منه على وجه الخصوص؛ فما تراه العين وتسمعه الأذن كاف، لإطلاق صفارة الإنذار، بخطر الذوبان والتلاشي؛ لكثرة عدد صور التشابه بين مجتمعاتنا والمجتمعات الغربية، لصالح هذه المجتمعات الغربية بالتحديد. إنه فعل العولمة من دون شك، ونتيجته الساعية إلى تنميط العالم ضمن النمط الغربي العام، والأمريكى منه على وجه الخصوص. هذا النمط القائم على الثنائية القذرة، إنها ثنائية (الجنس والعنف) وكلاهما؛ يتطلب قدراً هائلاً من الجرأة والوقاحة والندالة. وهذا هو نقيض الحياء تماماً. فلا أظن أن أحداً يملك ذرة من حياء بين جنبيه، يستطيع القيام بمثل هذه الأعمال الشائنة الخسيسة.

هل عرفنا الآن لماذا يريد دهاقنة العولمة ومنظروها، في أمريكا والغرب نسف هذه الفضيلة؟ إنها فعلاً العقبة التي تقف أمام هذا الزحف القدر تجاه مناطق العفة والحياء؛ ولذلك كان وطء العولمة على البلاد الإسلامية والعربية شديد الأثر، واضح التأثير.

2-2- الألباز الشعبية الجزائرية:

2-2-1- عينة من الألباز(*) : تجدها في الملحق

2-2-2- مضمون الألباز الشعبية:

هذه عينة من الألباز التي جادت بها قريحة الملغز الجزائري أو بالأحرى- المعلم الشعبي الجزائري- ألا ترى أن هذه الألباز تعرض في عبقرية مميزة، مسائل على درجة عالية من الأهمية؛ في الدين والعلم والحياة ، وكل ما له صلة بدنيا الناس؛ في عملية تعليمية راقية ورائعة، تنم عن الوعي و الخبرة، في انتقاص للمواضيع، وكذا المقدرة الفائقة في الصياغة اللغوية، الحاملة للفكرة، الرامية إلى تحقيق أهداف الرقي والتقدم الحضاري، كل ذلك في قالب يناسب الطبقات الشعبية، ذات المستوى المحدود من الثقافة والمعرفة. والبداية مع التحية وإفشاء السلام ؛ ففي وجوب رد السلام كما نصَّ عليه الشرع يقول الملغز: " اسمها بالسین والسين كلمة شرعية النص عليك والنص عليّ." وقوله أيضا: " على اللي تسمى بالسین وتحكم بالشرعية كلمة عليك وكلمة عليا " . ففي هذين النصين يؤكد الملغز على كلمة - شرعية - أي أنها من الدين مؤكدا ذلك بقول آخر: " راح وّلى (رجع) لينا يا جاء قدنا يا زاد علينا"، كما أمرت بذلك الآية الكريمة في قوله تعالى: (وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كُلِّ شَيْءٍ حَسِيْبًا) سورة النساء الآية 86. وأدنى حالات الرد بعد إلقاء السلام هي في أدناها: "وعليكم السلام".

وفي ما يتعلق بعلوم الدين، نجد أن الملغز الجزائري ملما بلحد الأدنى من العلوم الشرعية؛ فنجده يعرض بداية لأركان الدين الإسلامي؛ في مجموعة من الألباز منها مثلا قوله في أهم ركن فيه وهي فريضة الصلاة بقوله: "شجرة فيها خمس عُصان زوج في الضو و ثلاثة في الظلام" وهي الظهر والعصر في النهار والصبح والمغرب والعشاء في الليل. وبتفصيل أكثر لتحديد عدد الركعات في كل صلاة يقول الملغز: " على اللي اسمها بالصاد والصاد

(*)- قائمة الألباز الواردة مرفقة بحلونها في الملحق.

سلسلة قديمة اربعطاش (14) في الظلمة وثمانية (8) في الشمس ديما " أو بهذه الصيغة " ربعة (4) خلقوا قبل أمهم وثمانية خلقوا مع أمهم وعشرة خلقوا بعد ما تموت أمهم " (الأم هنا هي الشمس) ولا يكتفي بذكر الصلوات وعدد ركعاتها؛ بل ينبه ويرغب في أداء- صلاة الصبح- في وقتها لجلالها وعظيم أجرها بقوله: " على ضيف جانا من القبلة ولباسو مبهاه الفايح (*) غطي راسو و الفحل ناض لاقاه "

وبصيغة أخرى لنفس الغرض يقول الملمغز: " فارسنا جاي وهو خير ناسو (أهله) لمليح يخرج يلاقيه والفايح يغطي راسو. " وهو ذم وانتقاد لمن يتهاونون في أدائها من جهة، ومن جهة أخرى للذين يتأخرون عن القيام بأعمالهم باكرا. لما في البكور من نشاط وصحة وبركة؛ ولأنه يجمع بين العمل والعبادة أيضا. وعن أهمية - صلاة الجمعة- يشير الملمغز إليها بالقول: " صياد ماهر وفي ضربو رزين كيما يقيسش (لا يصيب) يطيح ربعة (4) وكي يقيس (يصيب) يطيح زوج (2) " أي أن صلاة الجمعة في المسجد (جماعة) ركعتان، ولمن فاتته فهي تُصلى ظهرا أي أربع ركعات. وعلى ذكر يوم الجمعة الذي هو عطلة المسلمين يقول فيها الملمغز: " شفت شوفة واشهدوا يا شهودي شفت الأثنى مسلمة والذكر يهودي " فالجمعة (مؤنث: رسما ولفظا) عطلة المسلمين، والسبت (مذكر: رسما ولفظا) عطلة اليهود.

فإذا كان من المفروض أن الصلاة لا تُقام إلا بعد الطهارة وإسباغ الوضوء؛ ولأن هذه العملية الأخيرة قد تكون متعذرة لسبب من الأسباب. نجد أن الملمغز يشير إلى البديل الشرعي المتمثل في- التيمم- بقوله: " يبدا بالتاء والتاء هي الشريفة لو يغيب السلطان تبقى هي الخليفة " والمقصود بالسلطان هنا هو- الوضوء- ومن الواجب أيضا في الصلاة التوجه جهة الكعبة المشرفة أينما نكون لذلك أدرجها الملمغز في هذه العبارة مع الحمام وشجرة الزيتون بقوله: " إذا فاهم وقاري خبرني على الحرة في الطيور والحرة في الشجور (الأشجار) والحرة في الحجور (الأحجار) "؛ والمقصود من الأحجار هنا هو الحجر الأسود، ولم يكن ذكره للحمام عبثا فهي التي

(*)- الفايح : السبي ، الغبي ، و ربما الأحق أيضا

باضت في مدخل غار ثور الذي آوى إليه الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصاحبه أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) أثناء الهجرة من مكة إلى المدينة، وأما شجرة الزيتون فهي شجره مباركة ورد ذكرها في القرآن الكريم.

من أهم أركان الإسلام أيضا- صوم رمضان- هذا الركن العظيم الذي تتميز به الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم؛ لما في هذا الشهر الفضيل من الخيرات و النعم و البركات. و على قدر هذه العظمة، خصَّ الملعز الجزائري باقة رائعة من الألغاز، ضمنها الحد الأدنى، مما يجب على المسلم معرفته، عن هذا الشهر الكريم فيقول:

"متردنا (*) بشواكلو (***) واحد ما يقدر ياكلو " وقوله في نفس السياق: " كيش بكلاكلو *** وما يقدر حد ياكلو " فهي إشارة إلى الامتناع عن الأكل والشرب ولو كانت متوفرة وفي المتناول. ولم يفتم الملعز تحديد هذا المنع للأكل والشرب قائلا: " شجرتنا عالية و علات على ثلاثين مطرق رمات، في النهار مارة وفي الليل خلات " فبعد الإشارة إلى علو قدر ومنزلة هذا الشهر بين الناس، وتحديد فترته وأيامه المفروضة على المسلمين والمقدرة بثلاثين يوما؛ يحدد فترة الصيام طوال النهار وحله في الليل. وفي إشارة ذكية لبعض من لا يجب عليهم الصيام يقول الملعز: " على هدية من عند الرحمن للرجال والنسوان ما يكلها غير مريض بالعلة وإلا خارج من الملة. " وكقوله أيضا: " إذا كنت فاهم و تفهم المعاني خبرني على اللي يبدأ بالراء والراء ماشي في المراري غلب الكبار وغلبوه الدراري " وفي إعلان فرحته عن أداء واجبات الصيام بكاملها، بانتهاج هذا الشهر الفضيل يقول: " جانا ضيف ضيفناه وذبحننا لو طير كليناه ومششناه (****) نفض روجو وراح " فانتهاج رمضان معناه بداية الاحتفال باليوم السعيد انه - عيد الفطر المبارك- الذي يقول فيه الملعز الجزائري: " على زوج خاوة ملاح - واحد حلواني وواحد قباض لرواح " وقوله أيضا: " زوج خاوة في كاف واحد صالح وواحد قباط لرواح " فهو يقرن عيد الفطر مع عيد الأضحى؛ فالأول يصفه بالحلواني لكثرة الحلويات التي تحضر في كل منزل لتقدم بهذه

(*) - متردنا : قصعة خشبية يوضع فيها الطعام للأكل جماعة.

(**) - بشواكلو : أي الطعام بجميع أشكاله و أنواعه.

(***) - بكلاكلو: بكل ما يحتوي عليه من لحم وشحم ولذة لا تقاوم.

(****) - مششناه : من الفعل مشش: أزال اللحم عن العظم بأسنانه.

المناسبة. وأما وصفه لعيد الأضحى المبارك ب- قباض أو قباط- لروح؛ فللخراف التي تُنحر في هذه المناسبة الدينية العظيمة. اقتداء بسنة سيدنا إبراهيم عليه السلام والتي رصدها الملمغز الجزائري بالقول: " على اللي بعثو الرب لا عندو أم لا عندو أب فك المطلوب من الطلب" وقوله بصيغة أخرى " اللي يسمى بالكاف والكاف خيار ناس فك الحي من الموت جاب هلكة لراسو" ويضيف في نفس السياق قائلاً: " على اللي اسمو بالكاف والكاف حال بعيد خلق في أول الدنيا وعاش نهار فريد" وبالعودة إلى شهر رمضان، لم يفوت الملمغز الجزائري الإشارة إلى أعظم ليلة في هذا الشهر ألا وهي ليلة القدر فيقول فيها: " إذا كنت قاري وفاهم وتعرف واش الداخلة خبرني على المرا اللي خير من ألف راجل" (ليلة القدر خير من ألف شهر) وأما عن فريضة الحج فيقول فيها الملمغز: " على فرق حمام في الأرض هام ، إذا ما شربش نهار ، يغب عام" ولا يقتصر دور الملمغز التعليمي على الفرائض فقط، وإنما يتعداه إلى جوانب أخرى من الدين منها مثلاً قوله: " جاء الجيم وجاب القاف معاه أعطاه للميم خللاه وراح " أو بصيغة أخرى "علي اللي اسمو بالجيم جاب القاف معاه وصلو للميم راح وخاله" وهو يشير بذلك إلى نزول القرآن الكريم- بحرف القاف- على رسولنا محمد (صلى الله عليه وسلم)- بحرف الميم- عن طريق جبريل عليه السلام بحرف - الجيم - وللتعريف برسول الهدى يقول " إذا كنت - قاري وتعرف الحرف المخبي عيذلي (*) من خير الناس وما خيرش من ربي" ، بهذه العبارة اللغزية يبجل الملمغز الجزائري الرسول (صلى الله عليه وسلم) بأنه أخير الناس جميعاً وارفعمهم منزلة و أعلاهم قدراً . أما بالنسبة للقرآن الكريم فيقول الملمغز بشأته: " شجرتنا شجرة النيل مغروسة في هواها العرف فيه ستين يا سعدو اللي أداها " وفي الغرض نفسه أيضاً يقول: " على نادرنا (**) زبدة و طرافو رايب أحلى من عسل الشهدة والسفرجل طايب " وفي إشارة إلى المنزلة الرفيعة التي تتبوؤها سورة - الرحمن- في القرآن الكريم يقول الملمغز " شجرتنا شجرة الطيب وأحلى من المسك في ورقها، إذا كنت ديب بن ديب اعرف لعروسة اللي في وسطها". وفي عبارة وجيزة يأتي

(*) - عيذلي : أخبرني ، دُلِّي

(**)- النادر: البيدر، نادرنا : بيدرنا.

فيها الملعز على ذكر؛ المولى تبارك وتعالى ، ونبيه الكريم ، والصحابة العشرة المبشرون بالجنة ، والقرآن العظيم والصلوات الخمس، وشهر رمضان فيقول: "على اللي واحد واثنين وعشرة وستين وخمسة وثلاثين." وعن قصة إلتقام الحوت للنبي يونس(ذو النون) عليه السلام يقول الملعز فيه: "على أنثى حبلت بولد و ماهيش أمه شوفوا صنع ربي ما ابعدها من دمه ". وأما عن العدو للذود للإنسان واعني به الشيطان الرجيم فقد افرد له الملعز عبارات من مثل قوله: "على اللي يبدأ بالشين وحرف الطاء فيه وافي يكسر الحجر الصم و يخوض الماء الصافي" أو بمثل هذه العبارة أيضا: "راجل فتان أو سبَاب الفتن في يدهشرق وغرب الموت لابي(*) تريده" أو بصيغة أخرى: "على اللي أسمو بالشين والشين(*) حاله، لا عربي خوه لا رومي خاله" فهو الوسواس الخناس الذي لا يمل ولا يفتر، بل ولا يُقلع أو يتوقف عن الوسوسة في صدور الناس. وعلى ذكر الشيطان الرجيم وعداوته الأبدية للإنسان؛ فقد ربط الملعز الجزائري هذا المعنى بأفة - الخمر - وهي الموصوفة بأَم الخبائث، فلا يقل فعل ضررها عن ضرر أفعال الشيطان، قائلا: "على شجرة لوبان مغروسة في كل أوطان ابنها سلطان وابن ابنها شيطان" فابن الكرمة (الدالية) هو العنب، وهو بكل تأكيد من أطيب وأفضل الفاكهة؛ لكن عند عصره وتحويله إلى خمر، تستحيل (تتحول) هي بدورها وما تفعله بمن يعاقرها إلى شيطان طائش مريد. مما يستوجب الحيطة والحذر منهما على حد سواء.

مهما عاش الإنسان وطال عمره؛ فلا بد من مجيء اليوم الذي يدركه الموت ويغادر فيه إلى الآخرة. إنها الحقيقة الساطعة التي لا ينكرها احد مهما كانت مكانته ومنزله في هذه الدنيا. فهل استغفلها الملعز الجزائري؟ بكل تأكيد لا. وقد افرد لها باقة عجيبة من الألغاز يبدوها عن الموت بقوله: "هي هي ما تتباع ما تتشري إذا بكات من يصبرها وإذا رحلت حد ما يقدر يحكمها" ويقول أيضا بشأها: "عمتي زرقة من كل بلاد تدي ورقة" فالموت يصول ويجول في كل أرجاء المعمورة، وهي بهذا أكبر من أي مخلوق فيها حتى من نبينا الكريم (صلى

(*) - لابي : أبي ، امتع.

الله عليه وسلم) حسب قول الملمغز: " هبة وهبات كل مهبي أكبر من النبي واصغر من ربي " إن الموت كما يبدو لنا في ظاهره هو مغادرة الروح للجسد ولذلك قال فيه الملمغز: "على بنت كارية(**) دار والدار وفات كريتها خرجت البنت من الدار خرّجت الدار ريحتها " فتعفن و تحلل الجسد هو العملية الموالية لخروج الروح؛ لذلك وجب التخلص من هذه الجثة، إما بدفنها أو حرقها أو تحنيطها... الخ، وفق العادات و التقاليد السائدة في مجتمع أهل الميّت.

إن العادة عند المسلمين هي الدفن، بعد الغسل والتكفين وصلاة الجنائز، وهي من حقوق الأموات على الأحياء في الإسلام. فهل غابت هذه الحقوق عن معلمنا الملمغز؟ يقول الملمغز بشأن الكفن: " تشوفو ما تلبسوش تلبسو ما تشوفو " أو بصيغة المتكلم: " نصنعوه ونبيعوه، ولي يشريه ما يحتاجو، ولي يحتاجو ما يشوفوش". وأما بشأن الميّت فيقول: " اللي يتوضى ما يصلي، واللي يلبس ما يخلي، واللي يخرج ما يوللي " إن-لبس- الكفن هي المرحلة التي تسبق عملية الدفن، وهذه العملية تستدعي وجود القبر وبالتالي المقبرة، فعن الأول يقول الملمغز: " حطينا ساسو وبنينا بنيانه راحنا(ضاع منا) المفتاح وقعدنا(بقي لنا) ربي سبحانه " وفي عبارة أخرى لنفس الغرض يقول: "بير أمبير في الأرض مشير، ما يشريو منو الشراية، ما يورث منو الورائة". وعن الثانية (المقبرة) يقول: " يا فاهم جاووني على المدينة كايئة (موجودة) والحس (الضجيج) ما كانش ، الكتان كايين والبيع ما كانش"، والمقصود بالكتان هنا هو قماش الكفن، ويقول أيضا: " إذا كنت فاهم و تفهم المعاني خبرني على اللي ما تولدش وعندها الذراري " وبعبارة أخرى في نفس السياق يقول: " سلسلة مسلسللة فيها خوك وفيها بوك وفيها سلطان الملوك" ففيها تتساوى كل الطبقات وتتلاشى كل الفروق والمميزات، وتفقد فيها كل الألقاب والمسميات دلالاتها ومعانيها. والثابت الأكيد أن عدد سكانها لا يعرف إلا الزيادة من دون النقصان، كما يعبر عنه الملمغز بالقول: " عندي بقرة في طابق راقدة، لولادة ما تولد، وهي في كل يوم تزيد" إنه

(**) - كارية : مستأجرة من الإيجار.

الانتقال من الحياة الدنيا إلى الآخرة؛ فالأولى عمل بلا حساب، والثانية حساب بلا عمل، كما يقول الملمّز الجزائري فيهما: "زوج بنات قدقد*" وحدة تبيع وتشري ووحدة ما شافها حد" ففي الأولى بيع وشراء، ربح وخسارة، أعمال صالحة وأخرى غيرها وأما الثانية، فلا نعرف لأحد عودة أو خبر منه عنها، بعد ممات.

وفضلا عما سبق ذكره في المجال الديني، فإن اللغز هو الآخر أداة تصوير للبيئة التي نشأ فيها؛ فمن نصه يمكن استنباط أنماط المعيشة؛ من خلال ما يُذكر من أسماء المأكولات، والحيوانات الواردة في حل اللغز من مثل قوله عن التمر: "هو مليح واصلو مليح ناكلو الراشي ونطيشو الصحيح" وعن الرمان: "سَطيلة قد الكف تهز مئة- وألف" وعن التين: "جدي يَشْمَسُ طَوَّلُ تَكْمَشُ (**)" وربما لإبراز قدرته التلغيزية يجمل هذه الثلاثة في نص واحد بقوله: "إذا كنت فاهم وتقرأ حروف النظر، خبرني على اللي من برّا خير من داخل، وعلى اللي من داخل خير من برّا وعلى اللي كيما من داخل كيما من برّا" وللإشارة فلين كل من التمر والتين والرمان مع الزيتون؛ مما ورد ذكرهن في القرآن الكريم. وليس معنى هذا أن الملمّز الجزائري اهتم فقط بما جاء ذكره في القرآن الكريم، فهو يقول عن البطيخ الأصفر: "وجْهها وجه الموت خلوة وتمد القوت" وعن البرتقال يقول: "حَمرة ثلالي في كاف عالي" وعن العنّاب يقول: "حَمَرُ حَمَائِرِ فِي السَّمَاءِ يَطَّائِرُ" وحتى اللَّفْتِ وَالْجَزْرِ يقول فيهما: "زوج خواتات وحدة حنّات و الأخرى لَابَاتُ (***)" وعلى ذكر الحناء يقول الملمّز الجزائري فيها: "خضرة في نباتها حمرة في رباطها وإلى ما أمنتش سقسي مولاتها" وعن الحليب والزبدة يقول الملمّز الجزائري: "على اللي أسمو بالحاء وتبدّل حالو جاب طفلة زينة ودّاوهالو (****)" أو بهذه الصيغة: "على اللي يسمى بالحاء والحاء هي حُرُوفُ خَلَقَتْ عِنْدُو طِفْلَةَ وَدَّأُوها مِنْ جَوْفُو" وقوله أيضا: "عمي عبد الصمد شاف شوفة قال اشهدوا يا عيوني شفت الطفلة تخرج من الطفل وإذا كذبت أقتلوني". إن عملية استخراج الزبدة

(*)- قدقد : متساويتان.

(**)- تَكْمَشُ : ظهرت عليه التجاعيد (هنا بمعنى نضج).

(***)- لَابَاتُ: أي امتنعت أو رفضت.

(****)- دَاوْها لُو: أخذوها منه.

من الحليب تستدعي مخضه عندما يكون رائبا؛ وهو ما يستدعي أيضا وجود أداة لتحقيق ذلك، إنها "شكوة اللبن" إذ يقول الملمغز بشائها: " ثلاثة وقوف والرابع منسوف(*) والخامس يضرب ويشوف ". إن وجود الحليب معناه وجود الحيوانات المنتجة له؛ على غرار البقر والإبل والماعز. وأما من غير المنتجة لهذه المادة كالدجاج والديكة فيقول فيهما الملمغز: " عدّيت (مررت) على بيوت شفت الرجال يزغرتو والنساء سكوت "- وأما الدجاجة وحدها فيصورها كالتالي: " لالة منانة لابسة ميات (100) كتانة وتحت الركبة عريانة " وإن كانت هذه هي أيضا صورة الديك؛ مما يُنبئ بغمز مبطن للباس الأنثى الشرعي. و أما عن البيضة والدجاجة فيقول: " ذبحت المعزة وما سلختهاش وكليت بنتها ما ذبحتهاش ". وأما الظواهر الكونية كالشمس والقمر وقوس قزح فقولته فيهم: " سبيكة ذهبية في جبل الياقوت ما صنعها صانع ما دخلت حانوت" هذا عن الشمس أما القمر فيقول بشأته: " سبيكة فضة جات من جبل ياقوت ما خدمها يهودي ما دخلت حانوت " وعن الشمس والقمر يقول: " زوج كسرات (خبزات) في مدينة وحدة تنقسم ووحدة كاملة ديما " وعن قوس قزح يقول: " قنطرة عاشقة ما في السماء معلقة ما في الأرض لاصقة " وعن السحاب بالقول: " يبكي بلا عينين ويمشي بلا رجلين ويطير بلا جناحين ما عندو خشم ما عندو ودنين " و عن النهر يقول: " يمشي بلا راس و يحفر بلا فاس " و عن بعض الأغراض المتداولة مثلا كالساعة والميزان والنار التي لا غنى لنا عنها جميعا، يقول الملمغز الجزائري عن الأولى: "اسمها بالسين ما هي سبتة(**) ما هي سكين لبنات اطناش (12) والدراري ستين (60) " أو بهذه الصيغة " على أنثى و في الأرض موانستني حدثتها ما جاوبتني وفهمتتها واش قالت لي " وأيضا قوله: " لالة يالزينة يالمحزمة(***) بالزين هي ميتة ومصارنيها (أمعاءها) حيين " وعن الثاني يقول: " قاعد مربع والخير يجيه لكلام ما يتكلمش والحق يعطيه " أو بقوله: " قايد متقيد و الناس دايرة بيه هو ما

(*)- منسوف: أي منفوخ (جلد)

(**) - سبتة : جزام.

(***)- يالمحزمة: المتمنطقة ، من النطاق

يهدر و الحق ما يعمى عليه " وعن الثالثة يقول: " تعطيها تأكل تكبر، تسقيها بالماء تموت، وكل كافر عليها يفوت " والملفت في هذا اللغز هو الجزء الأخير منه الذي يؤكد الخلفية الدينية القوية للملغز الجزائري " و عن الإبرة يقول : " النمسة بنت النمسة تسبق السلطان للبسة (للباسه) " أو بمذه الصيغة : " على بنية تعجبنا خدمتها حتى الملوك يلبسوا فضلتها" وعن الشمعة يقول: " البيضاء مبهها دموعها على خدها وهي صابرة لمولاها " وكذلك قوله : " تبكي وتحنُّ على الناس وكي تموت ولا واحد يبكي عليها " وعن القلم يقول: " فارسنا عوام و على راسو حديدة كلما يغطس يجيب كلمة جديدة " ويقول فيه أيضا: " ياجماعة يا فاهمين يا اللي تسمعوا في الميدان، خبروني على اللي يمشي فوق راسو ويتكلم بلا لسان " و عن بعض الظواهر الفسيولوجية كالنوم مثلا يقول الملغز الجزائري: " بو سلوك يغلب بويا ويغلب بوك ويغلب سلطان الملوك " ويقول فيه أيضا : " على اللي يبدا بالنون والنون غلبت النساء والرجال وطبخت الغزال من فوق الجبال " أو بقوله: " ركروك(*) بن ركروك يخبط راسك وراس بوك " وأما عن بعض أعضاء الجسم فنبداً بالقلب حيث يقول فيه: " أنا نسكن في الشمال، مرة حزين، مرة فرحان، واللي يعرفني انسميه سيدي السلطان " وبصيغة أخرى يقول فيه أيضا : " طير الحياحية ساكن في لُدَماس(**) ما عندوش وذنيه ويسمع كل الناس، ما عندوش عينيه و يشوف كل الناس، ما عندوش رجليه وما يشبع من التحواس " وعن الصحة بصفة عامة يقول: " لالة أم الزين وما تزيان غير هي كون للبيع نشريها غير هي " وعن العين يقول: " لالة أم الريش والريش داير بها تعطيني مية وألف وما نفرط فيها " أما عن بعض الجوارح فيقول: " ثلاثة عدياني لو ما هما نروح لقبري هاني " إنها الأذن والعين واللسان أو القلب ومرة أخرى تتأكد الخلفية الإسلامية للملغز الجزائري، بإبداء خوفه عن نفسه ومصيره في الدار الآخرة، بامتثاله في ذلك لقوله تعالى: (" وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) " الإسراء الآية (36) وكذلك لتحذيره الشديد (صلى الله عليه وسلم) من آفة اللسان التي

(*)- ركروك : لفظ لا معنى لها هنا، (وإنما وُضع لتحقيق الجرس الموسيقي).

(**)- لُدَماس : الظلام (تحريف عن الدامس: شديد الظلمة).

تؤدي بصاحبها إلى جهنم. فهو تحذير من الملغز عن طريق نفسه إلى الآخرين من مغبة آفات هذه الجوارح. وأما الوجه فيصوره كم يلي: "على اللي طوله شبر وعرضه شبر فيه المالح وفيه لحو وفيه المر" ولك أن توزع هذه الأذواق المختلفة بما تعرفه عن بني جلدتك، فلكل ذوقه وتقديره، ولكن الأکید المشترك بين جميع الناس هو صحة هذا القياس الظاهري للوجه على وجه العموم. وعن الرأس وما يحويه يقول الملغز الجزائري: "مقربع كي الدلاعة وفيه اثنين، فيه القاضي وفيه المفتي وفيه شهود اثنين". إنها (العقل، اللسان، - الأذنين، العينين) بوظائفها المعنوية لا البيولوجية المعتادة. وأما عن بعض الفئات الاجتماعية كاليتامى فيصور معاناة اليتيم بقوله: "على ذيب مذيب ورغوتو تشيب ماذا يشرب من مرار ويقول طيب" و يلخص الدنيا في هذه العبارة الموجزة بقوله: "حلوة كي التمرة مرة كي الدفلة كبيرة كي لجمل صغيرة كي النملة" وهي كذلك في نهاية المطاف. ونريد أن نختم هذه الجولة مع الملغز الجزائري به ذه النصوص المعبرة عن بعض مستجدات الحياة لم تكن معروفة قديما، كافة التدخين مثلا التي يقول عن أذاتها: "ميت مكفن والنار تاكل فيه زوج ماسكينو" (*) وثلاثة شهود عليه " أما هذا النص الذي يصدق على كل سلاح ناري ، من المدفع إلى المسدس فيقول فيه: "على اللي فيه السبع وفيه الغولة" (**) وفيه النار مشعولة " فالأسد والغولة والنار المشتعلة، كلها تشكل خطرا على سلامة الإنسان. وكذلك هذا النص الذي يصدق أيضا على كل أنواع المركبات التي تحتاج إلى سائق بشري يقودها فهو يقول فيه: "على كاكب بن كاكب (***) لعمى يمشي والصحيح راكب" وأما عن التلفاز فيصفه بعبارة هزلية ممتعة بقوله: "جدي هدار وشلاغمو" (****) فوق الدار " والمقصود ب (شلاغمو فوق الدار) هو الهوائي القلم ذي القصبيات المعدنية الذي يوضع على أسطح المنازل (بديله اليوم هي الصحون المقعرة). والأکید أن الملغز قد قال فيها شيء ما، ولا يزال الكثير الكثير في جعبته. لا يتسع - للأسف - حيزنا هذا لتغطيته بالكامل.

(*) - ماسكينو : مسكون به.

(**) - الغولة : الشخصية الخرافية المشهورة.

(***) - كاكب : لفظ لا معنى له هنا ، و إنما ورد لتحقيق الجرس الموسيقي.

(****) - شلاغمو: الشوارب ، شواربه.

بهذا ننهي هذه الجولة الممتعة مع ملغّزنا وإن كان لا يزال في جعبته الكثير والكثير جدا، مما لا يسع المجال لذكره في فضاء مذكرتنا المحدد باعتبارات ملزمة. فهي قد شملت الآداب والسلوكيات في المجتمع، وبعض القيم الاجتماعية، والدينية، وما يخص الحياة وتجاربها، وأخبار الناس وطبائعهم، وقصص الأنبياء...

وإجمالا كل ما من شأنه أن يُعلي من قيمة الإنسان ويسمو به إلى الدرجات العُلى؛ بعيدا عن كل ما يدنس خُلُقَه وشرفه، أو يزعزع كيانه.

فهذه الألغاز بحق موسوعة علمية ، في صورة مبسطة تتلاءم ومستوى التفكير ، والإدراك لدى الطبقات الشعبية. لذلك جاءت ألفاظها سهلة ومعتادة ، مألوفة ومتداولة، عامية في عمومها، موحية ولا غرابة فيها ؛ لأنها مستوحاة من الواقع المعيشي، منتظمة في عبارات قصيرة، معبّرة بصدق عن مراميها وأهدافها المستترة في ثوب اللغز العجيب، الذي يصل فيه الخيال إلى أقصى مدى له؛ بصوره البيانية المختلفة؛ من كنايات وتشبيهات ومجازات بمختلف أنواعها. كيف لا؟! وهي الميزة والأمانة البارزة التي بها يتميّز عن أترابه، من أشكال التعبير الأدبي الشعبي الأخرى.

وخلاصة القول أنه: من خلال هذا الاستعراض الموجز لهذه العيّنة من الألغاز نتجلى لنا بوضوح تام نوعية الحمولة التي يختزنها هذا الشكل من التعبير الشعبي، ونوع الرسالة المدرجة بين طياته؛ فهي بلا شك رسالة مفعمة بالروح الإسلامية الخالصة. فقد شدد بداية على تلقين وتثبيت أركان الإسلام، وغرس آدابه والدعوة إلى تجسيد قيمه وأخلاقه السامية.

2-2-3- اللغز الشعبي الجزائري والعولمة:

بناء على ما سبق يمكننا أن نتساءل عن واقع حال اللغز اليوم، وما موقعه في هذا العصر المهرول إلى التعمول- إن لم يكن قد تَعَوَّلَم فعلا- أو بعبارة أدق ما تأثير العولمة على اللغز كأحد عناصر الأدب الشعبي الجزائري؟

يمكن القول إن العولمة بالنسبة لمستقبل اللغز (الجزائري) هي آفته وعلته؛ بل هي أعدى أعدائه التي تريد القضاء عليه، بل وتدميره وسحبه من الميدان؛ بسبب حملته الأصيلة المكرسة لهوية الفرد الجزائري، بانتمائه العربي الإسلامي؛ لذلك فهو يقف سدا منيعا، أمام تحقيق رغبتها في أن ينسلخ هذا الشعب عن أصله وتاريخه وعقيدته وهي لهذا الغرض - الدنيء- لا تتوقف عن اختراع البدائل الموازية، فتدخل كالضرة المشؤومة؛ وما تلبث أن تبدأ في نفث سمومها، وفق ما تراه خادما لمصالحها وتثبيتا لوجودها، غير آبهة بشعور الآخرين من حوله؛ بل ومستفزتهم بالتعدي على خصوصياتهم واحتقار تقاليدهم وقيمهم بالدوس عنها، والاستخفاف بها؛ من خلال هذا المضمون الكارثي للعولمة؛ المحمل بكل أنواع الفساد والانحراف، ضمن هذا الكم الرهيب من الألعاب والمسابقات الالكترونية المبتوثة عبر كل الوسائط وشبكات التواصل الاجتماعي ...

بنظرة خاطفة إلى مضمونها، يتبين جليا مدى حجم الدمار الذي تحدثه في البنية الأساسية للنسيج المجتمعي باستهدافها لقيمه التي ترسخها الثقافة المحلية؛ عن طريق استهداف التراث الثقافي عموما ؛ بالهدم والتدمير والتخريف، والإهانة، والتراث المعنوي منه على وجه الخصوص، ممثلا في عناصر الأدب الشعبي بكل أنواع قوالبه التعبيرية. فهي يهدمها وتخريفها وأهانتها هذه؛ إنما تهدم وتخرف و تُهين مضمون تلك القوالب التعبيرية الشعبية الحاملة والمشبعة بهذه القيم والأخلاق الإسلامية، ومن هذه القوالب التعبيرية (اللغز)؛ الذي وجدناه زاخرا، حابلا بقيمنا المتوارثة منذ مئات السنين، وكان لها بمثابة الوعاء الحامل والحامي من الاندثار والضياع.

فبفضل القيم الإسلامية النبيلة، وفضائل الأخلاق السامية، التي تضمنها اللغز وأترابه من أشكال التعبير الشعبي الأصيلة، نحن اليوم نزهوا بانتمائنا، ونفتخر بهويتنا الضاربة في أعماق التاريخ الإنساني. إن هذه النقطة بالذات هي التي تريد العولمة أن تقطع سلسلة جذورها واستئصالها تماما حتى يغيب الأصل، وبذلك ينقطع السند. فلا يبقى بعد ذلك إلا فرض الأمر الواقع؛ المسبوك وفق المصلحة الخاصة للطرف ذو الهيمنة المادية الصرفة؛ وفق

مبدأ الغاية تبرر الوسيلة، وأية غاية؟ إنها من صنف الغايات الدنيئة والحقيرة واللاإنسانية وهو المبدأ الذي أنجب العولمة واحتضنها، فلما اشتد عودها رفعته على رأس الخلائق؛ ليصبح مصيرها تبعا لهواه وإرضاء لنزواته.

2-3-3- المثل الشعبي الجزائري:

2-3-1- عيّنة من الأمثال^(*): تجدها في الملحق

2-3-2- مضمون المثل الشعبي:

إن هذه العيّنة من الأمثال توحى بقدرة الحكيم الشعبي على تتبع سلوكيات أفراد مجتمعه ، ورصدها بعناية فائقة؛ كيف لا وهو الغيور على وطنه ودينه وثقافته ، ومن ثمّ على أخلاقه وهويته ؛ المستلهمة من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف بشكل واضح. لا لبس فيه ولا غموض كقوله: " ابحت على دينك حتى يقولوا هذا مهبول " بمعنى تقيد بمبادئ هذا الدين، والتزم بأخلاقه ما استطعت لأن: "الدنيا بالدالة والآخرة بالفعالة" ومعناه أن الدنيا هي دار العمل بلا حساب، والآخرة دار حساب ولا عمل ؛ مما يستوجب استغلال الفرصة قبل فواتها، واستغلال الحياة قبل الممات. وعلى محور هذه القاعدة وما جاورها تبني معظم نصوص الحكيم الشعبي، سواء في إرشاداته وتوجيهاته وانتقاداته أيضا. لقد غطت هذه النصوص مختلف مجالات الحياة؛ من اجتماعية واقتصادية وسياسية ونفسية وغيرها. كما هي العولمة أيضا مسّت هذه المستويات وغيرها. إلا أن الفارق بينهما هو المحور أو القاعدة التي تدور عليها رحى التوجيه و القيادة .

لقد انصرف اهتمام الحكيم الشعبي في المجال الاجتماعي إلى الأسرة بصفته اللبنة الأولى في تكوين المجتمع؛ وهي الحقل الأول لاستنبات القيم الاجتماعية والأخلاقية في الفرد؛ أي أنها المصدر الأول و الأساس للتنشئة الاجتماعية. و من هذا الجانب تتجلى الأهمية القصوى، في الرعاية الكاملة للأسرة والعناية التامة بها؛ لأنها غدت حلبة الصراع و ميدان المواجهة، لكسب مواقع جغرافية جديدة، من دون قتال أو خسارة في الأرواح، كما هو

(*) - العربي دخو: أمثال وأقوال مأثورة وبقولات شعبية جزائرية، مرجع سبق ذكره. / جعكور مسعود: حكم وأمثال شعبية جزائرية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة ، الجزائر، دط، 2012م

حال الاستدمار القديم. لكنه اليوم في زمن العولمة، يتسلل وفق الأسلوب الجديد، المتمثل في مسخ أو نزع القيم المحلية، وغرس قيم ومبادئ جديدة، لدى الأجيال الصاعدة. وهذا لا يتأتى إلا باستهداف الناشئة، وعن طريقها تُستهدف الأسرة بكل تأكيد.

لذلك وضع الحكيم الشعبي نصب عينيه أولى الخطوات في تشكيل هذه النواة الأساسية للمجتمع، وخصها بمجموعة من التوجيهات والإرشادات لدورة كاملة؛ أي لجيل كامل، بدءاً من اختيار الشريك إلى ظهور الأحفاد، وبهم تبدأ الدورة الجديدة. ويمثل هذا الأسلوب يتم التوريث من جيل إلى جيل.

يقول الحكيم الشعبي في مجال الاختيار الأول للشريك: "اللي تعرفو خير من اللي ما تعرفوش" فهو يوجه المقبل على الزواج إلى الاختيار ممن له به معرفة مسبقة؛ والمقصود هنا أفراد العائلة، فهذا الاختيار لا يحتاج صاحبه للتحري والبحث في الأصل أو الماضي للطرف الآخر فهو أحد أفراد العائلة أصلاً، ويشير إلى هذا المقصد تلميحا بالقول أيضاً: "زيتنا في دقيقتنا" ان هذا القول يمكن تفسيره من جانبين: جانب مادي وهو أول ما يتبادر إلى الذهن بغرض الحفاظ على بقاء ثروة العائلة بين أفرادها، أي هو جانب اقتصادي بحت، ومن جانب معنوي يكون القصد في هذه الحالة الحفاظ على القيم والمبادئ والخصوصية المتوارثة أبا عن جد. وفي صيغة أخرى لنفس الغرض يقول: "زيتنا في بيتنا" ربما في هذا القول يمكن تغليب الجانب الاقتصادي عن غيره. ولتأكيد الدعوة إلى الزواج من الأقارب يقول: "خذ طريق العافية ولو دايرة وخذ بنت العم ولو بايرة" إنها الخطوة الأولى؛ فلا بد أن تكون صحيحة وسليمة، بغض النظر عن الصعوبات والمشاق التي تعترضها وربما منها القبول بابتنة العم شريكة الحياة ولو كانت عانس؛ حفاظاً على ميراث العائلة المادي والمعنوي. واستدراكاً منه لصعوبة تحقيق هذا المسلك يوسع الحكيم الشعبي من دائرة الاختيار لتشمل الطبقة الاجتماعية بقوله: "ملس من طينك يسجي لك" أي من فئتك أو طبقتك الاجتماعية كقوله صراحة: "الزياتة تدي الزيات" وهكذا.

وفي استدراك آخر نابع من معرفته لخبايا المجتمع يقول الحكيم الشعبي: "قص اللحم على المفصل وأدي بنت الأصل" لأنه على علم بان هناك في المجتمع من لا يهتم بالقرابة ولا الفئة أو الطبقة الاجتماعية؛ وإنما يهيمه الشرف والأصل وهي ظاهرة متفشية في المجتمع العربي منذ القدم، لأنهم يقولون: "السلالة سلالة والعرق جبّاذ" بمعنى انتقال الصفات الحميدة من الآباء والأجداد إلى الأبناء والأحفاد. وبالمقابل تنتقل الصفات الشريرة بنفس الطريقة أيضا لقولهم: "الحنش ما يولد غير اللي أطول منو" ويوحز الحكيم الشعبي المعنيين في هذه العبارة بقوله: "السبع والحلّوف(*) والكل، هو وأباه معروف" ومعناه لا يمكن الخلط بين النسب الشريف ممثلا بـ (السبع أي الأسد) وغيره الذي يمثله بـ (الحلّوف أي الخنزير). وفي توجيهه منه يرشد الحكيم الشعبي المقبل على الزواج ولمن لا يهيمه الحسب ولا القرابة ولا الأصل إلى هذا الاختيار بقوله: "أدي أمرا و نص إذا راح النص(النصف) تبقى لمرأ" وهو الإحالة على المظهر الخارجي للمرأة لا غير؛ والهدف من وراء ذلك، هو ضمان القدرة على القيام بأعباء المنزل، وربما يتعداه إلى العمل خارجه أيضا؛ ولهذا كانت اللياقة البدنية هي المعيار الرئيس في هذه الحالة. وهكذا هي طبيعة ورغبات أفراد أي مجتمع في اختلافها وتباينها.

إن المواصفات التي تُنكح المرأة لأجلها قد حددها الرسول(صلى الله عليه وسلم) بقوله: "تُنكح المرأة لأربع: لِمَا هَا وَلِحَسْبِهَا وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا فَاظْفَرُ (***) بذات الدين تربت يداك" (1). هناك فئة من البشر من لا تحمه المعايير السابقة الذكر، وإنما معياره في الاختيار، هو الحُسن والجمال، ورشاقة القوام، لا غير. إن هذا المعيار في الحقيقة فيه من المجازفة، والمغامرة الشيء الكثير؛ لما يمكن أن يخفيه من الزيف والخداع؛ كسوء الخلق وفساد الرأي تكون عواقبه وخيمة على أصحابه أولا، ثم المجتمع تاليا؛ لذلك نبّه الحكيم الشعبي إلى هذا بالقول: " لا يغرك نوار الدفلة في الواد داير ظلايل ولا يعجبك زين الطفلة حتى تشوف لفعايل".

(*) - الحلّوف : الخنزير

(**) - فاظفر : فَعْفُو

(1)- صحيح البخاري: دار الحديث، القاهرة، مصر، ج 3، 2004م، ص 364.

لا شك في أن الجمال له من التأثير الشيء الكثير، خصوصا إذا اقترن بالعمل الصالح، فهو كنز الكنوز؛ لكن الشيء المؤكد أيضا، هو زواله الحتمي في يوم ما، وقد يكون قريبا إما لسبب أو لآخر، لذلك فإن تأسيس الزواج على هذا المعيار، له الكثير من احتمالات الفشل في المستقبل، لذلك قال فيه الحكيم الشعبي: "الزين ما بني ديار" أو بصيغة أخرى: "الزين ما دار الدار". إنها أيام العز والكرامة، وليست أيام الميوعة والعولمة الراهنة.

هذه أهم المعايير التي يمكن بها للمقبل على بناء الأسرة أن يختار على ضوءها شريك حياته؛ إلا أن المعيار الأمثل هو الذي حدده الرسول (صلى الله عليه وسلم) في الحديث السابق بقوله: "...فاظفر بذات الدين تربت يداك" على أن يكون هذا الدين عن بيّنة من الطرفين؛ حتى تتحقق النتيجة المذكورة في الحديث المتمثلة في السعادة والأمن والهناء. وهي التي ينشدها كل بني آدم. فاتخذوا لذلك سبلا عديدة وطرقا متباينة. وبعد هذا يبقى: "الزواج هم ديمما يحتاج تدبير عام و ليلة" على حد قول الحكيم الشعبي، مُلَمَّحا إلى التبعات المعنوية والمادية المترتبة على عملية الاقتران هذه بالقول: "اللي عينو يفلس ييني وإلا يعرّس" و لهذا وجب التفكير جيدا في الأمر قبل أن: "يحصل (*) الفاس في الراس" على حد تعبير الحكيم الشعبي.

على اعتبار أن الفأس قد حصل في الرأس؛ أي حصل القران بين الشريكين مؤذنا بميلاد أسرة جديدة في صرح المجتمع، حيث يتمتع عناصرها بالتماسك والانسجام فيما بينهم، لتصبح بهذا التوصيف إحدى لبناته الأساسية. إن التماسك والانسجام بين عناصر الأسرة، لا بد أن ينسحب على مجموع الأسر؛ كعناصر متجاورة مكوّنة بدورها للمجتمع، فتترتب عنه حقوق وواجبات الجوار. يجمعها الحكيم الشعبي في العبارة التالية بقوله: "الجار وصى عليه النبي" ومعناه الامتثال لما أمر به الشارع الحكيم إجمالا، و ببعض التفاصيل يقول: "اقفل باب دارك و ما تخونش جارك" ومعناه لا تتجسس على جارك لتفضحه أو تقول عليه بهتانا أو تتهمه مثلا بالسرقه كقول الحكيم: "عس دارك و ما تسرقش جارك" فالسرقه والخيانة، بصفة عامة، هي التهم الأكثر تقاذفا بين الجيران

(*)- يحصل : يقع ، هنا بمعنى: يُؤذي

وإن كانت في الأغلب الأعم ليست هي المقصودة بذاتها، وإنما وراءها دوافع أخرى، كالغيرة والحسد وما شابههما من أمراض النفوس؛ هذه الأمراض وغيرها، تتخذ من المجتمعات الموغلة في الجهل والتخلف مرتعا ومأوى لها. وبالمنطق الرياضي تكون هذه الأمراض متناسبة عكسا مع التقدم والرقى الحضاري.

إن التقدم و الرقى الحضاري أساسه العلم و الأخلاق؛ و لا يكون كاملا إلا إذا اقترنا، فلا العلم بدون أخلاق يدوم نفعه ، ولا الأخلاق بدون علم تؤسس حضارة أو تصنع مجدا.

ونظرا لأهمية بعض القيم الأخلاقية وطغيانها في المجتمع، افرد لها الحكيم الشعبي باقة من الحكم والأمثال

نبدوها- **بعزة النفس** - هذا الخلق الأصيل المتأصل في الشعب الجزائري منذ الأزل، وأهم ما تتميز به الشخصية

الجزائرية. وفيها يقول الحكيم الشعبي: **"ربي خلق التَّيْفَ للتَّيْفِ ماشي للخنونة"** والمقصود بالتَّيْفِ هنا، هو

(الأنف)؛ وهو رمز الإباء والشرف وعزة النفس، وليس مقصورا عن وظيفته البيولوجية كمخرج (للخنونة) أي(مخاط

الأنف)؛ فجميع البشر زودهم المولى تبارك وتعالى بأنوف؛ لمن أراد أن يتخذه دليل عزه وشرفه وإباء. وتأكيدا على

هذا المعنى يقول الحكيم الشعبي: **"اللي معندوش التَّيْفَ غير إيقطعو"** " أي أن الذي لا عزة له ولا شرف

فليتخلص من هذا الأنف البيولوجي؛ و في صيغة أكثر جدّة و صرامة يؤكد الحكيم الشعبي على عزة النفس

بقوله: **"ضرب السيف ولا ضياع التَّيْفِ"** أو بعبارة أوضح يقول فيها: **"اللي معندوش التَّيْفَ يستهل ضربة**

بالسيف" أي أن مماته أهون عليه من الحياة بدون عزة ولا كرامة. ولمن يتحججون بالتفريط في هذه العزة؛ بضيق

حال العيش وصعوبة تامين أرزاقهم، يجيب الحكيم الشعبي بالقول: **"معيشة الحيف(*) ولا ضياع النيف"** أي أن

الفقر مع العزة والكرامة، أفضل من غيره بدوئهما.

وتأكيدا على هذا الطرح يقول الحكيم: **"مول النيف شريف ولو جيبو خاوي"** فالشرف لا علاقة له

بالمال الكثير، وإنما هو شيء مختلف تماما عن المال، في إشارة لمن يقصرون العزة والشرف على بيوت الأغنياء فقط

(*)- معيشة الحيف: حياة الفقر والحرمان.

دون الفقراء؛ وإنما الأمر يتحدد بتنشئة النفس وما استقر في أعماقها، من قيم وأخلاق سامية، منحيتها الاستقرار والثبات في جميع الأحوال وفي هذا الصدد يقول الحكيم الشعبي: " الحالة حالة مساكين والنفس نفس سلاطين " وهو تأكيد مرة أخرى على عدم ارتباط المال والجاه بالعزة والشرف، وإنما الشأن شأن النفس بتنشئتها الاجتماعية الأولى. وعن الاختيار بين إهانة النفس أو إهانة المال يقول الحكيم الشعبي: " هَوْنُ فِلْسِكِ وَلَا تَهْوَنُ نَفْسُكَ " فالمال هو الذي يصون العزة والشرف وليس العكس. وفي عبارة قوية تنضح بالعزة والكرامة والتحدي وتتطير منها شرارات الغضب أيضا، يقول فيها الحكيم الشعبي: " نُحَقِّفُ (*) بِالْفَاسِ وَمَا نَطْلِبُشُ (**) النَّاسِ " إن هذا الذي يُفَضِّلُ حلاقة شعره بالفأس اتقاء سؤال الناس متاعهم، إن لم يكن هو نفسه العزة والشهامة مجسدة؛ فهو يحمل قدرا هائلا من الأنفة والإباء، ينذر أمثاله. كان هذا عن متاع الناس وحاجاتهم، فماذا عن الأكل والطعام؛ الذي يعتبر من أقوى الأسباب التي تضغط على المرء لمقايضة كرامته وربما شرفه بها، لأن الحاجة إلى الطعام بيولوجيا تسبق الحاجة إلى المتاع. فهل رصد الحكيم الشعبي شيئا من هذا القبيل؟ طبعا: وبكل تأكيد. فهو يقول: " نَسْفُ (***) التراب وما نطبطبش (****) في الباب " وهذه ربما أكبر من أختها؛ فهو يؤثر البقاء جائعا أو سَفَّ التراب من شدة الجوع، على طَرَق أبواب الناس بغرض المسألة ومدِّ اليد تسؤلا، أو طمعا لقوله: " عَزَّ مِنْ قِنَعٍ وَذَلَّ مِنْ طَمَعٍ " ألا ينطبق هذا كله مع قول الشاعر العربي عنتر بن شداد:

" وَلَقَدْ أَيْتُ عَلَى الطَّوَى (****) وَأَضَلُّهُ (1) &&&& حَتَّى أَنْتَلَ بِهِ كَرِيمَ الْمَأْكَلِ " (1)

إنه من الآيات القليلة التي امتدحها رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) مما يعني أن خلق العزة والشهامة و الكرامة يمتد عبر العنصر العربي إلى ما قبل الإسلام؛ فهو موغل في القدم، وأحد مفاخر شِيَم العرب.

(*)- نُحَقِّفُ: أحلق شعري.

(**) - مانطلبش : لا اسأل الناس متاعهم.

(***) - نَسْفُ : أأكل ، ازدرد ، ابتلع.

(****) - ما نطبطبش: لا اطرق أبواب الناس تسؤلا

(*****) - الطوى : الجوع. وأضله : أي استمر ، أواصل على هذه الحال.

(1)- الخطيب التبريزي: شرح ديوان عنتر، قدم له ووضع فهارسه، محمد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، - ط1، 1992م، ص127

وإن كان ولا بد من معيشة الذل فهو يفضّل الموت بقوله: " الموت ولا معيشة الذل " وهكذا يقضي الحكيم الشعبي وهو رافع الرأس شهما عزيز النفس كريمها. ويبرر رأيه هذا بالقول: " نفس فايشة(*) خير من كلبة عايشة" فالكل يعرف كيف هي عيشة الكلبة؟ ويغني التلميح عن التصريح؛ حياء واحتراما لشعور الشرفاء من الناس وأهل العزة والشهامة الكرام. وآخر ما نختتم به، هذه الوصية للحكيم الشعبي في شأن العزة والكرامة إذ يقول: " عيش نهار سردوك وما تعيش عام جاجة " مَثَل ب (السردوك) وهو الديك لهيئته ومشيئته المتبختر، الموحية بالشهامة والكبرياء، ولتقريب معنى المثل، والمقصود من ورائه لعامة الناس. وليس تحديد المدة بيوم أو سنة هي المقصودة في هذا المثل؛ إنما هو تعظيم العزة والشهامة رغم قصر مدتها، واحتقار الذل والإهانة رغم طول زمانهما. و أما بخصوص-الشرف- فهي من الأمور الجد حساسة في المجتمع الجزائري، وبسببه أزهقت أرواح عديدة وسُحنت نفوس كثيرة . ويمكن اعتبارها تحصيل حاصل للسلمات السابقة الذكر، من شهامة وعزة وكرامة، ففيه يقول الحكيم الشعبي: " اللي مات أتَهَنَّا موت الشرف و لا قَعَادُ المَنَّة " فهو يرى أن الموت من اجل الشرف أفضل من العيش في الذل والهوان الذي عبّر عنه ب (قَعَادُ المِنَّة). ويؤكد رأيه السابق بصيغة أخرى قائلا : " الموت في اخذ الثار خير من المعيشة مع العار " فهو يتألم اشد الألم لهذا العار الذي لحق به فلا بد من محوه و إزالته مقترحا هذه الوسيلة في قوله: " ما يَمْحِي العار غير النار " وهي دعوة شبه صريحة للأخذ بالثار أولا ومحوه وغسله بالنار كوسيلة للتنفيذ ؛ فهو لا يطبق حتى وجوده في الجنة مع هذا العار إذ يقول : " الشرف في النار ولا الجنة مع العار "لأنه مقتنع تماما بأن: " الموت وحدة والعار ما يزيد في لَعَمَار " هو على يقين من أن الأجل محدود و أن العار لا يزيد في عمر احد. لهذا يُفضّل الشرفاء الموت في هذا السبيل، عن علم وقناعة منهم. أي مع سبق الإصرار والترصد؛ كما يُعبّر عنه في القانون الجنائي.

(*)- نفس فايشة : نفس عزيزة أبية.

مصدر آخر قد تصدر عنه مثل هذه الإهانات؛ إنه مجال العمل والتشغيل؛ الذي لا بد من وجود رب العمل والعامل؛ فالجزائري لا يقبل الإهانة ولو من أخيه، فكيف بمن هو أبعد من ذلك نسبا؟ لقد رصد الحكيم الشعبي هذه الحالة، وصاغها على شكل حوار بين العامل وسيده، فهو يقول على لسانهما: "أنا نقولك سيدي وأنت إعرف مقامك (قدرك)" وفي المقصود من المثل؛ انه إذا قلت لك سيدي بحكم طبيعة العمل، فهذا لا يعني الدوس على كرامتي و ، وفي صيغة أخرى معكوسة يقول فيه ا: " أنت قوللي سيدي أنا نعرف مقامك " فقد حصل التفاهم بين العامل ورب العمل، واعترف كل واحد بكرامة الآخر، ولأن هذا من الأمور التي تم الفصل فيها في تقاليدنا وأعرافنا، وهي من صميم أخلاقنا أيضا، فهم مقيدون بما يقولونه من أنه: "ما يعرف قيمة الرجل غير الرجل" أي أن الرجل لا يهين الرجل أبدا؛ لأنهم يُمثلون المستودع التي تُصان فيه العزة والكرامة والشرف، فهم على هذا العهد، لا يُغَيَّرُونَ ولا يتغيَّرُونَ؛ مثلهم في ذلك كعمدن الذهب لا يتغير ولا يعتريه الصدأ: " كي الذهب عمرو ما يُصدِّدُ ". فوضُّعُ الذهب بين المعادن، كوضُّع الرجال بين الناس؛ فليس كل المعادن ذهباً، وليس كل الناس لهم مواصفات الرجولة؛ والرجولة صفة، تنسحب على الذكور كما تنسحب على الإناث.

من طبيعة بعض اشقياء البشر، التعدي على الغير، وإيذائهم بطرق شتى؛ في أجسادهم وأموالهم وأبنائهم ومتاعهم وأعراضهم، إلى غير ذلك من أصناف التعدي المختلفة، بغير وجه حق؛ إلا احتقار وإهانة الطرف الآخر. وهذا مما لا ينسجم مع النفسية العامة للشعب الجزائري، الذي يمقت الظلم، ويأبى الإهانة بطبعه، فكان رد فعله على لسان الحكيم الشعبي بالقول: " اللي آذاك آذيه و لو أجلك فيه " وهي دعوة للمعاملة بالمثل على الأقل ومهما كلف الأمر، حتى ولو كانت هي نهايتك؛ صونا للكرامة وإحقاقا للحق. وفي صياغة أخرى يُعبَّر فيها عن رفضه للدونية و الاحتقار بالقول: " اللي باعك بالفول بيعو بقشورو " أو بقوله في نفس الغرض: " اللي باعك بالرمان بيعو بلُّوشو(*)" أي بقشوره أيضا، ومعنى مضمون المثلين، ليس البيع كما هو وارد في صريح اللفظ - فقد

(*) - بلُّوشو: أي بقشوره.

انقضى عهد العبيد- وإنما التعبير بالبيع معناه التخلي عن الشيء، أي لم نعد بحاجة إليه؛ وهكذا من لم يعد في حاجة إليك؛ فليكن هو أيضا في غير حاجتك إليه، بل أهون من ذلك. وهذا ما تجلى في قوله: " اللي دار بينك وبينو خيط دير بينك وبينو حيط " وهنا تتعدى نسبة المعاملة من أدناها إلى أقصاها، فمن الخيط الرفيع إلى الحائط الكبير، فهو منتهى التحدي والمعاملة بأكثر من المثل! إنه الغضب المدمر.

إن هذا العناد وهذا التحدي وهذه الجرأة، لا يمكن أن تكون إلا مع العدو؛ فهو الوحيد الذي تصلح معه مثل هذه المعاملات والسلوكيات، وعليه يُرجح أن يكون هو الاستدمار الفرنسي، الغاشم الظالم المحرم. الذي خصّه الحكيم الشعبي بالقول: " العدو ما يرجع صديق والنخالة ما ترجع دقيق " في إشارة إلى عدم نسيان الماضي الاستدمارية بالقفز على الحقائق الثابتة بالواقع والتاريخ. فالعدو هو العدو وسيبقى عدوا أبدا الدهر، كما في هذا المثل الذي يُعبّر فيه الحكيم الشعبي عن هذه القناعة بقوله: " العدو ما يُصيرُ حبيبٌ حتى يُصيرُ الحمار طيبٌ ".

لأننا من طينة مختلفة تماما عن المستدمر، فلدينا هويتنا المميزة وكياننا المستقل؛ فالحكيم الشعبي يشير إلى مسألة الهوية بالقول: " كل عود ودخانته " وتعبير أدق يقول: " كل جنس يهوى جنسو " في إشارة إلى بُعد الهوية بين الطرفين، وإلى عدم توافق الجنسين من أساسهما؛ تماما كالعود في منبته لا ينافسه ولا يشبهه أحد؛ فهو مستقل بمكان غرسه، ومتميّز بنوعية دخانه.

نكتفي بهذا القدر من الأمثال الشعبية الجزائرية، و بما نقلته لنا على لسان الحكيم الشعبي، من صور وحقائق، عن بيئتها وظروفها، الاجتماعية والاقتصادية، والفكرية والثقافية، ونعرضها على واقع حالنا الراهن في ظل التغيّرات العديدة المختلفة التي أحدثتها ظاهرة العولمة.

2-3-3- المثل الشعبي الجزائري و العولمة.

تُظهر نصوص الأمثال السابقة، كيف رافق الحكيم الشعبي، المقبلون على بناء اللبنة الأساسية للمجتمع بالعناية والتوجيه والإرشاد، منذ المرحلة الأولى، لاختيار شريك الحياة حتى المرحلة الأخيرة لظهور الأحفاد. وهي

المراحل التي ضمنها الحكيم الشعبي في أمثاله بكل صدق وأمانة، حيث عكست لنا صورة بيئته ومجتمعه. وهي الصورة التي بدأت تنشطى اليوم، معلنة عن بداية تشكل مجتمع جديد؛ بتوجهاته الجديدة؛ المنقوعة في محاليل العولمة لتتشرّبها وتكتسب منها الوقاحة والجرأة، على الكثير من الثوابت والمقدسات؛ من مثل القيم والأخلاق والمبادئ والأعراف، التي توافق عليها أفراد المجتمع، وتوارثوها جيلا عن جيل.

لقد ركزت العولمة على إعادة تنشئة الأجيال الصاعدة، على أسس أخرى مغايرة تماما، للكثير مما تألف عليه الناس في مجتمعاتهم؛ وذلك بهدف ضبطهم على أبعادها وأهدافها؛ الرامية إلى تنمية الحياة على القرية الكونية !
فبما ترشد وإلى ما توجّه العولمة هذه الفئة المقبلة على الزواج؟ إن أحدث ما ابتكرته العولمة في هذا الشأن هو "الزواج عبر الانترنت"؛ لتخترق به جدار الأسرة وتحطم دورها؛ بوصفها المؤسسة الأولى والأساسية للتنشئة الاجتماعية، بكل ما يحمله مصطلح التنشئة من الأهمية، والخطورة في الآن نفسه.

من بين الأهداف الإستراتيجية للزواج عبر الانترنت؛ هو تطويع وتحطيم لتلك الروابط العائلية المتينة؛ التي حافظت بها المجتمعات على كياناتها، وبالتالي عاداتها وتقاليدها، وأعرافها وقيمها، وأخلاقها وكل الصفات التي تميّزها، عن غيرها من الكيانات المجتمعية الأخرى. ولأن العولمة لا تعترف أصلا بهذا التمايز؛ فهي تضعه ضمن أولوياتها لمحاولة القضاء عليه، مهما كان الثمن؛ لأنه العقبة الكأداء في طريقها للوصول إلى تحقيق هدفها المنشود.
ولأن هذا التمايز لا يكون إلا عن طريق القيم والأخلاق المكتسبة من التنشئة الاجتماعية عن طريق الأسرة؛ لذلك كانت هدفا لبناء وتماسك المجتمع بما تشيعه مضامين الأمثال الشعبية على لسان الحكيم الشعبي؛ وكهدف وكيان للتدمير، لحتوى مضامين هذه الأمثال من طرف العولمة. ومن هنا تتحدد ساحة المواجهة والقتال، ويبرز التعارض وتتجلى العداوة، بين ما تريده العولمة بالمجتمع، وما رسّخه المثل الشعبي الجزائري فيه.

فإذا كان المثل الشعبي الجزائري يدعو ويحث على التحلي بعزة النفس؛ التي تتمثل في مجموعة من

التمظهرات على مستوى الفرد والمجتمع، نجد أن العولمة تمارس اغتيال هذه السمة في الفرد عن طريق المال؛ سواء

بإغداق العطايا مقابل الذل والهوان، وهؤلاء من ضعاف النفوس والخونة؛ وإما عن طريق الحجر والمنع؛ لغرض إضعاف وتليين عزيمة الرجال بالفاقة والاحتياج، ولكن هيهات هيهات، إنها عملة أصلية أصيلة؛ كمعدن الذهب لا يصدأ ولا يفقد قيمته؛ وهكذا هؤلاء الرجال.

وأما بالنسبة للشرف في زمن العولمة فأول القيم الأخلاقية استهداها في هذه الحال هي فضيلة الحياء؛ فهو يكاد يختفي، وإذا انتفى هذا الخلق فقد يكون الخطب أعظم. وقد حققت العولمة نسبة عالية من النجاح في هذه المسألة؛ بفعل المؤتمرات والندوات والملتقيات الدولية والمحلية التي تُعقد باسم المرأة أو الطفل أو الأسرة... وكله يصب في خانة واحدة هي نشر أو التمهيد لنشر وتعميم الرذيلة على أوسع نطاق جغرافي. وهو يتعارض وبشكل صارخ مع ما يدعو له المثل الشعبي الجزائري؛ من العفة والطهارة في مضامين نصوصه؛ كانعكاس لما كانت عليه أخلاق وسلوكيات أفراد المجتمع. فهل للعولمة من العفة والطهر ما يُصان به شرف المجتمع؟

الإجابة عن هذا السؤال، تتجلى في التعارض الصارخ، بين محتوى هذا المثل الشعبي الجزائري القائل بأن

: " الزين ما دار الدار " أو " الزين ما بنى (شيد) الديار " والزين هو الجمال، والرشاقة وحسن القوام؛ وبين

الممارسات الفعلية على أرض الواقع للوسائل المرافقة للعولمة، خاصة منها وسائل الإعلام؛ وما تقوم به على الأخص في عمليات الإشهار؛ فلا أحد ينكر الحضور الدائم، بل والمكثف، لصورة المرأة في أي ومضة إشهارية حتى وإن كان الموضوع لا صلة له بشؤون المرأة أصلاً؛ وهذا مما يدل على توظيف المرأة في ما لا علاقة لها به سوى التمادي في استغلال أنوثتها ولأغراض - للأسف - غير شريفة في غالب الأحيان. إلا أن الجانب المؤكد من هذه العملية هو الجانب المادي؛ فصاحبته ربما تجني الكثير منه بدون شك؛ لأنه من وسائل الاستثمار المربحة في زمن العولمة. إلا أن الشيء المؤكد أيضاً؛ هو الخروج عن العادات والتقاليد والأعراف، والقيم الثابتة في المجتمع الأصيل؛ قياساً على ما نقله لنا الحكيم الشعبي الجزائري، عبر نصوص أمثاله السالفة الذكر؛ والذي يقدر فيها خُلق الحياء، ومقت العري والتبرج. والتبرج والسفور مع توابعهما ومشتقاتهما هي الأعمدة الأساسية التي تقوم

عليها السياسة الإشهارية في زمن العولمة، حيث تدرّ الكثير من المال والشهرة على أصحابها؛ لأنها إحدى أولويات وغايات العولمة الراهنة. فقيمة الفرد وشرفه وشهامته وعزته كلها؛ تقاس بما يملك من مال، وبهذا القياس أو المعيار تنتفي الرجولة؛ وتستشري بعدها المنافسة القادرة القائمة على الجنس لغياب الحياء، والعنف لانتفاء صفة الرجولة بمقتضياتها بين الناس. فيكون عندها رب العمل هو ولي نعمة عامله؛ وفي الوقت نفسه مصدرا للذل والإهانة بجميع أنواعهما. مما يعيد للأذهان صور الاستعمار والعبودية؛ وإن كانت في ثوب حضاري مزيف، انطلي زيفه على الكثير من الخلائق، بريقه وبهرجه، وفي تسخير وسائله التكنولوجية، لتكريس أغراضه وتحقيق أهدافه المشبوهة المسترة تحت المسميات الحديثة، ومن أهمها ما يُعرف اليوم بفرية العولمة.

فالعولمة خليفة الاستعمار القلسم، بوسائل متطورة وأساليب جديدة وأدوات مبتكرة، لتحقيق ما عجز عنه من أهداف قديمة؛ متمثلة في خرق البنية الأساسية للنسيج الاجتماعي، وإخراجه عن سكته الأصلية، إلى سكة تمييط الحياة، وفق النموذج الغربي تحديدا. وهذا ما يجعلها في مواجهة كل من يتبنى الأصالة والقيم النبيلة من خالص ثقافته ودينه؛ على غرار المثل الشعبي الجزائري، مستودع الإباء والشرف والعزة، والكرامة والرجولة، والحياء والعفة والطهر... فهو بهذا وجهها لوجه مع هذا المسخ الجارف، الذي يحاول التأثير على الخصوصيات المميزة للمجتمع باختراقها واحتقارها والعبث بكل ما من شأنه أن يُظهر أو يحافظ على هذه المميزات والخصائص؛ فكان المثل الشعبي وحده من دون دعم في قلب هذا الصراع غير المتكافئ. فهل من التفاتة مُطْمَئِنّة؟ تعيد له رونقه ومكانته ودوره؛ وذلك بتأهيله وفق مجريات ومتطلبات الحياة، في ظل هذه القفرة التكنولوجية والإعلامية الماردة.

2-4- النكتة الشعبية:

2-4-1- عينة من النكت الشعبية: تجدها في الملحق

2-4-2- مضمون النكتة الشعبية الجزائرية:

يقال: "إن طبع الجزائري يتّصف بالغلظة والعنف"؛ وصفٌ طالما رددته الأجانب، والأشقاء على حدّ سواء، في حق هذا الشعب الشهم الأبي. فهل هذا صحيح؟ فلو كان كذلك، وسلمنا بهذا القول؛ فكل ما سيرد بعده عبث وهراء. لكن الحقيقة هي عكس ذلك، وعلى النقيض منه تماما؛ فالشعب الجزائري كغيره من شعوب العالم يأمل ويتألم، يفرح ويحزن، يضحك ويبكي، ويصنع الضحك والفُرجة أيضا، من خلال نكاته: "إن الشعب الجزائري العريق في عروبهته و ثقافته يتذوق النكتة ويصوغها متكاملة تتوفر فيها جميع عناصرها الفنية، ولا يختلف في ذلك عن أرقى الشعوب حضارة وعراقة في الثقافة"⁽¹⁾. فالنكتة فن، والفن لا بد له أن يقوم على ركيزتين إحداهما هي الشكل والأخرى هي المضمون. فإذا تجاوزنا الشكل، واستنتقنا هذا المضمون في النكتة الشعبية الجزائرية لوجدناه مخبرا ومؤكدا عن هذه الصناعة، من خلال هذه العينة من النكت الجزائرية الخالصة. التي شملت كل مناحي الحياة، حلوها ومرّها، أغثها وسمينها، صحيحها وسقيمها. فأبانت من خلالها وكشفت بشكل واضح جلي عن جانب الرقة واللفظ عند هذا الشعب الشهم المضياف.

ونريد قبالا أن نشير هنا إلى أحد مصادر هذه العينة^(*) من النكت؛ المنتقاة من كتاب "محمد الأخضر السائحي" الموسوم بـ (ألوان بلا تلوين) الذي يقول فيه: " أن هذه النكت والطرائف والفكاهات، العالمية والعربية والجزائرية ليس لي وحدي فضل جمعها، بل يعود الفضل في جمعها إلى كثير من الإخوان والأخوات الذين كانوا يرأسلون

(1)- محمد الأخضر السائحي: ألوان بلا تلوين، منشورات السائحي، نشر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية، في إطار الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها، الجزائر، ط 1، 2016م، ص 10.

(*)- محمد الأخضر السائحي: ألوان بلا تلوين، إتخذنا هذا المصدر كمدونة للعينة من النكت الواردة في هذه الدراسة.

برنامجي الإذاعي (ألوان) الذي وضعت عنوانه لهذا الكتيب" (1) إذا فهي شاملة لمعظم التراب الوطني على وجه التعميم؛ خاصة إذا علمنا مقدار الفترة الزمنية التي استغرقها بث هذا البرنامج على أمواج الإذاعة الوطنية الجزائرية حيث يقول ناشر الكتاب في هذا الشأن ما يلي: " و لقد كان من أشهر تلك البرامج برنامج (ألوان) الذي استمر لمدة تزيد على العشرين عاما، فكان بحق رافدا ثقافيا مشتركا لجيل كامل من الجزائريين ومن مادته جمع السائحي نكت ونوادير هذا الكتيب" (2) وعلى هذا المعطى الزمني وقع اختيارنا على هذه العينة لتكون لنا عينا على تلك المرحلة من خلال نوعية ومضمون هذه النكت؛ على اعتبار أنها مرآة عاكسة لبيئتها تلك.

نظرة سريعة على مضمون هذه النكت الشعبية، تُظهر لنا مدى تغلغلها في كل الجوانب الحياتية، العامة منها أم الخاصة؛ جماعية كانت أم فردية، بل لقد توغلت في بعض الخصوصيات إلى حد الحظر العام، حيث يقتصر تناولها في محيط ضيق، أو على مستوى خاصة الخاصة فقط؛ ولكنها دوما في إطار وظيفتها الرقابية والإمتاعية معا إما عن طريق المزح أو التهكم أو السخرية اللاذعة أو الدعابة، وحتى الهجاء في أحيان أخرى؛ وتلك هي الميزة البارزة في النكتة الشعبية، ومما يُعجب له حقا؛ أنها ولهذا الميزة بالذات تلقى الرضا والقبول بين الناس، على اختلاف أعمارهم وطبقاتهم ومستوياتهم، وفتاتهم وشرائحهم.

فلننظر ماذا كانت حمولة النكتة الشعبية الجزائرية للأطفال، قبل هذه الهبة الشرسة للألعاب الالكترونية بمضامينها المتعددة الأهداف والأغراض، كميزة لزمان العولمة هذا؟ والبداية مع هذه النكتة : " دخل الطفل بعد صلاة الجمعة فسأله أبوه: أين كنت؟ قال: كنت في الجامع فقال الأب: هل حضرت الخطبة؟ قال: نعم... فقال: عن أي شيء تكلم الإمام؟ فقال الطفل: تكلم عن الكفار. فسأل الأب: وماذا قال عنهم؟ فأجاب الطفل: يظهر من كلامه أنه كان ضدهم..." أول ما يُستشف من هذه النكتة، -بعد الجزء الأخير

(1)- محمد الأخضر السائحي: ألوان بلا تلوين، مصدر سابق، ص 12.

(2)- محمد الأخضر السائحي: نفسه، ص 6.

المضحك فيها-؛ هي إظهار الرقابة الصارمة، والمتابعة الدقيقة للأبناء من طرف أوليائهم، وتوجيههم للالتزام بأداء الفرائض الدينية، ومنها الصلاة؛ وذلك بهدف تنشئتهم على النظام والانضباط في مستقبل حياتهم. " قال المعلم للتلميذ: هل تعرف أين تقع الكعبة؟ قال: في بيتنا. قال: في بيتكم؟ ! قال الطفل: نعم علقتها أُمي فوق الخزانة..." من موجبات الصلاة التوجه إلى القبلة؛ أي جهة الكعبة المشرفة، ولا بد للمسلم أن يعي هذا، وهذا ما هدفت إليه هذه النكتة. وإن كانت قد علقتها الأم فوق الخزانة - إنها براءة الأطفال حقا. " قرأ الطفل: ((لا اقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد)) فلما سمعه أبوه قال: صدقت إنه كذلك." إن الصلاة أيضا لا بد لصحتها أن يُقرأ فيها ما تيسر من القرآن الكريم؛ في هذه النكتة، إشارة ساخرة للقائمين على هذا الأمر، للاهتمام بتحفيظ القرآن الكريم بالشكل الصحيح. " وقف طفل ليجيب على سؤال المعلم: كم هي قواعد الإسلام؟ فلم يعرف الجواب وسكت. فقام طفل آخر وقال: قواعد الإسلام خمسة: الخنصر، والبنصر، والوسطى والسبابة، والإبهام، والسلام..." وهي نكتة تصب في السياق السابق نفسه؛ في نقد لاذع لصانعي رجال الغد.

" قال المعلم للطفل: بماذا نصفُ شهر رمضان؟ قال: بالزلابية والفتائر..." إنها براءة الأطفال. لكنها إشارة ذكية إلى فرض آخر من فرائض الإسلام وكيفية ترسيخه عند الناشئة. " قال المعلم للطفل الصغير: نحن كلنا أبونا آدم وأمنا حواء فغضب الطفل وقال: لا، أنا أبي (مسعود) وأُمي (حليمة)" إنه الحرص والإصرار على وضوح النسب والانتماء، الراسخة في اللاشعور الجمعي. وسأل المعلم التلامذة: من قتل عمر؟ فلم يجيبوا فعين واحدا منهم وسأله... فقال: والله ما قتلته أنا يا سيدي..." إنه التعبير عن غياب العدل في المجتمع عن طريق هذا الخطاب المضحك؛ وفي الوقت نفسه التلميح إلى عدالة واحد من عظماء الإسلام؛ انه الفاروق عمر.

" قال معلم الأخلاق للطفل: حين تكون جالسا في الحافلة ثم يقف أمامك شيخ كبير ماذا تصنع؟ فقال الطفل: أتناوم..." و" سأل المعلم التلميذ المتخلف: ما سبب تأخرك؟ قال: رجل سقط منه دينار. فقال المعلم: وما علاقة ذلك بتخلفك؟ فقال الطفل: بقيت أنتظر حتى يتفرق الناس... فقال المعلم: لماذا؟

فقال الطفل: "لأنني كنت واقفا على الدينار... إنه نقد للسلوك الاجتماعي، وتحديدًا الإشارة إلى بداية ظهور
حلل في التنشئة الاجتماعية؛ من خلال عدم احترام الصغار للكبار من جهة، والتنبيه إلى الاهتمام بالجانب
التربوي من جهة أخرى. ونظرا للأهمية البالغة للمدرسة في عملية التنشئة الاجتماعية، فقد حازت على قسم كبير
من النقد والتعريض والتعرية وكشف لعيوبها ونقائصها، ضمن نصوص هذه النكت: "مرّ طفل في الشارع، ورمى
قشرة موز فلامه رجل وقال له : ألم يقل لك معلمك أن نظافة الشارع واجبة؟ قال: هذا الدرس نكتبه في
الأسبوع المقبل" و" قال المعلم للطفل: أذكر ثلاثة حيوانات ناطحة. فقال الطفل: الثور والكبش وإسكندر
ذو القرنين... " و" سأل معلم الجغرافيا الطفل: أين تقع الخرطوم(*)؟ فأجاب الطفل: يقع الخرطوم في رأس
الفيل... " و" قال طفل لآخر هل تستطيع ذكر خمسة أسماء تطير؟ قال: نعم، هي: العصفور والغراب
وثلاث دبابات... " و" قال المعلم: اضرب 1×1 فقال الطفل: لا أضرب أحدا... لقد قلت لنا لا تضربوا
أحدا... " و" سأل المعلم التلميذ: ما هو الشيء الذي لا نقدر أن نلمسه بأيدينا؟ فأجاب الطفل: حديدة
حامية... " و" قال الطفل لأمه: أتيت بدفتر الامتحان. فسألته: وما هي ربتك؟ فقال: الثانية. قالت: وكم
عدد التلاميذ؟ قال اثنان فريد وأنا... " و" غضب الأب على ابنه الصغير الذي أعاد السنة الدراسية مرة ثانية
وقال له: انك وحدك الذي أعاد السنة الدراسية، كل زملائك نجحوا. فقال الطفل: لست وحدي حتى
المعلم أعاد معي السنة... " في تعرية لضعف مستوى التلاميذ؛ بضعف المعلم أو منظومة التربية والتعليم ككل.
" ضحك الطفل، وقال لأمه: لقد تعلمت شيئا مهما في المدرسة اليوم. فسألته: وما هو هذا الشيء المهم
؟ قال: يظهر أن ملوك فرنسا أيضا كان لهم خليلات... " في نقد لاذع للمنهاج أو محتوى ما يُقدم للتلاميذ وهي
إشارة لخروج المدرسة عن وظيفتها في التنشئة الاجتماعية الصحيحة؛ وفق العادات والتقاليد والأعراف الأصيلة
السائدة في المجتمع الجزائري. وفي إطار وظيفة التوعية تصور النكتة العلاقة بين المواطن والجهاز التنفيذي ممثلا

(*)- الخرطوم : العاصمة السودانية.

في-البلدية- وما يُنَاط بها من أعمال ومسؤوليات مختلفة. " سأل المعلم التلميذ: هل تدري لماذا أُخرج آدم وحواء من الجنة؟ قال: لأنهما لم يدفعوا أجره الكراء... " و" قال معلم العلوم للطفل: أنا فتحت الصنبور صباحا وكان البرد شديدا والثلج ينزل بغزارة فلم ينزل الماء من الصنبور لماذا؟ فقال الطفل: لا بد أن البلدية قطعتة... " في إشارة إلى الالتزامات المالية التي تُثقل كاهل المواطن البسيط؛ ينتقدها على لسان الأطفال دون سن التكليف؛ للإفلات من المتابعات القضائية المرهقة؛ كما في معنى نص هذه النكتة. " قال المعلم إعراب: (مات الرجل). قال الطفل: (مات فعل ماض، و(الرجل) فاعل... فقال المعلم: والفاعل ماذا يكون؟ فقال الطفل: يكون (مرفوعا) على النعش... " فهي نكتة سياسية بامتياز؛ فالفاعل هو المسؤول والرغبة هي التخلص منه؛ برفعه على النعش؟ ومن الأسباب الداعية لذلك، ما يوحي به نص هذه النكتة. " سأل المعلم التلميذ: ما هي مهنة أبيك؟ فقال الطفل في بساطة: مهنته سارق... " وهي التهمة الجاهزة مع تهمة الكذب لكل المسؤولين، كما في نص هذه النكتة. " قال المعلم للطفل: أتعلم ماذا يحلّ بالأولاد الكذابين إذا كبروا؟ قال: نعم، يعملون في دور الإشهار والمحلات التجارية الكبرى ويكتبون في الجرائد... " ونُختم عن المعلمين والأطفال بالتأكيد على هذه الميزة المتأصلة في الشعب الجزائري من خلال هذا النص. " سأل المعلم الطفل: أين يشتغل أبوك؟ قال: في الرحي. فقال: إذن هو طحّان. فغضب الطفل وقال للمعلم: أنت هو الطحّان... " فالعزة والكرامة خط أحمر لا يُسمح بتجاوزه لأي كان- حتى المعلم- وهذا ما أكدته كذلك نصوص الأمثال السابقة الذكر. مما يحوّل لنا القول بان الملغز الجزائري والمثال والنكات، كلهم من طينة واحدة وينهلون من معين واحد. " أنّب أب ابنه الصغير على إهماله دروسه فقال: أتعلم أن "تشرشل" كان أنجب تلميذ في المدرسة حين كان في سنك؟ فقال الطفل: وتعلم انه كان رئيس الحكومة حين صار في مثل سنك... " إنه مبدأ الرد بالمثل أولا، ثم...؟ كما علّمنا إياه الحكيم الشعبي الجزائري؛ في ما سبق ذكره من الأمثال، في موضوع -النيف-

وتبعاته المعنوية، غير المادية. كما أنها أيضا تُعتبر إشارة مطمئنة على انتقال-الأمانة- من السلف إلى الخلف كعربون وفاء.

من المواضيع التي تناولها النكات في جميع أنحاء العالم بشيء من الإسهاب، والسخرية والتهمك، والهزل والدعابة، والهجاء والتعريض؛ نكت الأزواج والحמות أو المرأة في مختلف مسؤولياتها، إضافة إلى البخلاء والأغبياء واللصوص وغيرها من طبقات الشعب وفتاته وشرائحه المختلفة.

- في الأزواج:

يُصاب المرء بالغرابة والدهشة والعجب كيف تتحول تلك المشاعر الفياضة، بل والعاصفة في بعض الأحيان، قبل زواجهما. إلى مقت وكراهية وتبادل للتهم وإبراز للعيوب، وقد كان من قبل تبادلًا للمشاعر الطيبة والابتسامات والهدايا...؟. لا بد وأن هناك من الخلل، في مثل هذه العلاقات، ما دفع بالنكات الشعبي لرصدها وتتبعها. بهدف التوعية والتعزية والتنبيه للعيوب والنقائص، ضمن أسلوب ساخر مضحك. ومنها ما يلي: " سأل الطفل أمه: لماذا ثوب العروس ابيض؟ فأجابت: لان البياض رمز السعادة والسرور. فقال الطفل: لهذا يلبس العريس ثوبا اسودا." و" قال الطفل لأبيه حين رأى أتاناً (حمارة) تتبع حماراً: هل الحمارة يتزوج يا أبي؟ قال الأب: لا يتزوج إلا الحمارة يا بني." إنها النظرة المتشائمة للزواج منذ البداية، وهي بالتأكيد خلاصة للتجارب الفاشلة في هذا الباب؛ نتيجة لما يُقال ويُروى عنه من أخبار وقصص، مثل ما جاء في هذا النص: " قال الطفل لأبيه الأصلع: لماذا يا أبي لا يوجد شعر في رأسك؟ قال الأب: لأنني اشتغل برأسي كثيرا؟ فقال الطفل: لذلك أمي ليس لها شنبات (شلاغم) لأنها تشتغل بفمها كثيرا." و" قالت البنت لأُمها: لقد فسخت خطبتي من فلان... فسألته: ولماذا فعلت؟ قالت: لأنه كافر لا يؤمن بجهنم. فقالت أمها: لو صبرت قليلا لرجع عن رأيه وآمن بها بعد أن يتزوج بك..." و" نصح رجل متزوج شابا فقال له: إن الزواج نصف

الدين، ثم لا تنس أن نصفه الثاني الطلاق. "و" حضر شهود حفلة عقد زواج و بعد إتمام الحفلة اعتذر لهم العريس عن المبلغ الضئيل الذي أعطاه لهم... وقال لهم: سأعوضه لكم إن شاء الله في حفلة الطلاق..." فالأولى ثرثرة، والثانية جهنم، والثالثة والرابعة التفكير في الطلاق حتى قبل الزواج. وأما الدليل القاطع (الشرعي) عندهم ففي نص هذه النكتة " مات الزوج فتعاقدت الزوجة مع قارئ للقرآن الكريم (طالب) على أن يقرأ كل ليلة القرآن على زوجها. وذات ليلة أرقّت فخرجت من غرفتها ومرت على غرفة - الطالب - لتسمع القرآن فوجدته نائماً، فأيقظته وخاف أن توقف العمل بالعقد فقال لها: لقد نمت عمدا هذه الليلة لأتأكد أن ثواب القراءة يصله... فسألته: وهل تأكدت؟ قال: نعم لقد رأيته في الجنة جالسا بين سبعين حورية حسناء. فغضبت وقالت: كفى! لن تقرأ عليه بعد هذه الليلة. فسألها: لماذا؟ قالت: أنا اصرف مالي من أجله وأبكي عليه وهو يستبدلني بنساء الجنة... لا والله لن أفعل معه شيئا بعد الآن!"

" العزوف عن الزواج أو تدمير بيت الزوجية" بأي وسيلة كانت ولأي سبب كان، إنه الخلل أو النقص أو العيب، الذي يهدد تماسك المجتمع، لقد رصدته النكات. وأوعزه إلى المرأة بالدرجة الأولى؛ وحصره في بعض تصرفاتها التي لا تقدّر عواقبها المستقبلية. وبالتالي وجب على المجتمع حماية نفسه من تصرفات بعض عناصره.

- في الحموات:

لا أعتقد أن زمن العولمة قد أبقى على زمن الحموات. فقد استقلت البنت بيتها وزوجها وراتبها، ولم يعد للحماة سوى الزيارة الخفيفة الخاطفة، بعد ذلك الدور الذي كان يغطي كل شؤون العائلة الكبيرة؛ لأن الأسرة اليوم أصبحت أسرة نووية؛ الزوجان والأبناء فقط. إن التشنج في العلاقات وتلك الخلافات (الطبيعية) بين الأزواج يُنسب مصدرها مباشرة لأم الزوجة. مما يجعل الشحنة على الزوج ثقيلة، لا تطاق، لإحساسه الدائم

بالمؤامرة والخطر... فاستحال إلى كره شديد انعكس في هذه النصوص الساخرة المضحكة، ولكن لسان حالها يردد: "ومن البليّة ما يُضحك". والتي منها ما يلي:

" إستدبر القبلة أحدهم في الصلاة فقيل له: توجه إلى هذه الناحية لأنها هي القبلة. فقال: لا أستطيع أن التفت إلى تلك الجهة لأن حماتي تسكن من هناك... " و " كان رجل يصلي ويدعو الله أن تأتي حماته لزيارة ابنتها، فقال له ابنه: كيف تدعو الله أن تجيء وقد كنت تكرهها؟ فقال: ما زلت أكرهها، ولكنني الآن أريد أن تجيء لأن أسدا هرب من السرك. " و " قال أحد الحجاج: حججت هذه السنة مع حماتي. فقال له رجل سمع كلامه: لماذا تحج وأنت غير مستطيع؟ قال: كلا بل مستطيع. فقال الرجل: لا، لأن الحج واجب على المسلم العاقل، وأنت حَجَّتَ معك حماتك فلست عاقلا، ولهذا أنت غير مستطيع. " و " قال الإمام في درس الوعظ: يجب أن لا يعادي المسلم أخاه المسلم أكثر من ثلاثة أيام. فقال أحد الحاضرين: هل الحماية داخلية في هذا الحساب؟. " و " قال الإمام و هو يوصي حماة الرجل الواقف معها: من حقه ومن حقلك أيضا تغيير المنكر باليد أو باللسان، أو بالقلب على الأقل. وفي هذه اللحظة دفعت الحماية كلبا يمرّ أمامها مخافة أن يُنجس ثوبها، دفعته برجلها، فقال الرجل للإمام: أنظر يا سيدي، إنها تغير المنكر برجلها. " إن صياغة نص النكتة بهذه الخلفية الدينية الواضحة؛ من خلال ربطها مرة بالصلاة وأخرى بالحج وثالثة بموعظة الإمام ووصيته، دليل على هذه المرجعية التي يسترشد بها في مراقبة وتقويم سلوكيات أفراد المجتمع؛ ومؤشر قوي على هذا الانتماء من خلال تواجده وتحكمه في ابسط الأمور كما في اعقدها.

أما وقد تحصلت المرأة أخيرا على الحرية الكاملة، وكذا التصرف المطلق، في معظم الشؤون الحياتية وأصبحت شريكا في كل شيء؛ من الدراجة إلى الصاروخ، ومن البيت إلى الاستحمام في أقاصي الدنيا، فهل اختفت هذه السلوكيات المعرّض بها؟ أم أن الأمر لا يعدو أن يكون من الطبيعة الفسيولوجية والنفسية عند المرأة عموما؟. مما يستدعي علاجات ذات طبيعة متفردة . وحتى إدراك، وبلوغ ذلك المبتغى، يبقى النكات الشعبي

مواصل التعريض والسخرية والتهكم والدعابة مع هذه (الحماة)، ولكن هذه المرة من خارج الإطار الديني، بتصويره للواقع اليومي لحياة الناس، من خلال نصوص النماذج التالية:

" قال الشرطي لرجل يقطع الشارع في جهة ممنوعة: ألا تستطيع أن تمشي مع الناس في المكان

المخصص للعبور؟ قال: لا أستطيع أن أمشي معهم. قال الشرطي: وكيف لا تستطيع؟ فقال الرجل: لأن

حماتي تمشي معهم." و " جاء رجل إلى الطبيب يحمل كلبا وطلب منه أن يستأصل له ذيله، فقال

الطبيب: ما ذنبه حتى تقطع له ذنبه؟ قال: السبب يا دكتور أن حماتي ستزورنا فأردت أن لا ترى في البيت

أي حركة تدل على الترحيب." و " ركب رجل في قطار معه حماته وحماة أخيه، فطلبت واحدة من رجل

واقف أن يفتح النافذة لكي لا تختنق، واحتجت الثانية لأنها تموت لو فُتِحَت النافذة. فقال للرجل: إعمل

معروف، إفتح النافذة مدة حتى تموت الثانية، ثم بعد ذلك أغلقها حتى تموت الأولى..." إشفاقا منا و رفقا

بهذه الحماة التي لا نشك أبدا في وجود الطيبات منهن؛ بل هناك من يُحسِنُ إلى أزواج بناتهن مثل أبنائهن، وربما

أكثر؛ فضلا عن أن بناتهن لم يعدن في حاجة إلى مشورتهم بعد المستوى الثقافي الذي بلغنه، بل لقد أصبح

العكس هو الصحيح، فالحماة هي التي أصبحت تطلب المشورة من ابنتها في كثير الأمور. لهذا سنكتفي بما ذكر

من نكت حول الحموات، ونحاول التدليل على توغل النكتة الشعبية - كما قلنا سابقا - في أدق التفاصيل

الحياتية، لكل طبقات الشعب وفتاته وشرائحه. في مضامين هذه الباقة المختارة من النكت الشعبية الجزائرية ذات

الدلالات الهادفة.

" مات رجل فدعت زوجته الغنية أحد (الطلبة) أي قارئ القرآن يقرأ عليه القرآن مقابل دينار في كل يوم.. فقرأ

من سورة الحاقة: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ((خُدُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ

ذَرَعَهَا سِبْعُونَ زِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32))).. فقالت له الزوجة: كيف تقرأ هذا الكلام على زوجي؟. فقال لها:

بدينار واحد تريد أن أقرأ عليه جنات تجري من تحتها الأنهار؟..." و "وقفت امرأة في الحافلة بجانب

رجل جالس، ولما لم يقيم لها قالت لامرأة أخرى واقفة: رأيت يا أختي كيف يجلس الرجال وتقف النساء؟ فقال الرجل الجالس: كنا نقوم لكن قبل أن نصبح متساوين... " و " رأى أحدهم رجلا يحمل مسبحة في يده يُسبِّح بها - و ليس ذلك من عادته - فقال له: كيف صرت تسبح اليوم؟ فأجاب: الوقاية خير من العلاج، فقد وقعت أمس سرقة بقربتنا... " و " تخلف أطفال عن الحضور إلى القسم في احدي المدارس في الفترة الصباحية، فلما حضروا في المساء سأل المعلم احدهم عن سبب تخلفه فقال: في الطريق مات بغلنا الذي يحملني إلى المدرسة فلم أتمكن من الحضور في الصباح. ونفس الجواب أجاب به بقية التلامذة السبعة، إلا الثامن قال: لم يكن أبي يملك بغلا فجئت راجلا ولكنني وجدت الطريق إلى المدرسة مسدودا بالبغال الميتة... " و " التقى رجلان في الطريق فأحبا أن يتعارفا، فسأل الأول الثاني: ما اسمك؟ قال: عبد الله بن عبد العزيز بن احمد بن محمود بن حليلة. فقال الثاني للأول: وأنت ما اسمك؟ قال: اسمي عبد الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين... " و " سأل الأب أحد أبنائه وقال له: هل أضفتم إلى الصوف مقدارا من التراب؟ قال: نعم. وزاد هل أضفتم إلى اللبن مقدارا من الماء؟ قال: نعم. قال: و هل أرسلتم كل ذلك إلى البيع؟ قال: نعم. قال: هيا الآن إلى الصلاة... " و " غاب يهودي عشرين سنة وحين رجع، رجع بلحيته طويلة، فسئل عن السبب، فقال: السبب أنني نسيت الموسيقى هنا... " و " سأل الصديق صديقه الذي يعمل في شركة للحليب: كم لترا حلبتم اليوم؟ قال: مائة. قال: وكم بعتهم؟ قال: مائة و عشرين فقط. قال: ولماذا فقط؟ قال: لأن الماء كان مقطوعا اليوم... " و " وجد أحد الفلاحين اثر حمار دخل بستانه وعات فسادا فيه، فأخذ هراوته وبحث عن الحمار المجرم، فلم يعثر عليه، فذهب إلى حمار جاره المربوط وانهال عليه ضربا... فقيل له: هذا ليس هو الحمار المعتدي. قال: أعرف، ولكنه لو أطلق فعل أكثر من الحمار الآخر... " و " أرسلت امرأة في الريف قفص دجاج إلى أخيها في المدينة، ورمى صاحب الشاحنة القفص فتحطم وخرج الدجاج يجري في الشوارع فجري وراءه الرجل

وأولاده...وبعد يومين وصلت أخته فقال لها : الدجاج الذي أرسلتني إليّ هرب من القفص ولم نمسك إلا عشرين دجاجة فقط، فقالت له: أنا أرسلت سبع دجاجات فقط... " و " قال رجل فيلسوف دميم وهو يقدم لضيوفه الخبز والبصل: لا تخرجوا من البصل فان من يأكله ينجب أطفالا حسانا... فقال له أحدهم: يظهر أن المرحوم أباك لم يذق البصل طول حياته... " و " قال الطبيب للمريض: هل يضايقك شيء في الوقت الحاضر؟ قال: ثمن الفحص... " و " التقى ثلاثة: أحدهم يدّعي أنه ينظر جيّدا فيرى الأشياء واضحة من مسافة بعيدة، والثاني يدّعي أنه يسمع جيّدا، ويميّز الأصوات من مسافة بعيدة أيضا، والثالث (يكفر) كثيرا.. فتعجب الرابع ولم يصدّق...وأخيرا أراد أن يمتحنهم فسأل الأول: ماذا ترى الآن؟ قال: أرى في ذلك القصر البعيد بنت صاحب القصر وخاتمتها يسقط من أصبعها. قال الثاني: نعم لقد سمعت صوت سقوطه. فقال الثالث: هذا الذي يجعلني (أكفر) كثيرا... " و نختتم هذه الباقة بهذه النكتة التي تجاوزت زمنها المحافظ واستشرفت هذا الزمن الذي نحن فيه اليوم، زمن بداية انتفاء الفروق بين الجنسين، أو لنسميه زمن ما قبل التعولم العام؟ " التفت الرجل إلى الواقف بجانبه في المحطة وسأله: أهذا شاب أم شابة؟ وأشار إليه... فقال الواقف للسائل: عجباً منك إنها ابنتي (مليكة). فقال: معذرة يا سيدي ما ظننت أنك أبوها وإلا ما سألتك فقال الواقف: لست أباهاً إنما أنا أمّها... " إنها إحدى المقاصد المهمة التي تسعى العولمة لتحقيقها، و تسرع في عولمتها بشتى الوسائل والطرق.

2-4-3- النكتة الشعبية الجزائرية والعولمة:

رغم محدودية هذه العيّنة، فإنها تكشف لنا بوضوح تام، بأن النكتة الشعبية هي الأخرى، وعلى غرار سابقاتها من البوقالة، واللغز، والمثل الشعبي، تستلهم الهوية والأخلاق من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف، فهو المرجع والمسند والرقيب، على كل حركات وسكنات أو سلوكيات أفراد المجتمع؛ لأنه العامل الأقوى في الإبقاء على

تماسك هذا المجتمع، وحفظه من الانشطار والتفتت؛ إنه الاسمنت الذي يربط هذه اللبنات مع بعضها البعض، وهو القاسم المشترك الذي تنتظم وفقه المعاملات والعقود والالتزامات، وما إلى ذلك من متطلبات النظام والانتظام.

يبدو من خلال وسائل الاتصال والتواصل، ذات التكنولوجيا المتطورة التي جاءت بالعولمة، أو جاءت بها العولمة؛ وما تقوم بتقديمه لهذه الناشئة، من برامج والعباب الكترونية، مغرقة في الخيال والافتراضات، يتبين أن حظ الواقع منها بات ضئيلا، ومحصورا في المتطلبات البيولوجية (أكل، شرب، نوم...) التي لا تعترف مطلقا بهذه الخيالات والأوهام، إلا بتبليتها وتحقيقها؛ مما استدعى العناية بها، إلى الحد الذي أخرجها من كمال حدود بشريتها الطبيعية، إلى حدود المستنقعات الحيوانية والبهيمية؛ في الأكل والشرب والتكاثر. بالتبذير في الأكل والإسراف في الشرب و(البهيمية) في التكاثر؛ لأن هذه الأخيرة، على وشك التطابق بين الأداء البشري، والمخلوقات المرئية الأخرى من غير البشر.

والأكيد أننا نختلف عنها بهذا العقل، المميز للخير عن الشر، للصالح عن الطالح، للحسن عن القبيح وللفضيلة عن الرذيلة؛ وهي مفاهيم على درجة عالية من التجريد، ولا تدرك إلا بالعقل؛ فهي إذا من خصائص البشر فقط. لذلك لا يحق لهذا المخلوق التنازل أو التخلي عنها، مهما كانت الأسباب والظروف؛ احتراما لآدميته وإنسانيته؛ وبالتالي للهدف الذي وُجد من أجله فوق الأرض.

تأسيسا على ما ذكر، وددنا التساؤل عن سبب ارتفاع منسوب الرذيلة في المجتمعات عموما، مقارنة بما كانت عليه مجتمعاتنا العربية قبل خمسة عقود من الزمن، وهل العولمة هي سببه أم هي أحد أهم الأسباب في ذلك؟ إن الإجابة عن هذا التساؤل تستدعي منا النظر، في بعض ما تدعو وتروج له العولمة، عبر وسائل الإعلام وشبكات التواصل الاجتماعي. وتحديد ما هي الفضائل التي تدعو لها العولمة، وما هي الرذائل التي تحذر منها؟ وبعبارة أدق ما موقع-الحياة- من هذا الترويج والصخب الإعلامي الكثيف؟ الذي أتى على معظم المساحات

الإعلامية المتاحة، إن لم تكن كلها في ذات اليد المنتجة لنوعية هذه المادة الإعلامية المسوّقة - بل المفروضة على المجتمعات - عبر العالم.

تكاد الآراء تتفق بشكل شبه مطلق؛ حول التغيّر الحاصل في السلوك العام لكل المجتمعات تقريبا، وخاصة منها العربية و الإسلامية؛ التي تحتل فضيلة الحياء فيها القسط الأوفر في تقديرات حُسن الخُلُق، على عكس غير هذه المجتمعات، التي لا ترى حرجا في الكثير مما نراه مستهجنا و خادشا للحياء، في هذا الكم الهائل من المواد التي يُرَوِّج لها، وعلى سعة اختلاف موضوعاتها، عبر هذه الشبكات ووسائل الإعلام.

فالقسم الأكبر مما تبثه القنوات الفضائية اليوم، وما تتضمنه بعض مواقع الشبكة العنكبوتية، وما يتم تبادلها بين مواقع التواصل الاجتماعي، وما تحمله معظم هذه الألعاب الالكترونية؛ يدخل ضمن تنفيذ المخططات التي أعدها مهندسو العولمة والفاعلين فيها؛ وهي في معظمها قائمة على ثنائية - الجنس والعنف - وهما عنصران تنتفي معهما فضيلة الحياء تماما، ولا سبيل لاجتماعهما على الإطلاق. ومن هنا يتبين الخط العام للسياسة الإعلامية في زمن العولمة؛ وكذا موقفها من كل ما يخالف توجهها؛ الرامي إلى تعميم الرذيلة على أوسع نطاق جغرافي ممكن، فلا عجب إذا أن تصطدم مع كل ما يدعو إلى الفضيلة والطهر. على غرار المضامين التي تحملها عناصر الأدب الشعبي الجزائري، ومن بينها النكتة الشعبية الجزائرية، بمضمونها القائم على مبادئ الدين الحنيف وهو ما يتعارض حتما مع توجهات العولمة؛ مما يعني المواجهة والقتال، من أجل إخراج مضمون النكتة عن مسارها الأصيل، إلى فضاءات العفونة والرذائل؛ كما هي دعوة العولمة في فلسفتها ونظرتها للحياة الجديدة على قريتها الكونية .

ونظرا لعدم التكافؤ في الوسائل والأدوات، فإن التأثير لا محالة سيكون شديدا على كل هذه العناصر، بما فيها النكتة الشعبية. وما بدائل التسلية والترفيه بهذا الشكل المكثف، والانتشار الواسع، إلا أحد أشكال الغزو والاحتلال؛ و لكن ليس للمساحات الجغرافية، وإنما للمساحات الفكرية، والثقافة المحلية؛ وهي من أعتى أنواع

السيطرة والغزو الراهنة. لأنه يستهدف الأمة، في مراكز الوعي والإدراك، بالسلب والتشويه تارة، وبالاستخفاف والاحتقار تارة أخرى. وكل أمة تفقد دفة قيادة نفسها، فهـ- والحال هذه- إلى الضياع والذوبان سائرة؛ بفعل الطمس الذي تتعرض له رموزها الثقافية الأصيلة؛ والتي من ضمنها؛ عناصر الأدب الشعبي، بكل أنواعها وأشكالها، فهي حاملة لواء الهوية ومخزون العادات والتقاليد والأعراف الأصيلة. والنكتة الشعبية لا تفتقر لهذه الحمولة ولا تتعاس عن دورها في إبراز الخصوصية والتمايز، من خلال أشكالها ومضامين نصوصها. وعليه وجب الالتفات إلى خطورة الوضع، وإيلائه^(*) الأهمية التي يستحقها من الجمع والحفظ والدرس والعناية، بمكونات عناصر تراثه الشعبي، ومنها النكتة الشعبية، وإبرازها في ثوب يلائم العصر الراهن؛ حتى تستطيع المقاومة والاستمرار في تمثيل الهوية الوطنية، والاعتزاز بما تحمله من القيم الأصيلة للمجتمع الجزائري، الذي نال بها شرف الذكر بين الأمم، وليس بغيرها من قيم المسخ والتبعية، التي تحفو العولمة إلى تكريسها بكل ما أوتيت من غدة وعتاد، ترغيباً مرة وترهيباً مرات ومرات، في انتظار أن يُستتب لها الوضع، لترفع راية الهيمنة فوق رؤوس الخلائق، استكباراً وإذلالاً واحتقاراً وعبودية. إن تنشئتنا الاجتماعية لا تستقيم أبداً مع مثل هذه الأوضاع، فكانت بذلك هدفاً للتشويه والتغيير؛ بما تعرضه العولمة من بدائل لعاداتنا، وتقاليدنا وأعرافنا وثقافتنا، وحتى لتعاليم ديننا، منبع العزة والإباء.

2-5- الحكاية الشعبية الجزائرية:

2-5-1- عيّنة^(**) من الحكاية الشعبية الجزائرية: تجدها في الملحق

2-5-2- مضمون الحكاية الشعبية:

يُفهر مضمون الحكاية الشعبية عن صورة نابضة بالحياة، تعكس واقع الأمة عبر مراحلها التاريخية

(*)- إيلائه: إعطائه، (ما يستحق من الاهتمام)، أي الاهتمام به .

(**)- مبروك دريدي، القصة الشعبية في منطقة سطيف، التشكيل الفني والوظيفي (جمع ودراسة)، مذكرة ماجستير في الأدب العربي، تخصص أدب شعبي، جامعة منثوري، قسنطينة، س د، 2003-2004م

الطويلة، وفيه تتجلى أيضا حكمة الشعب ، وعصارة تجاربه ، وبعضا من جوانب الحياة الإنسانية . لقد وقفنا في موشح البوقالة على فضيلة-الحياء- فكيف هو حاله، وبقية القيم الأخرى، في الحكاية الشعبية الجزائرية؟ ربما لا بجانب الصواب إذا قررنا انه؛ لم يكن بأقل شأن، وربما كانت تظاهراته فيها أكثر صرامة والتزاما منه في البوقالة.

والمثير حقا للإعجاب، مما لاحظناه في كل هذه الحكايات الشعبية، وغيرها أيضا؛ أن الغالب الأعظم فيها يعرض لطقس الزواج، بطريقة أو بأخرى؛ إلا أنه لم يخض ولو لمرة واحدة في تفاصيل الغاية الأساسية لهذا الطقس وإنما يكتفي عادة ببعض الجمل على الأكثر، في وصف العملية برمتها؛ على الرغم من استغراقها أحيانا لأيام عدة أو حتى لشهور؛ على غرار زواج الملوك و السلاطين في الحكايات الشعبية. وحتى لو كان ذلك في بعض مشاهد الاختطاف أو الاختلاء؛ في الكهوف أو البيوت الخربة أو في الغابة، ليلا أو نهارا... وما أكثر هذه الصور والمشاهد، في الحكايات الشعبية. فما الدافع وراء ذلك يا ترى؟

لا اعتقد أن غير- الحياء- هو المانع للخوض في مثل هذه التفاصيل، اضافة إلى مقتضيات المروءة والشهامة، التي تطبع الشعب الجزائري عموما - من خلال ما تلمسناه سابقا في نصوص أغازره و أمثاله الشعبية - بالترفع عن كل مدّس، بالتزام العفة وطهر الجيب. وهو ما يميز المسلم الحق عن غيره من الناس. وربما العامل الأهم في ذلك؛ هو المكان التي تُلقى فيه هذه الحكاية، وكذلك طبيعة ومكانة الملقى فضلا عن نوعية المتلقي؛ وهذا الذي رسّخته الحكاية الشعبية أيضا في ذهن الناشئة، وتجسّد فعلا وسلوكا بين أفراد المجتمع؛ من خلال صورة تلك المرأة الجزائرية المتلذذة في رداؤها، الواعية لدورها ومكانتها؛ فكان من ثماره، أن حافظ هذا المجتمع على تماسك كيانه واستمراره، واهتدى به إلى سبل تقدمه ورفيّه وازدهاره.

قبل خروج الطفل من حضن الأسرة، إلى فضاء المجتمع، يكون قد ارتشف قدرا لا بأس به من القيم، التي تستقر في النفس، لتكون فيما بعد جزءا مهما، مما يدخل في تشكيل الشخصية المستقبلية لهذا الفرد. وهذا الفعل تلعب الأم الدور البارز والفاعل فيه؛ كأول وأهم محطة للتنشئة الاجتماعية - كما سبقت الإشارة إليه في الفصل

الثالث-؛ بحكم علاقة الارتباط القوية، والعميقة بين الطفل وأمه؛ التي تسهر على ضمان تلبية كل مطالبه البيولوجية، فضلا عن العاطفية وكذا الفكرية. هذه الأخيرة تتبلور في ذهن الطفل أيضا، من خلال ما يسمعه في محيطه العائلي، من الأم والأب والجددة والجد وكبار السن عموما، من قصص و حكايات شعبية. فما مضمون هذه الحكايات ؟ وما تأثيراتها على نشئة الطفل؟ وماذا يمكنه أن يتعلم منها؟

تقوم الحكاية الشعبية بوظائف عديدة ومتداخلة؛ من أهمها الوظيفة التعليمية والتربوية، فمن الناحية التعليمية، يُثري الطفل قاموسه اللغوي، من خلال ما يتردد على سمعه من ألفاظ نصوص هذه الحكايات، فترتبط وتتأصل الصورة الذهنية بالصورة الصوتية، في هذه المراحل الأولى لعمل الجهاز الإدراكي لدى الناشئة؛ كما يقول علماء النفس اللغوي، وعلم اللغة الاجتماعي؛ لأن الحكاية الشعبية في لغتها على وجه الإجمال، تستعمل القاموس اللغوي اليومي البسيط المتكرر، مما يرسخ وينمي الثروة اللغوية لدى الناشئة المتلقي، إضافة إلى إدراكه لعلاقة اللفظ بالمعنى، عند التعبير للآخرين عما يجول بخاطره.

و أما الوظيفة التربوية للحكاية الشعبية ، فتتمثل في مخاطبتها للجانب العاطفي و الوجداني للطفل المتلقي ، لتربطها ثانية بالعقل ، في محاولة لإدراك الواجبات و الحقوق من خلال ما تأمر به، أو ما تنهى عنه، سياقات الأحداث في الحكاية الشعبية؛ وهي في حقيقتها القيم الواجب الاقتداء بها وتمثيلها مجسدة في الحياة اليومية؛ أي ترجمتها إلى سلوك فعلي. وهذا هو بيت القصيد، أو القصد العام من سرد الحكاية الشعبية عموما، إنه البناء الاجتماعي للفرد المتلقي، أو بقول آخر التنشئة الاجتماعية للفرد وفق ما ورد فيها من قيم إيجابية مرغوب فيها، أو قيم سلبية مرغوب عنها. وهذا في معناه التطبيقي أو العملي؛ توجيهها لسلوك الفرد في المجتمع، طبقا للعادات والتقاليد والأعراف السائدة فيه. ليكون المقصد النهائي هو الحفاظ على تماسكه ووحدته: " وبهذا نستطيع أن نقول أننا قد وضعنا أيدينا على مجال الاهتمام الروحي الشعبي الذي تنبثق منه الحكاية الشعبية. إنه التمسك بوحدة الشعب أو القبيلة أو الأسرة في سبيل القيام بدور فعال في بناء المجتمع. وهذا المجال وحده هو الذي يحدد

معالم الحكاية الشعبية و يميّزها عن سائر الأنواع" (1) ومما يتطابق مع هذا القول ما جاء في مضمون نص حكاية -السابعة صغرونة- عندما اتفق القوم مع بطلهم للقضاء على الغيلان؛ وهو خطر كان يهدد الجميع، فلا بد له من تكاثف جهود الجماعة لحماية نفسها: "... حتى وصل للجبل القمي رأس خوه معلق ثمّ، اقعد يعس حتى جاو لغوال، خمّم.. راح لمّ (جمع) الناس وقالهم لازم نعرضوا لغوال للعشاء ونحفرولهم حفرة كبيرة ونحطوا فيها لحطب [...]. شعلوا النار اتحرقو لغوال". فهذه هي الوظيفة الأساسية التي تسعى الحكاية الشعبية أولا وإجمالا، إلى تأصيلها بين أفراد المجتمع؛ بهدف الحفاظ على وجوده واستمراره. ولكن ما هي القيم الأخرى التي دعت إليها الحكاية الشعبية من خلال مضامينها؟ من هذه القيم نجد على سبيل المثال، محاربة الظلم الذي طالما عانت منه الشعوب العربية على مر العصور: "والحقيقة إن جوهر مشكلة الشعب العربي واحد في جميع العصور وإن تعددت صور التعبير عنه في حكاياته الشعبية. فالشعب العربي في كل عصوره يصارع الظلم والسيطرة الغاشمة، كما أنه يحلم بالحكم العادل التي تتم في ظلاله الوحدة التامة والحياة الاجتماعية العادلة" (2) وهذا ما جسّدته حكاية -القط بو سبع أرواح - بما نصه: "...كبروا لولاد ووحده النهار هوما يلعبوا وعمر بن الخطاب جا، هوما يعيظوا على بعضاهم أرواح يافلان، أرواح يا فلان... عيظت أمو يا غاب الحق، يا غاب الحق... قال عمر بن الخطاب: آو غاب الحق وأنا حي؟ ...! والله أنشوف القصة هاذي كيفاه غاب الحق؟ ولّي عيظ للمخلوقة هاذيك: يامخلوقة كيفاه سميت ابنك غاب الحق؟...". إن الذاكرة الشعبية تجعل من عمر الفاروق (رضي الله عنه) مرادفا للعدل وإحقاق الحق، فالجرمة البشعة التي يذهب ضحيتها المخلصون لا بد لها من قصاص عادل، ولا يطّلع بهذه المهمة إلا واحدا من أمثال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) حيث تتواصل مجريات الحكاية كالتالي: "...قالت له أولدي الزوج انتاعي راهو حجّ ومات ما رجّعش ووصّاني أنسميه (غاب الحق). قال لها عيطي على السيد اللي وصّاه زوجك... قالو كيفاه أنا على ديداني والحق أمشا وغاب؟ أمالة كي أنموت

(1)- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، مرجع سابق، ص 92.

(2)- نبيلة إبراهيم: المرجع نفسه، ص 98.

كيفاه؟... احكالو لحكاية من البداية للنهاية، وأنا ماقتلت. قالو: يا سي محمد ولاه ماجيتش قولت لي هاو واش داروا وواش داروا... ذاك الساع قتلهم عمر بن الخطاب للسته حتى اللي ماقتلش قتلو." وانتهدت الحكاية بهذا الحكم الذي اظهر أيضا قيمة القصص المرافقة عادة لقيمة العدل. وربما كان المتلقي قد حكم به في قرارة نفسه أو كان يتمنى شبيهه على الأقل. إلى جانب قيمة العدل، أشار مضمون الحكاية أيضا إلى مجموعة من القيم الايجابية على غرار، الكرم: "...وصلوا لهاذوك لقبائل اللي حاكمهم سلطان أسيدي: السلام عليكم وعليكم السلام، قالوا لهم: اضياف، قالولهم: اضياف الدار وإلا ضياف الجامع؟ قالوا لهم: كي عاد كاين الجامع، انباتو في الجامع منها انصليو ومنها انباتوا. كي وصلهم هناك السيد قالهم: مرحبا آني هنا جابلهم العشاء وُصلاو مع بعضاهم [...] كي جاو لجماعة صلاو الفجر وصلاو الصبح، والجماعة درقوا القط انتاعهم، جا السيد جابلهم القهوة، جابلهم لفظور... " و "... راح يجري للسultan قالو راه جاوني جماعة ضياف وقيمت بيهم... " وفي الوفاء كما جاء في هذا المقطع من الحكاية: "...قال لهم صاحب الأمانة لا لا أنا حجّت ولازم أنبلّغ الهدية، قالو له نُقسمو وإلا نُقتلوك قال لهم ما نخونش وما نُقرطش غير إذا قُلتونيو احد كي شافهوم متحمسين باش يُقتلوه قال لهم لا لا أنا ما حجّتش باش نقتل الناس... "، كما يستشف منها كذلك الحفاظ على أداء الفرائض الدينية، كفريضة الحج: "...كانو جماعة متوجهين للحج، أنكلم واحد من جيرانهم قال لهم: يا جماعة انتم راينحين للحج نتمالكم تُوصلو بخير وعلى خير، بصّح يا سي فلان نُوصيك: جبيلي هدية، قالو: هيه... " وكذلك يُستشف منها أيضا، الحفاظ على فريضة الصلاة من خلال مضمون هذه المقاطع الواردة في الحكاية: " قالوا لهم: كي عاد كاين الجامع، انباتو في الجامع منها انصليو ومنها انباتوا " و "...و كي جاو لجماعة صلاو الفجر وصلاو الصبح... " و "...جابلهم العشاء وصلاو مع بعضاهم... " ومن القيم السلبية مثلا، نجد في هذا الجزء آفتي الخيانة والحسد: "...هزُّو ألويز ومشاو امشاو... هو ما عادو في نص الطريق، او هو ما خانتهم النية- يسمّى الحج انتاعهم كان غير صحيح- قالو: كيفاه ندّو هذا

المال لفلان؟ هكذا إوَلِّي علينا سلطان، وإلا أغنى الأغنياء، قالو: انقسمو هذا المال [...] أيا سيدي

قتلوه ودفنوه وامشوا، بعد ما قسمو المال هناك..." وهكذا نجد من خلال الحكاية الواحدة، عديد القيم

المبثوثة، عبر مجريات الأحداث في معالجة الموضوع الرئيس فيها؛ ذلك أن الهدف الأساس من الحكاية أصلا، هو التربية والتعليم عن طريق التسلية والاستمتاع.

نجد مثلا في حكاية - بقرة ليتامي - كما هو واضح من عنونها أنها تعالج ظاهرة اجتماعية على درجة

كبيرة من الحساسية والخطورة؛ لأنها تمس إحدى شرائح المجتمع، إنها شريحة اليتامي؛ التي تتطلب رعاية ومعاملة خاصة، ريثما يشد عودها، وتستوي على سوقها. هذه الشريحة التي تتعرض لكل أنواع التنكيل والإهانة... لأنها فقدت سندها وراعيتها؛ هنا تتجلى بوضوح طبيعة المجتمع وخصاله؛ من خلال معاملته ونظرته لهذه الشريحة.

لقد تناولت الحكاية الشعبية الجزائرية هذه الظاهرة، بتوابعها مجملة في مضمون الحكاية سألفة الذكر؛ وهي

حكاية تتداول في ربوع القطر الجزائري بالمضمون نفسه، مع تغيير طفيف، في بعض الأسماء أو بعض الألفاظ

والأماكن؛ إلا أن المعنى العام لها يبقى بنفس التأثير والاهتمام، والمعالجة وفق قيم المجتمع النابعة من تعاليم الدين

الإسلامي الحنيف. والذي منها الالتزام بوصية الميت: "...وقبل ما تموت وصّات راجلها قالت لو: البقرة انتاعي

ما تبيعهاش خليها لولادي يعيشوا بها [...] لمرأ هاذيك قالت لو أتبيع البقرة، قالها: يا مرا كيفاه أنبيعها؟

هذي بقرة ليتامي وامهوم وصّاتي وأنا عاهدتها ما نبيعهاش..." وكذلك الوفاء بالعهد الذي جسّده السلطان

في هذا المقطع: "...إذاها والزّوج بها وعاهدتها على خوها وعيّط على الصيادة قال لهم: هذا الغزال اللي

كاش ما يُديرلو راني انطيرلو راسو..." وأيضا "...قطعة أيام وقالت لو: تذبح لغزال، قال لها: يا مرا أنا

عاهدتك وشرطت غلّي ما يقيسو والو..." كما أوردت الحكاية بعضا من صنوف التنكيل التي تمارسه زوجة

الأب عادة على يتامي ربائبها، ومحاولة التخلص منهم بكل الطرق والوسائل: "روحوا للدار لقواها خالية و القاو

خبزة تاع كسرة قال لها الطفل أختي ناكل جُعت، قالت لو ما تاكلش ومدت منها للكلب كي كُلامات

قالت لو: شفت !وهي مَرّت بُوهم دارت لهم السم... " و "...حكاها قالت لو: نُبعثو ختها تخدم عليها اذاها معاه وهي وصّاتها قالت لها: اقتلها واحكم بلاصتها (مكانها)... " إلا أن هذه المكائد و المؤامرات، كلها تبوء بالفشل الذريع أمام العناية الربانية لليتيم الذي يكون هو الفائز في آخر المطاف : "...لاحوا لحبل جبدوا اولاد السلطان وزادوا جبدوها هي، دار السلطان للعمية طيرلها راسها... "إنها بلا شك رسالة واضحة المغزى.

وفي حكاية - ولد الهجالة(*) - نجدها هي الأخرى تتطرق إلى إحدى حالات اليتيم المتمثلة في فقدان الأب (يتيم الأب)، مما يعني مضاعفة مسؤولية هذه الأم. جاءت هذه الحكاية لتلفت الانتباه مرة أخرى إلى هذه الشريحة من جهة، ولتشدد من عضدها برفع معنوياتها؛ بتصوير رجاحة عقلها والثقة بنفسها، من جهة أخرى؛ عندما قامت بتوجيه ابنها بنجاح، في كل المشكلات التي واجهته مع السلطان بقولها في كل مرة وبكل ثقة: "...راح هو لمو كي العادة، قالت لو: ما تخاف ما والو كول تشبع ارقد تشبع وغدوة الصباح أنقولك.. أو... غدوة يرحمها ربي..." لتظفر أخيرا و ولدها بالجائزة الكبرى ممثلة في إدارة دفة السلطنة بكاملها : "... وولد الهجالة أصبح سلطان وازوج بهاذيك مخبلة في شعورها وجاب أمو عاشت معاه في هناء." وهو ما يشير إلى قيمة برّ الوالدين. وعلى النقيض مما سبق نجد في حكاية - ولد المغبونة - يّتم: لكنه مع وجود الوالدين-انه ربما أشدها فتكا- لأن دورها في التربية والرعاية قد انعدم تماما: "...أما الزوجة الثانية كانت حزينة، خاطر ولدها كان طايش وقليل التربية بسباب إهمال والده له، وهذا ما خلاها تعيسة وغيبنة..." لكن الأمور تنقلب في لحظة من لحظات الصحو الذاتية فبعد أن: "...خبرت وليدها بالشي اللي صرى للملك. ولاّ قرر باش يلحق خاوتو باش يُحوّس على الدواء ويثبت الباباه الجدارة انتاعو..." وخاض المغامرات و تعرض للمؤامرات : "...وكي رجع في طريقي فات على خاوتو، بصّح هو ما خدعو؛ نحاولو الورق وربطوه في الشجرة باش ياكلو الأسد. بصّح ربي معاه..." ومن كان الله معه فما خاب وما خسر، لتنتهي الحكاية بالدعوة إلى العفو من جهة، ولإبراز شيم

(*)- الهجالة: في اللهجة الجزائرية: هي الأرملة الشابة؛ وهذه التسمية تعتبر بمثابة شتيمة لها، حتى تحفزها على الزواج مرة أخرى.

أصحاب الهمم العالية، والنفوس الكبيرة وتبنيها من جهة أخرى: "...وفي النهاية يجي البطل الحقيقي اللي ما رضاش باش ايقدم روجو لباباه باش ما يتعاقبوش خوتو، وبقي متخبي (*) عند الشباك حتى جات ليه الأميرة وتعرفت عليه وتزوجت به في النهاية."

يقول المثل الشعبي "ما يفرق بين الخاوة غير النسا والدرهم" إنها حكاية - الخاوة - التي تبحث في بعض هذه الأسباب التي تؤدي بدون شك إلى إضعاف تماسك المجتمع، وهشاشته، مما قد يجعله عرضة لأطماع الغير. لتتوصل في النهاية إلى الإقرار بأن (الغيرة) هي إحدى الأسباب المدمرة، التي تتعرض لها معظم المجتمعات، فهي الآفة المتحذرة في المرأة، مهما كان وضعها أو وظيفتها. كما تعرضها هذه الحكاية: "قالك مالا وحد النهار زوز نسا ضراير، ولدو لزوز و جابو زوز ذراري ايرقدوهم حذا بعضاهم، واللي اتحب اترضع ولدها أنهز أي واحد اترضعو بلا ما تميز اذا ولدها وإلا ولد ضررتها..." تسير الأمور غالبا في بداياتها على أحسن ما يرام لكنها نادرا ما تستمر على حالتها هذه، فتتعطف بمسارها، ومن دون سابق إنذار، إلى الوجهة غير المرغوب فيها: "...حتى لوحد النهار حطو ايتغداو مع بعضاهم والقاو أغدا واحد فيه كسرة ولحم والآخر فيه كسرة وبصل. حكم لآخر قال الخوه يما عادت أتفرق بيناتنا ماشي كيما بكري وانا ماغدش قادر أنعيش معاكم وزاد قالوا: مالا انتفارقو وكل واحد يروح في طريقو..." لقد حصلت الفرقة و تصدعت الأسرة، وضعف رباطها، بعد ما كانت تنعم بالتآلف والقوة والانسجام، وهي المهمة التي ما فتئت الحكاية الشعبية حارسة على الدعوة إلى تحقيقها دوما: "...ورجعوا للدوار واحكاولهم قصتهم ومن بعد رجعوا لأهمهم، وكاين اللي يقول قتلوها على خاطر فرقت بيناتهم..." إنه الاقتراح القاسي، لكنه الأقل ضررا إذا ما قورن بالمصلحة العامة للمجتمع وكيونته. وموضوع المرأة هذا؛ تتناوله الحكايات الشعبية تباعا، ضمن بعض مقاطعها، أو كموضوع رئيس

(*)- مَنخبي: مختبي، مستر.

لها؛ على غرار حكاية - العفريت - التي تناولت فيه بشيء من الغرابة، والمتعة؛ عقوق المرأة لزوجها، هذه المخلوقة التي يتجاوز أذاها العالم المرئي، ليمتد داخل المجال غير المرئي أيضا.

تماسك الأسرة وترايط أفرادها مطلوب، لكنه غير كاف لتماسك المجتمع بشكل تام، لذلك لا بد أن يتعدى هذا الانسجام والتماسك إلى كل أفراد المجتمع؛ عن طريق بناء الصداقات واتخاذ الأصحاب؛ كي يكون المجتمع كتلة واحدة، يصعب اختراقها، لكن الملاحظ هو زيف بعض أو معظم هذه الصداقات، لأنها تتلاشى وتختفي عند أول اختبار لها، على حد قول الشاعر :

وَمَا أَكْثَرَ الإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ &&& وَ لَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلٌ⁽¹⁾

حول هذا المعنى العام تدور أحداث حكاية - الصحبة - الذي أراد الأب أن يختبر درجة الصدق عند أصدقاء ابنه في حادثة مفبركة، لكنها ناجعة من الناحية العملية، كما تنم عن تجربة صاحبها، وخبرته في الحياة : "...قالك آسيدي في زمان بكري وحد الشيخ يسعى راس اطفل، واطفل بنو هذاك عندو اصحابو بزاف..." وحتى يتأكد الأب من ذلك استفسر ابنه عن هؤلاء الأصحاب قائلا : "...هاذو يا اوليدي اللي ديما ايعيطولك واشايكونو؟ قالو الطفل هاذو أصحابي، قالو الشيخ: وأصحابك تاع الصح الصح؟ قالو الطفل- سبحان الله- كون شفتهوم ماهمش أصحابي ما نمشيش معاهم..." بعد هذا التأكيد يبدأ الأب في تحضير أسئلة الاختبار- وأية أسئلة- إنها على درجة كبيرة من الصعوبة بل و الغرابة أيضا، يُكلف الابن بتوزيعها بنفسه على أصحابه و في الوقت ذاته يحصل على الإجابة- لأنه المعنى الأول بها- وكم كانت دهشته بعد ما سمع إجابتهم: "...الحاصل دار عليهم آكل واحد ما جا معاه؟ ارجع لباباه لعشية قالو و اينهوم اصحابك؟ قالو: واحد منهمو ماحب إيجي معاي..." وبعد أن أعطاه حقيقة الصحبة ومقتضياتها، في درس تطبيقي وواقعي، كان

(1)- الشافعي: ديوان الإمام الشافعي، اعداد وتعليق و تقديم، محمد ابراهيم سليم ، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة ، د ط ، د ت ، ص 118.

الابن نفسه أحد عناصره ليطلع ويكون شاهدا على حقيقة الأمر: "...ودار لبنو قالو: أنا عندي راس صاحب بصح ما انخليه ما يخليني، وأنت عندك ميات صاحب خلاوك آكل(كلهم)...". فعلا إنها الحكاية الشعبية العجيبة، وطريقتها في إيصال وترسيخ رسائلها في المجتمع.

من الأسباب المفضية أيضا إلى تزعزع كيان الأسرة وتشتتها؛ مسألة الإرث والميراث، فكثيرا ما نتجت بسببه مصائب وكوارث لا حصر لها، تعدى أثرها دائرة العائلة إلى ما سواه في دائرة أكبر، والأسباب في ذلك كثيرة ومتنوعة، إلا أن نتائجها واحدة في تأثيرها السلبي على المجتمع؛ مما استوجب التنبيه إلى هذه المخاطر قبل حدوثها وهذا ما بلورته مجريات الأحداث في حكاية - الوصية - عند معالجتها للإشكال الذي أحدثته وصية الأب لأبنائه في شان الميراث: " قال لك كان أب عندو ثروة كبيرة وعندو ثلاث أولاد اسمهم محمد الشريف، ومحمد العربي، ومحمد النذير. وهو على فراش الموت قال لهم: محمد... يورث، محمد... يورث، محمد... ما يورثش. " والمغزى من الحكاية هو وجوب البحث عن أصحاب الحق مهما كانت الظروف والأحوال، فالحق أكبر من أي شيء. كما توحى بذلك نهاية الحكاية، بعدم شرعية الابن؟ وهو؛ إن كان كذلك فلا حق له في الميراث إذا من الناحية الشرعية.

من مظاهر العجب في الحكاية الشعبية؛ تخصيص الحيوان بالكلام، وربط مصالحه بمصالح الإنسان أيضا، في حبكة عجيبة حقا. هذا ما جاءت به حكاية - الزوالي و الفار والصيد والحنش وكحل الرأس - على اثر (المزية) الخدمة التي قدمها لهؤلاء عندما أخرجهم من ورطتهم في المطمور (*) دون مقابل وإنما لوجه الله أي كفاعل خير لا غير: "...والا اذير مزية خرجنا. فكر فكر ومن بعد أهدر مع روجو قال: أنا رايح رايح أهدا مالة انخرجهوم وأنكمل أطريقي بالاك اينوب علي ربي وأنا ماني راح نخسر حتى حاجة...". إنها الدعوة إلى فعل الخير والاستمرار عليه، هذه الخصلة التي حث عليها الشارع الحكيم، في أكثر من موضع من القرآن الكريم

(*)- المطمور: حفرة تُحزّن فيها الحبوب.

والحديث النبوي الشريف؛ بأن فاعل الخير لا يندم أبداً، بل سيجد مقابله آجلاً أم عاجلاً، وهو ما أشارت إليه الحكاية في نهايتها. لهذا ومثله، دعت وتدعو الحكاية الشعبية، أملاً في أن يعم الخير وينتشر الأمن والسلام.

ليس معنى هذا أن المجتمع قد أصبح أفراده في مراتب الملائكة؟ كلا: فأفراده خليط غريب، يمتد من أعلى درجات التقوى، إلى أدنى الدرجات؛ من الآفات، والجرائم، والموبقات، التي لا يخلو منها أي مجتمع.

من هذه الآفات مثلاً(السرقه)؛ هذه الآفة التي يؤدي انتشارها في المجتمع حتماً إلى تقويض أمنه، واقتصاده

ونسيجه الاجتماعي. فهي بذلك تهدد أركان المجتمع في وجوده وكيونته؛ ولذلك دعت كل الأديان و الشرائع إلى

محاربتها والتصدي لها بكل الطرق الوسائل. ومن هذا ما جاء في مضمون حكاية - اللصوص الثلاثة - بأنها

تمثل التعدي السافر على أملاك الغير: "...السلطان ثار ايقابض فيهم قالهم كيفاش روحنو اتسرقو الخزنة وهي

صوارد(دراهم) الدولة وفيها صوارد اليتامى والفقراء..." وهي أيضا بمثابة السطو على جهد وعرق الآخريين من

غير وجه حق: "كان في الماضي ثلاثة من الناس سراقه..." إنها ولا شك مهنة موهلة في القدم، وليست وليدة

العصر الراهن؛ وإن كانت الطرق والأساليب قد اختلفت، لاختلاف الظروف والاحتياجات، والثقافات أيضا. مما

استدعى بالمقابل معالجات مختلفة حسب الظروف والثقافات السائدة وكذا الإمكانيات المتاحة "...ولا قالهم

السلطان آمالا أنا خلصتكم وأعفيت عليكم، بصح حتى أتردوا واش ادبتو وتواعدوني بللي ما اتزيدوش

اتعاودو الخدمة هادي." إن تدخل السلطان بنفسه في العملية وفي معالجتها، يؤشر على عظيم ضررها؛ وبالتالي

فمحاربتها والتصدي لها تعني الجميع، بما فيها أكابر القوم وسادتهم. وتورد مثالا حيا للصورة التي يجب أن يكون

عليها أفراد المجتمع من التحلي بالاستغناء عن متاع الغير، والمراقبة الصارمة على ذلك؛ كما أوردت ذلك حكاية

- التفاحة- فهي على النقيض تماما من الحكاية السابقة لها؛ فإذا كانت في الأولى صورة لكيفية أخذ متاع الغير

بغير طريق شرعي متمثلا في السرقة والسطو، فان الثانية صورة لكيفية إعادة متاع الغير إلى أصحابه، ربما في

صورته المثالية، بهدف الحصول على الحد المطلوب في واقع الحياة الفعلية: "قالك يا سيدي- وما سيدنا غير الله-

كان واحد عندو اطفل يُعزّز عليه بزّاف، قالك كي جا ايموت قالو يا بني انوصيك: شي الناس ما اتمسوش. هاذاك الطفل بقى شافي على وصية أبيو(*) "... فإذا كانت وصية الأب في الحكاية السابقة (الوصية) مادية أي تتعلق بالميراث وما خلفه من أموال و متاع، فان وصية الأب في هذه الحكاية معنوية؛ أي تتعلق بالميراث الفكري وما خلفه من ثمرات الفكر وتجارب الأيام. لتستحيل بعد ذلك إلى خلق وسلوك ، تتجلى ثماره في التوجّهات والسيرة العامة للمجتمع. من خلال النماذج المقترحة والمعروضة في ثنايا الحكاية "... وهو ماشي مع الواد القى حبة تفاح سايقها الواد ايهزها هو ويبدا ياكل وكي بغى ايخلصها اتفكر وصية ابيو..." فما العمل؟ على الرغم من القيمة المتدنية لتفاحة أتى بها الوادي، إلا أن وازع الوصية كان اقوي في نفس الطفل، مما حدى به إلى البحث عن صاحبها من جهة، وتنفيذا لوصية والده من جهة ثانية، - إنه نموذج مثالي بالفعل - واعترافا منها بهذا السلوك المثالي تمنح الحكاية جائزتها للفائز من نفس الطراز: "...قالو عندي طفلة ما تسمع، ما أتشوف، ما تهدر، وما تمشيش، انزوّجها لك. " إنه حُكم قاسي جدا في ظاهره، وربما ندم الطفل عل تصرفه بدليل: "...أسيدي أزوج بها وكي وصلها للدار خاف إيشوفها ثار اهرب وُصدّ وخلاها مع امو..." وتتابع أحداث الحكاية على نسقها لتكشف في الأخير للطفل البار حقيقة جائزته: "...وعلاش ابيك ايقول ما تسمع ما اتشوف ما تهدر ما تمشي؟ قلت لو صخّ انا عمري ما اهدرت مع حدّ وعمري ما شفت حدّ وعمري ما اسمعت كلام من حدّ وما امشيتش من دارنا من انهار اخلقت. " لاشك أنّها امرأة مثالية - على الأقل بالنسبة لعصرنا الراهن - وعلى الأرجح لا وجود لامرأة بهذه الصفات في عالم البشر العادي، إلا أن الحكاية الشعبية ترفع من سقف هذه المطالب؛ لتحصل في النهاية على مبتغاهما من الحد الأدنى الواجب الحفاظ عليه.

ونريد أن ننهي هذا الاستعراض لمضمون الحكاية الشعبية بالتأكيد على ما أثّرناه في أولها حول عدم الخوض في تفاصيل الغاية البيولوجية من الزواج، أو لنقل عموما حاجة كل طرف للأخر في هذا المجال تحديدا، كما تفعل

(*) - أبيو: أباه، والده.

كل القصص والروايات في هذا الزمن، ودون حياء. لنرى كيف عرضت الحكاية الشعبية هذا الأمر من خلال
 حكاية - الجمرة والغول - على اعتبار أن الغول هنا له نفس الاحتياجات البشرية؛ بدليل استعماله للنار فيما
 يستعملها البشر أيضا، كالتدفئة والطهي والإنارة... الخ: "...ما القاتش الطفلة باش اتشعل باه الطيب الماكلة
 حكمت راحت برّ اتحوس على الجمر ألقات دار دخلت [...] قال لها: واش تسحّقي (*)؟ قالت لو: باغية
 جمرة قال لها: لا اعطيني الدم تاغ صبعك الصغير نعطيك جمرة صغيرة..." إلا أن هذه الجمرة الصغيرة لم
 تفي بالغرض مما اضطر الفتاة للرجوع مرة ثانية لأخذ جمرة كبيرة مقابل الدم من الأصبع الكبير. ويستمر الوضع
 على هذه الشاكلة: "...والطفلة اتروح كل يوم عند الغول تعطيه الدم تاغ اصباغها ويعطيها الجمر..." وكان
 هذا بدون علم إخوتها: "...حتى أصبحت الطفلة شايبة أخلاص سقصاوها خوتها وقالو لها واش بيلك؟
 أحكات لهم الحكاية..." فكان مصير الغول هو الهلاك: "...خرج من العتبة طاح في الحفرة وخوتها شغلو
 فيها النار وهو قاعد يموت..." وقد استمرت الحياة عادية بعد موت الغول: "...وحد المرة راحت الطفلة
 اطيّب الماكلة..." وتتوالى الأحداث وفق منطق الحكاية، دون إثارة ولا جدل، ضمن حملتها من التوجيهات
 والقيم الأخلاقية الرفيعة؛ لتسود ويتعامل بها الناس فيما بينهم؛ لأنهم ورفاهيتهم وديمومتهم.
 بقي لنا أن نتساءل بعد وقوفنا على هذا النوع الرفيع من التوجيهات، و القيم الأخلاقية النبيلة، التي
 تضمنته الحكاية الشعبية الجزائرية: عن بديل هذه القيم و الأخلاق التي تسعى العولمة إلى إحلالها، وتكريسها عبر
 تسخير الوسائل التكنولوجية الراهنة؛ التي تملك ناصيتها دون منازع، أو بعبارة أدق: ما مصير الحكاية الشعبية
 وحملتها من القيم الأصيلة في ظل العولمة؟

(*)- تَسْحَقِي: أي ماذا تريدين.

2-5-3- الحكاية الشعبية الجزائرية والعولمة:

لقد أثبتت العولمة بوسائلها الراهنة، قدرتها على اختراق جدار الأصالة؛ ممثلاً في العادات والتقاليد والأعراف والقيم، التي تحملها عناصر التراث الشعبي، وفي مقدمتها عناصر الأدب الشعبي؛ مستودع ومخزون المجتمع من هذه القيم والأفكار الأصيلة. إنه بمجرد تبني الحكاية الشعبية لهذه القيم الأصيلة، فضلاً عن إنتاجها وتطعيمها للأجيال عبر التنشئة الاجتماعية الأولى في الأسرة؛ يجعلها ضمن الصفوف الأولى للمواجهة مع العولمة بمقتضياتها الراهنة؛ القائمة على الشائبة العفنة (جنس/عنف) التي تمقتها كل النفوس السوية؛ باعتبارها انحراف خطير عن الجادة؛ التي حددتها الشرائع والأديان السماوية. كيف لا تكون الحكاية الشعبية بقيمها المستلهمة من الدين الحنيف؛- كما تجلّى ذلك في مضامينها سالفة الذكر- هدفاً لكل نيران قذائف أسلحة العولمة؛ من فضائيات وانترنت، ووسائل التواصل الاجتماعي، والعوالم الافتراضية؛ ممثلة في ذلك الكم الرهيب من الألعاب الالكترونية. هذه الأخيرة؛ ورغم مضامينها المبتذلة، الداعية صراحة إلى الرذيلة والإباحية، والقتل والاعتصاب، وكل أنواع الاعتداءات المختلفة؛ بما تعرضه من أساليب وطرق و(فنيات) إرتكاب الجرائم. يحدث كل هذا-للأسف-على مرأى ومسمع الجميع، فضلاً عما تحمله أيضاً؛ من طقوس دينية معادية، بالخصوص للدين الإسلامي الحنيف. ورغم هذا غدت بديلاً قوياً؛ لكل ما كانت تضطلع به عناصر الأدب الشعبي، ومن ضمنها الحكاية الشعبية؛ في التنشئة الاجتماعية، وتوجيه المجتمع وفق مبادئه الأصيلة، مما يؤشر إلى تفويض دورها؛ خاصة في إبراز هوية المجتمع وخصوصياته؛ إما بتجاوزها نهائياً وتحقق بذلك عملية الطمس النهائي، أو أرشفتها في أفضل الحالات، والتبرك بزيارتها، كل عقد أو عدة عقود من الزمن؛ لتصل في النهاية إلى قدرها المحتوم، من الطمس والاندثار والتلاشي لتتلاشى معها تدريجياً، المنظومة القيمية الأصيلة في المجتمع، وفي مقدمتها، قيم الحياء والفضيلة؛ التي طالما عملت هذه العناصر التعبيرية الشعبية على تثبيتها، وترسيخها كقواعد موجهة لسلوك المجتمع عبر أفرادها. هذه القواعد التي نشهد اليوم بدايات تصدعها واختراقها؛ من خلال بعض المظاهر والسلوكيات الغربية عن منظومتنا القيمية، التي

بدأت تطفح على السطح هنا وهناك، ملتهمة بذلك للمساحات الثقافية الأصيلة؛ عبر هذا الكم المتزايد من تقنيات التأثير المادية والمعنوية، التي تملك العولمة ناصيتها بدون منازع؛ ومن أهمها وسائل الاتصال والتواصل بمضامينها المتنوعة، هذه الأخيرة وأخرى غيرها، يمكن اعتبارها من بين أهم مصادر الخطر على منظومة التراث المحلي لكل الشعوب غير المدرجة تحت ظلال الحضارة الغربية. لتكون الدول الإسلامية والعربية من أولى الدول استهدفا لتراثها الثقافي والديني؛ ولا أصدق على ذلك مما تعيشه اليوم معظم الدول العربية؛ من تقتيل وتشريد ونزاعات طائفية تارة وعرقية أخرى، إلا لتقويض هذه المنظومة التراثية والدينية لصالح أخرى غريبة مسيحية عمياء. ومن هنا تتجلى أقوى التأثيرات المصاحبة للعولمة، على عناصر الأدب الشعبي ومنها الحكاية الشعبية.

2-6- الأغنية الشعبية الجزائرية:

2-6-1- عينة(*) من الأغاني الشعبية: تجدها في الملحق

2-6-2- مضمون الأغنية الشعبية الجزائرية:

لُتسائل بعضا من هذه الأغاني الجزائرية ، المختارة من ضمن الأغاني التي حظيت بانتشار واسع بين الأكثرية الكثيرة من أفراد الشعب الجزائري؛ وبالتالي يمكننا وصفها بالشعبية، وذلك بفضل ترويج وسائل الإعلام لها آن ذاك، بأنواعها المسموعة (الإذاعة الوطنية)، والمرئية (التلفزيون الوطني)، وحتى المقروءة منها (الجرائد الوطنية) بالإضافة إلى تلك التي كانت تُسجّل على الاسطوانات بنوعيه. (33 و 45 دورة)، أو على الأشرطة الممغنطة -الكاسيت - فيما بعد، وهذه هي الوسائل التي كانت لها إمكانية الترويج على نطاق واسع في ذلك الوقت؛ قبل ظهور مؤشرات وبيادر تأثيرات العولمة في المجتمع الجزائري.

(*)- في العينة نصوص لأغاني شعبية مُنتجة قبل تسعينيات القرن الماضي (20م)، وأخرى منتجة بداية الألفية الثالثة، تعمّدا ذكر عناوينها فقط دون أصحابها.

وقد وقع اختيارنا على مجموعة من نصوص أغاني - محبوب باتي⁽¹⁾ - فقد كتب أكثر من ثلاثة آلاف أغنية عبر مسيرته الفنية؛ كانت منها لبعض المطربين الجزائريين من أمثال بوجمعة العنقيس، الهاشمي قروابي، عمار الزاهي، شاعو عبد القادر، عبد الرحمان عزيز، سلوى، نادية بن يوسف، نورة... وغيرهم من فناني ذاك الجيل الأصيل، والتي لا يزال صدى البعض منها يتردد الى يومنا هذا. إضافة إلى بعض الأغاني لغيره من مثل: رايح درياسة، خليفني أحمد، أحمد وهيبي، محمد الطاهر الفرقاني... والتي تجاوز صداها هي الأخرى حدود الجزائر، إلا أن تلك الأنماط الغنائية، قد أصابها الكساد باعتراف أصحابها؛ بعد أن أحالتهم العولمة بتأثيراتها قهرا على البطالة عندما صيرت الفن سلعة كغيره من السلع المادية الأخرى يخضع لقانون العرض والطلب؛ بفعل وسائل أخرى للترويج، أكثر فعالية وأوسع انتشارا من الأولى، ومعها بدأت تتجلى أيضا هذه التأثيرات بشكل فعلي، على بعض عادات وتقاليد المجتمع الجزائري، والتي يمكن أن نضع لها بداية - إذا سُمح لنا بذلك - من بداية تسعينيات القرن الماضي (20م).

لنقف بداية مع مجموعة من النصوص، لأغاني شعبية كان لها، ولأصحابها الصدى الواضح، والانتشار الواسع، بين ذاك الشباب بالأمس. ولنرى كيف عبّرت عن عاطفة- الحب- الجياشة التي تختلج في نفسه؛ ولكن من دون التجرؤ بلخروج عن الآداب العامة للمجتمع. إنه سلطان القيم والضوابط الأخلاقية، للتنشئة الاجتماعية وفق القيم الدينية، التي كانت من المظاهر البارزة لدى أفراد المجتمع، وللفعالية التي كانت تحظى بها في ذلك الزمان ولعل أبرز وأقوى مظهر في تجسيد - قيمة الحياء- التي كان يعتنقها و يعمل ويجتهد الجميع على ترجمتها وتجسيدها سلوكا، في واقع حياته اليومية مع الفخر والاعتزاز. مظهر النساء الجزائريات وفي كل ربوع الوطن شرقا وغربا، شمالا

(1)- لمزيد من المعلومات يُنظر : BENDAMECHE ABDELKADER - Mahboub Safar Bati - Un Artiste de Légende - Edition de la :

bibliothèque Nationale d'Algérie - Alger - Avril 2006.

وجنوبا؛ لا يُرى منهن إلا الوجه وفي بعض المناطق لا تُرى إلا عينا واحدة. وقل ذلك على الجهات الأربع للوطن الجزائري بكامله.

فلنتابع مع هذه النصوص لبعض المقاطع من أغاني نخبة من المطربين والفنانين، التي أخذت مكانتها في وجدان الشعب الجزائري، وذاع صيتها حتى خارج الوطن، في فترة الستينيات والسبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي (20م)، مستبعدين في ذلك للأغاني الوطنية؛ لتركز على الأغاني ذات الطابع العاطفي، وغرضنا في ذلك الوقوف على الكلمات والألفاظ، التي عبّرت بما الأغنية آن ذاك عن هذه الظاهرة الوجدانية؛ الطبيعية والفطرية في كل المخلوقات الحية؛ مبرزين في ذلك دور وآثار قيمة- فضيلة الحياء- والتربية الحضارية الرفيعة البارزة؛ في انتقاء كلمات نصوصها، وننظر أيضا في شكل هذا النص، وكذلك في الكيفية التي تُؤدى بها هذه الأغنية. مقارنة مع ما نسمعه ونراه ونحياه اليوم في ظل العولمة على وقع أغاني ما يسمونه (بالراي). لنظهر ونستبين، ثم نقف على الجوانب التي مسّتها التأثير الناجم عن ظاهرة العولمة، واضعين نصب أعيننا التفريق بين تلك النصوص التي تم تخليقها وإبداعها ثم تأديتها كأغنية ملحنة، قبل استحواذ هذه الظاهرة على معظم اهتمامات الناس، أي منذ فجر الاستقلال؛. وتلك التي تم إنتاجها في ظل انتشار واستفحال مظاهر العولمة؛ والتي من أبرزها - كما تم بيانه سابقا-؛ هذا التفشي المفرط لوسائل الاتصال الذكية؛ من الهواتف النقالة، والبث التلفزيوني عبر القنوات الفضائية وأجهزة التسجيل والتصوير عالية القدرة، بالإضافة إلى الشبكة العنكبوتية (الانترنت).. فك ان لها بذلك الانتشار الواسع بين أفراد المجتمع، لنفترضه دليلا على شعبيتها؛ لأن هذه الوسائل وغيرها، أصبحت في متناول الرجل والمرأة الكبير والصغير، المتعلم والأمي . باختصار لقد مسّت ولا مست كل فئات وشرائح المجتمع على اختلاف طبقاتهم ومراكزهم وتصوراتهم وانتماءاتهم.

من خلال استعراضنا لمضمون نصوص أغاني الفئتين السابقتين، بدى لنا في الفئة الأولى من الأغاني الشعبية أن الجانب اللغوي فيها اقرب ما يكون إلى الفصحى لأنها تمثل في معظمها قصائد مستوفية لمعظم شروطها، وما

يمكن الإشارة إليه في هذا المقام ، قلة أو ندرة الكلمات الأجنبية سواء كانت فرنسية ، أم تركية أم إسبانية أو من غيرها في متن هذه القصائد- حسب عيّنة الدراسة-؛ وهذا ما يدل على المكانة الرفيعة والاحترام والتقدير التي تحظى به اللغة العربية في نفوس هؤلاء ، فضلا عن التمكن من خباياها وأسرارها ، التي تتجلى عند استخبار بلاغتها ومعانيها، وفي الأسلوب المتبع لصياغة أفكارها ، والصور البلاغية المنثورة في ثنايا هذه الأغني الشعبية كما هو واضح من خلال هذه الأمثلة الموجزة:

أ - رابع درياسة:

1- مقطع من أغنية : يالعوامة

يا الحوتة شوّقتيني في اللقاء	ساهر الليل انبات مقابل البحـر
غير تجري بين الموجات زالقة	والقصب عقابك تجري بلا زهـر
والصيادة في بحر الحب غامقة	ما سلك منها غير طويل العمـر
يا الحوتة يا بنت العز والنقاء	غابتي باه انشوفك غير بالنظر
خاطري شايق وانت مقلقة	ورابحة لصنانر العذاب لا خبر
دايرين الطعمة في الشوك لاصقة	وكل من يضحك لك مبني على الغـدر
يا الحوتة قولي لي يا اللايقة	شارقة فيك نجوم تشهل البصر
ساطعة كمثل الذرة مزوقة	غالية في سومك يا دارة القمـر
العداء نصبو لك شبكة مغلقة	حاذري لا يرميك الموج للخطـر...

2- مقطع من أغنية: الممرضة

سمراء ولبستها بيضاء تسبي الوالع بالرضى

عيتت ما نكتم في قلبي س—رهما ونبوح
 يقولو لها الممرضـة منها العشاق مريضة
 هي تداوي في المرضى وحببيها مجـروح... ..

3- مقطع من أغنية : نجمة قطبية

نجمة قطبية طلعت عقب الليل علي سمهرا خمرية جرحتني بعيون غزالة
 شهلت عيني من ذيك النظرة المذبالة. قلت لها مرحي ضحكت عينيها بالفرحة
 قالت لي صح والمبسم جوهر يتالالا ومركب سبحة ينطق بحرف البسمالة
 يا زين البية قلت لها أصلك غريبة بنت الحمرية من وهران ناسك قوال—ه
 وضحكت لوخية وخزرتني وقالت لي: لا لا قولي يا زينه أصلك ما يخفـاش علينا
 بنت قسنطينة بنت العلم وبنت الآلة ضحكت لحينة وخزرتني وقالت لي: لا لا... ..

4 - مقطع من اغنية : يا الساعة

يا الساعة يهديك دوري واجري بالرقاص عيني تنظر في أرقامك والخاطر مختار
 وعد حبيبي طال وقلبي راه قطع الياس ولات دقيقة بساعة والساعة بنهـار
 انت قلبك راه هاني يتمشى بقياس وانا قلبي راه يخفق كي ريشة لطـيار
 انت مخدومة حديدة وابن ادم حساس في وقت الفرقة كبادو تكويها لجمار
 يا حليل اللي راه وحدو ما عندو وناس طول الليل قلبو تشعل فيه النـار
 دقات الساعة تزيدو عن حالو وسواس ما يوجد حبيب يمسخ دمعو من لبصار
 وانا راني غير وحدي و صبري راه خلاص متشوق لحبيب قلبي يشفي لي لضـرار

وأنتِ ساعة ثقيلة ورقاصك نَعَّاس وانا وعدي بيك خفي هذا عنك عار

ب- دحمان الحراشي.

مقطع من أغنية : يا الزايح وين مسافر تروح تعيّا وتولي.

يا الزايح وين مسافر تروح تعيّا وتولي	شحال ندمو العباد الغافلين قبلك وقبلي
شحال.. شفت البلدان العامرين والبر الخالي	شحال ضيعت اوقات وشحال تزيد ما زال تخلي
يا الغايب في بلاد الناس شحال تعيّا ما تجري	بك وعد القدرة ولى زمان وأنت ما تدري
علاش قلبك حزين وعلاش هاكذا كي الزاوالي	ما تدوم الشدة وإلا بطيت أعلم وأكتب لي
ما يدوموا الأيام ولا يدوم صغرك وصغري	ياحليلو ومسكين اللي خاب سعدو كي زهري
يا مسافر نعطيك وصايتي أدّيها على بكري	شوف ما يصلح بيك قبل ما تبيع وما تشري
يا النام جاني خبرك كيما صرالك أصرالي	هاكذا أَراد وقدر في الجبين سبحان العـالي

ج - أحمد وهيبي.

مقطع من أغنية: وهران.

وهران وهران رُحتي خساره	هجرنا منك ناس شطاري
قعدوا في الغربة حيارى	والغربة صعيبه و غداره
يا فرحي على اولاد الحمري	اولاد مدينه وسيدي الهواري
عديت معاهم صغري	لهم فني طول عمـري
ما احلى صهريات بلادي	القصبه و القلالي صادي

يا اللي ماشين ليها غادي وصوا يتهلوا في بلادي
عمري ما ننسى بلادي أرضي وأرض اجدادي...

د - الحاج محمد العنقا .

مقطع من أغنية: الحمام. أو سبحان الله يا لطيف

سبحان الله يا لطيف أنت اللي تعلم كايين شي ناس من استحاهم يقولوا خاف
حاسبين كل شي خطيف غير أجي و زدم واللي بيقى مع التوالى يقولوا زحاف
لحمام إذا نسي الولفة من بعد الحب والشغاف
خلاني في الأحزان وجفني من دون دواس لا خلاف
هذا تحقيق به شوفة شكيت داروا له الثقاف
الباز إذا غاب صدفه يهجر و يروح للتلاف
خلاها خالية الغرفة من ذاك اليوم ما أنشاف
ضنيته صاحبي ويشفا وترن ثعبان في الاجواف
عيب عليكم عار كشفة يا أهل بلادي يا سخاف
درتوها مرتبة وحرفة نكرتوا الخير والصناف
سومتكم ما سوات علفة في سوق السبت والجياف
ما هي صحبة ولا معرفة ما هي نسبة ولا حلاف
كيفاش القلب عاد يصفى كي قطعته بالأطراف
من يتبعكم راح في الفاء والراء المسبقة بقاف...

والملاحظ في هذه المقاطع وأمثالها، خلوها تماما من الكلمات البديعة أو الخادشة للحياء، وبالمقابل الدعوة

إلى العودة وتبني القيم والأخلاق الفاضلة، النابعة تحديدا من الدين الإسلامي الحنيف والحفاظ عليها كما جاء في هذا النموذج.

اغنية: شرفك يا بنت بلادي

شرفك يا بنت بلادي صوني به الدين

..... ضوي به العين

شرفك يا بنت بلادي صوني به الدين

بالعلم و فائدة لبلادي ما هوشي بالزين

شرفك

منو حياتك و حياة اخوانك تريح منو حتى الامة

..... غاني ومسكين

شرفك

دروس العلم فائدة واجبة شؤون المنزل وشغلات الدار

..... ما فيهمش عار

شرفك

اما الشارع راه ايهدل همه راه حـزيـن

كم من بنات هاملة و غافلة وخرجت قبلك من طريق الأمان

وغواها الزمان لا تحلي الدنيا تغلبك فوقها للـدين

شرفك .

كما أفردت هذه الأغاني مساحة لا بأس بها بعد المديح الديني للقيم الوطنية وكذا التأكيد على الهوية

الجزائرية بأبعادها الثلاثة- الإسلام والعربية والأمازيغية- بلاللتزام والتشجيع على القيم السامية ، والتحلي بالأخلاق

النبيلة والدعوة الى المشاركة في بناء المجتمع الجزائري الفتى من كل النواحي - التربوية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية... الخ وإلى طلب العلم و الارتقاء في مدارجه؛ لأنه خير وجاء للأمة ، من العواصف والموجات الإيديولوجية الزاحفة،-ربما- آخرها وأشدّها فتكا بتماسك المجتمعات ، هذه العولمة الراهلة بحمولتها المريبة، المثيرة للشك والجدل.

وأما الفئة الثانية من نصوص الأغاني المنتجة بعد استفحال ظاهرة العولمة منتصف تسعينيات القرن الماضي (20 م)، مع ازدهار ما كان يُعرف بغناء (الراي) وتجاوز بعض شبابه وشبابه (الم عولم) من دون شيوخه؛ لكل حدود اللياقة والحياء العام، بكلماته البذيئة السوقية، الخادشة للحياء، - نعتذر عن ذكرها حياء واحتراما وتقديرا للشعب الجزائري الشهم الأبي، كما نتجنب أيضا ذكر أصحاب هذا النوع من الأغاني ليقيننا بأن القلوب بيد الله يُصرفها كيف يشاء - وبدعوته إلى الميوعة والتفسخ والمروق من الدين وقِيمَه ومبادئه، والاستخفاف بالفضائل واعتناق الرذائل وسوء الأخلاق والأمثلة كثيرة نكتفي بمهذين النموذجين.

مثل قولهم في هذه الأغنية وأمثالها المتداولة بين الشباب:

حكومي معاها باراج وشاعت فالفيلاج

يا خالي الكوميسار انويها تزواج

قوللها اتجينا واللي ايسمّح في رزقو

غير اللي قلبو بارد...؟ الخ

أو قولهم في أخرى:

عينيك راهم عجبوني

عينيك ياعينيك

وانا البارود اسباني

عينيك حب ارضاص

بابا والروح يا الفرسان... الخ

لوكان يا لوكان يسمح لي

لقد تخيرنا من الأمثلة مما لا نحدث به الحياء أو نخرج به عن الآداب العامة للمجتمع الجزائري، فقد صادفنا من الأمثلة ما هو بشع وفضيع حقا. لكن كيف لا يكون يمثل هذه البشاعة بل وأفضع؟ عندما يتبين لنا أنه- الراي- القادم والمستنبت في المواخير والملاهي الليلية، والمطعم بأكبر جرعة من الانحلال الخلقي؛ هذ باختصار شديد عن المضمون العام لهذا النمط من الغناء. أما الشكل فهي في الغالب لا تتقيد بأي شكل من أشكال المنظوم المتعارف عليه. على غرار قولهم:

على جالها نماركي اوران لافرونس	مي جي با دو شونص معاها جي بادشونص
كواتني بنت اما وكلعتلي لعمر	لا في كل سيمانة نكطع لبحر
وحتى لبا سبور كمل باغي نعاوده	يا هذا الزين حالف ماني طالكة
لا ساكنة ابي الامينيو	لا قرقجتني انا وكلعت لي لعقل
عل جالها نماركي اوران لا فرونس	مي جي بادشونص معاها جي باد شونص
لا ساكنة ابي الامينيو	لا قرقجتني ابنت اما و درة لي لعقل
ماشى انا وهبل حتى الكاوري لوكان	تشوفوها تعطوني الحق يا بن عمي ماش n importe
لا زينها حفا الزين وعمى لي العين	وعلى جالها نماركي اوران لافرونس

وأیضا في هذا المقطع لأغنية تحت عنوان -مرجانة- إذ يقول صاحبها متغزلا:

elle est belle elle est jolie

مرجانة بنت بلادي

goipa si goipa

bella bella marjana

elle est belle a la folie

كوثرة بنت سيادي

الخطة والزين كي النخلة والعين

بيض القلب حنين

elle n a pas de chance

la souffrance مَلَّتْ

l ambiance تبغي

la dance تبغي

en cadence

en silence تبغي الحب

en balance ماشي

ni en bon sens

فهي عبارة عن كلمات مرصوصة لا يفهمها إلا صاحبها وأشباهه، لشدة تنافرهما لغة أو تركيبا ، فهي خليط عجيب من الكلمات العربية الفصحى والعامية والفرنسية ومن لغات أخرى غيرها . وهذا نموذج آخر من مقطع لأغنية بعنوان: العشق الممنوع .

ياه يا حتي مستنيت ومن غيابك عييت كل يوم نقول ياي ي يصوني التليفون ياي ي من كثرت واش بكيت
وعليك سوفريت حتي نشفو الدموع يا كثره les problèmes ماخرج علينا دا العام حسبت mon amour
ياي ي راحت pour toujours ياي وأحنا عشقنا صافي وبغاو يردوه العشق الممنوع

يا حتي مستنيت ومن غيابك عييت كل يوم نقول ياي ي يصوني التليفون ياي ي وعليك واش بكيت وسوفريت
حتي نشفو الدموع يا كثره les problèmes ما خرج علينا دا العام حسبت mon amour ياي ي راحت

pour toujours ياي يو أحنا عشقنا صافي وبغاو يردوه العشق الممنوع

يا لُغات لي في التيليفون تبكي وتقول توحشتك ياي ي إنت عمري ياي ي ويا هاذ الخطرة ça y est عشق
مدارلي وصلت لي ليميت .

يا مهما واش صرى تبقى إنت تا تا إنت ma vie ياي ي يا passe غاضني ياي ي زعمة قلت راني نسيت
والله مقديت ولعذابك وليت يا زعمة قلت راني نسيت والله مقديت ولعذابك وليت

يا تقدرت علينا وتفركتنا لا أنا لا إنتي ياي ي séparation forcée ياي ي و جابوها مورانا حقرة كي دايرة
دارو فينا دارو

وبلا بيك إنتي يا و راحت عليا كي غادي ندير ياي ي و راحت l'avenir ياي ي و إنتي كنتي كل شي و
mon projet ما درنا والو

يا لُغات لي في التيليفون تبكي وتقول توحشتك ياي ي إنت عمري ياي ي ويا هاذ الخطرة ça y est عشق
مدارلي وصلت لي ليميت les limites

يا مهما واش صرى تبقى إنت تا تا إنت ma vie ياي ي يا passe غاضني ياي ي يا زعمة قلت نسيت
est ça y déclarite ولعذابك وليت

يا لُغات لي في التيليفون تبكي وتقول أنت عمري ياي ي توحشتك ياي ي يا هاذ الخطرة ça y est عشق
مدارلي وصلت لي ليميت les limites

يا مهما واش صرى تبقى إنت تا تا إنت ma vie ياي ي يا passe غاضني ياي ي يا زعمة قلت راني نسيت
والله مقديت ça y est déclarite يا يا يا يا يا.....

أما الأداء في هذا النمط من الغناء ففيه من الإثارة والتأوه والصيَّاح والعويل والندب والحركات المقلدة للفئة
الماجنة من أشباه الفنانين والمهمَّشين والسفلة وغيرهم؛ منهم لفظهم المجتمع؛ فهُم على هامش الحضارة الغربية؛
ساجون في مستنقعاتها.

وبالإجمال فهي الدعوة الى التمرد على المنظومة القيمية للمجتمع الجزائري، التي استغرق بناؤها ردا من الزمن، وُصّدت لها من التضحيات ما لا يحّدر بثمن، من وقت وجهد، وأرواح المخلصين لهذا الوطن المفدى، الطيب أهله. منذ ماسينيسا الثائر في وجه الظلم و الاحتلال الى أحفاده عميروش و بن بوالعيد و رفقاءهم مرورا بعقبة وطارق والأمير عبد القادر وابن باديس وغيرهم كثير وكثير جدا، ممن تركوا بصماتهم المميزة في سجل تاريخ هذا الوطن، وطبعوا على جبينه هويته وانتماءه، بتخليد عاداته وتقاليده و أعرافه التي يراد لها اليوم أن تندثر وتتلاشى.

ولكن بالرغم من كل ما قيل في شأن هذا النمط من قدح فإننا نسجل اليوم نوع من اليقظة والرجوع إلى الذات، ولا تعدو هذه الموجة إلا سحابة صيف عابرة تعود بعدها المياه إلى مجاريها الأصلية؛ وهكذا عوّدنا الشعب الجزائري، كما في هذا المقطع من هذه الأغنية.

وصّيت أنا على الناس	اللي تركوا دينهم وتبعوا الكاس
يا الزينه بالكاس والمابده	راه عشرة بلا فايده
وعدي على الطحطحه وعدي	كان زينها زين الودادي
رجعت غمة في فؤادي	ولّيت نبكي وننادي
.....

2-6-3- الأغنية الشعبية الجزائرية و العولمة:

إذا كان تأثير العولمة، على ما سبق من عناصر الأدب الشعبي، يحتاج إلى تفكير وإمعان نظر لاكتشافه فان تأثيرها على الأغنية لم يعد خافيا على احد. خاصة بعد تربع نمط (الراي) على ساحة الفن الغنائي، مزحرجا بذلك كل الطبوع الأخرى خاصة منها، ذات المنحى الأصيل، النابع من أصالة هذا الشعب، التي تجلت في غير

مظهر من مظاهر حياته اليومية. ونظرا للتأثير المباشر الذي يحدثه الفن عموما، والغناء منه على وجه الخصوص على سلوك الأفراد وتوجهاتهم؛ فقد امتطت العولمة هذه الأداة محوِّلة إياها إلى وسيلة شحن وتعبئة لعناصر المجتمع بمبادئها وقيَمها؛ ويصبح فن الغناء بمثابة قناة شحن وتفريغ للنفايات والآفات الاجتماعية الغربية في مجتمعنا. وإلا فكيف يُفسَّر وصول هذا-الراي- بعد أن كان محصورا في الملاهي الليلية، ويختص بشريحة ضيقة جدا من الناس إلى مستوى العالمية في وقت قياسي جدا؟ لولا الدعم المادي والمعنوي الخارجي لأصحابه، ضمن خطة خبيثة أُعدت مسبقا؛ غرضها هدم القيم والمبادئ الأصيلة في المجتمع، بتسخير وسائل الإعلام العالمية؛ الذراع الطولى للعولمة وسلاحها الفتاك. وهي الكوة (الثقب) الأخرى التي من خلالها استطاعت العولمة أن تخترق جدار أصالتنا مرة أخرى، لتعيث فيها فسادا؛ مستهدفة بذلك الشباب عماد الأمة وذخريها؛ بكل أنواع المعاصي والموبقات؛ بل وكل ما هو مناف للعادات والتقاليد والأعراف، والأخلاق التي يُضبط ويوجه المجتمع من خلالها؛ فهي الاسمنت التي تجعل من المجتمع كتلة واحدة متماسكة وصلبة يصعب احتراقها.

لا أعتقد أننا نجانب الصواب إذا قلنا: أن العولمة قد حققت نجاحا ظاهرا في حلحلة المنظومة الأخلاقية في المجتمع؛ لأن الواقع الحياتي الراهن، يفصح عن كوارث أخلاقية، مصدرها تجسيد ما تدعو إليه مضامين نصوص هذا النمط الغنائي (الراي)؛ على غرار هذا الانتشار الملفت للمخدرات، وتوابعها من صنوف الفساد والانحرافات. ومن الأمثلة على ذلك ضمور فضيلة الحياء وتراجعها بشكل كبير؛ يتجلى ذلك مثلا في ما نراه في مؤسساتنا وشوارعنا من بعض أنماط اللباس الفاضح، وفي ما نسمعه من هذه الكلمات الساقطة البذيئة، في بعض الأعراس بحضور جميع أفراد العائلة، وفي بعض مناسبات الأفراح، وهي التي لم تكن من عاداتنا ولا أخلاقنا أبدا.

وهذا هو التأثير القاتل للعولمة في ما يخص الأغنية الشعبية؛ بفقدانها لوظيفتها الأساسية ممثلة في حفاظها على العادات والتقاليد والمعتقدات الخاصة بالمجتمع. فهل حافظت أغاني (الراي) على موروثنا الثقافي الأصيل؟ إنها العولمة تقهر صاحبها على أن يجاريها ويخضع لإرادتها، ويمثل لأوامرها؛ القاضية أولا بالانسلاخ من كل ما هو محلي وأصيل، ليعتنق بعد ذلك قيمها المبتدلة لكي يصير بها عنصرا معولما؛ أي بلا حدود ولا حواجز ولا ضوابط أيا كان نوعها؛ تمثلا للشعار " أنت حر، أفعَل ما تشاء" وهي أخلاق مجتمع القرية الكونية؟

3- الأثر المدمر للعولمة على منظومة القيم والمبادئ المحلية:

إن امتطاء العولمة لهذه الثنائية المدمرة، (جنس/عنف) واتخاذها وسيلة لانتشارها وتوسعها، دليل قوي على فسادها ووجوب التصدي لها قبل فوات الأوان؛ أي قبل أن يطال التدمير الأسس الثقافية والدينية، التي تتأسس عليها منظومتنا القيمية، وتحل محلها أخرى لا صلة للمجتمع بها لا من قريب ولا من بعيد؛ وهذا الذي تسعى العولمة إلى تحقيقه من خلال استهدافها للتراث الشعبي عموما و عناصر الأدب الشعبي منها تحديدا؛ لِمَا تحويه هذه العناصر من مبادئ وقيم؛ تناقلتها الأجيال تباعا عبر هذه الأوعية منذ قرون، فهي المخزون الثقافي المميز لخصوصية المجتمع والمحدد لهويته. وعلى هذا الأساس كانت من ضمن الأهداف الواجب تدميرها؛ لتعارضها مع الخصوصيات التي تحدد هوية مجتمع القرية الكونية المزعومة. فالتعارض والتنافر هما السمات البارزتان بين مضامين عناصر الأدب الشعبي، ووسائل وسبل تحقيق أهداف العولمة وغاياتها. فالحياء نقيض الوقاحة والانحلال نقيض العفة؛ وعلى مثل هذا النسق المتعارض تقوم العلاقة بين المضمونين وغاياتهما. فالغاية من بسط الحياء والعفة في المجتمع، يتعارض حتما مع غاية نشر الوقاحة والانحلال فيه. فالأول ينشد البناء والتعمير، وأما الثاني فيبغى التهدم

والتدمير؛ ذلك انه لا وسيلة أقوى على تدمير المجتمع وتفكيكه، من تفشي الانحلال والخنى (*) بين أفرادهِ. بل إن انتشارها مؤشراً قوياً على أفول الحضارات وزوال الأمم.

(*)- الخنى : الفاحشة والخيانة الزوجية.

خاتمة

إن الدراسة الراهنة، بالرغم من تواضعها تمثل - في نظرنا - خطوة مهمة للتعرف على مدى التأثير و كذا الدمار الذي تحدثه العولمة بترائنا الثقافي . مصدر ثقافة المجتمع ومنظومته القيمية عموما، والأدب الشعبي منه على وجه الخصوص. الذي يعتبر الخزان والمستودع التي تصب فيه هذه الثقافة التي ينتجها المجتمع بكل مقوماتها، ضمن هذا التراث الشعبي العام.

إن هذا التراث الشعبي العام الذي بقي - وعلى الأرجح سوف يبقى - مفهومه متأرجحا بين الوضوح والغموض لارتباطه بمفهوم -الشعب- الذي لا يقل عنه غموضا وجدلا، بين الباحثين في المجالات ذات الصلة. والشيء ذاته نصادفه في مصطلح - الأدب الشعب - فضلا عن ارتباطه بمفهوم (الشعب) المشكّل أصلا، نجد أيضا مصطلح -الأدب- الذي لم يستقر بعد على تعريف جامع مانع له، لنجد أنفسنا أمام إشكالية مزدوجة اسمها-الأدب الشعبي-

وبالمثل أيضا نجد مفهوم -العولمة- وقد حاز على الكم الهائل من التعريفات ، ولكن دون أن يحظى أحدها بحسم الجدل وتوقيفه. ل يبقى هو الآخر يسبح بين مجموعة واسعة من التعاريف . والتي قد يجاريه في تعددها وكثرتها كذلك مصطلح - الفولكلور- بقائمه الطويلة من التعريفات، ومن دون حسم أيضا.

لنخرج أخيرا من هذا الخضم بأسوأ مما دخلنا به، أسفا وتحسرا، على ما آلت إليه اللغة العربية من قحط بعد خصب، وجفاف بعد رواء وفقر بعد غنى في الألفاظ ؛ وهي اللغة التي تنصدر المراتب الأولى من حيث عدد الكلمات. بينما تحسم هذه الأمور في لغات لا تملك من الكلمات إلا الثلث مما تملكه لغتنا العربية. فأين الخلل يا ترى؟ لنترك هذه المعضلة جانبا ، فلا نرى لها مخرجا على الأقل في المدى المنظور ، ونعود إلى دراستنا وبعضا من النتائج المتوصل إليها:

تظهر نصوص عناصر الأدب الشعبي الجزائري، التي تناولتها الدراسة، تشابها مُلفتا في مضمونها؛ فهي

متطابقة إلى حد بعيد- في حدود ما أمكننا الإطلاع عليه- وما الاختلاف في بعض الألفاظ والتسميات إلا

تكيّفًا مع متطلبات البيئة القاهرة؛ من مناخ وتضاريس وبعض المخلفات الأسطورية التي عفا عنها الزمن. وإجمالاً فهي تقدم وجبات (مضامين) على درجة كبيرة من التشابه؛ مما يعني أيضاً تعرّضها للتأثيرات نفسها التي تحدثها أدوات ووسائل العولمة، على هذه الأشكال التعبيرية الشعبية الجزائرية.

- ففي ما يخص البوقالات وما خلصنا إلى استنتاجه من أثر العولمة عليها يتلخص في الإجابة على هذا التساؤل العام : هل مازالت ظروف الميلاد التي أوجدت البوقالة ووظيفتها أول مرة، هي نفسها؟ وبالتالي الوظيفة ذاتها؟ والمؤكد تماماً أن الظروف قد تغيرت وبشكل راديكالي أيضاً، وجلبت معها أفكارها وأدواتها؛ فكل فكرة تتخيّر لها أداة تناسبها للقيام بالوظيفة المنوطة بها. إن بساطة الأدوات والوسائل التي تستعملها البوقالة، مقارنة مع ما تملكه العولمة اليوم من المبتكرات التكنولوجية المتطورة لوسائل الترفيه، والاستمتاع، تفرض على البوقالة لاستمرارها قدراً معيناً من التحدي: فهل البوقالة اليوم في مستوى هذا التحدي من المنافسة الشرسة للعولمة؟ وهنا يمكن القول -وبكل أسف- أنها ليست في مستوى هذا التحدي من المنافسة؛ لسبب بسيط يمكن تلخيصه في العاملين التاليين المتمثلين في: جمودها أولاً، وعدم القيام بتحديثها ثانياً، بما يتماشى ومتطلبات العصر. وعلى هذا المعطى يمكننا القول بأنها قد دخلت أو قد اقتربت كثيراً - حسب تقديرنا - من دائرة خطر التلاشي والاندثار لصالح بدائل هذه العولمة المتوحشة.

- وأما فيما يخص اللغز الشعبي وتأثير العولمة؛ فبإمكاننا التصريح بأن العولمة هي آفته وعلته، بل هي أعدى أعدائه؛ فهي دائبة المحاولة لتدميره وسحبه من الساحة تماماً، لا لشيء سوى أن مضامينه ذات حمولة أصيلة مكرسة لهوية الفرد الجزائري، من خلال القيم الإسلامية النبيلة، وفضائل الأخلاق السامية، التي نحن اليوم نزهوا بانتمائنا، ونفخر بهويتنا الراسخة عبر القرون المتعاقبة. هذه النقطة بالذات هي التي تريد العولمة أن تقطع سلسلة جذورها واستتصاها كلية، بما تطرحه من بدائل موازية ولكن بمضامين تربوية محملة بشتى أنواع الفساد والدجل؛ حتى يغيب الأصل الثابت فينقطع بذلك السند، فلا يبقى بعد ذلك سوى فرض الأمر الواقع؛ المسبوك وفق المصلحة

الخاصة للطرف ذو الهيمنة المادية المصرفية. والتي تملك العولمة ناصيتها من خلال المنظمات المالية العالمية ممثلة في صندوق النقد الدولي والبنك العالمي ومنظمة التجارة العالمية وغيرها.

ومن هذا الجانب يتضح لنا حجم التأثير الهائل، الذي يتعرض له اللغز الشعبي الجزائري، بفعل هذه العولمة بأدواتها المتنوعة، ووسائلها المختلفة، ذات التقنية العالية، التي تُستخدم لمواصلة هذا التأثير والدفع به (اللغز الشعبي) باستمرار إلى ذات الدائرة من الاندثار والتلاشي أيضا.

- أما بخصوص المثل الشعبي الجزائري فقد رصدت الدراسة، أن هذا الشكل التعبيري الشعبي الذي يُعتبر من أكثر عناصر الأدب الشعبي التصاقا بالبيئة، وتصويرا للحياة اليومية، وتغطية لكل جوانبها بما لها وما عليها، بكل صدق وأمانة. فقد لاحظنا من خلال النصوص المختارة كيف أن الحكيم الشعبي قد رافق بناء البيت الجديد، منذ التحضيرات الأولى للزواج، حتى ظهور الأحفاد؛ كدليل على الاهتمام البالغ، والعناية التامة، ببناء اللبنة الأولى للمجتمع؛ فتعهدنا بالحرص على أن تكون تنشئتها وفق الأعراف والقيم والعادات والتقاليد الأصيلة، والمبادئ والأخلاق النابعة من ديننا الحنيف.

غير أننا لاحظنا أن العولمة، تُنح غير هذا المنحى العنيف؛ فكان من ضمن ابتكاراتها العديدة، ما اصطلح على تسميته (بالزواج عبر الانترنت)؛ لتخترق به جدار هذه الأسرة، وتقويض دورها، بوصفها المؤسسة الأولى والأساسية للتنشئة الاجتماعية؛ وذلك بتحطيم تلك الروابط العائلية، التي كانت وجاء للمجتمع بالحفاظ على كيانه وقيمه ومبادئه. لتزرع بالمقابل مبادئها في النشء الصاعد، مُطعّما بجرعات عالية من الوقاحة، والجرأة بالدوس على الثوابت والمقدسات المحلية، والقيم الأخلاقية، وعلى رأسها فضيلة الحياء وقيم الشرف والعفة والطهر، وعِزّة النفس والشهامة والرجولة، والكرامة والإباء... وغيرها كثير مما كان المثل الشعبي مستودعا لها ومخزنا فهو بهذا وجهها لوجه مع هذا المسخ الجارف، بمعدّاته وأدواته وأساليبه، المسخّرة لخرق البنية الأساسية للنسيج الاجتماعي؛ الذي طالما سعى المثل الشعبي الجزائري للحفاظ عليها متينة صلبة لا تتزعزع أبدا. من هنا يتبين بجلاء نوع وحجم التأثير

الهائل الذي تحدّثه العولمة على مضامين المثل الشعبي الجزائري؛ بالدفع بها نحو الميوعة والانحلال وبالتالي حتمية الاندثار والتلاشي.

- وأما بالنسبة للنكتة الشعبية الجزائرية، فقد تبين من خلال العيّنة الواردة في الدراسة؛ أن الشعب الجزائري كغيره من شعوب الدنيا يأمل ويتألم، يفرح ويحزن، يبكي ويضحك، ويصنع الضحك والفُرجة أيضا، على العكس مما يُوصف به من الغلظة والعنف؛ فهو يتذوق النكتة ويصوغها متكاملة بجميع عناصرها الفنية، وهو بذلك في مصاف أرقى الشعوب حضارة وعراقة في الثقافة، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فالنكتة الشعبية الجزائرية على غرار سابقتها من البوقالة واللغز والمثل، تستلهم الهوية والأخلاق من مبادئ الدين الإسلامي الحنيف؛ وبهذا المضمون الذي يتعارض حتما مع توجهات العولمة، تكون النكتة الشعبية الجزائرية في مركز الصراع مع هذه الأخيرة؛ من أجل إخراج هذا المضمون عن مساره الأصيل إلى فضاءات العفونة والرذائل؛ عن طريق هذا الكم الوفير من بدائل التسلية والترفيه، ووسائل الاتصال والتواصل ذات الكفاءة العالية. وبالتالي فعدم التكافؤ في الوسائل والأدوات، يدل على الضغط الهائل والتأثير الكبير الذي يدفع بالنكتة الشعبية الجزائرية بحمولتها المحسدة للتمايز وللخصوصية الجزائرية تحديدا؛ إلى الانسحاب من الساحة وإحلالها من كل العناصر التي من شأنها أن تكون حجرة عثرة، أمام البدائل الوافدة بحمولاتها، لعاداتنا وتقاليدينا وأعرافنا وثقافتنا وحتى لتعاليم ديننا، منبع العزة والإباء. لتدخل بعدها في دائرة الاندثار والتلاشي كسابقتها أيضا.

-وبخصوص الحكاية الشعبية بينت الدراسة أنها من المصادر الأساسية لتلقين الأجيال العادات والتقاليد والأعراف والقيم والمبادئ الأصيلة؛ عبر التنشئة الاجتماعية الأولى في الأسرة. وهذا ما يجعلها ضمن الصفوف الأولى للمواجهة مع العولمة بمقتضياتها الراهنة، وبدائلها من الحكايات القائمة على الثنائية العفنة (جنس/عنف) بمضامينها المبتذلة الداعية صراحة إلى الرذيلة والإباحية، والقتل والاعتصاب، بما تعرضه من أساليب و(فنيات) القتل وارتكاب الجرائم، فضلا عن عرضها لطقوس دينية معادية بالخصوص للدين الإسلامي الحنيف. ورغم هذا فقد وجدت

منتجاتها بعضا من القبول والرواج على الساحة الثقافية المحلية؛ من خلال ما نراه ونلمسه في شوارعنا ومؤسساتنا لبعض هذه المنتجات من المظاهر الغربية، مُجسّدة في أشخاص أبنائنا خاصة. وهذا معناه خسارتنا لمساحات من ثقافتنا الأصيلة لصالح بدائل العولمة. وهي في الحقيقة بدائل للقيم الأخلاقية التي أرسّتها مضامين نصوص الحكاية الشعبية الجزائرية، لصالح مبادئ العولمة التي تحاول إرساءها في المجتمعات المستهدفة؛ كمجتمعنا الجزائري. وهو تأثير - للأسف - واضح جلي في استمرار فقداننا لهذه المساحة الثقافية الأصيلة، بهذا التراجع المستمر في تجسيد مضامين نصوص حكاياتنا الشعبية؛ والذي يعني سيرها وهرولتها نحو الاندثار والتلاشي كذلك.

- إذا كان تأثير العولمة في الأشكال التعبيرية الشعبية السابقة باهت الواضح، فإنه في مجال الأغنية الجزائرية بكل أنواعها وطبوعها، جلي ظاهر للعيان؛ نظرا لطبيعة تغلغل وانتشار هذا الشكل من التعبير الشعبي، وتأثيره الكبير على جموع واسعة من المتلقين؛ لأنه يجمع بين الكلمة واللحن، مما أعطاه ميزة أخرى، يتفرد بها على الأشكال التعبيرية الأخرى.

ولذات السبب أيضا، كان التأثير أعظم، ومن أفضل الوسائل لتنفيذ بعضا من الأهداف الإستراتيجية للعولمة الذي يتمثل؛ في الوصول إلى أهدافها، عبر تحقيق أوسع انتشار لمبادئها وقيّمها، للاستحواذ على مساحات ثقافية جديدة، في المناطق المستهدفة من العالم.

وهذا ما خلصت إليه الدراسة من خلال ملاحظتها للتراجع الواضح والمريب أيضا، للأغنية الجزائرية الملتزمة بشتى طبوعها المختلفة، ذات الحمولة الأصيلة، من العادات والتقاليد، والأعراف والخصوصية المحلية، وكذا للقيم الأخلاقية التي يتميز بها المجتمع الجزائري جملة.

لقد وجدت العولمة في معظم أغاني (الراي) بشبابه وشباباته، وسيلة شحن وتفريغ لمبادئها الخليعة في المجتمع الجزائري المحافظ؛ وذلك من خلال ذلك النوع من الكلمات والألفاظ الخادشة للحياء، وتلك السلوكيات والتصرفات الدخيلة، ذات الطابع الغربي الممقوت؛ على غرار الطقوس الغربية عن مجتمعنا، المصاحبة للاحتفالات

الصاحبة برأس السنة الميلادية... إنه التأثير الواضح للعولمة والاختراق البين لمنظومتنا الفنية عموما، والغنائية منها على وجه الخصوص؛ بتمكين الطبوع الغنائية الغربية الممسوخة، على حساب الطابع المحلي الأصيل، الذي يُراد له الاندثار والتلاشي، كسابقه من الأشكال التعبيرية الشعبية الجزائرية.

وهكذا يتضح خطر العولمة، بتأثيراتها الواضحة في تذويب ثقافة الآخر والعبث بمعتقداته السماوية، وإلغاء خصوصياته الحضارية، بالتركيز على محاربة أنماط الحياة الأسرية السائدة في المجتمعات الإسلامية خصوصا، التي تستمد مبادئها من الدين الإسلامي الحنيف وشريعته السمحة، ونتيجة ذلك نحن نعم بهذا التماسك الأسري الفريد، الذي يتوق إليه الغرب اليوم وينشده؛ جزاء ما يعانیه من تفكك وتمزق أسري، وانحلال وتفسخ خلقي وقبل هذا وذاك الفراغ الروحي الرهيب؛ الذي صيّر حياتهم أشبه بحياة الحيوان الأعجم، خالية من كل القيم الروحية والخلقية الفاضلة.

وعلى هذا المعطى الروحي، فإن الكثير من الدول الغربية، الراعية للعولمة، وكذا السائر ة في ركبها من الدول الأخرى، قد أخذت على عاتقها تدمير الأسرة المسلمة، بما تحيكة لها من مؤامرات دينية، ومؤتمرات مشبوهة ومكائد خسيّسة؛ طفى البعض منها، وتجلّى في الواقع الحياتي، مدعما بما تشهده المحاكم، ومراكز الشرطة والأمن وتُقر به المراسد الاجتماعية، والتحقيقات الصحفية؛ من استفحال للآفات الاجتماعية، وارتفاع لمستوى الانحرافات، من أن أغلبها ناتج عن تأثيرات العولمة؛ بما أحدثته من خلخلة قوية في الأنظمة الاجتماعية؛ من خلال إصرارها على السعي المتواصل، لتقويض دور الأسرة، وتفكيكها وتشريد أفرادها، بكل الطرق والوسائل وبأي ثمن؛ لإرساء قواعدها وتحقيق أهدافها.

إن الأدب الشعبي الجزائري كغيره من آداب الشعوب والأمم الأخرى ، حاملا بين طياته دلالات تعكس بصدق النمط الفكري، والثقافي السائد في المجتمع الجزائري، وقد صوّر هذا الأدب من خلال أشكاله، تفاعل أفراد

هذا المجتمع مع بيئتهم؛ على اعتبار أن هذه البيئة هي المرجعية الاجتماعية التي توجّه الفرد وترشده إلى السلوك السوي، وتعلمهم الآداب الفاضلة؛ لأن مضامين نصوص هذه الأشكال التعبيرية، قد شملت مختلف جوانب الحياة اليومية في المجتمع. ومن أهم ما أجمعت عليه هذه النصوص على اختلاف أشكالها، هي الدعوة المشتركة إلى كل ما يؤدي إلى تماسك ووحدة المجتمع؛ في جوانبه النفسية والخلقية والتربوية.

وهذا ما يعني أنها تستلهم معاني مضامين نصوصها من معين و احد، هي الثقافة الإسلامية؛ فتشربت منها حمولة هائلة من القيم التعليمية والتربوية ذات الخلفية الأخلاقية الروحية؛ انسابت بسلاسة في وجدان متلقيها من الشعب الجزائري، لتسهم في بناء شخصيته على هذه الخلفية الروحية؛ وابتسط دليل على ذلك هو: هذا الالتزام الظاهر لعناصر المجتمع الجزائري بتعاليم الدين الإسلامي، والسير وفق مبادئه العامة على وجه الإجمال.

لذلك فإن محاولة فهم العقلية الجزائرية، لا بد من حتمية المرور عبر هذه البوابة؛ لأنها المرآة الصادقة لحقيقة التنشئة الاجتماعية في هذا المجتمع. وكل محاولة في هذا المجال تتجاوز أو تحاول القفز عليها واستعاضتها ببعض النظريات الوافدة؛ التي لا تمتُّ لأصالة هذا الشعب بأية صلة، لا من قريب ولا من بعيد، فالفشل الذريع كسابقاتها؛ هو خلاصة نتائجها حتما.

بالرغم من طغيان العولمة بأدواتها ووسائلها التكنولوجية المتطورة، إلا أن وظائف هذه الأشكال التعبيرية من الأدب الشعبي، لا تزال قائمة في المجتمع الجزائري إلى حد ما . خاصة خارج المدن الكبرى ذات الأثر الواضح للعولمة على ملامحها الخارجية، للأسباب الموضوعية المعروفة؛ مما يعني إمكانية إسعاف، وإنعاش دور هذه الأشكال التعبيرية الشعبية، وفق ما تتطلبه الظروف، وتفرضه مستجدات الأوضاع الراهنة، لمباشرة وظيفتها الأصلية السابقة في الحفاظ على هويتنا وتمايزنا؛ وذلك بإعادة إنتاجها من خلال التفاعل الاجتماعي القائم في الوقت الراهن على وقع العولمة، وهذا التفاعل الاجتماعي هو الذي يتولى عملية التعديل في الإنتاج الجديد، بالحذف أو بالإضافة؛ ولا

يتأتى هذا إلا بإدماج الثقافة الشعبية وعلى رأسها نصوص منتقاة من مختلف أشكال التعبير الأدبي الشعبي، ضمن الثقافة الرسمية في برامجها وموادها، وخاصة التعليمية منها في أطوارها الأساسية الأولى.

وعليه لا بد من استدراك الأمر في القريب العاجل ، بتدخل الهيئات والمؤسسات الرسمية ، والعقلاء و مشاركة مجموع فئات الشعب وشرائحه ؛ للتمسك والحفاظ على هذه الخصوصيات قبل أن تتلاشى وتندثر تدريجياً ؛ من خلال هذه المهجمة الشرسة للعوامة، والموجة العاتية ، من الانفتاح المتسارع ، والمدمّر في الآن ذاته ، الذي تشهده الزوايا الأربعة للعالم، لكل ما هو محلي الطابع وأصيل المنبع؛ لتحلّ محلّها بعد ذلك المواصفات المؤهلة للعضوية في القرية الكونية المتوهّمة.

وفي الأخير أملنا أن نكون قد ساهمنا ولو بالقدر اليسير في البحث العلمي حول موضوع - الأدب الشعبي الجزائري وتأثيرات العولمة- كما نتمنى أن تكون هذه الدراسة فاتحة لدراسات أخرى أكثر عمقا وشمولية حول هذا الموضوع الذي نحسبه هاما ومصيريا.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

1. إبراهيم الحميدري: انطولوجيا الفنون التقليدية، دار اللادقية، سوريا، ط1، 1984م.
2. إبراهيم حركات: الصراع بين هويتين ثقافيتين، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، د ط، 1977م.
3. ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث والأثر، طبع القاهرة، ج1، سنة 1311هـ.
4. ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، ج14، ط3، 1994م.
5. أحمد أبو زيد و آخرون: دراسات في الفولكلور، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د ط، 1972م.
6. أحمد بن نعمان: سمات الشخصية الجزائرية، من منظور الأنثروبولوجيا النفسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط، 1988م.
7. أحمد حسن الشحات: الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، د ط، د ت.
8. أحمد درويش: ثقافتنا في عصر العولمة، الشركة المصرية العالمية للنشر، لوجمان، الجيزة، مصر، ط1، 2003م.
9. احمد شوقي: الشوقيات، قدم له وضبطه وشرحه ووضع فهرسه، د/صلاح الدين الهواري، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ج1، 2، د ت.
10. آدم كوبر: الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيون، عرض سعيد المصري، الكتاب السنوي لعلم الاجتماع، العدد7، د ط، 1984م.
11. أرنست فيشر: ضرورة الفن، ترجمة، ميشال سليمان، دار الحقيقة للطباعة والنشر، ط1، 1970م.

12. إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق احمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 2، 1979م.
13. أكرم حجازي: البنيوية التركيبية (فلسفة بيير بورديو)، مجلة علوم إنسانية، العدد 20، أبريل 2005م، من موقعها الإلكتروني. <http://www.Uluminsania.net>
14. أنابيل موني، يتسي إيفانز: العولمة، المفاهيم الأساسية، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، لبنان، ط 1، 2009م.
15. أولريش بك: ما هي العولمة ، ترجمة، د/ أبو العيد دودو، منشورات الجمل، بيروت، لبنان، ط 2، 2012م.
16. إيكه هولتكراس: قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفولكلور، ترجمة، محمد الجوهري، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، 1973م.
17. بدرية البشر: وقع العولمة في مجتمعات الخليج العربي، دبي والرياض، أنموذجان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 2008م.
18. بركات محمد مراد: ظاهرة العولمة، رؤية نقدية، كتب عربية للنشر الإلكتروني، من الموقع: <http://www.kotobarabia.com>
19. بكر: دراسات الوحدة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، تحرير، أسامة أمين الخولي وآخرون، ط 3، 1998م - 2000م بيروت - لبنان.
20. تركي رابح: التعليم القومي الشخصية الوطنية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1975م.

21. جوران توربون: العولمات، الأبعاد، الموجات التاريخية، المؤثرات الإقليمية وتوجيه الحكم المعياري، ترجمة، بدر الرفاعي، في مجلة الثقافة العالمية، العدد 106، الكويت المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ماي 2001 م .
22. جورج لارتين: الايدولوجيا والهوية الثقافية، الحداثة وحضور العالم الثالث، ترجمة، فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، د ط، 2002م
23. جورج لودج: إدارة العولمة في ظل الاعتماد المتبادل، ترجمة، محمد رءوف حامد، سلسلة كراسات عروض اجتهادات حديثة حول العلم و المستقبل، القاهرة، مصر، المكتبة الأكاديمية، ط 1، 1999م.
24. حازم الببلاوي: نحن و الغرب، عصر المواجهة أم التلاقي، دار الشروق، القاهرة، مصر، د ط، 1999م.
25. حامد زهران ، أخلال محمد سرى: القيم السائدة والقيم المرغوبة في سلوك الشباب، بحث ميداني في البيئتين السعودية والمصرية، جامعة حلوان، مصر، د ط، 1985م.
26. حسن حسين زيتوت: استراتيجيات التدريس، رؤية معاصرة لطرق التعليم والتعلم، سلسلة أصول التدريس عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط 4، 2003م.
27. الحسين الزاوي:الشك ومكامن الغل في فلسفة المشهد الجزائري، رياض العلوم للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط 2005م.
28. حكمة عبد الله البزاز: العولمة والتربية، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد، العراق، ط1، 2001م.

29. حمداوي محمد: وضعية المرأة داخل الأسرة في المجتمع الجزائري التقليدي، مجلة إنسانيات، جانفي/أفريل، 2000م.
30. خليل نوري مسيهر العاني: العولمة الإسلامية في زمن العولمة الثقافية، ديوان الوقف السني، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، بغداد، العراق، ط1، 2009م.
31. رضا عبد السلام: انخيار العولمة - د ون دار النشر والبلد، د ط ، د ت .
32. رضا عبد الواحد أمين: الإعلام و العولمة ، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 2007 م.
33. رعد شمس الدين الكيلاني: العولمة وتاريخ الصراع مع الغرب، دار الجنان للنشر والتوزيع، الخرطوم، السودان، ط1، 2012م.
34. رواء زكي يونس الطويل: مستقبل المعلوماتية والتنمية للدول النامية في الألفية الثالثة، دار زهران للنشر، عمّان، الأردن، د ط، 2009م.
35. رونالد روبيرستون: العولمة، النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية، ترجمة، احمد محمود ونورا أمين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، د ط، 1998م.
36. الزمخشري جار الله أبي القاسم محمود بن عمر: أسرار البلاغة، دار صادر للطباعة و النشر، بيروت، لبنان، د ط، 1385هـ، 1965م.
37. سالم المعوش: المدينة العربية بين عولمتين، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان، د ط، 2006 م.
38. سعيد إسماعيل علي: الهوية والتعليم، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 2005 م.
39. سعيدي محمد: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1998 م.

40. سليمان بن صالح الخراشي: العولمة، دار بلنسة للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ .
41. السيد يسين: العولمة والطريق الثالث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة خاصة لمكتبة الأسرة، د ط، 1999م.
42. الشافعي: ديوان الإمام الشافعي، إعداد وتعليق وتقديم، محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، د ط، د ت.
43. شاكر عبد الحميد: الفكاهة والضحك، رؤية جديدة، مطابع السياسة، الكويت، د ط، 2003م.
44. شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب النويري: نهاية الإرب في فنون الأدب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر.
45. الصادق المهدي: الفكاهة ليست عبثا، البقعة، السودان، دون دار النشر، د ط، 2006م.
46. صحيح البخاري: دار الحديث، القاهرة، مصر، ج 3، 2004م.
47. صمويل هنتجتون: صدام الحضارات، ترجمة، مركز الدراسات الإستراتيجية، بيروت، لبنان، د ط، 1995م.
48. طاهر بوشلوش: التحولات الاجتماعية والاقتصادية وأثارها على النسق القيمي للمجتمع، من 1967م إلى 1999م، رسالة دكتوراه في علم النفس، الجزائر.
49. عاطف غيث، غريب سيد احمد: علم الاجتماع العام، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، 1978م.
50. عبد الرحمان بن زيد الزبيدي: العولمة الغربية والصحة الإسلامية،

51. عبد الرزاق حلي: دراسات في المجتمع العربي والثقافة الشخصية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، د ت.
52. عبد الصبور شاهين: نحن والعملة من يربي الآخر؟ -
53. عبد العزيز بن عثمان التويجري: العالم الإسلامي في عصر العملة، دار الشروق، القاهرة، مصر، د ط، 2004م.
54. عبد المالك مرتاض: العمالية الجزائرية وصلتها بالفصحى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 1981م.
55. عبد الوهاب المسيري، وفتحي التريكي: الحداثة وما بعد الحداثة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، د ط، 2003م.
56. عثمان الكعاك: مراكز الثقافة في المغرب: معهد الدراسات العربية، د ط، 1958م.
57. العربي دحو، أمثال وأقوال مأثورة وبوقالات شعبية جزائرية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة الجزائرية، د ط، 2011م.
58. عزام أبو الحمام: الفولكلور، التراث الشعبي، الموضوعات، الأساليب، المناهج - دار أسامة للنشر والتوزيع عمان، الأردن، ط 1، 2007م.
59. علال الفاسي: الحركة الاستقلالية المغربية، مطبعة الرسالة، القاهرة، مصر، د ط، د ت.
60. علي بن محمد: معركة المصير والهوية في المنظومة التعليمية، الصراع بين الأصالة والانسلاخ في المدرسة الجزائرية، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2012م
61. علي حميدان: الخليج وتحديات العملة، أبو ظبي، 1997م
62. عمان سلطان وآخرون، صراع القيم بين الآباء والأبناء، المجلة الاجتماعية القومية، العدد 1، يناير 1972م.

63. فرانسيس فوكو ياما: نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة، حسين احمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، د ط، 1998م.

64. فرغلي هارون: الإرهاب العولمي وانحيار الإمبراطورية الأمريكية، مراجعة وتقديم، سامي فريد، دار الوافي للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، سلسلة الوافي، العدد 2، د ط، 2006م.

65. فريديريك فون دير لاين: الحكاية، ترجمة، د/ نبيلة إبراهيم، دار القلم، بيروت، لبنان، ط 1، 1973م.

66. فوزية دياب: القيم والعادات الاجتماعية، مع بحث لبعض العادات الاجتماعية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د ط، 1980م.

67. كمال التابعي: الاتجاهات المعاصرة في دراسة القيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، 1980م.

68. م. روزنتال، ب. بادي: الموسوعة الفلسفية، ترجمه: سمير كرم، بيروت، لبنان، دار الطليعة للنشر والتوزيع، د ط، 1981م.

69. ماجد زاكي الجلاد: تعلم القيم وتعليمها، دار المسيرة للنشر والطباعة والتوزيع، الأردن، ط 2، د ت.

70. ماجد عرسان الكيلاني: فلسفة التربية الإسلامية، مكتبة هادي، مكة المكرمة، م ع س، د ط، 1988م.

71. مالك بن نبي: تأملات مشكلات الحضارة، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ط 5، 1991م.

72. مجموعة مؤلفين: الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال للنشر والتوزيع، ط 2، د ت.

73. محسن احمد الخضري: العولمة الاجتماعية، دار مجموعة النيل العربي، القاهرة، مصر، د ط، 200 م .

74. محسن عبد الحميد: تجديد الفكر الإسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فرجينيا، الولايات المتحدة الأمريكية، د ط، 1995م.

75. محمد إبراهيم عيد: الهوية، القلق والإبداع، عالم الكتاب للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، د ط، 2002 م.

76. محمد الأخضر السائحي: ألوان بلا تلوين، منشورات السائحي، نشر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة الجزائرية، في إطار الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب وتطويرها، الجزائر، ط1، 2016م.
77. محمد الجوهري: علم الفولكلور، القاهرة، مصر، دار المعارف، د ط، ج 1، 1981م.
78. محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 2003م.
79. محمد عابد الجابري: التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، الدار المغربية للنشر والتوزيع، المملكة المغربية د ط، 2001م.
80. محمد علي محمد: مفهوم القيم الاجتماعية، الأسس النظرية والمؤشرات الإجرائية، المركز الإقليمي العربي للبحوث والتوثيق في البحوث الاجتماعية، القاهرة، مصر، د ط، 1986م.
81. محمد عمارة: بين العالمية الإسلامية والعولمة الغربية، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 2009م.
82. محمد مسلم: مقدمة في علم النفس الاجتماعي، دار قرطبة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، دت.
83. مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 1979م.
84. المنجد في اللغة والأعلام، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 38، 2000م.
85. المهدي المنجرة: قيمة القيم، دون دار النشر والبلد، ط 2، 2007م.
86. موسوعة التراث الشعبي، لتيارت وتيسمسيلت، الجزء الأول، تيارت، دار الحكمة، الجزائر، صدرت هذه الطبعة في إطار، الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007م

87. ناصر الدين الأسد: الهوية والعملة، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 1997م.
88. نبيل راغب، أقنعة العملة السبع، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 2001م.
89. نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نفضة مصر، القاهرة، مصر، ط 2، 1974م.
90. نجيب اسكندر و آخرون، قيمنا الاجتماعية، أثارها في تكوين الشخصية، مكتبة نفضة الشروق، القاهرة مصر، د ط، د ت.
91. نجيب اسكندر، لويس كامل مليكة ، رشدي منصور: الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط 3، 1975م.
92. نخبة من الأساتذة: المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، د ط، د ت.
93. نعوم تشو مسكي: الدولة الفاشلة، دار الكتاب العربي، ترجمة، سامي الكعكي، بيروت، لبنان، د ط، 2007م.
94. نورهان منير، حسن فهمي، القيم الدينية للشباب من منظور الخدمة الاجتماعية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، مصر، د ط، 1999م.
95. هاشم فاتح الله عبد الرحمان: دور كليات التربية في تنمية وتدعيم بعض القيم لدى طلابها، رسالة دكتوراه كلية التربية ، جامعة المنيا، مصر، 1992م.
96. يوسف القرضاوي: الإسلام والعملة، دار التوزيع والنشر الإسلامية، د ط، 2000 م.

■ مجلات ، صحف و دوريات:

1. مجلة- المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 106، ماي 2001 م.
2. المجلة الاجتماعية القومية ، عمان سلطان وآخرون، صراع القيم بين الآباء والأبناء العدد1، يناير 1972 م.
3. جوران توربون: العولمة، الإبعاد، الموجات التاريخية، المؤثرات الإقليمية، الحكم المعياري، ترجمة ، بدر الرفاعي، في مجلة الثقافة العالمية، العدد 106، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ماي 2001م
4. حيدر إبراهيم : العولمة وجدل الهوية الثقافية، عالم الفكر، السنة 28، العدد، 2، أكتوبر/ديسمبر، 1999م.
5. مجلة الحوادث، لندن، انكلترا، العدد 2310، بتاريخ: 2001/03/09م.
6. زين العابدين الركابي: العولمة، جريدة الشرق الأوسط، ليوم : 1999/01/13م
7. عبد العزيز الصغيري: العولمة السياسية، نظرة تاريخية، مجلة العصر، الموقع الالكتروني للمجلة، ص 1 .
8. علي فهيم خشيم: المستقبل يتعلق بالماضي، مجلة الوحدة، المغرب، السنة 10، العدد 105، مارس، 1994م

■ كتب أجنبية:

1. Amartya Sen-Dix vérités sur la mondialisation –traduit de l anglais par Sylvelle Glairez
le monde fr. [http://www.lemonde.fr/imprimer – article 06063 ,20827200.html](http://www.lemonde.fr/imprimer/article_06063_20827200.html) (02 -01-2010)
2. : BENDAMECHE ABDELKADER, Mahboub Safar Bati ,Un Artiste de Légende,
Edition de la bibliothèque Nationale d’Algérie , Alger ,Avril , 2006 .
3. Peter N Stearns Globalization in Word History
4. Henri Soto introduction a la problématique des mondialisation Revue Relation
Internationales N 123 France 2005 1 03 .

5. Freidman Thomas –The Lexus end The Olive Tree. Understanding Globalization 1999.
6. Mike Featherstone , Scott Lash , Ronald Robertson , global modernities , London, Sage , 1995 , P, 1
7. Denis Couche, La nation de la culture dans les sciences sociales, Alger, Edition casbah, 1999, p 83
8. DICTIONNAIR ENCYCLOPEDIQUE AUZOU, 2005 , p 803

فهرس الملاحق

1- ملحق رقم - 1 - موشح البوقالات:

1. جاري يا جاري يا اللي دارك... خدى داري هذا شحال عيني في عينك ... وما قدرت انبوحلك بأسراري... انطق لباس في منامي نحى عليه كل أضراري... وقال لي إي كتّب ربي يعيا هو مول بيتك...
وتعيا أم البنات والذراري (70)*
2. دار خدًا دار... طاقة خدًا طاقة.. والعيون عشاقة.. وحق موسى وعيسى وراكب الناقة .. ما داري يا عباد، الأرواح متى تتلاقى (117)
3. بسم الله بديت وعلى النبي صليت... نطلب ربي يعطيني ما تمنيت (39)
4. داق عليا الحال وبكيت... رفدت لبريق وتوضيت... صديت للقبلة واصلت... وطلبت ربي يفرج عليا...
ويكتب ليا ذاك الزين (135)
5. أرفدت بُريقي (*) وتوضيت... نشكر ربي عطاني ما تُمنيت (32)
6. بيض يا نور الياسمين... انت جوهرة ما كسبوها سلاطين... ربي يحفظك من العين ويعد عنك الحاسدين... بجاه رب العالمين وبجاه الأنبياء الصالحين (52)
7. عيني على الحبيب واللسان عليّ حاشم... تمنيت نُدير الحنة وندير الخاتم (215)
8. اللي ما يخاف من ربي خاف منو... واللي يدير في قلبو ربي والنبي عليه راني مهني (288)
9. ما نخدهاش طويلة كي السلوم... وما نخدهاش قصيرة كي الفكرين ماشي (**)... نخدها مربوعة القد تعمّر لي فراشي (303)

(♣) - هذا الرقم في آخر نص البوقالة يشير إلى الرقم التسلسلي في المدونة المعتمدة في هذه الدراسة.

(*) - بُريقي : الإبريق : الإناء.

(**) - كي الفكرين ماشي : مثل السلحفاة أثناء سيرها.

10. ودعيت الله حتى بكيت اعطاني ربي ما تمنيت قاللي مت تكحلي عينيك ولا تسوكي حتى نُجِّي نرفد لعجار عليك (360).

11. دعيت ربي و النبي، نمت حبيبي... دايرة به النجوم وقال لي خليلتي... الكريم هو الله وحده... ما يدِّيك (*) غير أنا يا اللي كَتَّبَكُ (***) لي الله (131)

12. يا مُرا احكمي وُلَيْدِكَ انا نسقي في الحبق و هو يرش فيا والله ما ناخذو حتى يقبلو والديا. (363)

13. يا لسمر يا الغالي وعلاش هريان إذا بيك زين أنا نشكر فيك وإذا بيك زواج راني نستنى فيك. (374)

14. الناس لبعض الناس وما يُدوم غير الله تفكرت أيام مزهونة مع الحبيب فين راه الجسد راه هنا والقلب راه معاه وحزني فراقو ، غير هو اللي ترضاه. (325)

15. الناس كسبت المال والبنين وانا اكسبت كلمة ربي الحنين. (324)

16. الدمعة على الخد تجرح وكلامهم كي السيف يذبح وأنا غزالي ما نُفَرِّط فيه حتى يُفْرَج ربي ونفْرَح. (133)

17. رفدت يدي للغالي طلبت الصحة والعافية والغالي يُوللي لي حلالي. (150)

18. أنتِ وردة في الكاس وأنا عليك عساس وأنتِ ربيع وأنا وردة نُبْهيك وحلفت بيمين غير أنا اللي نديك. (31)

19. بعض الناس كي لعسل في القرجومة وبعض الناس يا لطيف كي الحية المسمومة وأنا خيَّرت ذيك اللقيمة المزمومة وما كاش مثلها يا ناس في الحومة. (43)

20. جيز على باب دارنا يرمي فالمواس قال لي يا لالة أعطيني برنوس قلت لو حتى نُجْيك عروس. (77)

21. إذا أنت بحر أنا حوت فيك وإذا أنت جنان أنا وردة فيك وإذا أنت تبغيني أنا نموت عليك. (7)

(*) - يدِّيك : يأخذك (هنا بمعنى يتزوجك).

(**) - كَتَّبَكُ : أي جعلك من نصيبي (هنا بمعنى زوجة لي).

22. اصبري يا خيتي ياك الصبر هو المفتاح الفرحة، وقتاش يا ربي يُفرج والفساد يوللي صلاح والليل يوللي صباح
وتروح هذيك الغمة وقلبي يرتاح. (13)

23. أحمامة فوق الصور وأنت قمري تنادي تقول يا أهل الدور دلوني على اللي غادي بركاه من ماء البحور يرجع
ويشرب من ماء بلادي. (1)

24. إذا سكتي لقصور عوامة وإذا سكنت القبور يحاسبك مولانا و التراب اللي يُغميك يُغميني أنايا. (11)

25. روحت و ولّيت ولقيت خطابة في البيت طاحت الدمعة وبكيت وأنا في قلبي حبيت. (148)

26. شعرها كحل وعينها شهل نُشوف فيه ما نمل قالت لي يا مخلوق الله اصبر شويا حتى يُشوفوك مواليا. (178)

27. سلامي للميمة وقلبي للغالي هديتو وهنا مع لخضر تُمنيتو. (165)

28. عاشقك يتمنى وصلك ليه اعزم يا سميح الوجنة يا ظريف المبسم بما يما شوفي عشق الجار العين في العين

القلب شاعلة فيه النار. (20)

29. قولو لها اللي ضاق صبرو يُشد في حبال الرجال وعلاش يتنكد ويتكل على الله ياك ربي العالي ما يُضَيِّع

احد. (264)

30. بالله بديت وعلى النبي صلّيت يا ساكنين البيت نروح للحج أنا واهلي و ندي من حبّت. (285)

31. النور نور عينيا وهو جاري شفتو وشاف فيا وعرف اخباري نطلب من الله تعالى يعمر لي داري. (339)

32. محمد يا محمد اسمك عزيز وغالي دير روحك طيب واجي تشوف حالي حبيبي يا حبيبي سبحان من خلقك

شوفت النجوم في السماء حسابتلي شوفتك عزيزي يا عزيزي نبيلك عوامة ونديك لبلاد ارواما. (306)

33. الكبش ذبحتو والسמיד سمّدتو والطعام فتلتو ما يدور العام حتى إن شاء الله أنكون في بيتو (368).

34. الكبش هديتو والطعام فتلتو والسمن سمّنتو واللي ليه كاتب المكتوب نحيا في بيتو (369)

35. قلبي وقلبك مجروح نطقت وقالت لي ماهوش يا لحينة باب ربي مازال مفتوح يعي ربي ويلاقينا (261)

36. خرجت للسوق عايروني بالعازية دخلت للدار ألقيت الخطابية (113)

2 - ملحق الألغاز:

1. اسمها بالسين والسين كلمة شرعية النص عليك والنص عليّ.....وعليكم السلام.
2. على اللي تسمى بالسين وتحكم بالشرعية كلمة عليك وكلمة عليا وعليكم السلام.
3. راح وّلى (رجع) لينا يا جاء قدنا يا زاد علينا..... وعليكم السلام.
4. شجرة فيها خمس غصان زوج في الضو وثلاثة في الظلام.....الصلوات الخمس.
5. على اللي اسمها بالصاد والصاد سلسلة قديمة اربعطاش (14) في الظلمة وثمانية (8) في الشمس ديم...
.....الصلوات الخمس بعدد ركعاتها.
6. ربعة (4) خلقوا قبل أمهم و ثمانية خلقوا مع أمهم وعشرة خلقوا بعد ما تموت أمهم.....
.....الصلوات الخمس بعدد ركعاتها.
7. على ضيف جانا من القبلة ولباسو مبهاه الفايح(*) غطى راسو والفحل ناض لاقاه.....صلاة الصبح.
8. فارسنا جاي وهو خير ناسو (أهله) لمليح يخرج يلاقيه والفايح يغطي راسو.....صلاة الصبح.
9. صياد ماهر وفي ضربو رزين كيما يقيسش(لا يصيب) يُطَيِّح ربعة(4) وكي يقيس(يصيب) يُطَيِّح زوج..
.....صلاة الجمعة ركعتان، و عندما لا تُدرك تُصلى ظهرا أي أربع ركعات.
10. شفت شوفة واشهدوا يا شهودي شفت الأثنى مسلمة والذكر يهودي.....
.....يومي العطلة (الجمعة) عند المسلمين و(السبت) عند اليهود.
11. ييدا بالتاء والتاء هي الشريفة لو يغيب السلطان تبقى هي الخليفة.....التيتم.

(*)- الفايح : السبي ، الغبي ، و ربما الأحمق.

12. إذا فاهم وقاري خبرني على الحرة في الطيور والحرة في الشجور(الأشجار) والحرة في الحجور(الأحجار)....
.....الحمامة ، الزيتون ، الحجر الأسود .
13. مَثْرَدْنَا(*) بشُواكَلُو(**) واحد ما يقدر ياكلو.....شهر رمضان.
14. كبش بكلاكلو و ما يقدر حد ياكلو..... شهر رمضان.
15. شجرتنا عالية و علات على ثلاثين مطرق رمات، في النهار مائة و في الليل حلات..... شهر رمضان.
16. على هدية من عند الرحمن للرجال و النسوان ما يكلها غير مريض بالعلة و إلا خارج من الملة. . رمضان.
17. إذا كنت فاهم و تفهم المعاني خبرني على اللي ييدا بالراء و الراء ماشي في المراري غلب الكبار و غلبوه
الذراري..... شهر رمضان.
18. جانا ضيف ضيفناه و ذبحنا لو طير كَلِيناه و مَشَّشْنَاه(***) نَفْض رُوحو و راح..... شهر رمضان.
19. على زوج خاوة ملاح واحد حلواني وواحد قباض لرواح " وقوله أيضا: " زوج خاوة، في كاف، واحد
صالح وواحد قباط لرواح..... عيد الفطر وعيد الاضحى(النحر).
20. على اللي بعثو الرب لا عندو أم لا عندو أب فك المطلوب من الطلب.....كبش سيدنا ابراهيم.
21. اللي يسمى بالكاف والكاف خيار ناس فك الحي من الموت جاب هلكة لراسو.. كبش سيدنا إبراهيم.
22. على اللي أسمو بالكاف والكاف حال بعيد خلق في أول الدنيا وعاش نهار فريد.. كبش سيدنا إبراهيم.
23. إذا كنت قاري وفاهم وتعرف واش الداخلى خبرني على المرا اللي خير من ألف راجل..... ليلة القدر.
24. على فرق حمام في الأرض هام، إذا ما شربش نهار، يغب عام..... فريضة الحج.
25. جاء الجيم وجاب القاف معاه أعطاه للميم خلاله وراح.....جبريل ، القرآن ، محمد(ص).

(*)- متردنا : قصعة خشبية يوضع فيها الطعام للأكل جماعة.

(**) - بشواكلو : أي الطعام بجميع أشكاله و أنواعه.

(***) - مَشَّشْنَاه : من الفعل مَشَّشَ: أزال اللحم عن العظم بأسنانه.

26. إذا كنت قاري وتعرف الحرف المخفي عَيْدَلِي (***) من خير الناس وما خيرش من ربي.....محمد(ص).
27. شجرتنا شجرة النيل مغروسة في هواها العرف فيه ستين يا سعدو اللي أداها..... القرآن الكريم.
28. على نادرنا (***) زبدة وطرافو رايب أحلى من عسل الشهدة و السفرجل طايب..... القرآن الكريم.
29. شجرتنا شجرة الطيب و أحلى من المسك في ورقها، إذا كنت ديب بن ديب اعرف لعروسة اللي في وسطها..... القرآن الكريم و سورة الرحمن.
30. على اللي واحد واثنين وعشرة وستين وخمسة وثلاثين.....الله، الرسول(ص) وصاحبه ابو بكر الصديق، العشرة المبشرون بالجنة من الصحابة ، عدد احزاب القرآن العظيم، الصلوات الخمس وشهر رمضان.
31. على أنثى حبلت بولد و ماهيش أمه شوفوا صنعة ربي ما ابعدها من دمه. ... النبي يونس على اللي يبدأ بالشين و حرف الطاء فيه وافي يكسر الحجر الصم و يحوّض الماء الصافي.....الشیطان.
32. راجل فتان أو سَبَاب الفتن في يده شرق وغرب الموت لابي (***) تريده..... الشيطان.
33. على اللي أسمو بالشين والشين (***) حاله، لا عربي حوه و لا رومي خاله.....الشیطان.
34. على شجرة لوبان مغروسة في كل أوطان ابنها سلطان و ابن ابنها شيطان.....الكرمة.
35. هي هي ما تتباع ما تتشرى إذا بكات من يصبرها وإذا رحلت حد ما يقدر يحكمها.....الام.
36. عمتي زرقة من كل بلاد تدي ورقة.....الموت.
37. هبة وهبات كل مهبي أكبر من النبي واصغر من ربي.....الموت.

(****)- عَيْدَلِي : اخبرني ، دُلِّي.

(**)- النادر : البيدر ، نادرنا ، بيدرنا.

(***)- لابي : أبي ، امتنع.

(****)- الشين حاله : الأمور الشائنة القبيحة هي حالته و من شيمته.

38. على بنت كارية (*) دار والدار وقَات كريتها خرجت البنت من الدار خَرَجَتْ الدار ريجتها.....الموت.....الكفن.
39. تشوفو ما تلبسوش تلبسو ما تشوفو.....الكفن.
40. نصنعوه ونبيعوه، ولي يشريه ما يحتاجو، ولي يحتاجو ما يشوفوش.....الكفن.
41. اللي يتوضى ما يصلي، واللي يلبس ما يخلي، واللي يخرج ما يوللي.....الميت.
42. زوج بنات قدقد(**) وحدة تبيع وتشري ووحدة ما شافها حد.....الذنيا و الآخرة.
43. هو مليح واصلو مليح ناكلو الراشي ونطيشو الصحيح.....التمر.
44. سطيبة قد الكف تهم مئة وألف.....فاكهة الرمان.
45. جدي يشمس طولُ تكمش.....فاكهة التين.
46. إذا كنت فاهم وتقرأ حروف النظر، خبرني على اللي من بَرّا خير من داخل ، و على اللي من داخل خير من بَرّا و على اللي كيما من داخل كيما من بَرّا.....التمر ، التين ، الرمان.
47. وجهها وجه الموت حلوة وتمد القوت.....البطيخ الاصفر.
48. حمرة ثلالي في كاف عالي.....العناب آو البرتقال.
49. حمّر حمّاير في السماء يطّاير.....العناب أو حب الملوك.
50. زوج خواتات وحدة حنّات والأخرى لَبَات.....الجزر واللفت.
51. خضرة في نباتها حمرة في رباطها وإلى ما أمنتش سقسي مولاتها.....الحناء.
52. حطينا ساسو وبنينا بنيانه راحنّا(ضاع منا) المفتاح وَقَعْدَنَّا(بقي لنا) ربي سبحانه.....القبر.
53. بير أمبيرّ في الأرض مشيرّ، ما يشربو منو الشرّابة، ما يورث منو الوراثّة.....القبر.

(*) - كارية : مستأجرة من الإبحار

(**) - قدقد : متساويتان

54. يا فاهم جاوبني على المدينة كاينة (موجودة) والحس (الضحيج) ما كانش، الكتان كاين والبيع ما كانش .. المقبرة..... المقبرة.
55. إذا كنت فاهم و تفهم المعاني خبرني على اللي ما تولدش وعندها الذراري..... المقبرة.
56. سلسلة مسلسلة فيها حوك وفيها بوك وفيها سلطان الملوك..... المقبرة.
57. عندي بقرة في طابق راقدة، لولادة ما تولد، وهي في كل يوم تزيد..... المقبرة.
58. على اللي أسمو بالحاء وتبدّل حالو جاب طفلة زينة دّاوهالو..... الحليب و الزبدة.
59. على اللي يسمى بالحا والحا هي حروفو خلقت عندو طفلة وداوها من جوفو..... الحليب و الزبدة.
60. عمي عبد الصمد شاف شوفة قال اشهدوا يا عيوني شفت الطفلة تخرج من الطفل وإذا كذبت أقتلوني.. المقبرة..... الحليب والزبدة.
61. ثلاثة وقوف والرابع منسوف (*) والخامس يضرب ويشوف..... القرية التي يمخض فيها الحليب.
62. عدّيت (مررت) على بيوت شفت الرجال يزغرتو والنساء سكوت... صياح الديكة و صمت الدجاج.
63. لالة منانة لابسة ميات (100) كتانة و تحت الركبة عريانة..... الدجاجة.
64. ذبحت المعزة وما سلختهاش وكّليت بنتها وما ذبحتهاش..... الدجاجة و.البيضة.
65. سبيكة ذهبية في جبل الياقوت ما صنعها صانع ما دخلت حانوت..... القمر.
66. سبيكة فضة جات من جبل ياقوت ما خدمها يهودي ما دخلت حانوت..... القمر.
67. زوج كسرات (خبزات) في مدينة، وحدة تنقسم و وحدة كاملة ديما..... القمر و الشمس.
68. قنطرة عاشقة ما في السماء معلقة ما في الأرض لاصقة..... قوس قزح.
69. ييكى بلا عينين ويمشي بلا رجلين ويطير بلا جنحين ما عندو خشم ما عندو ودين..... السحاب.
70. يمشي بلا راس ويجفر بلا فاس..... النهر.

(*)- أي منفوخ (جلد).

71. اسمها بالسين ما هي سبتة(**) ما هي سكين لبنات اطناش (12) والدراري ستين (60).....الساعة.
72. على أنثى وفي الأرض موانستي حدثها ما جاوبتي وفهمتها واش قالت ليالساعة.
73. لالة يالزينة يالمحزومة بالزين هي ميتة ومصارنيها (أمعاءها) حيين..... الساعة.
74. قاعد مربع والخير يجيه لكلام ما يتكلمش والحق يعطيه.....الميزان.
75. قايد متقيد والناس دايرة بيه هو ما يهدر والحق ما يعمى عليه..... الميزان.
76. تعطيهها تأكل تكبر، تسقيها بالماء تموت، وكل كافر عليها يفوت..... النار.
77. النمسة بنت النمسة تسبق السلطان للبسة (للباسه)..... الابرة.
78. على بنية تعجبنا خدمتها حتى الملوك يلبسوا فضلتها..... الابرة.
79. البيضاء مبهها دموعها على خدها وهي صابرة لمولاها.....الشمعة.
80. تبكي وتحن على الناس وكى تموت ولا واحد يبكي عليها..... الشمعة.
81. فارسنا عوام و على راسو حديدة كلما يغطس يجيب كلمة جديدة..... القلم.
82. ياجماعة يافاهمين يا اللي تُسمعو في الميدان، خبروني على اللي يمشي فوق راسو ويتكلم بلا لسان..القلم.
83. يغلب بويا ويغلب بوك ويغلب سلطان الملوك..... النعاس.
84. على اللي يبدأ بالنون و النون غلبت النساء و الرجال و طيحت الغزال من فوق الجبال..... النعاس.
85. ركروك(*) بن ركروك يخبط راسك وراس بوك..... النعاس.
86. أنا نسكن في الشمال، مرة حزين، مرة فرحان، و اللي يعرفني انسميه سيدي السلطان..... القلب.
87. طير الحياحية ساكن في لدماس(**) ما عندوش وذييه و يسمع كل الناس ، ما عندوش عينيه و يُشوف كل الناس، ما عندوش رجله و ما يشبع من التحواس.....القلب.

(**) - سبتة : جزام

(*) - ركروك : لفظة لا معنى لها هنا (لتحقيق الجرس الموسيقي).

88. لالة أم الزين و ما تزيان غير هي كون للبيع نشرها غير هي.....الصحة.
89. لالة أم الريش و الريش داير بما تعطيني مية و ألف و ما نفرط فيها..... العين.
90. ثلاثة عدواني لو ما هما نروح لقبري هاني.....السمع والبصر والفؤاد(القلب).
91. على اللي طوله شبر و عرضه شبر فيه المالح وفيه لحو و فيه المر.....الرأس.
92. مقربع كي الدلاعة وفيه اثنين، فيه القاضي وفيه المفتي وفيه شهود ثنين.....الرأس.
93. على ذيب مُذَيَّب رغوتو تشيب ماذا يشرب من مُرار ويقول طيب.....اليتيم.
94. حلوة كي التمرة مرّة كي الدفلة كبيرة كي لجمال صغيرة كي النملة.....الدنيا.
95. ميت مكفن والنار تاكل فيه زوج ماسكينو(*) وثلاثة شهود عليه.....السيجارة.
96. على اللي فيه السبع وفيه الغولة(**) و فيه النار مشعولة.....المسدس أو المدفع.
97. على كاكب بن كاكب(***) لعمى يمشي و الصحيح راكب.....السيارة و قائدها.
98. جدي هدار و شلاغمو(****) فوق الدار.....الثلفاز والهوائي.

3- ملحق الأمثال:

1. ابحت على دينك حتى يقولوا هذا مهبول.
2. الدنيا بالدالة والآخرة بالفعالة.
3. اللي تعرفو خير من اللي ما تعرفوش.
4. زيتنا في دقيقنا أو زيتنا في بيتنا.

(**) - لُدّماس : الظلام (تحريف عن الدامس : شديد الظلمة).

(*) - ماسكينو : ممسكون به.

(**) - الغولة : الشخصية الخرافية المشهورة.

(***) - كاكب : لفظ لا معنى له هنا ، وإنما ورد لتحقيق الجرس الموسيقي.

(****) - شلاغمو : شواربه (شبابه).

5. خذ طريق العافية ولو دايرة وخذ بنت العم ولو بايرة.
6. مَلَسْن من طينك يَسْجَى لك .
7. الزيّاة تَدّي الزيّات.
8. قص اللحم على المفصل وأدي بنت الأصل.
9. السلالة سلالَة والعزق جَبّاذ.
10. الحنش ما يولد غير اللي أطول منو.
11. السبّيع والحلّوف (*) والكل، هو وأباه معروف.
12. أدي أمرا ونصّ إذا راح النصّ تبقى لمراً.
13. لا يغرك نوار الدفلة في الواد داير ظلايل ولا يعجبك زين الطفلة حتى تشوف لفعايل.
14. الزين ما بنى ديار. أو الزين ما دار الدار.
15. الزواج همّ ديما يحتاج تديبر عام و ليلة.
16. اللي عينو يَفْلَسْ بيني و إلا يُعْرَسْ.
17. الجار وصى عليه النبي.
18. اقفل باب دارك و ما تُخَوّش جارك .
19. عَسْ دارك وما تُسَرِّقش جارك.
20. ربي خلق النّيف للنّيف ماشي للخبّونة.
21. اللي معندوش النّيف غير إيقطعو.
22. ضرب السيف ولا ضياع النّيف.

(*)- الحلّوف: الخنزير.

23. اللي معدوش التَّيفُ يستهل ضربة بالسيف.
24. معيشة الحيف (***) ولا ضياع النيف.
25. مول النيف شريف ولو جيبو حاوي.
26. الحالة حالة مساكين والنفس نفس سلاطين.
27. هون فلسك ولا تمون نفسك.
28. نُحَفَّ (*) بالفاس وما تَطْلِبْش (***) الناس.
29. نَسَفْ (***) التراب وما نطبطبش فالباب.
30. عز من قنع و ذل من طمع.
31. الموت ولا معيشة الذل.
32. نفس فايشة (****) خير من كلبة عايشة.
33. عيش نهار سردوك وما تُعِيشْ عام حاجة.
34. اللي مات أتهنَّا موت الشرف ولا قَعَاذُ المِنَّة.
35. الموت في اخذ الثار خير من المعيشة مع العار.
36. ما يمحي العار غير النار.
37. الشرف في الثار ولا الجنة مع العار.
38. الموت وحدة والعار ما يزيد في لَعَمَاژ.
39. انا نُقولك سيدي وأنت اعرف مقامك (قدرك).

(**) - معيشة الحيف : الفقر و الحرمان، والفاقة.

(*) - نُحَفَّ : أخلق شعري.

(**) - مانطلبش : لا اسأل الناس متاعهم.

(***) - نَسَفْ : أأكل ، ازرد ، ابتلع.

(****) - نفس فايشة : نفس عزيزة، أبية.

40. أنت قوللي سيدي أنا نعرف مقامك.
41. ما يعرف قيمة الرجل غير الرجل.
42. كي الذهب عمرو ما يُصَدِّدْ، (يصدأ).
43. اللي آذاك آذيه ولو أجلك فيه.
44. اللي باعك بالفول بيعو بقشورو.
45. اللي باعك بالرمان بيعو بَلُّوشُو.
46. اللي دار بينك وبينو خيط دير بينك وبينو خيط.
47. العدو ما يرجع صديق والنخالة ما ترجع دقيق.
48. العدو ما يُصَيِّرُ خَبِيبٌ حتى يُصَيِّرُ الحمار طُيبٌ.
49. كل عود ودخانته.
50. كل جنس يهوى جنسو.

4- ملحق النكت الشعبية:

- 1- دخل الطفل بعد صلاة الجمعة فسأله أبوه: أين كنت؟ قال كنت في الجامع. فقال الأب: هل حضرت الخطبة؟ قال: نعم... فقال: عن أي شيء تكلم الإمام؟ فقال الطفل: تكلم عن الكفار. فسأل الأب: وماذا قال عنهم؟ فأجاب الطفل: يظهر من كلامه انه كان ضدهم...
- 2- قال المعلم للتلميذ: هل تعرف أين تقع الكعبة؟ قال: في بيتنا. قال: في بيتكم؟ ! قال الطفل: نعم علقتها أمي فوق الخزانة...
- 3- قرأ الطفل: ((لا اقسم بهذا البلد ووالدي بلا ولد)) فلما سمعه أبوه قال: صدقت إنه لكذلك.

4- وقف طفل ليحيب على سؤال المعلم: كم هي قواعد الإسلام؟ فلم يعرف الجواب وسكت. فقام طفل آخر

وقال: قواعد الإسلام خمسة: الخنصر، والبنصر، والوسطى، والسبابة، والإبهام، والسلام...

5- قال المعلم للطفل: بماذا نصيفُ شهر رمضان؟ قال: بالزلاية و الفطائر ...

6- قال المعلم للطفل الصغير: نحن كلنا أبونا آدم وأما حواء فغضب الطفل وقال: لا، أنا أبي (مسعود) وأمي

(حليمة)

7- سأل المعلم التلامذة: من قتل عمر؟ فلم يجيبوا، فعينَ واحدا منهم وسأله... فقال: والله ما قتلته أنا

يا سيدي...

8- قال معلم الأخلاق للطفل: حين تكون جالسا في الحافلة ثم يقف أمامك شيخ كبير ماذا تصنع؟ فقال

الطفل: أتناوم...

9- سأل المعلم التلميذ المتخلف: ما سبب تأخرك؟ قال: رجل سقط منه دينار. فقال المعلم: وما علاقة ذلك

بتخلفك؟ فقال الطفل: بقيت انتظر حتى يتفرق الناس... فقال المعلم: لماذا؟ فقال الطفل: لأني كنت واقفا

على الدينار...

10- مرّ طفل في الشارع، ورمى قشرة موز فلامه رجل وقال له: ألم يقل لك معلمك أن نظافة الشارع واجبة؟

قال: هذا الدرس نكتبه في الأسبوع المقبل

11- قال المعلم للطفل: اذكر ثلاثة حيوانات ناطحة. فقال الطفل: الثور والكبش وإسكندر ذو القرنين...

12- سأل معلم الجغرافيا الطفل: أين تقع الخرطوم؟ فأجاب الطفل: يقع الخرطوم في رأس الفيل...

13- قال طفل لآخر هل تستطيع ذكر خمسة أسماء تطير؟ قال: نعم، هي: العصفور والغراب وثلاث دبابات...

14- قال المعلم: اضرب 1×1 فقال الطفل: لا اضرب أحدا... لقد قلت لنا لا تضربوا أحدا...

- 15- سأل المعلم التلميذ: ما هو الشيء الذي لا نقدر أن نلمسه بأيدينا؟ فأجاب الطفل: حديدية حامية... .
- 16- قال الطفل لأمه: أتيت بدفتر الامتحان. فسألته: وما هي ربتك؟ فقال: الثانية. قالت: وكم عدد التلاميذ؟ قال اثنان فريد وأنا... .
- 17- غضب الأب على ابنه الصغير الذي أعاد السنة الدراسية مرة ثانية وقال له: انك وحدك الذي أعاد السنة الدراسية، كل زملائك نجحوا. فقال الطفل: لست وحدي حتى المعلم أعاد معي السنة... .
- 18- ضحك الطفل، وقال لأمه: لقد تعلمت شيئاً مهماً في المدرسة اليوم. فسألته: وما هو هذا الشيء المهم؟ قال: يظهر أن ملوك فرنسا أيضاً كان لهم خليلات... .
- 19- سأل المعلم التلميذ: هل تدري لماذا اخرج آدم وحواء من الجنة؟ قال: لأنهما لم يدفعوا أجره الكراء... .
- 20- قال معلم العلوم للطفل: أنا فتحت الصنبور صباحاً وكان البرد شديداً والثلج ينزل بغزارة فلم ينزل الماء من الصنبور لماذا؟ فقال الطفل: لا بد أن البلدية قطعتة... .
- 21- قال المعلم: أعرب (مات الرجل). قال الطفل: (مات) فعل ماض، و (الرجل) فاعل... فقال المعلم والفاعل ماذا يكون؟ فقال الطفل: يكون (مرفوعاً) على النعش... .
- 22- سأل المعلم التلميذ: ما هي مهنة أبيك؟ فقال الطفل في بساطة: مهنته سارق... .
- 23- قال المعلم للطفل: أتعلم ماذا يحلّ بالأولاد الكذابين إذا كبروا؟ قال: نعم، يعملون في دور الإشهار و المحلات التجارية الكبرى ويكتبون في الجرائد... .
- 24- سأل المعلم الطفل: أين يشتغل أبوك؟ قال: في الرحي. فقال: إذن هو طحّان. فغضب الطفل وقال للمعلم: أنت هو الطّحّان... .

25- اتب أب ابنه الصغير على إهماله دروسه فقال: أتعلم أن (تشرشل)^(*) كان أنجب تلميذ في المدرسة حين كان في سنك؟ فقال الطفل: و تعلم انه كان رئيس الحكومة حين صار في مثل سنك...

26- سأل الطفل أمه: لماذا ثوب العروس ابيض؟ فأجابت: لان البياض رمز السعادة والسرور. فقال الطفل: لهذا يلبس العريس ثوبا اسودا...

27- قال الطفل لأبيه حين رأى أتاناً (حمارة) تتبع حماراً: هل الحمار يتزوج يا أبي؟ قال الأب: لا يتزوج إلا الحمار يا بني...

28- قال الطفل لأبيه الأصلع: لماذا يا أبي لا يوجد شعر في رأسك؟ قال الأب: لأني اشتغل برأسي كثيراً؟ فقال الطفل: لذلك أُمي ليس لها شنبات (شلاغم) لأنها تشتغل بفمها كثيراً...

29- قالت البنت لأُمها: لقد فسخت خطبتي من فلان... فسألته: ولماذا فعلت؟ قالت: لأنه كافر لا يؤمن بجهنم. فقالت أمها: لو صبرت قليلاً لرجع عن رأيه وآمن بها بعد أن يتزوج بك...

30- نصح رجل متزوج شاباً فقال له: إن الزواج نصف الدين، ثم لا تنس أن نصفه الثاني الطلاق...

31- حضر شهود حفلة عقد زواج وبعد إتمام الحفلة اعتذر لهم العريس عن المبلغ الضئيل الذي أعطاه لهم... وقال لهم: سأعوّضه لكم إن شاء الله في حفلة الطلاق...

32- مات الزوج فتعاقدت الزوجة مع قارئ للقرآن الكريم (طالب) على أن يقرأ كل ليلة القرآن على زوجها.

وذات ليلة أرقت فخرجت من غرفتها ومرت على غرفة - الطالب - لتسمع القرآن فوجدته نائماً، فأيقظته

وخاف أن توقف العمل بالعقد فقال لها: لقد نمت عمدا هذه الليلة لأتأكد أن ثواب القراءة يصله... فسألته:

وهل تأكدت؟ قال: نعم لقد رأيته في الجنة جالسا بين سبعين حورية حسناء. فغضبت وقالت: كفى! لن نقرأ

(*)- تشرشل: رئيس وزراء بريطانيا.

عليه بعد هذه الليلة. فسألها: لماذا؟ قالت: أنا اصرف مالي من اجله وابكي عليه وهو يستبدلني بنساء الجنة... لا والله لن أفعل معه شيئا بعد الآن !

33- استدبر القبلة أحدهم في الصلاة فقبل له: توجه إلى هذه الناحية لأنها هي القبلة. فقال: لا أستطيع أن التفت إلى تلك الجهة لأن حماتي تسكن من هناك...

34- كان رجل يصلي و يدعو الله أن تأتي حماته لزيارة ابنتها، فقال له ابنه: كيف تدعو الله أن تجيء وقد كنت تكرهها؟ فقال: مازلت اكرهها، ولكنني الآن أريد أن تجيء لأن أسدا هرب من السرك...

35- قال احد الحجاج: حججت هذه السنة مع حماتي. فقال له رجل سمع كلامه: لماذا تحج وأنت غير مستطيع؟ قال: كلا بل مستطيع. فقال الرجل: لا، لأن الحج واجب على المسلم العاقل، وأنت حجت معك حماتك فلست عاقلا، ولهذا أنت غير مستطيع...

36- قال الإمام في درس الوعظ: يجب أن لا يعادي المسلم آخاه المسلم أكثر من ثلاثة أيام. فقال احد الحاضرين: هل الحماة داخلة في هذا الحساب؟...

37- قال الإمام وهو يوصي حماة الرجل الواقف معها: من حقه ومن حقه أيضا تغيير المنكر باليد أو باللسان أو بالقلب على الأقل. وفي هذه اللحظة دفعت الحماة كلبا يرمّ أمامها مخافة أن يُنجس ثوبها، دفعته برجلها، فقال الرجل للإمام: انظر يا سيدي، إنها تغيّر المنكر برجلها...

38- قال الشرطي لرجل يقطع الشارع في جهة ممنوعة: ألا تستطيع أن تمشي مع الناس في المكان المخصص للعبور؟ قال: لا أستطيع أن أمشي معهم. قال الشرطي: وكيف لا تستطيع؟ فقال الرجل: لأن حماتي تمشي معهم...

39- جاء رجل إلى الطبيب يحمل كلبا و طلب منه أن يستأصل له ذيله، فقال الطبيب: ما ذنبه حتى تقطع له ذنبه؟ قال: السبب يا دكتور أن حماتي ستزورنا فأردت أن لا ترى في البيت أي حركة تدل على الترحيب...

40- ركب رجل في قطار معه حماته و حماة أخيه، فطلبت واحدة من رجل واقف أن يفتح النافذة لكي لا تختنق، واحتجت الثانية لأنها تموت لو فُتِحَت النافذة... فقال للرجل: اعمل معروف، افتح النافذة مدة حتى تموت الثانية، ثم بعد ذلك أغلقها حتى تموت الأولى...

41- مات رجل فدعت زوجته الغنية احد (الطلبة) أي قارئ القرآن يقرأ عليه القرآن مقابل دينار في كل يوم.. فقرأ من سورة الحاقة: بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ ((خُذُوهُ فَعُلُوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِیْمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32)).. فقالت له الزوجة: كيف تقرأ هذا الكلام على زوجي؟. فقال لها: بدينار واحد تريدین أن اقرأ علیه جنات تجري من تحتها الأنهار؟...

42- وقفت امرأة في الحافلة بجانب رجل جالس، ولما لم يقم لها قالت لامرأة أخرى واقفة: أرأيت يا أختي كيف يجلس الرجال و تقف النساء؟ فقال الرجل الجالس: كنا نقوم لكن قبل أن نصبح متساوين...

43- رأى احدهم رجلا يحمل مسبحة في يده يُسَبِّحُ بها - وليس ذلك من عادته - فقال له: كيف صرت تسبح اليوم؟ فأجاب: الوقاية خير من العلاج، فقد وقعت أمس سرقة بقريتنا...

44- تخلف أطفال عن الحضور إلى القسم في احدي المدارس في الفترة الصباحية، فلما حضروا في المساء سأل المعلم احدهم عن سبب تخلفه فقال: في الطريق مات بغلنا الذي يحملني إلى المدرسة فلم أتمكن من الحضور في الصباح. ونفس الجواب أجاب به بقية التلامذة السبعة، إلا الثامن قال: لم يكن أبي يملك بغلا فحئت راجلا ولكنني وجدت الطريق إلى المدرسة مسدودا بالبغال الميتة...

45- التقى رجلان في الطريق فأحبا أن يتعارفا، فسأل الأول الثاني: ما اسمك؟ قال: عبد الله بن عبد العزيز بن احمد بن محمود بن حليلة. فقال الثاني للأول: وأنت ما اسمك؟ قال: اسمي عبد الرحمن الرحيم ملك يوم الدين إياك نعبد وإياك نستعين...

46- سأل الأب أحد أبنائه وقال له: هل أضفتم إلى الصوف مقدارا من التراب؟ قال: نعم. وزاد هل أضفتم إلى

اللبن مقدارا من الماء؟ قال: نعم. قال: وهل أرسلتم كل ذلك إلى البيع؟ قال: نعم. قال: هيّا الآن إلى الصلاة.

47- غاب يهودي عشرين سنة وحين رجع، رجع بلحيته طويلة، فسئل عن السبب، فقال: السبب أنني نسيت

الموسى هنا...

48- سأل الصديق صديقه الذي يعمل في شركة للحليب: كم لنا حلبتم اليوم؟ قال: مائة. قال: وكم بعتهم؟

قال: مائة وعشرين فقط. قال: ولماذا فقط؟ قال: لأن الماء كان مقطوعا اليوم...

49- وجد احد الفلاحين اثر حمار دخل بستانه و عاث فسادا فيه ، فاخذ هراوته وبحث عن الحمار المجرم ، فلم

يعثر عليه ، فذهب إلى حمار جاره المربوط وانمال عليه ضربا... فقيل له: هذا ليس هو الحمار المعتدي. قال:

أعرف، و لكنه لو أطلق فعل أكثر من الحمار الآخر...

50- أرسلت امرأة في الريف قفص دجاج إلى أخيها في المدينة، ورمى صاحب الشاحنة القفص فتحطم و خرج

الدجاج يجري في الشوارع فجري وراءه الرجل وأولاده... وبعد يومين وصلت أخته فقال لها: الدجاج الذي أرسلتيه

إيَّ هرب من القفص و لم نمسك إلا عشرين دجاجة فقط، فقالت له: أنا أرسلت سبع دجاجات فقط...

51- قال رجل فيلسوف دميم وهو يقدم لضيوفه الخبز والبصل: لا تتخرجوا من البصل فان من يأكله ينجب

أطفالا حسانا... فقال له احدهم: يظهر أن المرحوم أباك لم يذق البصل طول حياته...

52- قال الطبيب للمريض: هل يضايقك شيء في الوقت الحاضر؟ قال: ثمن الفحص...

53- التقى ثلاثة: احدهم يدعي أنه ينظر جيّدا فيرى الأشياء واضحة من مسافة بعيدة، و الثاني يدعي انه يسمع

جيّدا، و يميّز الأصوات من مسافة بعيدة أيضا، و الثالث (يكفر) كثيرا.. فتعجب الرابع ولم يصدّق...وأخيرا أراد

أن يمتحنهم فسأل الأول: ماذا ترى الآن؟ قال: أرى في ذلك القصر البعيد بنت صاحب القصر وخاتمتها يسقط

من أصبعها. قال الثاني: نعم لقد سمعت صوت سقوطه. فقال الثالث: هذا الذي يجعلني (أكفر) (*) كثيراً...

54- التفت الرجل إلى الواقف بجانبه في المحطة و سأله: أهذا شاب أم شابة؟ و أشار إليه ... فقال الواقف

للسائل: عجباً منك إنها ابنتي (مليكة). فقال: معذرة يا سيدي ما ظننت أنك أبوها و إلا ما سألتك. فقال

الواقف: لست أباهاً إنما أنا أمُّها...

55- نصح صيدلي صديقه و قال له: انك تشتري بكثرة هذه الادوية الكيماوية و ان استعمالها باستمرار فيه

خطر كبير . قال: لا تخف فأنا اشتريها لحماتي...

5- ملحق الحكايات الشعبية:

1- السابعة صغرونه-

حاجيتك ما جيتك لو كان هوما ما جيتك، كان في زمان بكري وحد الراجل عندو سة ابناات والسابعة صغرونه

وكان عندو كلب ايقولولو " زعبير "، وحد النهار جا هاذاك الراجل عازم للحج ووصى الكلب " زعبير " على

ابنااتو ، وهو امشى للحج.. والغولة جات لبناتو وقاتلتهم أنا خالتكم وحابه انجي ابناات معاكم، صغرونه قاتلتهم

هاذي راهي غولة وجاية تاكلنا.

أغدوة يا سيدي - جات الغولة ومن ابعيد اتعني " :أنا الغولة ناكل سبع ابناات والسابعة صغرونه " يجاوبها

الكلب " :وأنا زعبير وأنا زعبير وصايي سيدي اعلى بناتو وهب هب .. هب. " خافت الغولة وماقدرتش اتقدم

(*)- أكفر : هنا معنى أفقد صوابي.

ثارت قالت للبنات اضربو الكلب ضربوه وصغرونة ما تشتيش اعليه واتقولهم بابانا هو اللي وصاه باه يعس علينا. في كل ما اتجي الغولة يوقفلها زعيير حتى ألوحد النهار قالتلهم لازم تكتلو الكلب و اطيشوه فالواد، حكمو هو ما الكلب ضربوه انمات وطيشوه فالواد ، ذيك الساع جات الغولة باتت عندهم وكانت اتكسر لعظام وتعطيلهم ياكلو غير صغرونة كانت ماتكلش، وحد النهار قالتلهم فالليل لازم نخبو وراي انجي نخطلكم لعسل في افامكم باه انوضكم ، روح - آسيدي - كي عسعس الليل اللي تحطلها لعسل في فمها باه تنوض تقولها: "محلاه يا اختي زيدني اشوي، كي ماحبوش اينوضو ملت صغرونة اشلامتها(متاعها) وهربت. اجرات اجرات و اتغني": يا لقمير اللي ضارب في بيتنا . في بيتنا.. يا ادري اخواتاتي اتكلو والا مزالو"، يقولها لقمير راهي اكالات لوله ، اتزيد تجري تجري و تعاود اتغني": يا لقمير اللي ضارب في بيتنا .. في بيتنا .. يا ادري اخواتاتي اتكلو والا مزالو"، يقولها لقمير راهي اكالات الثانية ... حتى قالها راهي خلصتهم وراهي لا حقاتك ، هي تجري والغولة لاحقه وراها ، كي لحقت للواد قاتلو": انشف يا واد لعسل والسكر "انشف الواد عقببت صغرونة وععود ارجع الواد كيما كان لحقت الغولة وقالت لصغرونة واش قتليلو قاتلها قتلو": احمل يا واد لحما والجرا وجيب ما فيك، قالت الغولة "احمل يا واد لحما والجرا وجيب ما فيك" فاض الواد اداها حكمت فالعرق تاع الصخرة ، وكملت صغرونة هاربة... خرجت الغولة من الواد ولحقتها.صغرونة وصلت الوحد الغار دخلت فيه ألقات فيه "اسمميع بلحنش" درقها، كي لحقت الغولة قالت لسمميع بلحنش أعطيني أمانتي والا نخرقلك الغار، قالها روحي لا ننسف اعليك نقلبك طوبه ، عاودت قاتلو الهدرة بدات، رد عليها كيف كي، زادت عاودت زاد عاودها الهدرة ... انسف عليها قلبها طوبة.

ازوج اسمميع بلحنش بصغرونة وجاب معاها اطفل عاد عندو ربع اولاد، وصغرونة تشتي بنها وتكره اولادو، قاتلو لازم تقرصهم باه ايموتو نتهناو منهم، المرة اللولة خباتو قلعامة تاع الكسرة جاو قالوها اعطينا الكسرة ، قاتلهم روحو اجبدو وحدكم لكبير فيهم فاق وقالهم خليوني اروح نبجدلكم أنا، كي حل لعمارة القى ايبو قالو واش ادير

هنا ،قالو راني نُحُوْس على اشدق (قطعة) كسرة اطري، قالو اخرج من ثم ، فالمرّة الثانية زادت خباتو صغرونة فالطلاعة تاغ التمر، جاعو لولاد قالو لصغرونة اعطينا شوية اتمر، قالتلهم روحو اجبدو وحدكم، خوهم لكبير زاد القى ابيو ثم، قالو واش ادير هنا، قالو نُحوس على حبيبات اتمر طريين ، قالو اخرج من ثم ، زادت صغرونة خباتو فالقربة تاغ اللبن، كي جاو لولاد قالولها حابين نشربو اشويه البن قالتلهم روحو كبو وحدكم، راح خوهم لكبير زاد القى ابيهم ثم ... فاق باللي ايجوس يقصرهم.صغرونة خممت وكمرت (لّفت) اسميميع بلحنش فالحنبل قالت لولادو روحو اغسلو الحنبل، كي وصلو للواد وجاو يجلوه باش يغسلوه خوهم لكبير قاهم حبسو، ضرك نغسلوه بالرزامة ، هن الرزامة ويضرب فالحنبل .. يضرب فالحنبل.. كي حلو الحنبل باش ينشروه القاو ابيهم ميت.مبعد الطفل لكبير وخوه اللّي قل منو (أصغر منه)صدو من الدار ، وابقات صغرونة

مع بنها واريبيها، كي كبرو عادو يخرجو يخدمو، وكي ايجيو صغرونة اطيب الكسرة تاغ الصدر (السميد الصافي) البنها ، وتاغ النخالة لريبيها.ألوحده النهار حطو يتعشاو وهي دارت السم لريبيها في جيتهو، فاق هو ناض طفا الضو ودور المثرده جا السم في جيتهها اكالات ماتت.ابقاو هاذوك الخاوه حتى ألوحده النهار اريب صغرونة قال الخوه أنا صاد(ذاهب) ، واقبل ما ايصد اغرس زوج صحجرات(شجيرتين) وقال الخوه هاذي آتاعي وهاذي آتاعك ..إذا ذبلت صحجرتي اعرف باللي مت. صد اريب صغرونة امشا امشا امشا ... حتى اوصل الوحده الغابة اسمع لغوال ترامقو صوت لغوال وايقولو "ناكلو اللحم ونمششو لعظم .. ناكلو اللحم ونمششو لعظم."ادرق اقعد ايطل شاف سبعة وسبعين غول .. اتكلم واحد منهم قال:"اتحلي يا ساكره" اتحل لجبل دخلو ،ازمان وعادو خرجو قال:" اسكري يا ساكره." قال و الله غير انشوف واش كاين ، قال كيما قالو هوما:" اتحلي يا ساكره"القي الماكله والذهب والقي لعباد ميتين ولعظام، لم الذهب وكي جا يخرج انسى واش ايقول اقعد ثم، كي جاو لغوال اتعرى وارقد مع الموته، دخلو لغوال قالو:" ريجة لعباد في دارنا"اماله واحد من الموته حي ثارو حماو السكة وحطوها عالموته كي حطوها عليه عيط ، حكموه ذبحوه اكلاو الرمة وعلقو راسو على باب لجبل.

خوه فالدار يشوف فالصخرة اذبالت قال لازم اروح انخوس على خويا ، امشا امشا امشا... حتى اوصل للجبل القى راس خوه معلق ثم ، اقعد ايعس حتى جاو لغوال ، خمم.. راح لم الناس وقاهم لازم نعرضو لغوال للعشا ونخفروهم حفرة اكبيرة وانخطو فيها لخطب. روح -آسيدي- ذبحو ابغل وداب ودارو لعشا وعرضو لغوال دخلوهم حطوهم لعشا هوما يتعشاو صكرو عليهم و شعلو النار اتحرقو لغوال. احنا امشينا الطريق الطريق وهوما امشاو طريق لحريق ، احنا كلينا التمر وهوما اكلاو لجمر.

2- القط بو سبع ارواح-

كانوا جماعة متوجهين للحج، اتكلم واحد من جيرانهم قاهم يا جماعة أنتوم رايجين للحج نتمنالكم توصلو بخير وعلى خير، بصح ياسي فلان (واحد من الجماعة) انوصيك جبيلي هدية، قالو هيه، امشاو اهنا هنا هنا ... عالزوايل والدواب يعمرو بلاد- وما يعمرها غير ربي الجواد -لحقو للحج جوزو الفرياض خلصو جاو باش ايروحو اتفكر السي فلان اللي وصاه عالهدية و قال لازمني نديلو هدية، ألقاو قط يبيع فيه مولاه، قالولو بقداه هاذ القط، قاهم بظه ، أعطالو حقو وادا القط لاحو فالشكارة وامشاو ليه ليه ليه ... عمرو بلاد و يخليو بلاد. وصلو لهاذوك القبائل اللي يحكمهم سلطان، آسيدي-السلام عليكم -و عليكم السلام، قالوهم اضيف، قالوهم اضيف الدار و الا اضيف الجامع، قالوهم كي عاد كاين الجامع انباتو فالجامع منها انصليو و منها نباتو، كي وصلهم هاذك السيد قاهم مرحبا آني اهنا، جابلهم لعشا وصلوا مع بعضاهم، قاهم السيد يا جماعة حاذرو رواحكم. قالولو لاه. قاهم آو عندنا الجرد اللي يلقاه راقدا لا ما غزلو شواربو يغزلو رجلو ... واين لقا الضربة يزدم. قالولو لاه ما عندكم باه تكافحوه. قاهم السلطان انتاعنا اخبط اخبط... ما دار والو. قالولو يا ولدي يرحمها ربي أحنا في سبعة، سته يرقدو أوواحد عساس، والّا خمسة يرقدو وزوج بياتو يجرسو. هو صد هاذك السيد أوهوما جبدو القط مالشكارة، دارلو الخيط في رقبتو باه ما عندو واين ايروح وطولو الخيط، هوما رقدو والقط هاذك جا فالباب تاع المسجد الجرد اللي ايجي يضربو بلكف يجيبو لهيه، الجرد اللي ايجي يضربو بلكف يجيبو لهيه... اصباح لقاو وحد

الربعين جرد عرمهم القط تعرام وما كلاهمش، كي جاو لجماعة صلاو الفجر وصلواو الصبح، والجماعة درقو القط آتاعهم، جا السيد جابلهم القهوة، جابلهم لفطور، شاف العرام تاع لجرودة قاهم هاذا كيفاه.

قالولو عندنا مطرق وزوج باتو حراسة الجرد اللي ايجي يعطيوه. قاهم احنا الكفاح انتاعنا أ كل ماكتلناش هاذ العدد. آسيدي مرحم الوالدين، بقاو يشايخ ... و امبعد قرولو الصبح، قالولو عندنا باش انكافحو هاذ الجرد، باه؟ فتحولو الشكارة شاف القط، راح يجري للسلطان قالو راه جاوينا جماعة ضياف وقمت بيهم وراهم جابو معاهم وحد الحية (القط) وراهو آكتل وحد الربعين والا خمسين جرد لقيناها ميتة. قالو السلطان جيبهم.

جالهم قاهم يا جماعة السلطان راهو حاب يتشرف بيكم يا حجاج، هزو الشكارة وامشاو للسلطان. قاهم :

كيفاه كافحتو الجرد؟

قالولو: كافحناه بالقط هاذا.

قاهم: يا جماعة هاذ الحية (القط) خليوه لي.

قالولو: يا ولدي القط هاذا راهو هدية، راهو عندنا جار ماعندوش باه ايروح للحج وصانا على هدية وقريب انسينا واشرينالو هاذ القط. قاهم يا ولدي القط هاذا مايتحركش من هنا، عيط للخدام تاعو قاهم اديو القط ألبيت المال وخليوه واقف وغطيوه باللويز الشي اللي غطاه هزوه ديروه فالساشي هاذايك واديوه لجاركم هدية خير مالقط، جابولهم اللويز هاذاك ايجي وحد القلبة والا أكثر.

هزو اللويز وامشاو امشاو.. هوما عادو في نص الطريق اوهوما خانتهم النية - يسمى الحج انتاعهم كان غير

صحيح - قالو كيفاه نديو هاذ المال لفلان هكذا إوولي علينا سلطان والا أغنا الأغنياء، قالو نقسمو هاذ المال.

قاهم صاحب لامانة لالا أنا حجيت ولازم انبلغ الهدية. قالولو نقسمو والا نكتلوك. قاهم مانخونش وما نفرطش

غير لكتلتوني. واحد منهم كي شافهم متحمسين باش يكتلوه قاهم لالا أنا ما حجتش باش نكتل الناس،

قالولو بالك اللور، كي جاو يكتلوه قالو انوصيك :راني خليت الزوجة على باب الحمل إلا ألقيت زادت عندها طفلة اضرب النح ما تقول والو، وإلا ألقيت زاد عندها اطفل قولها قالك باباه سميه (غاب الحق) في عهد عمر بن الخطاب.

آيا سيدي كتلوه ودفنوه وامشاو بعدما قسمو المال هناك، وصلو لبلادهم راح السيد هناك اللي وصاه لزوجتو قاتلو وزوجي واين راه. قالها الله يرحم وراهو يسال عليك و ايقولك واش زاد عندك، قاتلو اطفل، قالها راه يوصيك اتسميه (غاب الحق).

سماتو هي مسكينة (غاب الحق)- علا بالك لمرا ماتفهمش واش الاسم -كبرو لولاد ووحيد النهار هوما يلعبو وعمر بن الخطاب جا، هوما يعيطو على بعضاهم ارواح يا فلان ارواح يا فلان ... عيطت امو يا غاب الحق يا غاب الحق ... قال عمر بن الخطاب آو غاب الحق و أنا حي؟ ... !والله ننشوف القصة هاذي كيفاه غاب الحق، ولى عيط للمخلوقة هاذيك: يا مخلوقة كيفاه سميت ابنك غاب الحق.قاتلو أولدي الزوج اتاعمي راهو حج ومات ومارجعش ووصرائي نسميه (غاب الحق)، قالها عيطي عالسيد اللي وصاه زوجك. قالو كيفاه أنا على ديداني والحق امشى وغاب امالة كي نموت كيفاه. احكالو القصة من البداية للنهاية، وأنا ماكتلتش.

قالو يا سي محمد ولاه ما جيتش قوتلي صحابي هام واش دارو وواش دارو ... ذاك الساع كتلهم عمر بن الخطاب للسته حتى اللي ماكتلش كتلو .هاذا ماسمعنا وهاذا ما قلنا.

3- بقرة لي تامي -

قالك في زمان بكري كانت وحد لمرا عايشة مع الراجل وكان عندها زوج أولاد احكم عليها ربي ماتت، وقبل ما تموت وصات راجلها قاتلو:"البقرة اتاعمي ماتبيعهاش، خليهالولادي يعيشو فيها " هي ماتت وهو عاود ازوجو. لمرا هاذيك قاتلو اتبيع البقرة، قالها يا امرا كيفاه انبيعه هاذي بقرة لتامى وامهم وصاتني وأنا عاهدتها مانبيعهاش قاتلو ماكتنتش نعرف .. كثر عليه اداها للسوق يقول: يا اهل الدلالة بقرة لتامى تتباع والا لالا.يقولولو :لالا .. لالا

يقلبها، الغدوة من ذاك ايزيد يديها ... هكذا هكذا... ألوحده النهار لبست مرتو البرنوس ولحقتو ألقاتو يقول يا اهل الدلالة بقرة لتامى تتباع والا لالا يقولولو لالا .قاتلو تبعها للوزاعة (الجزارين) حتمت عليه باعها وقال للوزاعة الضرع اعطيوهلي اعطاوهلو اداه حطّو فوق القبر تاع امهم، ايروحو هاذوك لتامى لهاذاك الضرع يرضعو أمالة مرت ابيهم ماتعطيهمش ياكلو وهوما كيما رايحين يكبرو ويزيانو، وصّات بنها وبنتها قالتلهم تبعوهم واش ياكلو كولو، راحو عسوهم لقاوهم يرضعو رضعو معاهم، كي يرضعو هوما يجيهم لحليب واللين، وكى يرضعو ولاد لمرأ هاذيك يجيهم الدم والقيح مرضو، راحت هي عستهم شافتهم يرضعو حرقتلهم الضرع وقبر امهم.

وحد النهار أعطات للطفلة صوف درعة (سوداء) قاتلها اغسليها فالواد نتولي بيضا، والطفل اعطاتو الكسكاس قاتلو تجيبو معمر بالما، هيا سيدي الطفلة تغسل ما حبتش الصوف تبياض، والطفل هو يعمر الكسكاس يمشي شويه ايسيحلو، هكذا هكذا انطاح الليل جا معروف (البومة) ايقول " طري بالطين يا مسكين ناسك رحلت و انت ابقيت احزين و يدور و يعاود، روجو للدار لقاوها خاليه وألقاو خبزة تاع كسرة، قالها الطفل اختي ناكل جعت، قاتلو ماتكلش ومدت منها للكلب كي كلا مات، قاتلو شفت- و هي مرت ابيهم دارتلهم فيها السم - باتو فالدار هاذيك والصبح امشاو امشاو امشاو ... لقاو عين قالها اختي نشرب عطشت، قاتلو ماتشربش هاذي تاع الطير لو كان تشرب اتولي طير .زادو امشاو ألقاو عين قالها اختي نشرب قاتلو ماتشربش هاذي تاع لجران، زادو امشاو ألقاو عين قالها اختي نشرب قاتلو ماتشربش هاذي تاع لحنش كون تشرب اتولي احنش، زادو امشاو ألقاو عين قالها اختي عطشت قاتلو هاذي تاع الغزلان :اشرب وماتكشرش لا تولى غزال، اشرب وخلى لكتاب- اللّي دارتلو امو- (الحرز) توال العين. امشاو ازمان قالها اختي نسيت لكتاب آتاعي توال العين قاتلو وّلي جيبو وكى وّلي اشرب، هو يشرب والقرون يخرجو هو يشرب والقرون يخرجو انولى غزال، كي ظل عليها غزال قاتلو أخويي وخدعتني. وصلو توال وحد الشجرة هي طلعت فيها وقالتلها "أعلاي يا صحرة ام و ابي" اعلاي هاذيك الصجرة وخوها لغزال يصرح ويروح ايبات عند قاع الصجرة وهام عايشين. وحد النهار جا السلطان يشرب العود

أتاعو من العين اللي تحت الصخرة تلهوثلو شعرة على لسانو شافها السلطان نجاهالو وقال والله يالمر اللي تكون مولاة هاذ الشعرة غير نزوج بيها، ادا هاذيك الشعرة قاسها للنسا أكل ماجاتشمش، أبقى يخمم و امبعد عيط للستوت قالها دبري راسك و احكالها القصية. راحت الستوت تحت هاذيك الصخرة و قلبت القصعة و تخبز، نطقت لونجة قائلها يام عجوز مايش هاكذاك، قائلها أبنيتي أنا منعرفش هكذا نخبز اهبطي اخبزيلي، قائلها لالا. زادت الستوت قلبت الطاجين واطيب، قائلها مايش هاكذاك يامعجوز، قائلها اهبط اهبط بنتي اطيبيالي ..هبطت لونجة، كي هبطت دقلها الحاذق (الوتد) عالروبة (الفرستان) جا السلطان قاسلها الشعرة لقها شعرتها . قائلها نزوج بيك. قاتلو مانقدرش. قالها لاه؟. قاتلو أنا خويا غزال وماكانش اللي يقوم بيه. قالها حتى شي مايخصو. أداها و ازوج بيها وعاهدها على خوفا وعيط عالصيدا قالم هاذ لغزال اللي كاش مايديرلو راني نظيرلو راسو .. هاي في قصر السلطان وخوها يصرح ويروح. وحد النهار جا طلاب يطلب طلت عليه ألقاتو ابيها، قالت للخدام قولو ماتروحش حتى نخبزلك قرصة كسرة، خبزتلو خبزة كسرة وعمرتها بالوزير (قطع من الذهب) وقائلو ماتقسمهاش غير في وسط اولادك ادا هو مسكين هاذيك القرصة وكي اوصل للدار اقسماها ساح منها الوزير، كي ساح منها هذاك الوزير قال بريك يالمعبود هاذي ما تكون غير لونجة بنتي. أيامات وزاد ارجع شافتو عيطتلو وحطتلو كلا اشبع وامبعد جات توالو عرفها حضنها ويكي " يالونجة بنتي ساحيني" وهي تبكي وقعدو حكااتلو واحكالها. كي ارجع لمرتو حكالها قاتلو نبعثو ختها تخدم عليها، اداها معاها- وهي وصاتها قائلها اكلتها واحكمي بلاصتها. أيامات آسيدي قائلها يالونجة نفليلك شعرك اداها على شط البير ولاحتها فالبير ولبست حوايجها، جا السلطان شافها. قالها انت لاه اكلت. قاتلو من ما بلادكم. وعين واش بيها (عمية) قاتلو من اكلت بلادكم. وشعرك لاه كشرد. قاتلو من هوا بلادكم... قطع ايام وقاتلو تذبح لغزال، قالها يامرا أنا عاهدتك واشترطت فيما يقيسو والو، قاتلو أنا سخفت على الحم لغزال، قالها هاتي نذجلك اغزال اخر، قاتلو ماكنتش نعرف تذبح هادا بدات، شاف شاف وقال للخدام روحو جيوه، جابوه. قالو حبس ماتذبحنيش انعط على راس البير. قالو

السلطان عيط. قدم للبير وقال-غناء":-لونجة لونجة بنت ام لماس امضاو ولبرم اغلاو واوخيك لغزال دارو يذبحوه" قالو السلطان عاود، زاد عاود، قاتلو هي- غناء-" واش انديرلك يا ابن ام عيسى على ركبته وموسى على ركبته والحنش بوسيع روس داير بي وهي زيدت تمعيط السلطان عالمدير قالو دبر مايصير والا راسك ايظير، قالو اذبح بقرة و ملحها بزاف واشوي ومد للحنش ياكل. اذبح البقرة ويشوي وايطيش فالبير والحنش ياكل كي شبع اشرب الما اللّي فالبير جا خارج الراس اللّي يخرجو يضربو السلطان بالسكين يطيرلو .. الراس اللّي يخرجو يضربو السلطان بالسكين يطيرلو .. حتى كملهم في سبعة، لاحو لحبل جبدو اولاد السلطان وزادو جبدوها هي، دار السلطان للعمية طيرها راسها، كي جا ايها قاتلو اسنا انديرلك الربيع ادي لولادك، دارتو من كل خير وحطت راس العمية فالتليس وامشا ايها روح هو قرب للدار وامها خرجت اتلاقيه وتقول سعدي فرحي بنتي بعثلي الخير والفروح يقول": بيس بيس راس العمية فالتليس"، تقولو امشي يعطيك تاع راسك هادي بنتي دزتلي الربح، هي تجبد فالحوايج .. تجبد فالحوايج حتى لقات راس بنتها .وهادي هي .

4- الفرطاس-

يا سادة يامادة ربي يجيبنا على طريق السعادة على الستوت امو لبهوت، لا يرزقها نهار تعيش لا يرحمها نهار تموت اتسبح وتنبح وتنحي ضروس الكلب وهو ينبح، طرشه وتجب لحبز منين كان عاييه وتطلع الكيفان، عميه وتخيظ الكتان.أماله يا سيدي عالفرطاس عايش عند عمو وخلالو باباه بقرة، ولي عمو صرحو عاجماعة، ايروح هو يدي البقرات هاذوك للمرعى، انتاعهم يربطهم و انتاعو يطلقها تسرح، لعشية ايجيب البقري ، انتاعو شبعانة وانتاعهم يروحو لهون ولهيه، ويضرب بقرة يطيحها ويقول آي ماتت ويذبحها، ايجيو ليها ايوزعوها، هكذا هكذا .. ألوحد النهار اوصل الربيع يلعبو فالكورة، قالو اليوم الفرطاس نصرحولو وانشوفو الدعوه انتاعو كيفاه، قالولو يالفرطاس أحنا اليوم نصرحولك، صاقو البقري وراحو للمرعى كي وصلو يلقاو لرباق مطروحين اثورو هوما طلقو البقري انتاعهم و ربطو البقرة تاع الفرطاس، لعشية كي رجعو البقرة تاع الفرطاس مسكينة ميتة بالشر ولات تجري

وتتلاح للزرع اضربها واحد بالصنب ويقولها طيح ، ولاو ايعيطو آجريو آجريو البقرة تاع الفرطاس ماتت، اتكاو عليها ذبحوها وجابوها ، قالو انوزعوها، قاهم هو البقرة تاعي اتوزعوها انتوم؟ ... ! والو، واش تعينلو يرفد مكحلتو -و هو خاللو ايبو مكحلة -علق السقيطة وافقرها وابقى ؟ الكلب اللّي ايجي يعطيه الحس، الكلب اللّي ايجي يعطيه الحس ... نقي لكلاّب تاع الدشرة أكل ، جاو ناس الدشرة العمو قالولو هاذي البقرة جافت وما حبش يخلينا ننفقوها و اليوم ولى يكتلنا فالكلاّب كيفاه انديرولو. قاهم عمو دبرو روسكم. قالو هيا انهملوه. راحو ليه قالولو هيا اتروح للحج، اتحماو فيه لاحوه في شكاره وكلفو زوج يديوه يرميوه فالبحر، امشاو بيه فالشكاره وصلو توال وحد الراعي حطو الشكاره.

قالولو اقبالك اروحو نشريو وانجيو. قاهم ما عليهش. هو حس بلي امشاو وهو ثار يقول : عمي مديني للحج أنا لا بيت -عمي مديني للحج وأنا لا بيت - قالو الراعي صح مدينيك للحج وانت لا بيت. قالو هيه. قالو أنا حاب اروح للحج. قالو أمالة حل علي وادخل الراعي فالشكاره، قالو الفرطاس بصح ما تهدرش. جاو هاذوك الزوج اداو الشكاره لاحوها فالبحر، كي رجعو، ازمان هكذا وجا الفرطاس بالسرعوفة تاع لغنم، قالولو آسيدي هاذا كيفاه. قاهم لاحوني فالشط برك لو كان لاحوني فالنص كون شفتو واش انجيب. ايروحو هوما غير اللّي ايلوح روحو فالبحر ما يخرجش، عرفو بلي خدعهم اتفاهمو يهجرو الدوار ويخليوه وحدو، راح هو يصرح كي جا ألقى الدوار خالي والقي الكسرة في كلّ دار يهز ويمد للقط ياكل ايموت القط اعرف بلي مسمومة. أمشى حتّى هو من هاذاك الدوار، فالطريق لقي زوج من الناس وهو الثالث امشاو مع بعضاهم، قالو هاو كيفاه. هاو كيفاه... وأنت؟ قالو هاو كيفاه... هاو كيفاه... قالو أنت واش خدمتك؟. قالو أنا صياد الحوت، و أنت؟. قالو أنا نضرب خط الرمل. قالولو وأنت يالفرطاس؟. قاهم أنا الدبارة مّني ببغل. هام مع بعضاهم يمشيو، هوما وصلو على شط لبحر واهوما يلقاو صندوق فلبحر عيطو على مول خط الرمل قالولو اضرب خط الرمل، اضرب خط الرمل، قاهم فيه حاجة، زادو عيطو على صياد الحوت قالولو - ياالله -اركب السفينة. قاهم نركبو أكل. ركبو

راحو جابوه، كي خرجوه حَلوه ألقاو فيه امرة مليحة ولاو اداقو عليها... قاهم الفرطاس شوفو يا جماعة مانضاربو مانكتلو بعضانا اروحو للسلطان وهو يفريها بيناتنا. ايجيو للسلطان بلما هاذيك، عجبنا السلطان نحاهلهم امره، قاهم الفرطاس شفنتو: هانا اهنينا وشيخ ما قرا على شيخ، هوما مشاو في تيرهم وهو امشا في تيرو، أماله امشا ألقى وحد لعجوز هي وبنها عاش عندها، ويروح هو بنها للذخيرة تاع السلطان يطلع للخرينة ايجيب الذهب وكُلش .. الفايذة ملا الدنيا، لعجوز هاذيك اقبلها الخيرات الله يبارك. ألوحدها النهار فاق السلطان بالخرينة انسرت، ايشور دار خاييه تاع زفت فالخرينة و تغلي، جالفرطاس كي العادة هو والطفل قالو اتحدر انت والا اتحدر أنا، قالو ولد لعجوز اتحدر أنا، دارلو لحبل و اهبط جا فالخاييه تاع الزفت ألصق جاف، ازمان حرك الفرطاس لحبل حرك حرك ما كان والو، جا هابط مع لحبل كي قرب لقا الحمان طالع شرك رجليه حطهم عالذرعين تاع الخايية اضرب العرف تاع الزرميط يلقي الطفل ميت شاف دماغو، اتكا عليه بالسكين دار ادماعو فالعمارة واخرج، راح روح للعجوز قالها ابنك هاي كيفاه هاي كيفاه... ما تبكي ما حتى شي ردي بالك تبكي. قاتلو وكيفاه انجيبوه. قالها ما تخميش أنا انجيبوه، شوفي أنا أنخط لقرب تاع الزيت عالذباب و أنت تبيني تشوفي ابنك. خدام السلطان حطو الجثة تاعو فالطريق باه اللي يبكي من الناس يعرفو بلي راهو أهلو، جا الفرطاس والعجوز كي شافت الجثة، اقعر الفرطاس لقرب و ثارت هي تبكي على بنها و تقول: يازيتي يازيتي ... انبردت قلبها على بنها، جاو خدام السلطان. قاهم العجوز راهي تبكي عالزيت اللي ساح (سال).

فالليل هاذيك الجثة تاع الطفل معسوسة مالخراس تاع السلطان، كيفاه ايدير الفرطاس راح جاب سبع قلاوش (ذكر العنز) ودارهم السناسل في رقابيههم وشعل على كل قرن شمعة و جا يقول منهو ربك ياعبدك، منهو ربك ياعبدك؟ هربو الخراس مالخوف. هز هو الجثة وارجع، وصلو خيطلو دماغو كي بكري وكفنو وقال للعجوز ندفنوه، كوماساو الناس ولد لعجوز فلانة مات أروحو ندفنوه .. اسمع السلطان قاهم بالاك هاذا هو ، روحو شوفو دماغو عندو وا لا ماعندوش، كي جاو ألقاو عندو دماغو، راحو ندفنوه. وولى الفرطاس يسرق كي

العادة ايجيب ذهب السلطان كي بكري، راح السلطان للمجرب قالو كيفاه الحل. قالو المجرب انقولك دير عرس واعرض الناس أكل ما تخلف حتى واحد و سكرهم

واللي سرقك كي يسكر آو يعود يهترف بالمال آناعك. دار السلطان العرس ووكل الناس وسكرو وعاد الفرطاس ايهترف :هاو واش درت فالسلطان وهاو واش اديتلو ... اثوروا حّفولو نص من شلغومو- باه الصباح يعرفوه- رقدو كي جابتو الفطنه لقي نص من شلغومو ماكانش ايمضي الموس ويندر للجماعة راقده نحي نص شلغومه نحي نص شلغومه ... نجالها أكل. الصباح جا نايبض هو لول قالولو الحراس حبس أنت هو اللي اديت مال السلطان آك بايت تهترف بيه ضرك ايطير راسك. قاهم هاذي خاطيه، هاي لجماعة أكل ما عندهاش نص شلغومه لاه غير أنا؟ .. حارو: أحنا نحينا لواحد برك كيفاه ولات لجماعة اكل ما عندهاش آي سيدنا راحو للسلطان قالولو، قاهم اطلقوهم، كي طلقوهم جا مروح لقي الستوت -والستوت دزها السلطان تتجسس فالديار عاللي اسرق مالو. - قالا واين كنت يام ستوت.؟

قاتلو ياوليدي آني كنت عند امك و راهي اعطاتي حجرة ياقوت- جاب عليها لكتاب- وآني مروحة. قالا أرواحي نعطيك حفنة والا زوج، وصلو للدار قال لمو أنت تحوسي السلطان ايطير راسنا، أكتل الستوت و اداها قبال السرايا تاغ السلطان و عراها وخالها، كي جا الطالب الصباح اياذن ألقى الدعوة موكحة :آه يا ربي هاذا واش، كي جا يقول الله أكبر قال :الله كبرت .سمعوا السلطان قاهم جيوهلي انطير راسو، كي جابوه قالو ياسيد السلطان هاو واش شفت، هاو واش شفت. قاهم أرواحو تشوفو ألقاوها الستوت ميتة. ولى السلطان أطلب من الناس بالتي هي أحسن، و برح البراح قال :راو ايقول السلطان اللي اذا مالي نعطيه بنتي ونص من محكمتي .جا هو قالو أنا الفرطاس اللي اديتلك مالك ، قالو علاه واش بيناتنا. قالوا المرا اللي جبنالك ملبح باش اتمدها لواحد منا بعدما اداقينا عليها أديتها ليك على هاذي راني اسرقتك و اديتلك مالك، وما نبغي بنتك ما نبغي مالك، أعطيني لمرا و اخلاص. أعطالو لمرا أزوج بيها .وهاذا ما سمعنا وهاذا ما قلنا.

5-العفرىت-

يا سادة يا مادة ربي يجيبنا على طريق السعادة ، قالك كان واحد السيد مزوج عندو مرا قبيحة عاد أماله كلما يدخل الدار لمرا تاعو كسرتلو راسو: لاه ماجبتش لاه مادرتش، أنت ماكش كي الرجالة، من القلقة اتاعها هرب، كي هرب لقي وحد البراكة قال الليل ليل انبات فيها والصبح يديرها ربي مسلك ،هو ادخل للبراكة هاذيك او هو اندرلو عفرىت ،قالو جابك ربي ضرك انكسرلك عضامك مره. قالو واه ابن عمي أنا هربت من مرقى ألقيتك انت. قالو العفرىت هاذاك أنا ثاني هربت من مرقى. قالو امالة رانا صحبه. قالو العفرىت هذاك راك ماتقدرش اتعيش معاي هنا لأني ساعة ساعة نتقلق و نولي ندقق برك اللي ايجي قدامي اندققو. قالو بني آدم هاذاك و الحل اتاعها كيفاه. قالو العفرىت هذاك شوف راهو كاين وحد السلطان عندو بنت املوحة أنا اروح نسكنها وراهو ما يقدرندريني حتى واحد في البلاد أ كل غير لجيت أنت باش نندر ، بصرح أنت اشترط فالسلطان باش تندريني يعطيك الطفلة و نص من الملك باش تعيش في سعادة ولها. قالو بصرح خطرة اخلاف راك تزيد تلحقني راني نكتلك ، أنا نديرلك العملية هاذي وما تزيدش تلحقني. قالو هاذاك البشر على بركة الله ، قالو متفاهمين ؟ ..متفاهمين . هو اطلع الفجر وهاذاك الشي راح طول ألبنت السلطان أسكن فيها ،والسلطان -علا بالك -ايدو طويلة لم الغاشي وكذا... الطلبة... أشكون يقدر ايجر هاذ الشي.. أبدأو الطلبة ايكرو عليها، والو... دز السلطان الخدام اتاعو ايجوسو : أشكون يقدر ايجر الشي من بنت السلطان ... لقاو هاذاك السيد قاهم أنا نقدر اندرو ، تقدر ؟ نقدر .. جابوه اوصل للقصر دخل الطفلة لشميرة اخرج هاذاك ، آو تفاهم مع السلطان يعطيه نص مالمملك و يعطيه الطفلة ، وفي السلطان بعاهدو و زوجو بيها ، إثور هاذاك الشي هاذاك اينكز ايجيبها في بنت سلطان أواخر، و السلاطين- ما يخفاكش يعرفو بعضاهم - كيما الرياس اتاعنا ضرك والوزارة يميشو لبعضاهم -هو اسكنها و ايها اتفكر باللي السلطان افلان انسيو هو الليندر الشي من بنتو حتان أداها ، قال لازموني اروح للسلطان باه ايجيب انسيو يندر الشي من الطفلة ، كي اوصل هاذاك السيد للقصر تاع

السلطان ، هاو قالو هاذاك الشي هاذاك لو كان تلحفتي اندقدك ، كي وصل ليه قالو : لحفتي ؟. .. قالو أنا مالحقتكش جيت انقلك برك. قالو واش اتقول لي. قالو لمرا آتاعك آي تحوس عليك. يتطلق هاذاك الشي هرب. وهاذا ما سمعنا و هاذا ماقلنا.

6-الجمرة و الغول-

قالك امالا امرا عندها سبعة ذراري وعندهم جارتم عجوزة شريرة ، وامهم بالكروش قالولها كون المرة هادي اتجيبنا طفلة ،علقي المكحلة و اذا جا طفل علقي المنجل، حكمت العجوزة هاذيك علقت المنجل بصح المرا ولدت طفلة ، كي شافو المنجل راحو من ثم و قعدت المرا وحدها و امبعد ماتت مسكينة ، والطفلة هاذيك كبرت وعرفت الحكاية تاع خاوتها ، وراحت سقسقات العجوزة قائلها قوليلي خاوتي وين راحوا ، قالتها احكمي كبة نتاع صوف كحلة ووحدة بيضاء وارميهم واين وصلت لخر نتاع الكبة البيضاء هاذيك هي دار خاوتك دارت كيما قائلها العجوز ، وراحت شافت دار خاوتها ودخلت ما لقات حتى واحد بصح لقات الدنيا مزربة خلاص فرزت لهم و طيباتلهم الماكلة وراحت، وكي جاو لقاو الدنيا مفروزة حاروا وقالوا شكون هذا اللي دار هكذا وبقات كل يوم تروح و ديرلهم كل شئ ، و واحد النهار تفاهمو وقالوا احنا في ستة نروحوا نخدموا وخونا الصغير يقعد في الدار يدرق ويعس شكون هذا ،مالا قالك هوما راحوا هي جات كي العادة ، هي راح تبدأ تخدم ويخرجلها خوها الصغير قاللها واش اديري هنا ، ولات حكاتلوا احكاية ولا يبكي هو وياها ، ومبعد كي جاو خاوتها لخرين زادوا حكاولهم الحكاية وفرحوا بأختهم ، ومبعد قالولها اسكني معانا بصح راهي كاينة قطة في الدار أي حاجة تاكليها أقسمي معاها لشته حبة نتاع حمص ، أمالا عاشت معاهم كيما قالولها ، و واحد النهار قاعدة تكنس القات حبة فول حطتها في فمها وما قسمتش للقطة ، قائلها القطة ذرك التجبيلي نص حبة نتاع الفول اللي كليتها ، قتلها كليتها مانقدرش نعطيك أي كاينة قصعة نتاع فول الهيه روجي كولي ، قائلها القطة نسحق هاذيك الي كليتها انتي ، وكيما مامدتلهاش راحت بالتلها فوق النار الي اطيب فوقها مالقاتش الطفلة باش تشعل

باه اطيبي الماكلة حكمت راحت برا تحوس عاي الجمر لقات دار دخلت وقالت السلام وعليكم قالولها الفول كون ماقتيش السلام عليكم أنظرطقلك عظامك يسمعوهم سبع جبال ومباعد قاله واش تسحقي قائلو باغية جمرة قالهالا أعطني الدم تاع صبعك الصغير باه نعطيك جمرة صغيرة ، ساعة مدتلو الدم و مدلها الجمرة و كيعادة خارجة قالها كون أيسقسوك وألأيقولوك: واش القيتي جدك أيدير قائلو: أنقولهم : ألقيتو لبس حرير تاع السلطان وفاعد فوق كرسي السلطان وأيجرك بمغرف تاع الذهب وخرجت راحت الساعة وهي عادت في الطريق طفات الجمرة زادت ولات ليه قائلو أعطيني جمرة كبيرة الصغيرة راهي طفات قالها أعطني الدم تاع صبعك لكبير نعطيك جمرة كبيرة أعطاتو الدم وأعطالها الجمرة وكيعادة خارجة سقساها نفس السؤال وأعطاتو نفس الجواب وكي روحت الدار طبيت الماكلة وعادة القطة تبولفوق النار والطفلة تروح كل اليوم تنروح عند الفول تعطيه الدم تاع أصباعها ويعطيها الجمر وأيسقسها كل مادجي خارجة وتجابو حتي الطفلة شائنة اخلاص سقسوها خوتها وقالولها واش بيك قائلهم حكاية ، حكمو تفهمو معاها ودارو خطة حفرو حفرة كبيرة قدام باب تاع الدار الفول وعمروها حطب وقالولها روعي عنده الفول كبراحت عند ابلقول قالها واش القتي جدك ايدير قائلتو واش نلقاه ايدير قائلو القيتو مغطي بجلد تاع الداب ويجرك بكراع الداب وياكل فيلحم الداب هو ناض باه يقتلها هربت وراحت تجري الدرهم الحقها يجري خرج من العتبة طاح في الحفرة و خوتها شعلوا فيها النار وهو قاعد ايموت قاللها كون يقعد فيا عظم نقتلك تحرق مات وريبو الدار خوتها ودروها جنان وبنوا دار واحد اخري قدام الجنان واحد المرة راحت الطفلة اطيبي الماكلة قالت القطة روعي جبيلي الخظرة في الجنان قائلها القطة مانجيبش مالا الطفلة راحت أدجيب وحدها دخل فيها العظم تاع الفول في رجلها ساعة ماتت. كي جاو خوتنها وألقاوها بكوا عليها ، وحطها في الحرير ولبسولها البنية مليحة ، وحطوها في الصندوق ،ودفنوها في الصحراء ، واحد المرة جاء السلطان وجماعته بالفردة تاعهم ويدوروا في الصحراء ساعة الرجل تاع الحصان تاع السلطان الي في الصندوق ، ساعة قالت الحراسو احفرو وشوفوا واش هذا وجيبو الصندوق حكم هزو وداه القصر وحطو في بيت امباعد حلوا خرج الضوء

منوا من الزي نتاعها ولقى طفلة فيه ولا عاود قفل عليها الصندوق، وخلاها في البيت، وقفلها وقال الجوّاري نتاعوا وحدة ما تدخل هنا ، حكموا هما راحوا شافو وحلو الصندوق ساعة القاو الطفلة فيه تلمو بيها وقاعدين ايشوفوا معاها لخطراش عجبتهم واحدة منهم القات عظم في رجلها نحتها وحياة الطفلة وناظت، كي جاء السلطان حكنتلو حكياتها ولا داها ورجعها عند خاوتها ، كي راحت عندهم القاظم زوجوا كامل والنساء انتاعهم ايجيروا منها ويكرهوها لخطراش خيرمنهم في الزي ، حكموا درولها خطة وتفاهموا عليها طيبو البسيصة ودارا فيها لعظام تاع لحناش واعطاوها تاكل كي كلات ناظوا لحناش في كرشها وتنفخت حكمو النساء خاوتها وراحوا عند خاوتها وقالوهم راهي بالكروش حكموا خاوتها حوزوها من الدار الساعة راحت تمشي تمشي حتي القات شايب في الطريق حكاتلو حكايتهاراح سخن باسينة نتاع ماء وعلقها من رجليها ، وحط بسينة تاع ماء سخون وقالها حلي فومك وخرجوا الحناش الي كانوا في كرشها ، اومباعد كي ارتاحت راحت عند السلطان و احكاتلوا حكايتهاراح زوجها بيها وراحوا زاروا خاوتها واحكاتلهم الخطة الي داروها نساء خاوتها ساعة طلقوا نسامهم، والطفلة عاشت مع السلطان في سعادة وهناء. وهاذا ما سمعنا و هاذا ماقلنا.

7- ولد المغربون-ة-

في قديم الزمان وسالف العصر والأوان كاين واحد الملك ولا ملك غير الله و أبلّيس عليه لعنة الله ، اخرج الملك يحوس في الغابة ، فاعترض طريقوا عفريت، وادا منوا عهد باللي ما يجبرش الحكماء اللي يحوسوا عليه ، بالي شافوا ومباعد تجباً في مغارة تلقى الملك بالحكماء ونكر باللي شاف العفريت كيما سألوه عليه بصح اكتاشفوا الكذب نتاعوا عن طريق الكهنة ، ولا قالولو إما يدلهم على مكان العفريت ، ولا يقتلوه وبدوا يضربوا فيه حتى دلم على المغارة اللي تحي فيها العفريت. قام الحكماء عند باب مغارة طقوس ، وشعلوا البخور ، وقرأوا التعاويذ ، فخرج العفريت على هيئة ثعبان حنش (منهوك القوى وحبسوه في صندوق ، وكمّلوا طريقهم مع الملك وكيما تعبو من المشية ، وعدوا ، ورقدوا ، وحس الملك بالندم على نقضاه للعهد اللي عطاها للعفريت ، وخاف من عقاب الله

ولا فتح الصندوق اللي فيه العفريت وهربوا ، خرج العفريت على هيئة دخان تكونفي السماء على هيئة عفريت كبير الجثة ، وقام بقتل الحكماء عقاب ليهم وعاقب الملك على خيانتوا، ولا بدلوا لونوا من أبيض إلى أسود فاحم بصح دلوا على الدواء خاطراش هربوا من القفص ، وقالوا باللي هاذ الدواء راح يرجعلوا لونوا الطبيعي هو (ورق بسط الثعابين) ارجع الملك لداروا ماعرفوهش ماليه، فذكرهم علامات مميزة فيه فتعرفوا عليه، و اقصلهم واش صرالوا مع العفريت واطلب من ولادوا باش احوسولوا على الدواءتاع (ورق بسط الثعابين) والملك متزوج بزواج نساء،وحدة يهتم بيها هي وولادها في زوج، أما الأخرى فكان يهملها هي وولدها ما يهتم بيهم وما يسال عليهم، وكيفا شاع خبراللي صار للملك طلبت الزوجة الأولى من ولادها في زوج باش يحوسوا على الدواء ، أما الزوجة الثانية كانت حزينة خاطرولدها كان طايش وقليل التربية بسباب إهمال والدوا ليه، وهذا ماخلاها تعيسة وغيبينة، خبرت وليدها بالشبي اللي صرا للملك ولا قرر باش يلحق خيوتوا باش يحوس على الدواء باش يثبت لبياه الجدارة نتاعوا ، بصح أموا شكت في الصدق نتاعوا وقدرتوا ، الحق الولد الثالث بخيوتوا وفي زوج لقاهم عند خوالهم اللي منعوهم باش يروحوا على خاطر الطريق واعرة وقبلوا الخوا بالنصيحة وحيسوا وبركاو التحواس على الدواء . بصح ولد المحقورة كمل طريقوا وحدوا وفي طريقوا لقي الغولة وأدى منها لمان ، ولاتوا على الطريق واداتوا كل الوسائل باش يوصل لشيء اللي بغاه ، واقدر الشاب باش يتخطى كل الصعاب اللي واجهاتوا في طريقوا ، وهذا بفضل النصائح والإرشادات نتاع الغولة ووصل المكان اللي فيه وراق الثعابين ، وقطفها في الوقت المناسب اللي دلاتوا عليه الغولة خاطر صاحبتي الحديقة اللي فيها النبات ترقد ريعين يوم مع الخدمات نتاعها ، وتنوض ريعين يوم ، وعلى اللي يقطف الورق لازم يجيبهم فالريعين يوم اللي ترقد فيهم صاحبة الحديقة، ودخل الشاب للقصر،وبدل الخاتم نتاعوا بخاتم الأميرة ، وغير جهة المخدة نتاعها نحاها من تحت راسها حطها تحت رجليها ، وجاب العشبة. وكى رجع طريقوا عقب على خوتوا ، بصح هوما خدعوه ، نحاولوا الورق وربطوه في الشجرة باش ياكلوا الأسد ، بصح ربي معاه ، عداو ناس عليه وخلصوه، دخل الشاب البلدة نتاعوا متخفي ، وخوتوا راحوا يجربو اداو الدواء لبباهم

وقلولوا بلي هما اللي جابوه ، فاقت الأميرة صاحبة الحديقة اللي فيها الدواء نتاع الثعابين ، وجات للمملكة باش تكشف على صاحب الخاتم اللي حطوا في يدها ، ولات دارت إختبار لشبان المدينة باش تعرف صاحب الخاتم. وفي النهاية يجيء البطل الحقيقي اللي مرضاش باش يقدم روحوا لباباه باش مايتعاقبوش خوتوا في زوج، وبقي متخبي عند الشباك حتى جات ليه الأميرة و تعرفت عليه وتزوجت بيه في النهاية.

8-الخ-اوة-

قالكم مالا واحد النهار زوج نسا ضراير ، ولدو لزوز وجابو زوج ذراري يرقدوهم بجذا بعضاهم واللي تحب ترضع ولدها تهمز أي واحد ترضعو بلا ما تميز اذا كان ولدها ولا ولد ضرتهما . حتى يوم من الأيام ماتت وحدة منهم واللي بقات فيهم ربات لولاد حتى كبرو وعادو الخاوة يروحو يصيدو مع بعضاهم . وكل واحد فيهم أديرلو نفس الكموسة وما تفرقش بيناتهم . واحد النهار حبت تعرف وانا هاذا اللي ولدها . مالا راحت للطلاب قائلها ندبر عليك دبارة : جيب زوز حزمات وحدا فيها تمر ووحدة فيها مصارن وخلي أولادك وهما جايين . هزي زوز حزمات هاذوك وأجري بيهم ، وأنا نسييلك الكلب يجري وراك طيحي أنت هاذوك الحزمات في زوز و اللي قال أقلي على تمر يم راهو ولد ضرتهك واللي قال أقلي على مصارن يم ولدك ومن هاذاك النهار عرفت شكون ولدها وشكون ولد ضرتهما. الفايذة لولاد ما فهمو فيها والو ! بقاو يصيدو مع بعضاهم حتى لواحد النهار حطو يتغداو مع بعضاهم ولقاو باللي غدا واحد فيهم كسرة ولحم ولاخر كسرة وبصل. حكم لاخر قال لحوه يما عادت تفرق بيناتنا ماشي كيما بكري وأنا ماعدتش قادر نعيش معاكم وزاد قالو امالا نتفارقو وكل واحد يروح في طريقو ، وانخليو الشجرة هاذي شاهد علينا واليوم اللي تجي فيه وتلقى هاذا الشجرة رشات أعرف باللي راني مت . بصح حوه عيا فيه وقالو وراس خويا غير تتعد معايا وبمي مكانش حتى حاجة في بالها.بصح حوه قرر يروح ، ومشى وماعلى بالوش رجله وان يدوه وكل خطوة يديرها يطيح معاه دمعة . وهو قاعد يمشي حتى عدا على واحد الدوار ، لقا طفلة مكتفة عند الواد سقساها واش بيها قاتلو باللي كاين غول ما يخلش الما يفوت للواد حتى يمدولو ضحية ، واليوم

دالتي أنا ، حكم طلقها وقالها : وكتاش يجي الغول هذا؟ . قائلو : كي يجي الشهيبي يجي الغول ، وقتلو الشاب ، وكي راحت الطفلة روحت لماليها في الدوار ، قالو هاذي كي عادت بنت السلطان ما ربطلهاش الحبل مليح على هاذاك حالاتو وروحت الطفلة حكات واش صرا لباباها السلطان قاهم السلطان جيبولي هذا اللي قتل الغول ومنع بنتي من الغول ، نزوجها لو جاء الشاب وتزوج بنت السلطان . وواحد النهار خلاها عند باباها وراح يصيد وهو في الغابة خرجت عليه واحد الالفة (حيوان ضخيم) قائلو : نبه علي كلابك و طيورك باش ما ناكلكش هو نبههم هي بلعاتو . بصح ما مضغاتوش ، وخوه كان ديمما يطل على الشجرة اللي تفارقو عندها وهاذاك النهار راح لقاها بدات ترشى خاف على خوه وهز الرحيل وراح يفتش على خوه وكان هو وخوه يتشابهو، ومنين يمشي يحسبه خوه يعرفوه الناس الكل على خاطر قتل الغولة . حتى وصل للدوار اللي تزوج فيه خوه وكي دخل لمرت خوه قابلها بالظهر. وحارت هي وعلاش دار معاها هكذا . ومباعد حكاها وحكاتها هي قصة خوه ودلاتو على الطريق اللي داها خوه ولحقو حتى وصل للأفة اللي بلعاتو ، قاتلهم الهدرة اللي قاتلتها لخوه ، فهم باللي هي اللي بلعت خوه ، ناض حرش عليها كلابو وطيورو وكلاوها ناض حلها وجبد خوه بصح ما عرفش يفيقو ، حتى شاف الفرخ يتقابض هو وفرخ واحد آخر ، وكي طيحو حكم عصرلو واحد الحشيشة حتى فاق ، حكم الشاب دار لخوه واش شاف حتى فاق . ورجعو للدوار وحكاوهم قصتهم ومباعد رجعو لأهمهم وكاين اللي يقول باللي قتلوها على خاطر فرقت بيناتهم .و قصتنا قصة الغابة و ربي يجيب الصابة.

9- الوصيــــــــة-

قالك كان أب عندو ثروة كبيرة وعندوا ثلاث أولاد واحد محمد الشريف، محمد العربي، محمد النذير، وهو على فراش الموت قاهم :محمد.....يورث، محمد..... يورث، محمد..... يورث ، محمد..... ما يورثش، أومات، بعد ما دفنوه كل واحد يقول: أنت ألي وصي عليك ، أقعدوا يتناوشو حتى قريب يوقع بيناتهم عراك كبير راحوا لكبيرهم

في العايلة قالوا لوا القصة ما نعلمش واش يقصد باباكم ، راحوا قداه نبلاصة إيسقسيو على الوصية بصح واحد ما عرف واش يقصد الأب وتمشى ليام حتى قالولهم القضية تعكم ما تتحلش هنا في دزايير تتحل في تونس عند الملك راحوا في ثلاثة لتونس كيما وصلوا سقساو على الملك ، وصلوا لقصر راح البواب قالوا جاونا ضياف من بلاد بعيدة قالوا أديهم كبلاصة لفلانية باش يرتاحو وتول لراعي يخير نعجة ويذبحلهم باش يتعشاو وأوبعد يامعاش. راح الراعي خير بركوسة ذبحها وسلخها وأعطاهما لنسا باش يدير لعشاء كيما طيبو العشاء لاحوه في القصعة و أدوهولهم الخدام تاع الملك وقال الخدام كيما تحط القصعة تاع الماكلة أسمع واش يقول كل واحد كيما دخل عليهم الخدام أوحط القصعة قعد يسمع يقول كل واحد نطق واحد فيهم (بعد ما شاف في اللحم) : إذا ما خفتش وما كنتش تكذب أنا نقول اللحم هذا تاع كلب أكرمك بيه. وقال الثاني : بعد ما ذاق العشاء : العشاء مسوس ويظهر لي دارتو مرا نانس ولا حايض أو قال ألي بقى : الملك ا حالتو ولد حرام ملي سمع بينا ما جاء ما شافنا ما قالنا كلمة، الخدام كيما سمع قال للملك تاعو. غدوة الصباح أو كيما طلع النهار راح عندهم الملك قام بواجب الضيافة ومبعد قالم واش قصتكم وعلاش قصدتوني ؟ قالوا : يا سيدي بابانا راجل غني وكيما راح اموت قال : محمد..... يورث ومحمد..... يورث ومحمد..... ما يورثش وحنا راك كيما تشوف في الثلاثة وما فهمناش شكون يقصد ؟ قصدنا قداه نواحد أو ما عطاونا حتى حل، قالم كي حطولكم البارح العشا شكون قال: اللحم تاع كلب أكرمكم بيه؟ نطق ألي هدرها وقال :أنا سيدي قالوا كيفاش حتى عرفت بلي اللحم هكاك ؟ قالوا: كي شفت الشحمة تحت اللحم، عرفتوا تاع الكلب لخاطر تاع الخروف إيجي الشحمة فوق اللحم عيط الملك للراعي سقساه على واش ذبح قالوا :هي بركوسة ماتت عليها أمها وكيما كانت خروفة رضعت الكلبة أكرمكم الله قالوا صدقت، قال الثاني وعلاش أنت قلت بلي العشاء مسوس؟ قالوا :العشا ما يخص حتى حاجة بصح مسوس ولي لاحت الملح راهي نانس ولا حايض كيما جات تلوح الملح لتهات مع روحها وما توهتس قد واش لاحت كي راح سقسا ألي طيبوا قالوا هكذلك بعد قال :وشكون قال السلطان ولد حرام ؟ قال

ألي بقى فيهم أنا قالوا من اللي وصلنا وما جيتي ما طليتي علينا ما شفتينا هاو الراعي. راح الملك عند أموا سقساها قاتلوا: ربي واحد ماش زوج راك ولد الراعي. رجع عندهم الملك وقالو صح وعلى هدرتكم فمحمد الأول يورث (ألي قال اللحم تاع الكلب) ومحمد الثاني يورث (ألي قال العشا مسوس) ومحمد الثالث ما يورث هذا هو الحل تاع القضية تاعكم، تبقاو على خير.

10- اللصوص الثلاثة-

كان في الماضي ثلاثة من الناس سراقا وأعطاهم ربي حكمة لكل واحد يفهم على الكلب أكرمك الله كيما ينبح واش يقول أو واحد يحط يدوا على باب مسكر لو كان بسبع مفاتيح يتحل واحد يعرف التراس في الظلمة ويقولك شكون هو في النهار. واحد النهار جاتهم بيعة على الخزنة باش يسرقوها راحوا في ثلاثة يفتشو مع بعضاهم (ألي يفهم الكلب ، ولي يفتح البيبان ، ولي يعرف التراس) حتى وصلوا البلاصة صافي قصر الملك ألي فيه الخزنة الملك أذيك الليلة لبس لبست الحارس وأنزل يتفقدهم وهو يدور في القصر حتى طاح في هاذوك الثلاثة قاهم أدوبي معاكم قالولوا ما نقدروش قاهم أديونوا حتى أنا عندي حكمة يقولولي خلاص الواحدلين مشاو مع بعضاهم وصلوا قدام الدار لقواوكلب أكرمك الله قدام ألي يفهم على الكلاب كيما سمعوا قال : السلطان معاكم السلطان معاكم السلطان معاكم قالولوا صحابوا: مكانش منها قدم ألي يحل البيبان هوما في ربعة دخلواكل واحد دى الي قدر عليه ملي كان في الخزنة من الذهب والصورد الليل كان ظلمة واحد لا شافهم كيما خرجوا وكيما وصلوا نص طريق تكلم الرابع وقاهم أحكموا علي النصيب حتى أقضي حاجتي وأنجي فهرب وراحوا يجرسوا عليهم والسلطان وكي الملك دخل القصر نحى لباسوا ورقد والعساسة تاعوا قاهم نوضو رانا تسرقنا كل واحد رقد سلاحوا ورقد والعساسة لقوا هاذوك الثلاثة حكموهم لاحوهم في الحبس كي طلع النهار أوجاوا الصباح ناض السلطان ناض السلطان لبس القش قول الخاص بيه أفطر وأنزل المجلس تاعوا قالولوا العساسة : يا سيدي السلطان بفضل الفياقة تاعنا البارح رانا حكمنا السراقا وهو ما أي العساسة ماعلابلهمش بلي السلطان هو ألي فيقهم باش

يلحقوا على السراقة خاطر ماكانش لابس كلبستهم ويحسبوا فيه واحد من صحابهم السلطان ثار إيقابض فيهم قاهم كيفاش رحتوا تسرقوا الخزنة وهي صوارد الدولة وفيها صوارد اليتامى والفقارى وزاد قاهم : قولوي كيفاش وصلتوها برك ؟ قال الأول فيهم : راني نفهم على الكلب واش يقول وقال الثاني : راني نخط يدي على باب يتحل ولو كان مسكر بسبع مفاتيح وقال الثالث أنا راني إذا شفت تراس في الليل في النهار نقولك شكون أوقالوا أوكان معانا واحد رابع بصح راحوا درك في نص الطريق وهرب منا ما رجعش. لم السلطان الغاشي وقال الثالث ياخي تعرف التراس إذا شفتيه في الليل وتقول شكون في النهار أمالا قول شكون الرابع ألي كان معاكم وأجبدو من الغاشي هذا ؟ دار روحوا إيديرو في راسوا وقعد ايشوف ومبعد نطق وقال أنا نقول أنت هو لا شت قتلي والرابع قالنا بلي راحوا خلاص الواحدين ولا قاهم السلطان أمالا أنا خلصتكم وأعفيت عليكم بصح حتى تردو واش أديتوا وتوعدوني بلي ما تزيدوش تعاودوا الخدمة هاذي.

11 - الزوالي والفار والصيد والحنش واكحل الرأس -

كان واحد الراجل فقير بابا ولاد مالحقش ، واش ظهر لو راي حب يهز على راسوا ويروح ما يقعدش معاهم قال لمرتوا ديريلي زادة (رويينة بالماء والتمر) دارتلوا هاذيك لمراسكينة الزادة هزها ومشامدة يلقا مطمور فيه حنش وفار وصيد وكحل الرأس (راجل) صقصاهم واش هذا قالوا راك تشوف فينا ولا كان أدير مزيا خرجنا فكر فكر ومبعد هدر مع روحوا قال أنا رايح رايح أهذا مالة نخرجهم ونكمل طريقي بالاكش ينوب عليا ربي وأنا ماني راح نخسر حتى حاجة ، خرجهم بالواحد وصل لكحل الرأس أو هذاك الإنسان قالوا ما تخرجوش قاهم علاه قالولوا : راهوا إنسان ما يليقش وقبل ما يروحوا الصيد عطالوا شوية من الزغب تاعوا والفار كذالك والحنش عطالوا الثابوت تاعوا قاهم واش نديريهم قالولوا : بخر بيهم لوكان تصير بيك حاجة رانا نكونوا على علم وراحوا . ولا هو ظهرلوا راي كي مشاو لخزين قال أنا درت الخير درتوا ولازم نكملوا وزاد خرج كحل الرأس كان هذا الراجل قلت راح

يروح يهز على راسوا سح عاود رجع لدواروا وقال نبخر بيهم ونشوف طراه واش يديرولي. بدا بالفار بخر بالزغب
تاعوا سح جاء قالوا :واش يا مول الخير، قالوا الراجل : راك تشوف الحالة ألي راني فيها ، قالوا :قالوا الفار :
هاذي الليلة كي ترقد خلي الباب محلول وخاطيك الحال ، قالك هاذك الفار راح قعر الشكاره تاع الويز تاع
سيدنا السلطان وقعد يوصلوا بالويزة ، قال الفار للراجل :هذا يكفيك قالوا يكفي ويفضل نعيش ونعيش ولادي
كيما يجب خاطر وكان هذا الراجل ما يشوفش الويز غير في المنام نهار من الأيام قالوا : طرا نبخ للصيد ونشوف
واش يقدر يدير جاه الصيد قالوا أهلا بيبك أموال الخير قالوا قالوا الصيد واش تحتاج قالوا شوف حالتي تعطيك لخبر
، راح الصيد لواحد القرية وقعد بعيد عليها كيما نقولوا بطا وعاد يعيط مالين هاذيك القرية خافوا ومن الخوف
بزاف هربوا وخلا وا كلش وراهم ، لما الصيد على السعاية تفهم بكل وجابها للراجل الزوالي هاذك جاء دور
كحل الراس ، عطيلوا هاذك الراجل جاه ، قالوا أهلا بيبك أموال الخير وكان زمان الصيف قعد كحل الراس عندها
هاذاك الزوالي ثلث أيام (كان كي يضيّف عندهم واحد يحكموه ييات ثلاث ليالي) حالتوا حالة ما تفرحش
عطالوا قطع ويزات وقالوا أتقوت بيهم حتى يفرج ربي في هذا النهار سيدنا السلطان علن بلي راحلوا الويز تاعوا
وألي يلقاه عندو جايزة . كحل كي روح من عند هاذك الزوالي راح طول للسلطان وقالوا :شوف طرا هذا الويز
تاعك قالوا للسلطان هيه وين لقيتوا ، قالوا عند واحد الراجل زوالي وراهوا يسكن في البلاصة الفولانية ، بعث
السلطان الخدامة تاعوا الداركيما قالوا كحل الراس وجابوا الراجل مكتف مسكين ودخلوه للحبس وكان هاذك
السلطان ناوي ايقطعلوا راسا، ثار قال طرا نبخر للحنش هو الي بقالي ونشوف طرا كيفاش يسلكني من هذه
الحصلة . جاه لحنش قالوا أهلا بيبك يا مول الخير ، قالوا بيبك أهلا وسهلا . واش بيبك قالوا الراجل : بيا ما بيا
وحكالوا القصة نتاعوا قالوا : خاطيك أنا نروح نتلهوث على رقبة ولد السلطان وراني كي نشوفك ما نديرلوا والوا
، في هاذك اليوم مرت السلطان رضعت ولدها وحطاتوا يرقد ، جاه لحنش أسرسب أسرسب وتلهوثلوا على رقتوا
، جات أموا باش تطل عليه تلقى هاذك لحنش متلهوث عليه عادت تبكي وتعيط : أجريولي ، أجريولي جميع من

ثم خرج وجاها يجري يشوف واش لحكاية كي شافوا ولدها على هاذيك الحالة حاروا كيفاش يسلكوه لو كان يقدموا ليه قادر يقرص الطفل يموت ولا يقرصهم هو ما ويموتوا ، وعاد الغاشي فازع ويقولوا : ولد السلطان تلهوث عليه حنش ... عاد هاذك الراجل ألي في الحبس يعيط واش صرا واش صرا قالولوا:الخدامة لحكاية هاي كيفاه هاي كيفاه قاهم : واش كان نحى عليه . في هاذيك الساعة راحوا للسلطان وقالولوا. قاهم : السلطان نحب هاذك الراجل هنا عندي كي راحوا يجبوه ما حبش وشرط باش يجيه السلطان بجد ذاتوا لعندوا ، كي جاه السلطان قالوا : واش كون نسلك ولدك من هاذي الحصلة واش زعما تديرلي قالوا : الشيء الى تطلب عليه يجيك ، قاهم خليوني غير أنا والطفل وحنش ولازم ما يدخل علينا حتى واحد . هو جيد ما دخل هاذك لحنش أسرسب وراح نقل الراجل الطفل وجاء خارج بيه . قال الراجل للسلطان نطلب عليك عاهد تقرلي يرك على هذا ألي باغي وغدربيا وقرلك على الوزير وراك مسامح في كلش قالوا السلطان راهوا كحل الرأس صحبيك وراي ديتوا للحبس وناوي نقتلوا ونخلص الشعب منوا من الفتنة نتاعوا قالوا الرجال : إذا سمحت يا سيدي السلطان خلي يدك نظيفة ما تطليهاش وخليني أنا ندبر رأسي معاه إذا حبيت ، قالك هاذك الراجل الزوالي مسكين من الغيظ بزاف حكم حرق كحل الرأس وتنهى من خدائمو الرقتى وقال : والله كيما يقولوا ناس بكري " : كلش غرستوا نبت إلا كحل الرأس أنا نغرسوا هو يتقلع. "

12- الص-حبة-

قالك آسيدي في زمان بكري وحد الشيخ يسعى راس اطفل ، و الطفل ابنو هاذك عندو صحابو بزاف ، كل مرة ايجي يعيطلو واحد : أفلان .. أفلان و ايروحو معا بعض ، زيد ايجي واحد اوخر يعييط .. هكذا هكذا هكذاك مدّة من الزمان ألوحد النهار هاذك الشيخ عيط لبنو هاذك و قالو : هاذو يا وليدي اللّي ديمّا يعيطولك واش ايكونو. قالو الطفل هاذو صحابي. قالو الشيخ و صحابك صح. قالو الطفل - سبحان الله - كون شفتمهم مامش اصحابي مامشيش معاهم. راح ازمان و جا زمان هاذك الشيخ تخلى ابنو خرج مع صحابو و ذبح كبش و سلخو و لهوثو في درا بيض و سيح عليه الدم و حطو لهيه و خلاّه. كي جا ابنو قالو يا وليدي أنا راني

قتلت واحد السيد تماوشت معاه و هاهو لهيه محطوط اماله روح لصحابك يجيو يعاونوك فالليل ادفنوه و لا من شاف و لا من درى . راح هاذك الطفل دار على صحابو اللي يقولو بابا راه اقتل واحد و تجي معاي ندفنوه يقولو لالا ، الحصول دار عليهم أكل واحد ما جا معاه .. ارجع ألبابه لعشية . قالو و اينهم اصحابك . قالو واحد منهم ما حب ايجي معاي . قالو ما تتحيرش شوف : اركب لجواد و امشي للدوار لفلاي سقسي على فلان كي تلقاه قولو أنا ولد فلان و هاي القصة ، هاي القصة ... أمشا هاذك الطفل كيما قالو أبيو نوصل للدوار هاذك سقسي عالسيد ألقاه حكالو القصة ، يا الله اركب و جا وصل للدوار اجبد الموس من تحتو ورشقو فالميت (الكبش) وسلم على صاحبو وهز الكبش (الميت) على ظهرو و جا ماشي حكمو صاحبو فهمو بالقضية و قالو يا ولدي أنا درت هكذا باش انفهم ابني واش هي الصحبة . حتى يشترك معاه في القتل أو يحمل عنه الجريمة . و دار لبنو قالو أنا عندي راس صاحب بصرح ما نخليه ما يخليني ، و أنت عندك ميات صاحب خلاوك أكل . و طيبو هاذك الكبش و باتو متعشين .. و هادي هي .

13- التفاح —

قالك يا سيدي — وما سيدنا غير الله — كان واحد عندو اطفل يعز عليه بزاف بزاف ، قالك كي جا يموت قالو يا ابني انوصيك : "شي الناس ما تمسوش" ، هاذك الطفل ابقى شافي على وصية ابيو . و حد النهار و هو ماشي مع الواد لقي حبة تفاح صايقها الواد يهزها هو و ابدأ ياكل فيها و كي بغى يخلصها اتفكر وصية ابيو ، واش ايدير راح مع الواد الواد يحوس منين جات هاذ الحبة تاع التفاح حتى لقي جنان سقسا على مولاه كي اوصل ليه قالو : أنا بابا وصاني شي الناس ما تمسوش ، و راني اغلظت و كليت هاذ الحبة تاع التفاح — بقي منها شوية في يدو — و جيت ليك باه اتسامخي و الا نسلحك فيها ، هاذك مول الجنان عجبو الطفل و هو عندو طفلة حاب ازوجها لراجل ايليق بيها . أماله قالو يا ابني إذا نسامحك تقبل بشروطي . قالو الطفل تقبل . قالو عندي طفلة ما تسمع وما تشوف و تهدرش و ما تمشيش ازوجهالك بصرح ما تشوفهاش حتى توصل للدوار . آسيدي ازوج بيها وكي وصلها

للداد خاف يشوفها ثار اهرب وصد وخلاها مع امو. أيامات ما قدرش يولي خاف من امو ، ناضت لعجوز امو شكاتو لعمو ، راح ليه عمو قالو يا وليدي انت كيفاه قصتك ، حكالو المسكين قالو راني جبت امرا فيها سبع اعيوب كيفاه حبيتي نولي للداد قالو عمو راك جبت اعروس و نص وما كان في زيها.

ارجع للداد ادخل على مرتو ألقاها امرا ماكانش كيفها قالها و علاش ابيك يقول ما تسمع ما تهدر ،ما تشوف ما تمشي. قاتلو صح : أنا عمري اهدرت مع حد وعمري شفت حد، وعمري سمعت اكلام من حد وما مشيتش من دارنا من انهار اخلقت آسيدي مدة و هوما عايشين ألوحد النهار قاتلو يا راجل روح اشريلي الصوف ، وهو كان زوالي مسكين ، أعطاتو ويزات من عندها راح باعهم و اشرا الصوف، قاتلو أنا ننسج لبرانس و انت بيع باه انعيشو ، أمالهي جاب هاذيك الصوف خدمتلو زوج ابرانس قاتلو واحد بيعو وواحد البسو-لمخير-، راح هو أدا البرنوس ابيعو ماحبش يتباعلو جا امروح ، كي جا امروح شافو السلطان عجبو البرنوس اللّي لابس،عيط عالخدام اتاعو قاهم هاذ لما اللّي تنحي هاذ لبرانس لازم نديها - علا بالك لما بكري تشهرها صنعتها- راحو وراه الخدام واصلو لدارو كذبو عليه قالولو اضياف ربي و النبي. بيّتهم ، أمالاهي كي بيّتهم فالليل سكرهه و خطفولو لما. الصباح فاقت امو و عرفتها خدمة السلطان وراحت لعمو قاتلو عالقصه ، قالها عمو ماتخافيش أنا انجيبيها، ناض دار وروحو شياد ابيع فالحواتم ، راح يمشي ويشيد.. يمشي ويشيد.. حتى اوصل توال السلطان ،انصب القيطون جات طفلة اصغيرة قاتلو يا عمي واش راك اتبيع ، قالها انبيع فالحواتم و اعطالها ادات العرض ألداد السلطان، كي شافت لما الخاتم انتاعها قاتلو اتبيعولي. قالها هاذا ماهوش للبيع. امبعد عرفاتو باللي عم رجلها - كي قاتلها الطفلة كيفاه امدابر - كي رجعت ليه الطفلة قالها قوليلها راني انجي في نص الليل نديك ، و السلطان كان عندو كلاب واعرين بزاف.. في نص الليل دار القفة فوق راسو وايطيش فاللحم ألكلاب و يقدم للكوري و ايقدم و ايقدم .. و السلطان كان عندو زوج امهاري وحده اصغيرة ماتلحقش ووحده اكبيرة ما تقدرش تجري ، امالاهي اركب المهيرة الصغيرة وهز مرت ولد خوه و قال الطريق (هرب) ، كي فاق السلطان القى لما ماكانش و المهيرة

ثاني، اركب المهريّة لكبيره والحق باش يقتلهم فالطريق دار الشيخ بروحو طاح و يطرع (يئن) ، كي الحق العندو السلطان ألقاه في حاله، قالو يا سيد السلطان لو كان تلحق واحد الكلب راه فات علي فوق مهريّة و امعاه امرا و راه اضربي طيحي ، ثار السلطان ركبو امعاه وامشا (في الإتجاه الخاطيء) و الشيخ بدلو الطريق لحقو ألوحده الشعبة الشيخ اذبح السلطان و ادا المهريّة و أكمل باش يلحق لمرا وصلو الوحد الفيلاج..غلبو و جاعو ، الشيخ خلى لمرا ألحقها مع لبعيرت و راح كاش ما يقضي، و كان واحد الجزار امقابلّ ، هذاك الجزار عجبتو لمرا و هو حيلي اكبير ، ناض ايساوم فالمهريّة بيها باللي فيها و الشيخ ماهوش داري باعلو وكى جا يهبط لمرا ، قالو آواه بيها بالمرا و يشهد عليه لجماعة كي تبايعو قالو هيه هو سامك فالمهريّة بيها باللي فيها ، غلبوه ما القى ما يدير ولى للدار و حكى للراجلها على كلش ، جابو امعاه و اجا. راح الطفل للجزار و قالو بيعلي الراس وخبطو على راسو الجزار يحسب فيه يهدر عالراس تاغ المقاييز (العجل) و ما افهمش باللي راه ايسوم لو في راسو، و اتبايعو و اشاراو حتان ربحلو الجزار ... كي رحلو هز الموس و قالو أنا اشريت راسك ضرك انظيرو ، قالو الجزار أنا بعثلك راس المقاييز ، الطفل شهد لجماعة قالولو الطفل عندو حق هو سام راسك خبطو و انت ربحتلو ، غلبوه ، قال الجزار للطفل أطلب واش اتحب و خليلي راسي، قالو تعطيلي لمرا .. أعطاهالو أداها وروح وعاش في خير. وهادي هي.

14- ولده الهجالة -

قالك يا سيدي في وحد الزمان وحد الطفل يقولولو) ولد الهجالة (عايش مع امو، و ايبو بكري كان صياد قالك هاو ايصيد و بكري لمعيشة تاغهم الصيادة و كانت فالقرية انتاعهم عين يسقيو منها ، تسقي منها الأمة ، الناس اللي ساكنة ثمة ، سكتلهم فيها لفعة ، اللفعة هادي عندها سبع روس ، خمجت الهم العين عادو ما يشربو منها ما يشربو منها الدبايب انتوعهم ماوالو ، قالك أسيدي اسمع السلطان بالصياد بلي ماهر و يعرف يصيد و صياد كبير دزليه الوزرة تاغو قاهم : اتجييوه .جابوه ، قالو : كي تكتل اللفعة نعطيك نص من محكمتي.

راح هو أدا المكحلة اتاعو و وقف على راس العي ، خرجت هي راسها جا يضربها اتلاحت ليه اكلاتو، المهم مات هاذاك الصياد وقعدت اللفعة فالعين . خلاّ لمرّا تاعو بالحمل أيامات من وراه و زيدت و ابنو هو) ولد الهجالة (، كي زاد و أكبر، ايضل عقاب امو: يام أبي واش كان يخدم ، يام أبي واش كان يخدم، قاتلو أبيك كان خياط تاع اسروج تاع الخيل و هاذيك هي الخبزة تاعو. قالك هو ولى ايخيط السروج ، المهنة هاذيك ماعجباتوش ، يجرح إديه وكذا وكذا مالقاش راسو ، جا واحد صاحب ابيو من زمان ، جا يخييط عندو السرج ، قعد هو و اياه وشايخو من من ، قالوا أنت أبيك كان صاحبي وهاو كيفاه كان وهاو كيفاه كان .. قالو : أبيواش كان يخدم. قالو : ماكانش ايخيط السروج. قالو : شو ُ ف أنا والله ما نُقلِّك و انت روح ملك قلها : أبي واش كان يخدم والاقاتلك هاي قاتلك ، و الا ما قاتلكش هز الموس و ادير روحك رايح تذبجها و هي راهي تقرك. قالك راح ليها قالها يام أبي واش كان يخدم، قاتلو أبيك هاذي هي خدمتو ايخيط السروج ، قالها ماشي هاذي هي، قالك أتلاح اخطفها أداها للحوش و حطّلها الموس عالرقة و دار روحو رايح يذبجها، قاتلو أوليدي خليني و ظرك أنقلك ، قاتلو أوليدي أبيك راو كان صياد، قالها أمالة أعطيني المكحلة تاع أبي اللي كان يصيد بيها و الكرطوش، أعطاتو،

قالك راح هاو يصيد هاو يصيد، قالك اسمع بيه السلطان دزليه، قالو :أنت ولد الهجالة و صياد، و الناس تقول اتصيد وتعرف و يشيع و فيك، قالو لازم أنت هو اللي تكتلنا اللفعة، قالك هو ر وح لمو بيكي قالها هاو واش يقول السلطان هاو واش يقول، قاتلو ما تخافش منو كُول تشبع وارقد تشبع و غدو الصباح نقولك، المهم الصباح نعتلو هاو كيفاه توقف هاو كيفاه الدير، راح هو وقف على راس العين منين خرجت اللفعة راسها أعطاهها، أحكملمها فالراس اللول، قاتلو هي هاذا ماوش راسي، قالها هو هاذي ماهيش ضربتي، الراس الثاني كيف كيف، الراس الثالث كيف كيف حتى لراس السابع، قاتلو أنا هاذا هو راسي . قالها أنا هاذا هي ضربتي، المهم جا

السلطان قاهم سبع أيام سم و سبع أيام دم و تولى الناس و الحيوان تشرب مالعين هذيك، الصياد دار روس
اللفعة اللّي اکتلها سبحة و امروح ألقا زوج حمامات وحد منا وحد من هوما ايغنيو و هو يرفد اعليهم، هوما
ايغنيو و اهو يرفد عليهم... روح لدار راحو لحمامات هاذوك ولى هو عاد يّعني، إ ظل يبغي يمشي و يّعني سمعوه
الخدّام تاع السلطان، قالولو : ياسيد السلطان كان تسمع) ولد المهجالة (ايغني في وحد لّعني، علاش ماتجيبوش
ازهيك، قالك دز ليه السلطان، جا غّعني غّعني ... قالو هاذا ما سمعت، قالوا السلطان لغنا هاذا منين تعلمتو، قالو
أنهار اکتلت اللّفعة جاوينا زوج احمامات، قالو السلطان لحمامات هاذو تجيبهم وا لا نکتلك، راح هو يمشي
ويکي لمو، قاتلو ما تبكي ما والو کول اشبع و ارقد اشبع و الصبح أنقولك. قاتلو روح قولو ايديرلك صندوق
من فضة يتحل وحدو يسکر وحدو، قولو من شي لوزير کون مالوزير هاذ الشي مايصير، قالك راح هو قالو
انجيب لك لحمامات بصح ديرلي صندوق فضة يتحل وحدو يسکر وحدو، من شي لوزير کون مالوزير هاذ ال
شي مايصير، المهم دارلو الصندوق، هو يمشي و يّعني و لحمامات يسمعو جاو دخلو الصندوق اسکر الصندوق
جابهم للسلطان، حظهم السلطان غّناو غّناو .. و امبعد حبسو قاهم السلطان غّنيو لاه احبستو، قالولو لازم باش
ترها بينا جيبنا الطير لمّعني واجناحو يرد عليه، قاهم و الطير لمّعني هاذا اشكون يجيبو قالولو اللّي جابنا يجيبو، قالو
لازم اتجيبو و الا انخيلك رقتك. قالك روح يکي وحالتو حاله، قاتلو امو کول تشبع وارقد تشبع و اغدو الصبح
نقولك. الصبح کي راح ليه قالو ديرلي صندوق انتاع ذهب يتحل وحدو يسکر وحدو باه انجيبيلک الطير لمّعني،
قالک راح حظ الصندوق منين جاب لحمامات ايصيد و ايّعني، جا الطير لمّعني ادخل الصندوق جابو للسلطان،
هاو يّعني للسلطان هو و لحمامات و هاو يّعني ... و امبعد اسکت، قالو السلطان لاه اسکت قالو لا عينک
ترها بي صح جيبلي لمخبله في شعورها، قالو لمخبله في شعورها هاذي اشكون يجيبها، قالو اللّي جابنا يجيبها، قالو
أماله تجيبها نذبک، زاد روح لمو کي لعادة، قاتلو کول تشبع وارقد تشبع و اغدو الصبح انقولك. قاتلو الصبح
روح للسلطان قولو يجهزک بabor فيه من کل الحيوانات، و يدير فيه حوانت و حمام و کلّ ما يلزم، و لازم الحمام

يكون امليح باه اتجي لمخبله في شعورها تتحمم سكر عليها الحمام اوجيها، قالك راح هو للسلطان قالو ديرلي بابور مجهز من كل شي، جهزولو السلطان المطلوب، امشى هو لبلاد لمخبله في شعورها ، ابلاد بعيدة، جات هي تتحمم سكر عليها الحمام جابها، هي عادت في نص لبحر و هي طلقت الخاتم اتناها جا في وذن الحوته طرشه (ما تسمعش)، قالك كي قرو لبلاد السلطان دزلو قالو وجد و افرش لمخبله في شعورها جات، كي لحقت دخلوها للقصر ما حبت تهدر ما حبت تضحك، قالوها واش بيك قالتلهم أنا راهو طاح لي الخاتم اتاعي فلبحر جيبولي الخاتم اتاعي و ذاك الساع يرحمها ربي، قالوها و الخاتم اتاعك اشكون اجيبو، قالتلهم اللي جابني اجيبو، قالو السلطان لازمك اتجيب الخاتم، روح هو كي لعادة لمو، قاتلو ما تخاف ماوالو كولو تشيع وارقد تشيع و اغدو يرحمها ربي. غدو الصباح راح للسلطان قالو جهز لي البابور بالجاج و الطيور و الماكلة، جهز لو السلطان اللازم وامشى فلبحر يذبح و يخلي الحيوانات أكل تاكل غير الحوت ما يخليهش ياكل، لبحر اللول، لبحر الثاني ..الثالث حتي وصل للبحر الرابع، فلبحر الرابع هدررو معاها الحوت قالولو لاه يعني لحيوان اللي اخلق ربي أكل رايك تطعم فيه غير احنا، قاهم أنا راهو طاح لي خاتم عندكم و اداه لي الحوت كي تردوه لي نعطيكم تاكلو، قالك الحوته الطرشه هاذي قالتلهم أنا البارج شواش هو طاح لي في وذي وراهو يوجع في، راحو هوما ألقاوه الخاتم، أعطاهم واخلاهم البابور بيه بخيرو او روح للسلطان قالو راني جبنتك الخاتم، قالها السلطان هاو الخاتم اتاعك و لازمك تزوجي بي قاتلو أنا ما نزوجش بيك غير لحرقت) ولد الهجالة(، قالك عيط عالخدام حفرو حفرة كبيرة و عمروها بلحطب وقالو غدو الصباح نحرقك، روح مهموم كي العادة، قاتلو امو ارقد و غدو الصباح نوض بكري وروح للعطيل لفلاي راهي تمبط عليك افرس من السما تعصرك تعصرك كي تعرق روح للسلطان قولو يعطيك حبة بصله او خبزة كسرة كولهم او قولو يحرقك. راح هو كيما قاتلو امو، و ادخل النار اقدات اقدات ...واخرج منها سالم قال السلطان للمخبله في شعورها نزوجو ضرك، قاتلو غير لحرقت روحك كيما دار) ولد الهجالة(، قالك شعلولو

واكلا خبزة كسرة و حبة بصله و ادخل النار اتحرق، و ولد الهجالة اصبح سلطان وازوج بهاذيك لمخبلة في شعورها و جاب امو عاشت معاه في اهنا .وهذا ما اسمعنا و هذا ما قلنا.

15- جنّاية سبعة -

يا سادة يامادة ربي يجيينا على طريق اخوالي وولاد اسعاده، قالك في زمان بكري كانت امرا عندها سبع ذراري، كي حملت قالوها آمه جييلنا طفلة و ما تزيدش اطفل، أنهار جات تزيد جابوها ستوت اتقابلها، قالوها الذراري لكان جابت طفلة لوحينا لمكاحل (البنادق) و لا جابت اطفل لوحينا لمناجل، هي جابت طفلة و الستوت عكستلهم لاحتلهم لمناجل. آسيدي هزو هوما رحلتهم و امكاحلهم واجناو) هجرو (امشاو ... الطفلة هاذيك كبرت عادت تلعب برة) في الخارج (مع لبنات .. ايعايروها يقولوها" جنّاية سبعة" اتروح هي لمها تبكي اتقوها يا ام لبنات يعايروني يقولولي يا جنّاية سبعة، تقوها ياهم يتمسخروبيك برك، يلعبو معاك.. مدة ألوحده النهار قائلها والله يام تحكيلى اتقوليلي لاه يقولولي جنّاية سبعة؟ حكاتلها امها القصية :قائلها خوتك سبعة و كي حملت بيك قالولي يامه جييلنا طفلة و الستوت غدرتني و قائلهم جبت اطفل راحو اجناو. راحت هي امشات لحقت خوتها تمشي و تبكي تمشي و تبكي ... وصلت ألوحده الدار فالغابة ألقات خوفا الصغير موسد المطحنة مسكين وراقده، هدرت معاه عرفها و عرفتو و احكاتلو. أمالة وجدت لعشا .و-هاذاك خوفا الصغير مخليينو خوتو يوجدلهم لعشا كي ايروحو ايصيدو -وجدت لعشا و ادركت، كي جاو خوتو قالولو هاذا كيفاه وجدت لعشا بكري و هاذا ليام ما توجدهش؟ ! قالمه آي هاذا ليام موالف نرقد و اليوم مارقدتش، هكذا هكذا أيامات. و حد النهار قالولو آواه والله اليوم تقولنا كيفاه افحلت، ذيك الساع خرجت هي قائلهم هاي كيفاه أمنا جابت طفلة و الستوت لاحتلكم لمناجل قائلكم آي جابت اطفل ... أنا هي ختكم عيشة. أبقات عايشة معاهم هاي عايشة معاهم ايصيدو و يروحو و هي قايمه بيهم ... ازوجو أمالة... تفاهمو انسا خوتها ما يقبلوهاش، وصاو الراعي قالولو كي تروح تصرح جييلنا عضام لحنش(بيض الأفعى)، جابلهم قالو انوكلهم لعيشة، قالت لمراتع خوفا الصغير لالا هاذاك الستة وكلوهملها مدة هزت عيشة بالكرش، كي هزت اداها خوهم لكبير لبلاصة ابعيدة و لاحها فالمطمور

و خ ّ لاها. جا السلطان عاقب اسمعها تنازع) تنن. (قالها جنس والا ونس؟ قاتلو ونس. أداها لدارو و راح للمدبر قالو يا المدبر دبر ما يصير وا ّ لا راسك ايدير، قالو هاي كيفاه هاي كيفاه، قالو المدبر روح اذبحلها بقرة كحلة و اشويها و ملحها و اعطيها تاكل، راح السلطان دار كيما قالو، هي كلات و لحناش اللي في كرشها كي عطشو خرجو قطعلهم السلطان روسهم. قطع ايام و ازوج بيها السلطان، حملت متو وجابت اطفل اكبر هاذك الطفل، وحد النهار قالها أم ماعنديش اخوالي؟ قاتلو لالا عندك سبعة اخوال. قالها اديني عندهم. قاتلو كي ايحي ابيك قلو يدينا عند خوالك. كي جا ابيو قالو يا ابي ادينا عند اخوالي. قالو آو ! أنا امك ألقيتها مطايشه منين جاوك اخوالك. قاتلو لالا عندو. قالها كيفاه؟. ! احكاتلو، أمالة قالها وجدي روحك نديك، راحو، قالت هي لبنها كي نوصلو لعند اخوالك ثور تبكي و قولي أم قصصيلي، هيا وصلو قالوهم اضياف ربي و النبي- هوما ماعرفوهاش -فالليل ثار الطفل بيكي :أم قصصيلي، أم قصصيلي ... قاتلو أحشم احنا عند الناس، قالها خوها لكبير قصيلو آسيدي قصيلو. قاتلو واش انقلك يا بني - غناء ":- حبب رمانه يا وليدي، و خوالك سبعة يا وليدي، و انساهم سبعة يا وليدي، امكاهم سبعة يا وليدي وكلولي عضام لحنش يا وليدي، و قالو عيشة بلكرش يا وليد"...ذاك الساع قالها خوها لكبير اسكتي .راحو دارو زهير تاع نار وقال للنسا اتسوطيو.. اللي تسوطي تجي فالنار، اللي تسوطي تجي فالنار ... غير مرت الصغير سوطات (قفزت) ماطحتش، و رجعت عيشه لخوتها، وهاذا ماسمعا وهاذا ماقلنا.

6 - ملحق الأغاني:

بعض مقاطع أغاني رابع درياسة.

- أغنية: نجمة قطبية : التي كان لها الرواج الواسع في ربوع الجزائر و خارجها.

نجمة قطبية طلعت عقب الليل علي
سمرا خمرية جرحنتني بعيون غزالة

شهلتي عيني من ذيك النظرة المذبالة.
قلت لها مرحى ضحكت عينيها بالفرحة

قالت لي صح و المبسم جوهر يتالالا
 و مركب سبحة ينطق بحرف البسمالة
 يا زين البية قلت لها أصلك غريبة
 بنت الحميرية من وهران ناسك قواله
 وضحكت لوخية وخزرتني وقالت لي: لا لا
 قولي يا زينه أصلك ما يخفاش علينا
 بنت قسنطينة بنت العلم و بنت الآلة
 ضحكت لحنينة وخزرتني و قالت لي : لا لا

- اغنية: الممرضة

سمراء و لبستها بيضاء
 تسبي الوالع بالرضى
 عييت ما نكتم في قلبي
 سرها و نبوح
 يقولو لها الممرضة
 منها العشاق مريضة
 هي تداوي في المرضى
 و حبيبها مجروح

- و هذه اغنية اخرى: حبيت انتوب

انت درتي الحنة و حبييك ما قواه
 صابر لامر الله يداوي محنة بمحنة
 حبيت انتوب باش نهنى و نتوحد لله
 و التوبة و علاه انتوب على كل محنة
 و طريقك جاية بعيدة و انا ما لي باه
 و حبييك ما لقاها و سمحتي فيه يا الكبيدة
 و فراقك فناه
 و جفيتيه علاه
 غير عليك اواه

نبغيك تكويني سعيدة و انا لي الله

نصبرلو لقضاه و انا نلحف يا الوحيدة حبك ما ننساه

و انت مديتي العاهد و حلفتي بالله

يا خوفي من الله قلبي هو كان شاهد و تبدل و علاه

عندي فيك مية حاسد و الحاسد ما قساه

فرقنا ببلاه و انا حبي كان واحد ما حلاه و ما بلاه

حبيتك ماخوف جحدة على الحاسد و بلاه

يا خوفي من بلاه حطيتك في القلب وردة وجرحتيني لاه

انت لي عين وحدة و باه ظلمتك باه

و ظلمتي و علاه و علاش اجرحتي الكبدة حشمتك بالله

و هذا مقطع آخر لاغنية يا العوامة.

يا الحوتة شوقتي في اللقاء ساهر الليل انبات مقابل البحر

غير تجري بين الموجات زالقة والقصب عقابك تجري بلا زهر

و الصيادة في بحر الحب غامقة ما سلك منها غير طويل العمر

يا الحوتة يا بنت العز و النقاء غابتي باه انشوفك غير بالنظر

خاطري شايق و انت مقلقة
 و رايحة لصنانر العذاب لا خير
 دايرين الطعمة في الشوك لاصقة
 وكل من يضحك لك مبني على الغدر
 يا الحوتة قولي لي يا اللايقة
 شارقة فيك نجوم تشهل البصر
 غالية في سومك يا دارة القمر
 ساطعة كمثل الذرة مزوقة
 حاذري لا يرميك الموج للخطر
 العداء نصبو لك شبكة مغلقة
 ويبد صيادك تتشوى على الجمر
 توجدي الصنارة في القلب راشقة
 وكيف نعمل بعدك يوم المفارقة
 وبعد فقدان وين انلاقي الصبر

مقطع من اغنية : يا الساعة:

يا الساعة يهديك دوري و اجري بالرقاص
 عيني تنظر في ارقامك و الخاطر مختار
 وعد حبيبي طال و قلبي راه قطع الياس
 ولات دقيقة بساعة و الساعة بنهار
 انت قلبك راه هاني يتمشى بقياس
 وانا قلبي راه يخفق كي ريشة لطيار
 انت مخدومة حديدة و ابن ادم حساس
 في وقت الفرقة كبادو تكويها لجمار
 يا تحليل اللي راه و حدو ما عندو وناس
 طول الليل قلبو تشعل فيه النار
 دقات الساعة تزيدو عن حالو وسواس
 ما يوجد حبيب يمسخ دمعو من لبصار
 وانا راني غير وحدي و صبري راه خلاص
 متشوق لحبيب قلبي يشفي لي لضرار

و انت ساعة ثقيلة و رقاصك نعاس
و انا وعدي بيك خفي هذا عنك عار

مقطع من اغنية : اذا النساء حبوك

يا قاري سورة النساء سلم لخصايل النساء

الراجل سر و النساء كنـز بلا مفتاح

اذا حبوك النساء تجلبهم بالمسايسة

و اذا كرهوك ما يفيدك في الحرب سلاح

.....

.....

اغنية : سبحان الله يا لطيف - الحاج العنقى -

سبحان الله يالطيف- للحاج العنقى وهذه القصيدة كلها للاخذ منها ما يناسب

زغلول لطيف يا عريف * نحكي لك و افهم * في سن الورد و الزهر باهي لوصاف

مغرور بريشه الظريف ماجي متخاصم سال سيفه قال لي عندي خلاف

أوقف إذا أنت شريف من أهل الخاتم وريلي وين وصلاتك قوة الأكتاف

جاوبت أنا وقلت كيف ماجي تتكلم بكلام الغيظ واش هذا الغضبة و زعاف

ما هيشي جابها النيف كي جيت محزم هذي غيرة مرزومة و حسودي بزاف

ضنيتك صاحبي حليف بيا تترعم و ترن حطيتلي مطامر تدي للكاف

حتى و إذا أنت سخيف من حقلك تحشم تعرفني قاطع البحور جايل الأرياف

عسك أنت اللي قصيف للدنيا قادم مثلك ما عاش ما زهى أش اللي شاف

اللي زغلول ما ينيف	ورشان معلم	قادريحيه في حروف ألهاء لام و كاف
مرقوم الريش يا رهييف	أرجع لا تندم	عندك منقار ما يحارب و جناح ضعاف
أترك الحديث العنيف	ما هوش موالم	أترك عليك لغة الغتبه و التشناف
يا ذا الزغلول يا نحيف	أرجع للمرسم	واللي بعثوك قول لهم ما هممش ظراف
سبحان الله يا لطيف	أنت اللي تعلم	كاين شي ناس من استحاهم يقولوا خاف
حاسبين كل شي خطيف	غير أجي و زدم	واللي يبقى مع التوالى يقولوا زحاف
كاين اللي يجي بسيف	يبدأ يتزعم	و يقول أنا غير أنا ما كان خلاف
خصوص إذا أنت سعييف	تسكت و تسلم	ترجع في حينها حلاسة و إلا نشاف
كاين اللي يجي ثقيف	يعرف يتكلم	بالكتوب و الرسول و السادات الأشراف
يخدعك غير بالحليف	يقسم و يعظم	والسبحة راه من وراها عامل زرناف
كاين اللي يجي لهيف	بنيابه يهضم	مارواته ميات صحفة و ألف غراف
يبغي كرسي من الصديف	وكنوزالعالم	اللويز والماس و الفضاضي من كل أصناف
كاين اللي يجيك ضيف	بالقش مرزم	في يوم البرد و الشتا و الريح الزفراف
فاتت الأمطار و الخريف	ما زال مرسم	يرجع هو مول دارك و أنت جحراف
كاين اللي يجيك عفييف	ما زاله يحلم	ذقنه ما زال ما عرف موس الحفاف
يرجع ضربان لا تصيف	زقطي متشلغم	باعك و شراك في دقيقة عند الحراف
سبحان الله يا لطيف	أنت اللي تعلم	كاين شي ناس من استحاهم يقولوا خاف
حاسبين كل شي خطيف	غير أجي و زدم	واللي يبقى مع التوالى يقولوا زحاف
لحمام إذا نسي الولة	من بعد الحب والشغاف	

خلائي في الأحزان و جفى من دون دواس لا خلاف
 هذا تحقيق به شوفة شكيت داروا له الثقاف
 الباز إذا غاب صدفة يهجر و يروح للتلاف
 خلاها خالية الغرفة من ذاك اليوم ما أنشاف
 ضنيته صاحبي و يشفا و ترن ثعبان في الاجواف
 عيب عليكم عار كشفة يا أهل بلادي يا سخاف
 درتوها مرتبة و حرفة نكرتوا الخير والصناف
 سومتكم ما سوات علفة في سوق السبت والجيايف
 ما هي صحبة و لا معرفة ما هي نسبة و لا حلاف
 كيفاش القلب عاد يصفى كي قطعته بالأطراف
 من يتبعكم راح في الفاء و الرء المسبقة بقاف
 يا ضيف الله جوز تدفى رد سلامي لا تخاف
 ياك جينا نايضين شرفا والله ما نخيبوا الضياف
 اجلس هنا بغير كلفة انزع عليك ذا اللحاف

سبحان الله يا لطيف أنت اللي تعلم كايين شي ناس من استحاهم يقولوا خاف
 حاسبين كل شي خطيف غير أجي و زدم واللي يبقى مع التوالى يقولوا زحاف
 يحسبوا الشيخ ما يفيد عدوه يخزف مابين الصبح و العشية و الناس تشوف
 يحسبوا الشيخ ما يفيد عدوه يهترف قالوا سيفه رشى حفى
 و الشيخ أ سامع القصيد ما زاله يهدف سيفه براق فالثنية ديما معروف

ارجاوا الموس في الخفا	كالثور الشارف	يحسبوا الشيخ ما يفيد
ماهوش غنيمة الضحية ما هوش خروف	ما هوش مكثف	و الشيخ أسامع القصيد
كيفما عملوا ما كفى	شمالاه يوقف	يحسبوا الشيخ ما يزيد
راهي ما خفات له خفية كل شي مخلوف	يسكت ويساعف	والشيخ أسامع القصيد
تمشي و نعيش بالصفاء	عمري ما نسخف	ماني محساد لا جحيد
كاين شي ناس من استحاهم يقولوا خاف	أنت اللي تعلم	سبحان الله يا لطيف
واللي يبقى مع التوالى يقولوا زحاف	غير أجي و زدم	حاسبين كل شي خطيف
والناس جميع عارفة	منظوم مستف	غنيت شحال من قصيد
قراني الجوع و الحفا	مانيش مثقف	فني ما هوش مالمسيد
داري ماهيش تالفة	ماهوش مسلف	خبزي مصنوع من سميد
تهدر و نقول في القفا	ما نيش موالف	يشهد القريب و البعيد
أرضي ماهيش ناشفة	مانيش محشلف	عظمي ماهوش للكديد
منه الذيابة خايفة	و لو كي يشراف	الصيد يموت ياك صيد
في وسط رياح عاصفة	يشد المقداف	اللي مقيود ما يقيد
من أهل الصدق و الوفا	ما هوش مطرف	مول المنظوم و القصيد
التومي قال مصطفى	ببير جبح نحلف	ولد باب جديد بالوكيد
شيخ العنقا اذا كفى	فيها يتصرف	و اللي غناها عميد
والتسع ميا مردفة	من بعد الالف	عام السبعين لا تزيد
تميت و قلت بالشفاء	سنجاق يرفرف	الجزاير عهدا جديد

سبحان الله يا لطيف أنت اللي تعلم كايين شي ناس من استحاهم يقولوا خاف
حاسبين كل شي خطيف غير أجي و زدم واللي يبقى مع التوالى يقولوا زحاف

اغنية: يالرايح وين مسافر تروح تعيا وتولي

يا الزايح وين مسافر تروح تعيّا وتولي شحال..ندموالعباد الغافلين قبلك وقبلي
يا الزايح وين مسافر تروح تعيّا وتولي شحال..ندموالعباد الغافلين قبلك وقبلي
شحال..شفت البلدان العامرين و البر الخالي شحال ضيعت اوقات و شحال تزيد ما زال تخلي
يا الغايب في بلاد الناس شحال تعيّا ما تجري بك وعد القدرة ولى زمان و أنت ما تدري
يا الزايح وين مسافر تروح تعيّا وتولي شحال.. شحال..ندموالعباد الغافلين قبلك وقبلي
ندموالعباد الغافلين قبلك وقبلي يا الزايح وين مسافر تروح تعيّا وتولي
علاش قبلك حزين و علاش هاكذا كي الزاوالي ما تدوم الشدة وإلا بطيت أعلم وأكتب لي
ما يدوموا الأيام و لا يدوم صغرك وصغري يا حليلو ومسكين اللي خاب سعدو كي زهري
يا الزايح وين مسافر تروح تعيّا وتولي شحال..ندموالعباد الغافلين قبلك وقبلي
يا الزايح وين مسافر تروح تعيّا وتولي شحال..ندموالعباد الغافلين قبلك وقبلي
يا مسافر نعطيك وصايقي أدّيها على بكري شوف ما يصلح بيك قبل ما تبيع وما تشري
يا النائم جاني خورك كيما صرالك أصرالي هاكذا أراد وقدر في الجبين سبحان العالي

اغنية: وهران احمد وهبي

وهران وهران رحتي خساره
 هجرنا منك ناس شطاري
 وهران وهران رحتي خساره
 هجرنا منك ناس شطاري
 قعدوا في الغريه حيارى
 و الغريه صعيبه و غداره
 قعدوا في الغريه حيارى
 و الغريه صعيبه و غداره
 يا فرحي على اولاد الحمري
 اولاد مدينه وسيدي الهواري
 يا فرحي على اولاد الحمري
 اولاد مدينه وسيدي الهواري
 عديت معاهم صغري
 لهم فني طول عمري
 عديت معاهم صغري
 لهم فني طول عمري
 ما احلى صهريات بلادي
 القصبه و القلاي صادي
 ما احلى صهريات بلادي
 القصبه و القلاي صادي
 يا اللي ماشين ليها غادي
 وصوا يتهلوا في بلادي
 يا اللي ماشي ليها غادي
 وصي يتهلوا في بلادي
 عمري ما ننسى بلادي
 أرضي و أرض اجدادي
 وصيت انا على الناس
 لي تركوا دينهم وتبعوا الكاس

وصيت انا على الناس
 لي تركوا دينهم وتبعوا الكاس
 يا الزينه بالكاس والمايده
 راه عشره بلا فايده
 يا الزينه بالكاس والمايده
 راه عشره بلا فايده
 وعدي على الطحطحه وعدي
 كان زينها زين الودادي
 يا وعدي على الطحطحه وعدي
 كان زينها زين الودادي
 رجعت غمه في فؤادي
 وليت نبكي وننادي
 رجعت غمه في فؤادي

اغنية على اش تلوموني

ااه... ااه
 علاش تلوموني... علاش تلوموني
 اييه علاش تلوموني قلبي بغاها...
 واكرهتوني... ااه و اكرهتوني...
 ما نقدرش... على اجلها ما نقدرش...
 حبي الاول ما نقدرش نحول
 لالا... ااه يا ربي
 ما بقوش الاحباب ما بقوش الاحباب
 عيش وحدك يا شاب ياسر معاهم
 ااه و يلوموني عيش و خليهم
 ويلوموني على اجلها و يلوموني
 ااه يا ربي ما نقدرش...
 واكرهتوني... ااه و اكرهتوني...

على اجلها ما نقدرش ما نقدرش
 ما نقدرش نحول حبي الاول ااه يا ربي
 لالا ااه... ااه... العاشق لا يلام لا يلام
 و الحب على العاشق مقدر يا ليلي
 العاشق لا يلام و الحب على العاشق مقدر
 و الليي كواه و الليي كواه بناره اييه الليي كواه بناره
 ما يجبر الطبيب لدواه يتجبر يا ليلي ددا ااه... يا ااه

اغنية : على جالها نمركي وهران لافرونس

على جالها نمركي اوران لافرونس
 مي جي باد شونص معاها جي بادشونص
 كواتني بنت اما و كلعتلي لعمر
 لا في كل سيمانة نكطع لبحر
 و حتى لبا سبور كمل باغي نعاوده
 يا هدا الزين حالف ماني طالكة
 لا ساكنة ابي الامينيو
 لا قرقتني انا و كلعت لي لعقل
 عل جالها نمركي اوران لافرونس
 مي جي بادشونص معاها جي باد شونص
 لا ساكنة ابي الامينيو
 لا قرقتني ابنت اما و درة لي لعقل
 ماشي انا و هبل حتى الكاوري
 لوكان تشوفوها تعطوني الحق
 يا بن عمي ماش n importe
 لا زينها حفا الزين و عمي لي العين

بخته عود العراق
زينها ما كسبه ريام
يرغبها مرادي
امنيتي الغاليه سيدي
ذبلت قلبي وحدي
كييتي من البخته كيه
حسنوا عون الخالدي
اللي ما شافته في الدنيا
جايه في كاليش
مراسيه كي امير الجيش
منها وليت ادهيش
ما بقت الزعامه في
يرغبها مرادي
امنيتي الغاليه سيدي
ذبلت قلبي وحدي
كييتي من البخته كيه

اغنية جاتني بريه

جاتني بريه جات
من عند حبييتي بالذات
و جاتني بريه جات
من عند حبييتي بالذات
كي ندير نساك يا اللي شغلتي لي البال ويا
يا اللي شغلتي لي البال ويا
و بعثتي مرسولك و انا مرسولي رقد ويا
و انا مرسولي رقد ويا جاتني بريه جات
من عند حبييتي بالذات
و جاتني بريه جات من عند حبييتي بالذات

لا تلفون لا خبر ما بقى لي عقل ويا
 ما بقى لي عقل ويا
 كي نرفد تكروشي يتخبل كل شي ويا
 يتخبل كل شي ويا جاتي برية جات
 من عند حببتي بالذات و جاتي برية جات
 من عند حببتي بالذات
 بعثت لك تليغرام ما جاني خبر ويا
 ما جاني خبر ويا
 كي انت كي خوتك علاش تغلي صوتك ويا
 علاش تغلي صوتك ويا
 جاتي برية جات من عند حببتي بالذات
 و جاتي برية جات من عند حببتي بالذات
 كي ندير ننساك يا اللي عقلي مشى معاك ويا
 يا اللي عقلي مشى معاك ويا
 ما نديرك بعينه ما نبكي عليك واه
 ما نبكي عليك ويا جاتي برية جات
 من عند حببتي بالذات و جاتي برية جات
 من عند حببتي بالذات

اغنية خلوني

خلوني وخلوني وعلى رايبه ما دار فيه تبعت هوايا
 والله يا سيادي راني مضرورحسنه عوني فيه داك
 خلوني وخلوني وعلى رايبه ما دار فيه تبعت هوايا
 والله يا سيادي راني مضرورحسنه عوني فيه داك المر
 وكلمة راضية هي الي بيه هي سبابي وسباب الكيه
 اه كاوي قلبي اه كاوي عمري اه ما قديت ويا ما قديت وكلمة راضية هي الي بيه
 هي سبابي وسباب الكيه
 ما نرقد ما نشوف شبعان بغضرتها

الدمعة من عيني دارت فيه
اه كاوي قلبي اه كاوي عمري
اه ما قديت ويا ما قديت ما قديت
خلوني وخلوني وعلى رايبه ما دار فيه تبعت هوايا
اه كاوي قلبي اه كاوي عمري
اه كاوي قلبي اه كاوي عمري
اه ما قديت ويا ما قديت ما قديت

اغنية جاي بالسلامه

جاي بالسلامة ولاقلبك راح ما جاني تعالالي يانا قلبي داب
بدعي كل ليلة تيجي ثاني وكل ثانية تبقى دنيا بعد الغياب
بتغيب وفين وفين سنين عايشين ومش عايشين
ايام تعدى وسنين و بعدنا
مشتاق ليه يا زمان تجيني تاخذني بالاحضان
يا حبيبي بالامكان نكون هنا
جاي بالسلامة ولاقلبك راح ما جاني تعالالي

جاي بالسلامة ولاقلبك راح ما جاني تعالالي يانا قلبي داب
بدعي كل ليلة تيجي ثاني وكل ثانية تبقى دنيا بعد الغياب
قادرين نكون عايشين ونخطف من الزمان يومين
يا حبيبي ليه خايفين نكون سوى
لو كان باقي لنا مكان هوانا في القلب زي ماكان
يجمعنا زي زمان الهوى

لو عمري بايديا ما عيشه ولو ثانية من غير ماكون وياك
اسهرت ايام عيني والشوق يصحيني واستنى ثاني لفاك
بتغيب وفين وفين سنين عايشين ومش عايشين
ايام تعدى وسنين و بعدنا
مشتاق ليه يا زمان تجيني تاخذني بالاحضان

يا حبيبي بالامكان نكون هنا

اغنية اللي بينا انتهى

اللي بينا انتهى انت لا مش لها مايفيدك لوم
لا تقول اسمها وانسى يوم انها كانت حبك يوم
ياما قلت هوى ما في منه نوى
ليه يا قلبي معاك ما نتوب ع الهوى

ياما قضيت ليالي اشكي عذابي ودقت الاسية
ولا حسيتي يوم بيا ولا دفت يوم بنار الشوق
يامام قلبك الغالي عمري وشبابي ودابت عينية
وغرقت في بحر الحب وانت الي طلعت الدرب ووصلت لفوق
ياما قلت هوى ما في منه نوى
ليه يا قلبي معاك ما نتوب ع الهوى

ياما صدقت كلامك انسى ملامي وكذب عيني
واسمع كلام القلب الي حبك ذوب وعندك تاب
واليوم حتى سلامك يزيد الامي ويجرح ايدي
ماعاد يحن القلب ولاعاد يمشي بالهدرب وعندك تاب ياما قلت هوى ما في منه نوى
ليه يا قلبي معاك ما نتوب ع الهوى

انا عيني تشوفك تجري وتسلم
واشوف قلبي يقولك احكي واتكلم
يا شوق عيني اه يا شوق عيني
مين انت ومين انا حبيبي ده رحنا لبعضنا

جمع قلبنا غرامنا وشوقنا وحبنا
واحلى ليالي فعمرنا واجمل لحظة ضمنا
مين انت ومين انا حبيبي ده رحنا لبعضنا

قمر عالي قابلتك رحت طواعلي
لقيت قلبي بينادي مين شغل بالي
انشغل بالي ااه انشغل بالي
مين انت ومين انا حبيبي ده رحنا لبعضنا

جمع قلبنا غرامنا وشوقنا وحبنا
واحلى ليالي فعمرنا واجمل لحظة ضمنا
مين انت ومين انا حبيبي ده رحنا لبعضنا
جمع قلبنا غرمننا وشوقنا وحبنا
واحلى ليالي فعمرنا واجمل لحظة

أغنية راني معاك اليوم

راني معاك اليوم
وراني معاك اليوم
وغده اياه بغيت المكتوب يلاقينا
وراني معاك اليوم
وراني معاك اليوم
وغده اياه بغيت المكتوب يلاقينا

شتيدير القلب الخالي شتيدير هاد اللالي
راني نيكى ونوح مقلتيش قبل ما تروح
شتيدير القلب الخالي شتيدير هاد اللالي
راني نيكى ونوح مقلتيش قبل ما تروح

راه حالي ديما مهموم وراني زايد في مثالي
حسنه عوني راني مغبون هاده هي حالة
L'amour

راه حالي ديما مهموم وراني زايد في مثالي
حسنه عوني راني مغبون هاده هي حالة

L'amour

راڻي معاك اليوم
وراڻي معاك اليوم
وغده اياه بغيث المكتوب يلاقينا
راڻي معاك اليوم
وراڻي معاك اليوم
وغده اياه بغيث المكتوب يلاقينا

وعلاش درتيها بيه مكواني نبكي مكواني
انا لي درت النيه ودنوبي عليك نتيه
وعلاش درتيها بيه مكواني نبكي مكواني
انا لي درت النيه ودنوبي عليك نتيه
وشتايدير القلب الخالي وراڻي زايد فيه
حسنه عوني راڻي مغبون هاده هي حالة

L'amour

راه حالي ديما مهموم وراڻي زايد في مثالي
حسنه عوني راڻي مغبون هاده هي حالة

L'amour

وشتايدير القلب الخالي وراڻي زايد فيه
راڻي نبكي ونوح مقلتيش قبل ما تروح

اغنية: بكاتني

بكاتني كيف بكيتهلها وهابي وعلى فراقها انا ما قديت
بين عينيه وعقلي وعندها ويا عقلي وعندها ويا
انا سبابي هيه عمري بكاتها ويا عمري بكاتها ويا
اه يا ليل ياه هي ليل

بكاتني كيف بكيتهلها وهابي وعلى فراقها انا ما قديت

ولله ما يستاهل الزين
ها وهاي وعلى فراقها انا ما قديت
ما بين الوحش والغرية زادت ولتا وياه زادت ولتاديه واه اه اه اه
ما يكونش العاقل شريك حاسب وياه شريك حاسب وياه اه يا ليل ياه هي ليل
بكاتي كيف بكيتهلها وهابي وعلى فراقها انا ما قديت والله ما يستاهل الزين
ها وهاي وعلى فراقها انا ما قديت
ودمعة تقاسي حرقتي القلب ويا حرقتي القلب وياهاه اه اه كاع ديك l'histoire راحت في نهار
ويا راحت في نهار ويا اه ياليل.....

انا عيني تشوفك تجري وتسلم
واشوف قلبي يقولك احكي واتكلم
يا شوق عيني اه يا شوق عيني
مين انت ومين انا حبيبي ده رحنا لبعضنا

جمع قلبنا غرامنا وشوقنا وحبنا
واحلى ليالي فعمرنا واجمل لحظة ضمنا
مين انت ومين انا حبيبي ده رحنا لبعضنا

قمر عالي قابلتك رحت طواعلي
لقيت قلبي بينادي مين شغل بالي
انشغل بالي ااه انشغل بالي
مين انت ومين انا حبيبي ده رحنا لبعضنا

جمع قلبنا غرامنا وشوقنا وحبنا
واحلى ليالي فعمرنا واجمل لحظة ضمنا
مين انت ومين انا حبيبي ده رحنا لبعضنا
جمع قلبنا غرامنا وشوقنا وحبنا
واحلى ليالي فعمرنا واجمل لحظة

أغنية راني معاك اليوم

راني معاك اليوم
وراني معاك اليوم
وغده اياه بغيت المكتوب يلاقينا
وراني معاك اليوم
وراني معاك اليوم
وغده اياه بغيت المكتوب يلاقينا

شتيدير القلب الخالي شتيدير هاد اللالي
راني نبكي ونوح مقلتيش قبل ما تروح
شتيدير القلب الخالي شتيدير هاد اللالي
راني نبكي ونوح مقلتيش قبل ما تروح

راه حالي ديما مهموم وراني زايد في مثالي
حسنه عوني راني مغبون هاده هي حالة
L'amour

راه حالي ديما مهموم وراني زايد في مثالي
حسنه عوني راني مغبون هاده هي حالة
L'amour

راني معاك اليوم
وراني معاك اليوم
وغده اياه بغيت المكتوب يلاقينا
راني معاك اليوم
وراني معاك اليوم
وغده اياه بغيت المكتوب يلاقينا

وعلاش درتيها بيه مكواني نبكي مكواني
انا لي درت النيه ودنوبي عليك نتيه
وعلاش درتيها بيه مكواني نبكي مكواني

انا لي درت النيه و دنوبي عليك نتيه
 وشتايدير القلب الخالي ورائي زايد فيه
 حسنه عوبي راني مغبون هاده هي حالة

L'amour

راه حالي ديما مهموم ورائي زايد في مثالي
 حسنه عوبي راني مغبون هاده هي حالة

L'amour

وشتايدير القلب الخالي ورائي زايد فيه
 راني نبكي ونوح مقلتيش قبل ما تروح

كلمات العشق الممنوع

يا لغات لي في التيليفون تبكي و تقول إنت عمري ياي ي توحشتك ياي ي يا هاذ الخطرة ça y est
 عشقق مدارلي وصلت لي ليميت

يا مهما واش صرى تبقى إنت تا تا إنت ma vie ياي ي يا passe غاضني ياي ي زعمة قلت
 راني نسيت و الله مقديت و لعذابك وليت

اه لغات لي في التيليفون تبكي و تقول إنت عمري ياي ي توحشتك ياي ي يا هاذ الخطرة ça y est
 عشقق مدارلي وصلت لي ليميت

يا مهما واش صرى تبقى إنت تا تا إنت mavie ياي ي يا passe غاضني ياي ي يا زعمة قلت
 راني نسيت و الله مقديت و لعذابك وليت يا يا يا

ياه يا حتي مستنيت و من غيابك عييت كل يوم نقول ياي ي يصوني التيليفون ياي ي من كثر واش
 بكييت و عليك سوفريت حتي نشفو الدموع

يا كثر و les problemes مخرج علينا دا العام حسبت mon amour ياي ي راحت pour
 toujours ياي ي و أحنا عشقنا صافي و بغاود يردوه العشق الممنوع

يا حتي مستنيت و من غيابك عييت كل يوم نقول ياي ي يصوني التيليفون ياي ي و عليك واش
 بكييت و سوفريت حتي نشفو الدموع

يا كثر و les problemes ما مخرج علينا دا العام حسبت mon amour ياي ي راحت pour
 toujours ياي ي و أحنا عشقنا صافي و بغاود يردوه العشق الممنوع

يا لغات لي في التيليفون تبكي و تقول توحشتك ياي ي إنت عمري ياي ي و يا هاذ الخطرة ça y est
 عشقق مدارلي وصلت لي ليميت

يا مهما واش صرى تبقى إنت تا إنت ma vie ياي ي يا passe غاضني ياي ي زعمة قلت
 راني نسيت و الله مقديت و لعذابك وليت يا زعمة قلت راني نسيت و الله مقديت و لعذابك وليت
 يا تقدرت علينا و تفركتنا لا أنا لا إنتي ياي ي separation forçer ياي ي و جابوها مورانا
 حقرة كي دايرة دارو فينا دارو
 و بلا بيك إنتي يا و راحت عليا كي غادي ندير ياي ي و راحت l'avenir ياي ي و إنتي كنتي كل
 شي و mon projet و ما درنا والو
 يا لغات لي في التيليفون تبكي و تقول توحشتك ياي ي إنت عمري ياي ي و يا هاذ الخطرة ça y
 est عشق مدارلي وصلت لي ليميت
 يا مهما واش صرى تبقى إنت تا إنت ma vie ياي ي يا passe غاضني ياي ي يا زعمة قلت
 نسيت déclarite و ça y est لعذابك وليت
 يا لغات لي في التيليفون تبكي و تقول إنت عمري ياي ي توحشتك ياي ي يا هاذ الخطرة عشق ça
 y est مدارلي وصلت لي ليميت
 يا مهما واش صرى تبقى إنت تا إنت ma vie ياي ي يا passe غاضني ياي ي يا زعمة قلت
 راني نسيت و الله مقديت ça y est déclarite يا يا يا

Definition of *globalization*

noun glob·al·i·za·tion \,glō-bə-lə-'zā-shən\
Popularity: Top 10% of words

Definition of *globalization*

1. : the act or process of globalizing : the state of being [globalized](#); *especially* : the development of an increasingly integrated global economy marked especially by free trade, free flow of capital, and the tapping of cheaper foreign labor markets

Définition de Mondialisation. Désigne un processus par lequel les échanges de biens et services, capitaux, hommes et cultures se développent à l'échelle de la planète et créent des interactions de plus en plus fortes entre différentes parties du monde.

[définition de mondialisation - Glossaire International](#)

www.glossaire-international.com/pages/tous-les-termes/mondialisation.html

Désigne un processus par lequel les échanges de biens et services, capitaux, hommes et cultures se développent à l'échelle de la planète et créent des interactions de plus en plus fortes entre différentes parties du monde.

Cité en 1959 dans le journal anglais *The Economist*, puis dans le quotidien français "Le Monde", le terme mondialisation fait l'objet, depuis de nombreuses années, de débats sur les réalités qu'il recouvre.

La nature **multidimensionnelle** du processus ne permet pas une vision unique du concept selon les spécialités : économie, sociologie, politique, philosophique...

Il est maintenant admis que le terme désigne **le développement de l'interdépendance au niveau mondial**. À partir de cette définition générale chaque grand courant académique met l'accent sur la dimension qui lui paraît la plus pertinente. Par exemple, certains universitaires comme Manuel Castells se concentrent sur le lien entre les dimensions économiques et sociales. D'autres, comme John Urry, mettent l'accent sur la complexité croissante qui caractérise tous les échanges humains (économiques, culturels et politiques).

Read more at <http://www.glossaire-international.com/pages/tous-les-termes/mondialisation.html#D11LYVqz4tlcAKGF.99>

فهرس الملاحق

- ملحق رقم 1- موشح البوقالات 305
- ملحق رقم 2- ملحق الألغاز..... 308
- ملحق رقم 3- ملحق الأمثال..... 314
- ملحق رقم 4- ملحق النكت..... 317
- ملحق رقم 5- ملحق الحكايات الشعبية..... 324
- ملحق رقم 6- ملحق الأغاني..... 355

فهرس الموضوعات

شكر و عرفان.....

إهداء.....

المقدمة..... أ-ح

10..... الفصل التمهيدي

10..... توطئة.....

13..... التراث و الثقافة و العولمة.....

15..... التراث و الفولكلور.....

17..... ما الأدب؟.....

20..... الأدب و العلوم التجريبية.....

الفصل الأول: مدخل للأدب الشعبي الجزائري

24..... 1-لحظة تاريخية.....

24..... 1-1- أصل تسمية سكان المغرب العربي.....

26..... 1-2- الامازيغ و الفتح الإسلامي.....

28..... 1-3- الأمازيغ و اللغة العربية.....

30..... 1-4- نحن و التراث.....

32..... 2-تعريف التراث الشعبي(الفولكلور).....

- 35.....1-2- مفهوم الشعبي(الشعب).....
- 39.....2-2- تعريفات الفولكلور.....
- 413- عناصر التراث الشعبي.....
- 41.....1-3- المعتقدات و المعارف الشعبية.....
- 42.....2-3- العادات و التقاليد الشعبية.....
- 43.....3-3- الثقافة المادية و الفنون الشعبية.....
- 45.....4-3- الأدب الشعبي.....
- 46.....1-4-3- عناصر الأدب الشعبي.....
- 47.....2-4-3- العناصر المكونة للأدب الشعبي الجزائري.....
- 48.....3-4-3- عناصر الأدب الشعبي الجزائري.....
- 49.....1-3-4-3- الحكاية الشعبية الجزائرية:.....
- 50.....1-1-3-4-3- التعريف اللغوي.....
- 51.....2-1-3-4-3- المفهوم.....
- 55.....3-1-3-4-3- العوامل المؤثرة في الحكاية الشعبية الجزائرية.....
- 59.....4-1-3-4-3- وظائف الحكاية الشعبية.....
- 62.....5-1-3-4-3- مناهج دراسة الحكاية الشعبية.....
- 64.....6-1-3-4-3- ركائز البناء الفني للحكاية الشعبية.....
- 65.....7-1-3-4-3- موضوعات الحكاية الشعبية.....

- 66.....3-4-3-2- اللغز الشعبي الجزائري:.....
- 66.....3-4-3-2-1- التعريف باللغز.....
- 71.....3-4-3-2-2- نشأة اللغز.....
- 73.....3-4-3-2-3- البنية النصية للغز.....
- 74.....3-4-3-2-4- خصائص اللغز.....
- 78.....3-4-3-2-5- وظيفة اللغز.....
- 79.....3-4-3-2-6- علاقة اللغز بأشكال التعبير الأخرى.....
- 80.....3-4-3-3- النكتة الشعبية الجزائرية:.....
- 81.....3-4-3-3-1- مفهوم النكتة الشعبية.....
- 84.....3-4-3-3-2- النكتة في التراث العربي.....
- 86.....3-4-3-3-3- النكتة عند غير العرب.....
- 87.....3-4-3-3-4- مميزات و خواص النكتة.....
- 88.....3-4-3-4- الأمثال الشعبية الجزائرية:.....
- 90.....3-4-3-4-1- التعريف بالمثل.....
- 92.....3-4-3-4-2- خصائص المثل و مميزاته.....
- 94.....3-4-1-4-3- نشأة المثل.....
- 96.....3-4-3-4-4- وظائف المثل.....
- 98.....3-4-3-5- الأغنية الشعبية الجزائرية:.....

- 99..... تعريف الاغنية الشعبية 1-5-3-4-3
- 101..... أغراض و أشكال الأغنية 2-5-3-4-3
- 102..... خصائص الأغنية الشعبية. 3-5-3-4-3
- 103..... وظيفة الاغنية الشعبية. 4-5-3-4-3

الفصل الثاني : العولمة أبعادها وأهدافها

- 106..... 1- لمحة تاريخية.....
- 107..... 2- نشأة العولمة.....
- 114..... 3- مفهوم و تعريفات العولمة
- 129 4- العرب و العولمة.....
- 132..... 5- من أبعاد العولمة وأهدافها.....
- 133..... 1-5- البعد الاقتصادي.....
- 135..... 1-1-5- الجانب التجاري.....
- 135..... 2-1-5- جانب التسيير.....
- 136..... 3-1-5- الجانب المالي.....
- 138..... 2-5- البعد السياسي.....
- 140..... 1-2-5- الجانب التشريعي.....

- 141..... الجانب الدبلوماسي 2-2-5
- 142..... البعد الثقافي 3-5
- 145..... الجانب الروحي 1-3-5
- 146..... الجانب العلمي 2-3-5
- 147..... عولمة العلوم و التقنيات 3-3-5
- 148..... الجانب اللغوي 4-3-5
- 148..... البعد الاجتماعي 4-5
- 149..... الجانب الديموغرافي 1-4-5
- 150..... الجانب السلوكي 2-4-5
- 150..... الجانب المهني 3-4-5
- 151..... البعد الاتصالي 5-5
- 152..... الجانب الإعلامي 1-5-5
- 153..... الجانب المعلوماتي 2-5-5
- 154..... الهوية في كنف العولمة 8
- 156..... أدوات العولمة 6
- 156 منظمة الأمم المتحدة.(ONU) 1-6

157	2-6- صندوق النقد الدولي.(IMF).....
157	3-6- البنك الدولي.(WB).....ز.....
158	4-6- المنظمة العالمية للتجارة.(WTO).....
158	1-4-6- الاتفاقية العامة للتعريف الجمركية و التجارة.(GATT).....
158	2-4-6- الاتفاقية العامة لتجارة الخدمات.(GATS).....
158	3-4-6- الاتفاقية حول الجوانب التجارية لحقوق الملكية الفكرية.(TRIPS).....
159	4-4-6- المنتدى الاقتصادي العالمي (دافوس).....
159	5-4-6- مجموعة الدول الصناعية الثمانية.(G8).....
159	5-6- الشركات متعددة الجنسيات(العابرة للقارات).(MNC).....

الفصل الثالث: الأدب الشعبي و قيم المجتمعات

162	توطئة.....
162	1 - مفهوم القيم.....
164	1 1 -تعريف القيم.....
164	1 1 1 لغة.....
165	1 1 2 اصطلاحا.....
167	2 - آراء في القيم.....
167	1-2 عند الفلاسفة.....

- 167 2-2 عند علماء النفس
- 168 3-2 عند علماء الاجتماع
- 169 4-2 عند الانثروبولوجيين
- 169 5-2 عند علماء الاقتصاد
- 170..... 3- تصنيف تعاريف القيم:
- 170..... 1-3- تعريف القيم من خلال التصريح المباشر.
- 171..... 2-3- تعريف القيم باعتبارها تفضيلات يختارها الفرد
- 172..... 3-3- تعريف القيم باعتبارها حاجات ودوافع واهتمامات
- 173..... 4- تصنيف القيم.
- 174..... 1-4 معيار محتوى القيمة
- 177 2-4 المقصد من القيمة
- 177 3-4 شدة القيمة
- 178 4-4 عمومية القيم
- 179 5-4 وضوح القيمة
- 179..... 6-4- دوام القيمة.
- 179..... 5- خصائص القيم.

182.....	6- أهمية القيم.....
183.....	6-1- بالنسبة للفرد.....
185.....	6-2- بالنسبة للمجتمع.....
186	7- مفهوم الهوية.....
186.....	7-1 لغة.....
187	7-2 اصطلاحا.....
187.....	7-3 مفومها في الفلسفة
189	7-4 مكونات الهوية.....
190.....	8- الهوية.....
195.....	9- مفهوم التنشئة الاجتماعية.....
196	9-1 تعريف التنشئة الاجتماعية.....
197.....	9-2 شروط التنشئة الاجتماعية.....
198.....	9-3 عناصر التنشئة الاجتماعية.....
199.....	9-4 خصائص التنشئة الاجتماعية.....
199.....	9-5 العوامل المؤثرة في التنشئة الاجتماعية.....
202	9-6 اهداف التنشئة الاجتماعية.....

10- أهمية القيم الروحية و الأخلاقية في منظومة التراث الشعبي 203

11- القيم الأخلاقية و مبادئ العولمة..... 204

- الفصل الرابع: تأثيرات العولمة على عناصر التراث الشعبي

- تمهيد..... 210

1- تأثير العولمة على العناصر المادية للتراث الشعبي الجزائري. 214

2- تأثير العولمة على عناصر الأدب الشعبي الجزائري..... 215

1-2- البوقالة..... 216

2-1-1- التعريف بالبوقالة. 216

2-1-2- كيف تتم البوقالة؟..... 216

2-1-3- مضمون موشح البوقالة 217

2-1-5- البوقالة و العولمة. 219

2-2- اللغز الشعبي الجزائري..... 223

2-2-1- مضمون الألغاز. 223

2-2-2- اللغز الشعبي الجزائري و العولمة..... 233

2-3- المثل الشعبي الجزائري..... 235

2-3-1- مضمون الأمثال..... 235

2-3-2- المثل الشعبي الجزائري و العولمة..... 243

2-4- النكتة الشعبية الجزائرية..... 247

247مضمون النكتف.....1-4-2
257النكتة الشعبية الجزائرية و العولمة.....2-4-2
260الحكاية الشعبية الجزائرية.....5-2
260مضمون الحكاية الشعبية.....2-5-2
273الحكاية الشعبية الجزائرية و العولمة.....3-5-2
274الأغنية الشعبية الجزائرية.....6-2
274مضمون الأغنية الشعبية.....1-6-2
286الأغنية الشعبية الجزائرية و العولمة.....2-6-2
288الأثر المدمر للعولمة على منظومة القيم والمبادئ المحلية.....3
290الخاتمة.....
299قائمة المصادر والمراجع.....
311الملاحق.....
390فهرس الموضوعات.....

- 1 - السابعة صغرونة..... 324.....
- 2 - القط بو سبع ارواح..... 326.....
- 3 - بقرة ليتامى..... 329.....
- 4 - الفرطاس..... 332.....
- 5 - العفريت..... 335.....
- 6 - الجمرة و الغول..... 336.....
- 7 - ولد المغبونة..... 338.....
- 8 - الخاوة..... 340.....
- 9 - الوصيية..... 342.....
- 10 - اللصوص الثلاثة..... 343.....
- 11 - الزوالي و الفار و الصيد والخنش و كحل الراس..... 344.....
- 12 - الصحبة..... 346.....
- 13 - التفاحة..... 347.....
- 14 - ولد الهجالة..... 349.....
- 15 - جناية سابعة..... 353.....

ملخص الدراسة:

تحرص الأمم و الشعوب على إبراز مميّزاتها وخصوصياتها، والتباهي بها كدليل عراقتها وامتدادها في عمق التاريخ من خلال تراثها الشعبي، بشقيه المادي منه، والمعنوي. هذا الأخير الذي يحمل في طياته العادات والتقاليد والأعراف والقيم والمعتقدات... كإحدى المعالم المحددة لخصوصية المجتمع، فتكون بذلك بمثابة هويته التي بها يُعرف وعليها يستند في إدارة الحاضر واستلهاام المستقبل؛ ضمانا لاستمرارها وتمايزها.

لذلك كانت الفنون القولية: كالحكايات الشعبية والأمثال والألغاز والنكت والأغاني والشعر الشعبي والأهازيج... وغيرها من ابرز عناصر الأدب الشعبي صمودا واستمرارا؛ لأنها تتكيف مع سيرورة الزمن بفعل توارثها عن طريق الأجيال من سلف إلى خلف، ومن جيل إلى جيل.

تضمن التنشئة الاجتماعية هذا التوارث عن طريق الأسرة التي تعتبر إحدى الركائز الأساسية في هذه العملية المصيرية، إضافة إلى المنظومة التربوية والمؤسسات الدينية والاجتماعية التي تساهم بقسط كبير في ترسيخ وتعزيز هوية المجتمع؛ وبالتالي الاستمرار والديمومة.

إن تقويض هذه العادات والتقاليد والقيم والأعراف... لا يكون إلا عن طريق تفجير مستودعاتها وخرّاناتها المتمثلة في هذه العناصر من الأدب الشعبي؛ إما بقطع الصلة بين السلف من الأجيال مع من يخلفهم، أو إحداث شرخ بينها للحيلولة دون انتقال مضامينها ومحتوياتها، وحمولتها إجمالا من هذه القيم والعادات والتقاليد... إلى القادم من الأجيال؛ لتميع الخصوصيات، ومنها إلى تذويب الهوية وطمسها.

إن أفضل ميدان لتحقيق هذا الفعل الراديكالي في المجتمع، هي الأسرة، لأنها المصدر الأول ومنبع القيم الموجهة للمجتمع؛ وإن التغيير أو التحكم في هذه الموجهات والقيم لا بد و أن يمر حتما عبر الأسرة.

إن التغيير الذي تنشده العولمة الراهنة يصطدم حتما بهذه القيم الموجهة للمجتمعات، على غير ما تريده هذه الأخيرة؛ وبالتالي فقد استهدفت تفجير الأسرة، بتفكيكها وتشريد أفرادها، بالترويج إلى الفر دانية وما ينجم عنها من أنانية وحب الذات و فقط، وفرط في الاستهلاك وما يترتب عنه من تبذير وإسراف وهدر للمقدرات المادية في

غير سبيلها الصحيح... كل ذلك عن طريق ما تملكه من أدوات ووسائل تكنولوجية لا يُستهان في تطورها ولا يُشك في تأثيرها القوي على الأفراد والمجتمعات.

لقد تبنت العولمة الراهنة إستراتيجية نشر الفساد على أقصى مدى، بكل أنواعه وأشكاله، ممتطية لذلك الرذيلة والانحلال الخلقي؛ بالتركيز أولا على تعطيل ومحو فضيلة الحياء، لأنها بمثابة السد أمام طموحاتها المشينة المغرضة . وعليه كان العالم الإسلامي عموما والعربي منه على وجه الخصوص مسرحا لهذا الصراع الشرس بين الفضيلة والرذيلة وهو شعارها السري، وهدفها الحقيقي محاولة إغراق العالم في مستنقعات الفساد والرذائل، متسترة وراء هذه الشعارات البراقة والدعوات المغرية، وهو ما حاولت هذه الدراسة إستكناهاه وتحليلته؛ من خلال ما استعرضته من مضامين لأهم عناصر الأدب الشعبي الجزائري ممثلا : بالوقالات، والألغاز الشعبية، والأمثال، والنكت والأغاني والحكايات الشعبية الجزائرية، وقد تبين بجلاء أن مضامين هذه العناصر هي مستودعات ضخمة من القيم الموجهة لفضائل السلوك، ومنها الحياء التي اشتركت كلها في الدعوة إلى نشره والحفاظ عليه بين أفراد المجتمع؛ لما له من ابلغ الأثر على استقراره وتماسكه في إطار من الاحترام والتقدير.

وعلى النقيض من ذلك تماما ؛ فقد تبين للدراسة أن العولمة تراهن على تقويض هذا الجانب في المجتمع، من خلال مضامين هذه البدائل الالكترونية الحديثة، من الأفلام والمسلسلات، والألعاب والحكايات ومجالات التسلية والمنافسات... وغيرها، فكلها تساهم بطريقة أو بأخرى في الدعوة إلى الفساد والانحلال الخلقي؛ مستغلة بذلك لهذه الإرمادة من الوسائل، التي وفّرتها الثورة التكنولوجية الراهنة، ومستثمرة للأدوات والهيئات الدولية، لفرض أراءتها والهيمنة على الشعوب الأخرى المستهدفة.

على ضوء ما سبق رأت الدراسة أنه من الواجب على كل الهيئات و الأفراد، التحرك الفوري وفق ما تقتضيه خطورة الوضع الذي نحن بصدده، على هوية الأمة وكيانها .

The Abstract:

The nations and peoples stick to show their characteristics and specificities of which they boast as an indicator of their deep-rootedness and continuity in profound history, this is through their popular patrimony consisting in its materiel and immaterial side. The latter implies the conventions, values, beliefs...as one of the landmarks determining the specificity of the society. Thus, it is to be its identity which makes it known, and from which it starts the agency of the present and the inspiration of the future, in order to ensure its continuity and differentiation.

For this, were spoken arts such as folk tales, proverbs, riddles, jokes, songs, folk poetry and chants...etc The more resisting and continuing elements of literature, for they adapt with the course of time as an outcome to their generation to generation and predecessor to successor revolution.

Social education esures this transmission through the family, which is one of the fundamental pillars of this decisive process, as well as the educational system and religious and social institutions which contribute to a great deal to establish and consolidate the identity of the society, and thus to permanent continuity.

The destruction of these habits, values and convention...is only through ruining their stores consisting in these elements of folk literature, either through breaking the predecessors off their successors or through a crack – among them – hindering the transmission of its contents and load – on the whole – relating to these values and conventions... to the posterity so as to spoil the specificities and them to dissolve and wipe out the identity.

The best field to carry out this radical action is the family, for it is the primary source of the society's leading values. The mastery of these leading values must inevitably pass through the family.

The change sought by present-day globalization lies in inevitable confrontation with these leading values in societies, contrary to what is sought by the latter. Thus, globalization targeted the family destruction through its disintegration and dispersing its members, and through encouraging loneliness that results in selfishness, and in over-consumption that leads to the wastage of material capacities out of their appropriate context... All this by the means of the highly developed technological instruments, that it possesses, which undoubtedly have a big influence on individuals and societies.

Present – day globalization has adopted spreading vice with its different sorts at a large scale by moral disintegration and concentrating in the first place at wiping the virtue of shyness out, which constitutes an obstacle to its awful and tendentious ambitions.

The Islamic world in general and the Arab world precisely were an arena to these big conflicts between virtue and disintegration which is its hidden slogan. Its real objective is to lead the world to the swamps of moral disintegration. All this is behind these screaming slogans and suggestive appeals and this is what our study has tried to unveil its essence, through the exhibition of some contents of the most important elements of the Algerian folk literature, illustrated by boukalate, folk riddles, proverbs, jobs, songs and Algerian folk tales. It turned out that the

contents of these elements are big stores of leading values for good behaviour, among which is shyness. Altogether, they exhort to its spread and preservation among individuals (in society), for its big influence on the stability and cohesion of society, in a mood of respect and estimation.

Contrary to all that, it turned out to the study that globalization is betting at spoiling this side in society, through the contents of modern electronic substitutes, represented in movies, serials, games, tales, distractions, competitions, ...etc. They all contribute in way or another to vice and moral disintegration. In doing this, it relies on this armada of means provided by the current technological revolution, and invests in international means and institutions to impose its (globalization) hegemony on targeted peoples.

On the light of what has been seen, the study stresses the duty of all institutions and individuals to react immediately, according to the extent of witnessed danger to the nation's identity and entity

Résumé:

Les nations et les peuples s'en tiennent à démontrer leurs caractéristiques et spécificités desquelles ils se vantent comme un indicateur de leur enracinement et continuité dans l'histoire profonde; cela est par le biais de leur patrimoine populaire représenté par son côté matériel et immatériel. Le dernier englobe les conventions, les valeurs, les croyances...comme l'un des repères déterminant la spécificité de la société. Par conséquent, il est à être son identité qui fait de lui

connu, et du quel elle commence l'agencement du présent et l'inspiration du future, afin d'assurer sa continuité et différenciation.

C'est pour cela que les arts verbaux, à l'instar des légendes populaires, les proverbes, les énigmes, les blagues, les chansons, la poésie populaire et les chants... etc. sont les éléments les plus résistants, et les plus continuant, de la littérature, car ils s'adaptent au cours du temps comme résultat de leurs révolutions d'une génération à l'autre et de prédécesseur à successeur.

L'éducation sociale assure cette transmission à travers la famille, qui est l'une des piliers fondamentaux de ce processus décisif, en plus du système éducatif et des institutions religieuses et sociales qui contribuent énormément à établir et consolider l'identité de la société, et par voie de conséquence à la continuité permanente.

La destruction de ces habitudes, ces valeurs et ces conventions... n'est qu'à travers le ruinage de leurs stocks représentés en ces éléments de littérature populaire, soit par faire rupture entre prédécesseurs et successeurs, où bien a travers une séparation entre eux, qui gêne la transmission de ses contenus et sa charge –en général– reliant à ces valeurs et conventions... aux générations futures, pour but de gâcher ses spécificités et ultérieurement dissoudre, et anéantir son identité.

Le meilleur domaine pour mètre en exergue cet acte radical est la famille, car elle est la première source des valeurs institutrices de la société. La maîtrise de ces valeurs institutrices doit nécessairement passer par la famille.

Le changement voulu par la mondialisation actuelle se pose dans la confrontation inévitable avec les valeurs institutrices dans les sociétés, contrairement à ce qui est voulu par ces dernières. Par conséquence, la mondialisation visait la destruction de la famille en la désintégrant et en dispersant ses membres, et en encourageant l'individualité qui mène à l'égoïsme, et à la consommation excessive qui entraîne le gaspillage des capacités matérielles en dehors de leur contexte propice... Tout cela par le biais des moyens technologiques hautement développés, dont elle possède, et qui ont –sans doute– une grande influence sur les individus et les sociétés.

La mondialisation actuelle a adopté la propagation de la vice de toutes sortes sur une grande échelle par la désintégration morale, et la concentration en premier lieu l'anéantissement de la Virtue de timidité, qui représente un obstacle à ses ambitions atroces et tendancieuses.

Le monde islamique en général, et le monde arabe plus particulièrement étaient un terrain à ce grand conflit entre la Virtue et la désintégration qui est son slogan. Son objectif réel mène le monde aux marais de la désintégration morale. Tout cela est derrière ses slogans scintillants et invitations tendancieuses, et ceci représente ce que notre étude a essayé de découvrir son essence, à travers l'exhibition de quelques contenus des éléments les plus importants de la littérature populaire Algérienne, illustrés par les boukalate, les énigmes populaires, les proverbes, les blagues, les chassons et les contes populaires Algériennes. Il s'est avéré que les contenus de ces éléments sont des grands stocks de valeurs instructrices au bon

comportement, parmi lesquelles est la timidité. Tout ensemble, ils exhortent à sa propagation et préservation parmi les individus (au sein de la société), pour sa grande influence sur la stabilité et la cohésion de la société, dans une atmosphère de respect et d'estimation.

Contrairement à tout cela, il s'est avéré pour l'étude que la mondialisation est en train de parier le gâchage de ce côté de la société, par le biais des contenus des alternatifs électroniques modernes, représentés dans les films, les feuilletons, les jeux, les contes, les distractions, les compétitions, ... etc. Tous ensembles, ils contribuent d'une façon où d'autre au vice et à la désintégration morale. En faisant ça, elle se base sur cette armada d'instruments par l'actuelle révolution technologique, et investie dans les instruments et les institutions internationaux pour imposer son (la mondialisation) hégémonie sur les peuples visés.

A la lumière de ce qu'on a vu, l'étude met l'accent sur le devoir de toutes les institutions et tous les individus de réagir immédiatement, selon le niveau de danger vécu sur l'identité et l'entité des nations.

